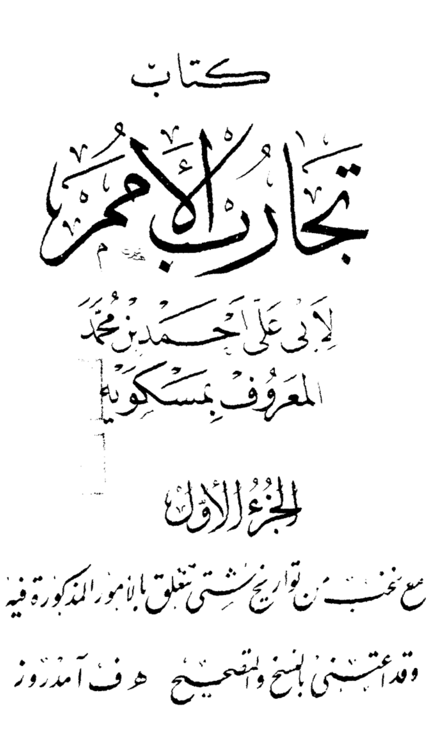
كتاب

تجارب الأمم

لأبي علي أحمد بن محمد
المعروف بمسكويه

يطلب من مكتبة المثنى ببغداد



(يحتوي على حوادث خمس وثلاثين سنة) «من ٢٩٥ الى ٣٢٩ هجرية»

بمطبعة بشركة التمدن الصناعية بمصر المحمية سنة ١٣٣٢ هـ و ١٩١٤ م



خلافة المقتدر بالله [٥٧]

وبويع جعفر بن المعتضد بالله وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكنيته أبو الفضل

﴿ ذكر ما جرى في ذلك ﴾

لما ثقل المكتفي في علته فكر العباس بن الحسن وهو الوزير فيمن يقلده الخلافة وترجح رأيه [١] وكان يركب من داره الى دار السلطان ويسايره واحد من الاربعة الذين يتولون الدواوين وهم أبو عبد الله محمد بن داود بن الجرّاح وأبو الحسن محمد [٢] بن عبدون وأبو الحسن بن الفُرات وأبو الحسن علي بن عيسى فركب معه محمد بن داود فشاوره العباس فأشار بأبي العباس عبد الله بن المعتز فقرّظه ووصفه . ثم ركب معه في اليوم الثاني أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات فشاوره فقال له [٣] هذا شيء ماجرت به عادتي .

(١) يريد لم يستقر رأيه (٢) وردت ترجمته في كتاب ارشاد الاريب لياقوت الحموى ٥ : ٢٧٧ (٣) هذه الرواية موجودة فى كتاب الوزراء لهلال الصابى ١١٤ * وأما الوزير فقال جمال الدين علي بن ظافر فى كتابه الدول المنقطعة انه العباس بن الحسن بن أحمد بن القاسم ابن عبدالله بن أيوب من سواد جرجرايا . ذكره الهمذاني في عيون السير من تصنيفه

(٥٨) واستعفاه وقال : انما أشاور في العمال . فأظهر العباس غضباً وقال : هذه محاجزة وليس يخفى عليك [الصحيح] (١) . وألحّ عليه فقال له . ان كان رأى الوزير قد تقرر على انسان بعينه فليستخر الله ويمضي عزمه . قال ابن الفرات فعلم انى قد عنيت ابن المعتز لاشتهار الخبر به فقال لى . ليس أريد منك الأن تمحضنى النصيحة . فقلت له : اذا أراد الوزير ذلك فانى أقول « اتق الله ولا تنصب فى هذا الامر من قد عرف دار هذا ونعمة هذا وبستان هذا وجارية هذا وضيعة هذا وفرس هذا ومن لقى الناس ولقوه وعرف الامور وتحنك وحسب حساب نعم الناس » (قال) فاستعاد ذلك مني الوزير دفعات ثم قال : فبمن تشير فقلت بجعفر بن المعتضد فقال ويحك جعفر صبى قلت الا انه ابن المعتضد ولِمَ تجىء برجل يأمر وينهى ويعرف مالنا ومن يباشر التدبير بنفسه ويرى انه مستقل ولِمَ لا تسلم هذا الامرَ الى من يدعك تدبّره أنت

ثم شاور أبا الحسن على بن عيسى فى اليوم الثالث واجتهد به ان يُسمّي له أحداً فامتنع وقال : أنا لا أشير بأحد ولكن ينبغى ان يتّقى الله وينظر للدين (٢)

فمالت نفس العباس بن الحسن الى رأى أبي الحسن بن الفرات (٥٩) ووافق ذلك ما كان المكتفى عهد به من تقليد أخيه جعفر الخلافة . فلما مات المكتفى آخر نهار يوم السبت الثانى عشر من ذي القعدة نصب الوزير العباس جعفراً فى الخلافة على كراهية منه لصغر سنه . ومضى صافي الحُرمى لحدره من دار ابن طاهر فلما اجتازت الحراقة التى حدر فيها وانتهت الى [دار] العباس بن الحسن صاح غلمان العباس بالملاح أن ادخل . فوقع لصافى الحرمى ان العباس انما يريد ان يدخله الى داره لِتغيّر رأيه فيه وأشفق أن يعدل عنه الى غيره فمنع

(١) هذه الكلمة زدناها (٢) راجع كتاب الوزراء ١٢٧

الملاح من الدخول وجرّد سيفه وقال للملاح : ان دخلت رميت برأسك. فانحدر وجهاً واحداً الى دار السلطان [1]

فتم أمر جعفر ولقب المقتدر بالله وأطلق السلطان يد العباس فأخرج المال للبيعة . وحكى القاضي أبو الحسن محمد بن صالح الهاشمي ان القاضى أبا عُمر محمد بن يوسف حدّثه ان العباس بعد اتمامه أمر المقتدر استصباه وكثر كلام الناس فعمل على أن يحلّ أمره ويقلّد أبا عبد الله محمد بن المعتمد على الله . وكان أبو عبد الله بن المعتمد حسن الفعل جميل المذاهب فوسّط الوزير أمره بينه وبينه القاضي أبا عُمر . وسامَهُ اليمين فقال (٦٠) ابن المعتمد : ان لم تصحّ نيّتهُ لم تغن فيه اليمين وان صحت استغنى عنها . وله الله راع وكفيل على انى لا أغدر به ولا أنكبه . [2]

وكان العباس ينتظر بامره قدوم بارس الحاجب غلام اسمعيل بن أحمد صاحب خراسان فانه كان ورد كتابه وقدّر انه يستظهر به وبمن معه على غلمان المعتضد ، وتمادت الايام بقدوم بارس . ووقع بين ابن عمرويه صاحب الشرطة ببغداد وبين أبي عبد الله محمد بن المعتمد منازعة فاجتمعا يومئذٍ في مجلس الوزير العباس بن الحسن وجرى بينهما خطابٌ ، فاربى [3] عليه ابن عمرويه في الكلام ولم يكن علم بما رشّح له ولم يمكن أبا عبد الله ان ينتصف منه لمحله فاغتاظ غيظاً شديداً كَظَمَهُ فغشى عليه وفُلِجَ [4] في المجلس فاستدعى العباس

(١) راجع صلة عريب ٢٢ (٢) راجع صلة عريب ٢٠ (٣) راجع البيان للجاحظ ٢ : ٣٦

(٤) في الاصل: مفلح . وهو تصحيف من الناسخ لان مفلح الخادم وان كان من المقربين لدى الخليفة ومن ملازمى مجلسه كما يأتي ذكره في سنة ٣١١ و٣١٥ ولكن المناسب فى هذا المقام و « فلج » كما يفهم من صلة عريب حيث قال وعرض لمحمد بن المعتمد في شهر رمضان فالج فى مجلس العباس من غيظ أصابه في مناظرة كانت بينه وبين ابن عمرويه الخ ولذلك وضعنا الصواب فى المتن

عمّاريّةً وأمر بحمله فيها الى داره فحُمل ولم يلبث ان مات. فعمل العباس على تقليد أبي الحسين من ولد المتوكل على الله مكانه فمات أيضا ، وتمّ أمر المقتدر

ودخلت سنة ست وتسعين ومائتين وفيها كانت فتنة عبد الله بن المعتز

(ذكر الخبر عن ذلك)

كان التدبير يقع بين محمد بن داود بن الجرّاح مع الحسين بن حمدان على إزالة أمر المقتدر (٦١) بالله ونصب عبدالله بن المعتزّ مكانه ، وواطأ على ذلك جماعة من القوّاد والكُتّاب والقُضاة . فركب يوماً العباس بن الحسن يريد بُستانه المعروف ببستان الورد فاعترضه الحسين بن حمدان وعلاهُ بالسيف وقتله (١) وكان الى جانبه فاتك المعتضديّ يُسايره فصاح بالحسين منكراً عليه فعطف عليه الحسين وقتله . واضطرب الناس وركض الحسين بن حمدان قاصداً الى الحلبة مُقدِّراً ان المقتدر هناك يضرب بالصوالجة فيقتله ، فلما سمع المقتدر الضجة بادر بالدخول الى داره وغلقت الابواب دون الحسين . فانصرف الى الدار المعروفة بسليمان بن وهب بالمخرم وبعث الى عبد الله ابن المعتزّ يُعرفه تمام التدبير ، فنزل عبد الله من داره التي على الصَّراة وعبر الى المخرّم . وحضر القواد والجند وأصحاب الدواوين ومنهم علي بن عيسى ومحمد بن عبدون وحضر القضاة ووجوه الناس سوى أبي الحسن ابن الفرات وخواص المقتدر (٢) فبايع من حضر عبد الله بن المعتز وخوطب بالخلافة وانعقد له الامر ولقب المرتضي بالله واستوزر أبا عبدالله محمد بن داود بن

(١) صلة عريب ٢٦ وقال محمد بن عبد الملك الهمذاني في تكملة تاريخ الطبري انه كان للوزير ابن كنيته أبو جعفر واسمه محمد فمضى بعد قتل أبيه الى بخارا وأقام عند ملوك السامانية (٢) راجع ماقال ابن المعتز فيه وفي علي بن عيسى : كتاب الوزراء ١٣٧

الجرّاح . وقلدعلي بن عيسى الدواوين[٦٢] والاصول ومحمد بن عبدون دواوين الأزمة ونفذت الكتب الى الامصار كلها عن عبد الله بن المعتز ووجه الى المقتدر بالله يأمره بالانصراف الى دار ابن طاهر مع والدته لينتقل هو الى دار الخلافة فأجيب بالسمع والطاعة .

وعاد الحسين بن حمدان من غدٍ الى دار الخلافة فقاتله من فيها من الخدم والغلمان والحشم ومن كان هناك من الرجّالة من وراء السور ودفعوه عن الدار فانصرف في آخر النهار وحمل ما قدر عليه من ماله وحرمه وولده وسار بالليل الى الموصل . ولم يكن بقي مع المقتدر من رؤساء القوّاد غير مونس الخادم ومونس الخازن وغريب الخال والحاشية فلما راسل ابن المعتز المقتدر بالانصراف الى دار ابن طاهر قالت هذه الجماعة بعضها لبعض : ياقوم نسلّم الامر هكذا ؟ لِمَ لا نجرّد أنفسنا في دفع ماقد أظلنا فلعل الله أن يكشفه عنّا . فأجمع رأيهم على أن يصعدوا في شذاآت ومعهم جماعة ففعلوا ذلك وألبسوا الجماعة الجواشن والخوذ والسلاح وصاروا الى دار المخرّم . فلما قربوا منها ورآهم من كان فيها على شاطئ دجلة قالوا : شذاآت مصعدة من دار السلطان . ووقع الرعب في قلوبهم فتطايروا[٦٣] على وجوههم قبل أن تجرى بينهم حرب وقبل وصول الشذاآت الى الدار . وخرج عبد الله بن المعتز ومعه وزيره محمد بن داود وحاجبه يُمْن . وقد شهر يُمْن سيفه وهو ينادي معشر العامة ادعوا الله لخليفتكم . وأخذوا طريق الصحراء تقديراً منهم ان يتبعهم الجيش ويصيروا الى سُرّ مَن رأى فيثبت أمرهم فلم يتبعهم أحد . فلما رأى محمد بن داود نزل عن دابته لما حاذى داره ودخلها واستتر ونزل أبو عبد الله بن المعتز في موضع آخر ومشى الى دجلة وانحدر الى دار

أبي عبد الله بن الجصاص ودخلها واستجار به . ففرّ الناس على وجوههم ووقعت الفتنة والنهب والغارة والقتل ببغداد * وكان محمد بن عَمْرَويه صاحب الشُرطة فركب وقاتله العامة لانه كان من أكبر أعوان عبد الله بن المعتز فهزموه . وقلّد المقتدر مكانه من يومه مونساً الخازن[1]

وكان خرج في الوقت الذي خرج فيه ابن المعتز من داره أبو الحسن على ابن عيسى ومحمد بن عبدون مع من خرج من دار عبدالله بن المعتز واستترا في منزل رجل يبيع البقل . ونذر بهما العامة فكبسوهما وأخرجوهما وسلّموهما الى بعض خدم المقتدر[٦٤] المجتازين في الطرق فاركبهما جميعاً على بغل أكاف كان معه ولحقهما في الطريق من العامة أذى شديد حتى حصلا في الدار ووكل بهما .

وقبض في ذلك اليوم على وصيف بن صوراتكين وخرطامش[2] ويُمن وفاتك وجماعة ممن كان حاضراً دار ابن المعتز وفيهم القاضي أبو عمر محمد ابن يوسف والقاضي أبو المثنى أحمد بن يعقوب والقاضي محمد بن خلف بن وكيع واعتقل الكل في دار الخلافة وسلّموا الى مونس الخازن ثم أمر بقتلهم أجمعين فقتلهم تلك الليلة سوى على بن عيسى ومحمد بن عبدون والقاضى أبي عمر والقاضى محمد بن خلف فان هؤلاء سَلموا

وأنفذ المقتدر مونساً الخازن الى دار أبي الحسن على بن محمد بن الفرات التي كان ينزلها بسوق العَطَش بعد ان أعطاه خاتمه وأعلمه انه يريد أن يستوزره . وكان ابن الفرات مستتراً بالقرب من داره فلم يظهر له . فأعيد اليه مرّة أخرى فرفق بالجيران وأعلمهم أنه يستوزر فظهر له وقت العصر من

---

(١) وفي صلة عريب : الخادم . ولكن الراجح انه الخازن (٢) فى الوزراء ٢٣٥ : خطارمش

ذلك اليوم وصار به الى دار السلطان ووصل الى المقتدر وقلّده وزارته ودواوينه وعاد الى داره بسوق العَطَش . وبكّر يوم الاثنين وهو غد ذلك (٦٥) اليوم فخُلع عليه خلع الوزارة وسار بين يديه القوّاد بأسرهم . وخلع في ذلك اليوم على مونس الخازن بسبب تقلّده الشرطة . وأطلق ابن الفرات للجند مالاً لصلةٍ ثانيةٍ وجدّد البيعة للمقتدر

﴿ ذكر الخبر عن الظفر بعبد الله بن المعتز ﴾

صار خادمٌ لأبي عبد الله بن الجصّاص يعرف بسوسن الى صافي الحرمي يسعى بأن عبد الله بن المعتز مستتر في دار مولاه فانفذ المقتدر بالله صافياً الحرمي في جماعة حتى كبس منزل ابن الجصاص واستخرج منه عبد الله ابن المعتز فحمله وحمل معه أبا عبد الله بن الجصاص الى دار السلطان . ثم صودر ابن الجصاص على مال بذلهُ وأطلقه الى منزله بعد ان تكفل به الوزير أبو الحسن ابن الفرات

وسُلم على بن عيسى ومحمد بن عبدون الى أبي الحسن ابن الفرات وناظرهما مراسلة وصادرهما وخفف عن على بن عيسى وثقلها على محمد بن عبدون لعداوة كانت بينهما وقال للمقتدر : لم يكن لهذين في أمر ابن المعتز صنع وتكفل بهما وبالقاضي محمد بن خلف بن وكيع وخلصهم . ثم نفى محمد ابن عبدون الى الاهواز وأمر بتسليمه الى محمد بن جعفر العبرتائيّ ونفى على بن عيسى الى واسط بعد ان افتداه من ماله بخمسة آلاف دينار دفعها (٦٦) الى سوسن الحاجب واستكفّه بها عنه فانه كان يغري به ويقول : كان مطابقاً لعمّه . وظهر موت عبد الله بن المعتز في دار السلطان ودفع الى أهله ملفوفاً في زلّي بِرذون . وتم ما كان في سابق علم الله عز وجل وحكم به من

ثبات أمر المقتدر وبطل اجتهاد المخلوقين وحيلهم في ازالته [1]

فأما محمد بن داود فحكى أبو علي محمد بن علي بن مقلة قال : كنا بحضرة الوزير أبي الحسن في يوم هو فيه متخلٍ ودخل اليه بعض غلمانه فساره فظهر منه غم شديد . واذا هو قد أبلغ قتل محمد بن داود وقال : كان مع عداوته لي رجلا عاقلا كثير المحاسن يجمع الى صناعته كتابة الخراج والجيش والبلاغة والفقه والادب والشعر وكان كريما سخيا وقد جرى عليه من القتل أمر عظيم . ثم لعن علي بن الحسين القُنّاى [2] النصراني وقال . هو غرّ هذا الرجل فان ما كان بينه وبينه من المودّة مشهور فخاص نفسه وقتل صديقه

﴿ ذكر ماعمله القُنّاى في أمر محمد بن داود [3] ﴾

كان سوسن عدوًّا لمحمد بن داود وكذلك صاف الحرمى فاغريا المقتدر بالله وقالا له (٦٧) : ان علي بن الحسين القناى يعرف موضعه . فقبض عليه وهُدد بالقتل فخاف انه لا يعرف الموضع الذي استتر فيه محمد بن داود وانما تأتيه رقاعه بيد امرأة نصرانية تجيء الى امرأة نصرانية تجيئه بها وضمن انه يحتال في اثارته فأطلق . وكاتب محمد بن داود وأعلمه انه قد سفر له مع سوسن في أمر يكون به خلاصه وان ما يجرى في ذلك لا يحتمله المكاتبة وان الوجه ان يأذن له في المصير اليه في الموضع الذي هو فيه مستتر فان لم يأذن في ذلك صاحب

---

(١) ليراجع قول الطبري فيه : صلة عريب ٢٨ (٢) « القنائى » في صلة عريب ١٢٥

(٣) وأما محمد بن داود بن الجراح فقال الصفدى في كتابه الوافى بالوفيات . ومن تصانيفه كتاب الورقة سماه بذلك لانه في أخبار الشعراء ولا يزيد في خبر الشاعر على ورقة . ولهذا سمي الصولى كتابه في أخبار الخلفاء بالاوراق لانه أطال في أخبار كل واحد أوراقا . وفي أمر محمد بن داود ليراجع ارشاد الاريب ١ : ٢٢٦

داره خرج متنكراً وصار اليه فكتب اليه محمد بن داود انه يصير اليه في ليلة ذكرها . فمضى علي بن الحسين برقعته الى سوسن وصاف فاقرأهما اياها فترصدا تلك الليلة وأمرا صاحب الشرطة أن يتقدم الى أصحاب الارباع وأصحاب المسالح بترصده فلما خرج تلك الليلة ظفر به وسلم الى مونس الخازن فقتله ثم طرحه على الطريق حتى أخذه أهله فدفنوه

وحكى أبو علي ابن مقلة وأبو عبد الله زنجي الكاتب أن محمد بن داود كتب الى ابن الفرات رقعة وصلت اليه فلم يقدر أن يكتب الجواب بخطه وقال لموصلها وكان ثقة عنده : تقرأ عليه السلام وتقول له « ليس جرمك يسيرا[٦٨] والعهد به قريب والاستتار صناعة » فينبغي أن تصبر على استتارك أربعة أشهر حتى ينسى قصتك ثم دعني والتدبير في أمرك فاني باذن الله اسفر بعد هذه المدة في صلاحك وآخذ لك أمان الخليفة بخطه . وأقول « انه دخل فيما دخل فيه القواد وكتابهم وقد دعت الضرورة الى الصفح عنهم ولهذا بهم أسوة وأشير عليه بما يصلح أمرك » فلم يصبر محمد بن داود فجرى ما حكيته .

وحكى أيضا ابن زنجي[١] أنه كان بحضرة أبي الحسن بن الفرات اذ كتب اليه صاحب الخبر بان متنصحا حضر وذكر أن عنده نصيحة لا يذكرها الا للوزير فتقدم الوزير الى حاجبه أن يخرج اليه ويسأله عنها فخرج وسأله فابى أن يخبره بها وقال : أريد أن أشافه بها الوزير قال : وكنا بين يديه جماعة فأومأ الينا فقمنا وخلا به ثم دعا بحاجبه العباس الفرغاني وقال له : اجمع الرجال الذين برسم الدار . ثم دعا أبا بشر بن فرجويه وقال له سرا : ان هذا الرجل تنصح الي في أمر محمد بن داود وذكر أنه يعرف موضعه وأنه

---

(١) وزراء ٢٥

بات البارحة عنده والتمس أن أنفذ معه من يسلمه اليه وقد بذلت على ذلك الف دينار ان كان صحيحا أو نيله بالعقوبة ان كان باطلا فصير على ذلك فاكتب[٦٩] اليه الساعة أن ينتقل عن موضعه فاني أبعث الى مكانه من يكبسه ويلتمسه . ولم يزل يستعجل الحاجب في جمع الرجال فيقول « قد فرقت النقباء فى طلبهم فانهم في اطراف البلد منهم من ينزل في قصر عيسى ومنهم من ينزل بباب الشماسية » ولم يزل يدافع بالامر الى أن عاد الجواب الى أبي بشر بشكره وانه قد انتقل من موضعه الى غيره . فتقدم حينئذ الى المتنصح أن يمضي الى الموضع مع القوم وتقدم بالاحتياط عليه وعلى ماياليه وكبسه بعد ذلك وحمله فان لم يجده فتش الدور التي تلي الموضع وأن يستظهر بحفظ أفواه الدروب حتى لا تفوته الحُرَم[١] ويأخذ معه السلاليم . فمضى العباس الحاجب والمتنصح والرجال ووكل بافواه الدروب والدور المجاورة للموضع . ودخل الدار التي ذكرها المتنصح فلم يجده فقال المتنصح : في هذا الموضع والله العظيم خافته وههنا كان بائتا . وأقبل يسير الى موضع موضع وماعله فيه . ثم التمسه في الدار المجاورة فلم يجده وعاد به الى حضرة الوزير فانكر على المتنصح سعايته بالباطل وأمر بحمله الى باب العامة وضربه مائتي مقرعة وان يشهر على جمل وينادى عليه « هذا جزاء من يسعى بالباطل»[٧٠] وكتب الى المقتدر وعرّفه الصورة وانه كبس على محمد بن داود عدة دور فلم يجده فاوقع العقوبة بالساعى حتى لا يقدم نظراؤه على السعاية بالباطل . فلما عاد الساعى الى داره تقدم بان يحمل اليه مائتى دينار وأن يُحدر الى البصرة وقال لنا : قد صدق الرجل فيما حكاه وقد عاقبناه ولولم أفعل مافعلته لم آمن أن يمضي الى دار

(١) كذا الأصل لعله لا تفوته الحرم أو لا يفوته الحزم

السلطان . وكان أبو بشر يعرف موضع محمد بن داود بن الجرّاح وعرّف الوزير موضعه نكتمةُ الوزير ولم يظهره . وهـذا مما لا ينكر من أبي الحسن ابن الفرات مع كرمه وجلالة قدره ونبل افعاله (١)

﴿ وفيها قبض على محمد بن عبدون وسوسن الحاجب وقتلا ﴾

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان السبب في ذلك أن سوسن الحاجب كان مع ابن المعتز في تدبيره وظن أنه يقرره على الحجبة فلما عدل عنه الى يمن استوحش وصار الى دار السلطان (٢) وكان سوسن يدخل مع العباس بن الحسن في التدبير بحضرة المقتدر بالله فلما تقلد أبو الحسن بن الفرات الوزارة تفرد بالتدبير دون سوسن فظهرت الوحشة بين سوسن وبين أبي الحسن (٧١) ابن الفرات لاجل ذلك . وذاع الخبر بصحة عزم سوسن على الفتك بابن الفرات بمواطاة عدة من الغلمان الحجرية على ذلك . ودبر أن يكون الوزير محمد بن عبدون وأشار بذلك على المقتدر بالله وبذل على ذلك مالا عظيما . وأنفذ بُنَيّ بن نفيس الى الاهواز لاحضار محمد بن عبدون بغير موافقة ابن الفرات وأظهر بنى أنه انما أنفذ لاخذ أموال كانت مودعة للعباس بن الحسن بالبصرة . ولم يصل محمد بن عبدون الى واسط حتى ظهر الخبر لابن الفرات فقرر ابن الفرات في نفس المقتدر أن سوسنا عمل على الايقاع به أولا ثم به وأنه كان من اكبر اعضاد عبد الله بن المعتز وانما خالفه اخيرا لما علم أنه قد استحجب غيره فوافق المقتدر على القبض عليه فقبض عليه وقتله من يومه . وكان المتولي لذلك تكين الخاصة وكان تكين هذا مرشحا للحجبة ومدبرا لها (٣)

---

(١) وردت هذه الرواية في كتاب الوزراء ٢٥ (٢) راجع ما في صلة عريب ٢٧ (٣) راجع وزراء ١٣٨

ثم أنفذ الوزير الى محمد بن عبدون من أزعجه في الطريق واعتقله في دار السلطان وصادره مصادرة مجددة ثم سلم الى مونس الخازن فقتله. وقلق أبو الحسن على بن عيسى لذلك وهو بواسط فكتب الى الوزير كتابا يحلف فيه أنه على قديم عداوته لمحمد بن عبدون الا أنه لا يدع الصدق من فعله وأن محمد بن عبدون لم يكن ليسعى على[٧٢] دم نفسه بتضمنه الوزارة بل كان راضيا بالسلامة بعد فتنة عبد الله بن المعتز وان مونسا عمل ذلك بغير رأيه ولا موافقته. وسأل في أمر نفسه أن يبعده الى مكة ليسلم من الظنة وينسى السلطان ذكره. فاجابه ابن الفرات الى ذلك وأخرجه من واسط الى مكة على حال جميلة فشخص اليها على طريق البصرة. وكتب على بن عيسى هذا الكتاب مقدرا أن يخلص به محمد بن عبدون من القتل ويسلم هو فوفاه الله في نفسه بجميل نيته وحضر أجل محمد بن عبدون فلم ينفعه اجتهاد على بن عيسى في خلاصه[١]

ولما استقر أمر المقتدر بالله فى الخلافة فوض الأمور الى أبى الحسن ابن الفرات فدبرها أبو الحسن كما يدبرها الخلفاء. وتفرد المقتدر على لذاته متوفرا واحتشم الرجال واطرح الجلساء والمغنين وعاشر النساء فغلب على الدولة الحرم والخدم فما زال أبو الحسن ينفق الاموال من بيت مال الخاصة ويبذر تبذيرا مفرطا الى أن أتلفها. ومن محاسن ابن الفرات أنه افتتح أمره باخراج أمر المقتدر بمكاتبة العمال فى جميع النواحى بافاضة العدل فى الرعية وازالة الرسوم الجائرة عنهم واخراج أمره لجماعة[٧٣] بنى هاشم بجار ثم أخرج أمره بزيادة جميعهم ثم أخرج أمره بالصفح عن جميع من كان خرج عن طاعته ووالى ابن المعتز والحاقهم في الصلة عن لم تكن له جناية.

(١) وزراء ٢٧ — ٢٦

وتاطّف في أمر الحسين بن حمدان وابراهيم بن كيغلغ حتى رضى المقتدر عنهما وقلدهما الأعمال وفعل ذلك بابن عمرويه

﴿ ذكر التدبير الصواب فى ذلك ﴾

أنه عرّف المقتدر بالله أنه متى عاقب جميع من دخل فى أمر ابن المعتز فسدت النيات وكثر الخوارج ومن يخشى على نفسه فيطلبون الحيل للخلاص بافساد المملكة . وأشار باحراق جميع الجرائد التى وجد فيها أسماء التابعين لابن المعتز فاستجاب الى ذلك وأمر ابن الفرات بتغريق الجرائد في دجلة ففعل ذلك وسكن الناس وكثر الشاكرون [1]

﴿ ذكر ما جرى فى أمر القاضى أبي عمر ﴾

كان القاضي يوسف بن يعقوب [2] شيخا كبير السن يلزم ابن الفرات ويبكي بحضرته ويسأله تخليص ابنه أبي عمر من القتل فيذكر له أبو الحسن أنه لا يتمكن من ذلك إلا باطماع المقتدر بالله في مال جليل من جهته فبذل أبوه أن يفقر نفسه وابنه طلباً للحياة . فسأل (٧٤) ابن الفرات المقتدر بالله الصفح عنه وأطمعه في ماله ومال ولده فسلمه المقتدر اليه فصادره على مائة ألف دينار واعتقله في ديوان بيت المال ليؤدى المال فأدى أكثره . ودخل فيما أداه وديعة قيل أنها كانت عنده للعباس بن الحسن مبلغها خمسة وأربعون ألف دينار فلما أدّى تسعين ألف دينار أمر ابن الفرات باطلاقه الى منزله وترك له العشرة الآلاف الدينار وأمره بملازمة منزله وألا يخرج منه [3]

(١) راجع كتاب الوزراء ١١٩ (٢) كان قلد قضاء الجانب الشرقى سنة ٢٨٢ بعد ابن عمه اسمعيل بن اسحق :ارشادالأريب ٢ : ٢٦١ — ٢٦٠ (٣)راجع الفرج بعد الشدة ١ : ١٢٢ — ١٢٠

﴿ ذكر خيانة واتفاق سيئ اتفق فيها ﴾

كان سليمان بن الحسن بن مخلد متحققا بأبي الحسن ابن الفرات ومدلا[١] بأحوال كانت بين أبيه وبين والد الوزير أبي جعفر محمد بن موسى بن الفرات وكان سليمان يختص لذلك بأبي الحسن ابن الفرات ووجد أبو الحسن كتبا في البيعة لعبد الله بن المعتز بخط سليمان لتحققه كان بمحمد بن داود بن الجراح وللقرابة بينهما فلم يظهر أبو الحسن ذلك للمقتدر ولا ذكره. ونوه باسم سليمان وقلده مجلس العامة رياسة. ثم أن سليمان جنى على نفسه بالسعي لأبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الحميد في الوزارة[٢] وعمل في ذلك نسخة بخطه من نفسه الى المقتدر بالله[٧٥] يسعى فيها بأبي الحسن وبأمواله وضياعه وكتابه وأسبابه. وكانت الرقعة في كمه ودخل دار ابن الفرات وهي معه وقام ليصلي صلاة المغرب مع جماعة من الكتاب في دار ابن الفرات فسقطت الرقعة من كمه وظفر بها الصقر بن محمد الكاتب لأنه كان يصلي الى جنبه فأقبل بها مبادراً الى الوزير من وقته فقبض عليه وأحدره في زورق مطبق الى واسط ووكل به وصودر. وجرى على طبعه وشاكلته فأحسن اليه وقلده[٣]

وفيها كوتب أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان في قصد أخيه الحسين ومحاربته وأمد بالقاسم بن سيما في أربعة آلاف فاجتمعا ولقيا الحسين فانهزما وانحدر ابراهيم بن حمدان لاصلاح أمر أخيه الحسين فأجيب الى ما التمس وكوتب للحسين أمان وصار الى الحضرة. ونزل في الصحراء من الجانب الغربي ولم يدخل دار السلطان وقلد أعمال الحرب بقم وحملت اليه الخلع فلبسها

(١) يريد مدليا (٢) فاباها كذا في صلة عريب ٧٩ (٣) راجع كتاب الوزراء ١٠٢،٢٨ : والفرج بعد الشدة ١٢٤:١

ونفذ الى قمّ وانصرف عنها العباس بن عمرو [1]

وفيها قدم بارس غلام اسمعيل بن أحمد صاحب خراسان فى أربعة آلاف غلام أتراك وغيرهم وصار الى بغداد مستأمناً . وكان مولاه اتبعه الى الري مظهراً الاستيحاش من قبول السلطان غلامه فكاتبه [٧٦] ابن الفرات حتى سكن منه حتى عاد الى خراسان وقلد بارس ديار ربيعة فانفذه اليها

وقلد يوسف بن أبي الساج أعمال أرمينية وآذربيجان وعقد له عليها وضمنه اياها بمائة ألف وعشرين الف دينار فى كل سنة محمولة الى بيت مال العامة بالحضرة فسار من الدينور اليها

﴿ ودخلت سنة سبع وتسعين ومائتين ﴾

وفيها أدخل طاهر ويعقوب ابنا محمد بن عمرو بن الليث بغداد أسيرين في قبة على بغل وقد كشف جلالها وهما بين يدى أبي الفضل عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي كاتب سُبكرى المتقلد فارس ووصل الى حضرة المقتدر ووصلا معه بعد أن حلت قيودهما وخلع على عبد الرحمن بن جعفر ورتب في الفوج الاول وركب عبد الرحمن في الخلع وأنزل في دار فى مربعة الخُرَّسى [2] وحبس طاهر ويعقوب في دار السلطان

وكان سُبكرى متغلبا على فارس فلما قدم عبد الرحمن كاتبه قرر أمر سبكرى مع السلطان على شيء يحمله عن فارس ثم عاد الى صاحبه فورد الخبر بعد ذلك بان الليث بن على خرج من سجستان وقصد فارس فدخلها

---

(١) راجع الطبرى ٣ : ٢٢٨٠٤ (٢) يعنى صالح الخرسى وهو من أولاد ملوك خراسان من أهل بلخ وكان يسمى صاحب المصلى لأن المنصور كان وهبه حصيراً للصلاة أخذ من خزائن عبد الله بن على بشرط أن يحمله في الاعياد حتى يصلى عليه . كذا فى المنتظم لابن الجوزى فى ترجمة على بن صالح سنة ٢٢٩ (وفى صلة عريب فى مربعة الحرشي)

وخرج سبكرى . فندب مونس الخادم للشخوص الي فارس وخلع عليه وسار فوجد سبكرى برامهرمز واجتمع مع مونس وسار بمسيره . وسار الليث الى أرجان ليلقى مونسا

(ذكر عجلة واتفاق سيء)

ثم أنه بلغ ليثاً أن الحسين بن حمدان قد سار من قم الى البيضاء نخاف أن توخذ منه شيراز فوجه أخاه مع قطعة من جيشه الى شيراز ليحفظها وأخذ هو دليلا يدله على طريق مختصر قريب الى البيضاء ليوقع بالحسين بن حمدان . فأخذ به الدليل فى طريق الرّجالة وهو طريق صعب ضيق لا يحمل الجيوش فلقى فى طريقه مشقة عظيمة حتي تلفت دوابه وتلف رجاله فقتل الدليل وعدل عن الطريق نخرج الى خوابذان وقد وصل اليها مونس . فلما أشرف الليث على عسكر مونس قدر أنه عسكر أخيه الذى أنفذه الى شيراز فكبر أصحابه نخرج اليه مونس فأوقع به وأخذه أسيراً . فلما حصل في يده أشار عليه قواده بالقبض على سبكري فلم يفعل . وألح عليه أصحابه فأظهر القبول منهم وقال : اذا صار الينا في غد قبضنا عليه . وكان سبكرى كل يوم يركب من مضربه الى مونس فيسلم(٧٨) عليه فوجه اليه مونس سراً وعرفه ما أشار عليه قواده وأشار عليه بالمسير الى شيراز والاسراع ففعل سبكري بما أشار به فلما أصبح وتعالى النهار قال : ياقوم ما جاءنا سبكرى اليوم فوجهوا اليه وتعرفوا خبره . وعاد الرسول وعرّفه أن سبكرى قد سار الى شيراز من أول الليل . فعاد باللوم على قُوّاده وقال لهم : من جهتكم شاع الخبر وبلغه فاستوحش . وسار مونس ومعه الليث راجعاً الى مدينة السلام وانصرف الحسين الى قُمّ

﴿ ذكر تدبير فاسد وما آل اليه ﴾

لما حصل سبكرى بشيراز كان معه قائد يقال له القتّال فضرّبه على كاتبه عبد الرحمن بن جعفر وأعلمه أنه فى جنبة السلطان وأنه قد أحلف قوّاده كلهم للسلطان وأخذ له البيعة عليهم وليس يتعذّر عليه متى شاء أن يُورد كتاباً من السلطان بالقبض عليه . ففزع سبكرى من هذه الحال وقبض على عبد الرحمن بن جعفر واستكتب مكانه رجلاً يعرف باسمعيل بن ابراهيم التيمي فحمله اسمعيل هذا على الخلاف وقال له : قد انصرف عنك عسكر السلطان وليس يمكنه أن يعود اليك سريعاً فاربح ما كنت تحمله الى السلطان واصلح أمورك[١٤] وأرض جندك ثم تنظر .

واحتال عبد الرحمن بن جعفر من محبسه حتى كتب الى ابن الفرات يخبره وما جرى عليه وبخلاف سبكرى على السلطان فكتب ابن الفرات الى مونس (وقد صار الى واسط) كتاباً يقول فيه : إن كنت فتحت فقد أغلقت وان كنت قد أسرت فقد أطلقت ولابدّ من أن تعود تحارب سبكرى . فعاد مونس الى الأهواز واخذ سبكرى فى ملاطفة مونس ومهاداته ومسئلته أن يبذل للسلطان عن أعمال فارس وكرمان زيادة على ما كان مقاطعا عليه القاسم بن عبيد الله فى أيام المكتفى بالله فانه كان مقاطعا على أربعة الاف الف ففعل مونس ذلك وبذل عنه سبعة آلاف الف . فلم يرض بذلك ابن الفرات فلم يزل يزيد ألف ألف حتى بلغ تسعة آلاف ألف خالصة للحمل وذكر أن باقى الارتفاع يحتاج اليه سبكرى لاعطاء الجند بفارس وكرمان وأعلمه كثرة المؤن هناك فأقام ابن الفرات على أنه لا يقنع الاّ بثلاثة عشر ألف ألف فأشار مونس على سبكرى بأن يقارب السلطان

والوزير فابى سبكري أن يزيد على عشرة آلاف ألف شيئا فاغتاظ الوزير من تماثُن سبكرى واتهم مونساً بالمَيْل اليه

(ودخلت سنة ثمان وتسعين ومائتين)

(ذكر ماجرى على سبكرى من الأسر)[٨٠]

ثم أنه عدل الى إنفاذ وصيف كامَه مع عِدَّةِ قُوَّاد من مدينة السلام وإنفاذ محمد بن جعفر العَبَرْتاييّ معهم وعوّل عليه فى فتح فارس . وكتب الى مونس أنه لا يثق باحد سواه فى حفظ الليث وأن سبيلهُ أن يوافى به الى مدينة السلام ويدع أكثر قُوّاده وأصحابه مع محمد بن جعفر بالقرب من نواحى فارس لئلا ينجذبوا باسرهم الى بغداد قبل أن يتقرّر الأمر مع سبكري فى مال المفارقة فيطمع سبكرى فى السلطان

فخرج مونس عن الاهواز وكتب الوزير حينئذ الى محمد بن جعفر العبرتاى والقُوّاد بالمبادرة الى شيراز مع جماعة من بالأهواز من القُوّاد وانضمّ اليه وصيف كامَه ثم أمدّه بسيما الخَزَرى وفاتك المعتضدى ويُمن الطولونى . فلما تكامل الجيش لمحمد بن جعفر سار الى سبكرى وواقعه على باب شيراز فانهزم سبكرى الى بمّ وتحصّنَ بها وتبعه الى هُناك فهزمَه أيضاً ودخل مفازة خراسان وأسر القتّال . وورد الكتاب بالفتح فخلع السلطان على الوزير عند ذلك وقلد محمد بن جعفر العبرتاي فُتَيحاً خادم الأفشين أعمال الحرب والمعاون بفارس وكرمان وكان يميل الى فُتَيح[٨١] لحسن وجهه

وفيها ورد كتاب أحمد بن اسمعيل صاحب خراسان بفتحه سجستان وأسره محمد بن على بن الليث ثم ورد كتابه بأسره سبكرى فكتب الى احمد بن اسمعيل بحمل سبكرى ومحمد بن على بن الليث الى الحضرة .

فلما كان فى شوال من هذه السنة أدخل سبكرى ومحمد بن على بن الليث مشهرين على فيلين بخلع على الوزير ابن الفرات ثم على المرزبانى خليفة صاحب خراسان وحمل مع الرسل الذين حملوا سبكرى ومحمد بن على بن الليث هدايا وخلع وطيب وجواهر الى صاحب خراسان (١)

وفيها ورد الخبر بوفاة العبرتاي ثم بوفاة فتيح وقلد عبد الله بن ابراهيم المسمعى أعمال المعاون بفارس

وفيها غرقت فاطمة القهرمانة فى طيارها تحت الجسر فى يوم ريح عاصف وكانت زوّجت ابنتيها من بُنَيّ بن نفيس وقيصر فحضرا جنازتها وحضرها خلق من القوّاد والقضاة . وجعلت السيدة مكانها أمّ موسى الهاشمية قهرمانة فكانت تؤدى رسائلها ورسائل المقتدر الى ابن الفرات

(ودخلت سنة تسع وتسعين ومائتين)

وفيها قبض على الوزير ابن الفرات ووُكّل بداره وهُتك حرمه أقبح هتك ونهبت داره (١) ودُور كُتّابه واسبابه وافتتنت بغداد ونهب الناس وكان مونس الخازن (٢) يلى شرطة بغداد وتحت يده برسمها تسعة آلاف فارس وراجل فكان يركب اذا اشتدّت الفتنة وزاد النهب فيسكن الناس ويكفّ النهب هيبة له فاذا نزل من ركوبه عادت الحال الى ما كانت عليه . فلقى الناس من ذلك شدّة شديدة ثلاثة أيام بلياليها ثم سكنت الفتنة

فكانت مدة وزارة أبي الحسن ابن الفرات هذه الاولى ثلاث سنين وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما . وقلّد أبو على محمد بن عبيد الله بن يحيى بن

---

(١) راجع فيه حكاية الصولى فى صلة عريب ٣٥ (٢) المعروف بالفحل : كذا فى تكملة تاريخ الطبرى

خاقان الوزارة وذلك في ذي الحجة سنة ٢٩٩ فقلّد أصحاب الدواوين ورتّبهم في مجالسهم . وردّ مُناظرة أبي الحسن ابن الفرات وأسبابه وكُتّابه الى أبي الحسن أحمد بن يحيى بن أبي البَغل . وقلّده[١] ديوان المصادرين وديوان الضياع العبّاسيّة وديوان زمام الفُراتيّة . واستتر من أصحاب ابن الفرات أبو علي محمد بن علي بن مقلة وأبو الطيب الكلواذي وأبو القاسم هشام وأبو بشر ابن فرجويه وقبض على الباقين ونهبت دورهم وهُدمت واعتقل هؤلاء الباقون وناظرهم احمد بن أبي البغل وعذّبهم وناظر ابن الفرات غيرانه[٨٣] لم يُمكن من إيقاع مكروه به ومكّن من جميع أسبابه وكتّابه

﴿ ذكر ما دبّره ابن أبي البغل وانعكاسه عليه ﴾

كان أبو الحسين بن أبي البَغل مبعداً في أيام ابن الفرات بأصبهان فلما افتتنت بغداد وقلّد أخوه مُناظرة ابن الفرات وأسبابه سفرله[٢] أخوه لما تمكّن من ملاقاة أمّ موسى في الوزارة وبذل فيها مالا جليلا يثيره ويوفّره فاطمع المقتدر في ذلك فأرجف له بها وكاتبَهُ اخوه بالاسراع الى الحضرة ونفذ اليه أبو بكر أخو أمّ موسى . فخاطبه قومٌ بالوزارة في طريقه وتلقّاه القوّاد وغيرهم عند وروده بغداد

فركب أبو علي الخاقاني في عشية من العشايا الى دار السلطان والتمس الاذن في الوصول فأذن له وأُوصل الى المقتدر بالله . فوصف له ان الامور قد اضطربت والاموال قد تأخّرت والدنيا قد خربت بكثرة الاراجيف به لان ابن أبي البغل يذكر انه قد استحضر للوزارة فخاطبه المقتدر بجميل وأذن له في إبعاد ابن أبي البغل وأخيه عن الحَضرة فقبض عليهما وأبعدهما

(١) يعني قلد المقتدر الخاقاني: راجع كتاب الوزراء ٢-٢٦١ (٢) لم يوجد لفظ (له) بالاصل

وتنكّرت أم موسى القهرمانة للوزير أبي علي الخاقاني لخافها وأشفق أن تُفسد عليه امرَهُ فأرضاها بان قلد أبا الحسين منهما [٨٤] أعمال الخراج والضياع باصبهان وقلّد أبا الحسن أخاه أعمال الصلح والمبارك [١]

وكتب الوزير باطلاق أبي الهيثم العباس بن ثوابة وكان معتقلا بالموصل وكان ابن الفرات نقلَهُ اليها في نكبة محمد ابن عبدون لقرابة بينهما . وكان ابن ثوابة هذا يكتب لمحمد بن ديوداذ وكان من الموصوفين بالشر [٢] فورد بغداد في سنة ٣٠٠ وقلّده الوزير أبو علي الخاقاني ديوان المصادرين والضياع العبّاسيّة والفُراتيّة وردّ اليه مُناظرة أبي الحسن بن الفرات وأسبابه وكُتّابه فاسرف ابن ثوابة في إيقاع المكروه بهم وعذّبهم بأنواع العذاب فجرت بينه وبين أبي الحسن بن الفرات مُناظرات هاتر في بعضها ابنَ الفرات وشتمه بحضرة أم موسى فردّ عليه ابنُ الفرات أقبح ردّ وشتَمَه أغلظ شتيمةٍ ونسبه في نفسه الى كل حالٍ قبيحةٍ فراسل ابن ثوابة المقتدر بان ابن الفرات لم يقدم على هذا الا لشدّة بطره وكثرة أمواله واستأذن في مُعاقبته . فبسط يده عليه فقيّده وغلّه وألبسه جبّة صوف وأقامه في الشمس مدة أربع ساعات وكاد يتلف (٣) فانهى بدر الحرمي في حاله الى المقتدر فانكرها وأمر بنقله الى بعض الحُجر التي في يد زيدان [٨٥] القهرمانة للحُرم الخواصّ واحسن اليه ورفّهه وذلك بعد أن حلف له ابن الفرات بأغلظ يمين بانه لم يبق له مال ولا ذخيرة ولا متاعٌ فاخرٌ الاّ وقد أقرّ به وقت مناظرة ابن أبي البغل ،

(١) راجع كتاب الوزراء : ٢٧٣ ـ ٢٦٨ (٢) راجع ماذكره في حقه الفرغاني ؛ ارشاد الاريب : ٢٩٨ وفي كتاب الوزراء ٢٦٢ وفي صلة عريب : ٥٩ انه مات سنة ٣٠٣
(٣) ذكرهذا فيما بعد وراجع أيضا كتاب الوزراء ١٠٥ ـ ١٠٣

فقبل المقتدر بالله قوله ومنع ابنَ ثوابة من مناظرته

ثم صار المقتدر بعد ذلك يشاور ابن الفرات فى الامور ويقرئه رقاع الوزراء اليه ويجيبهم عنها برأيه ثم كثرت السعايات بابى على الخاقانى وتمكن أبو القاسم ابن الحوارى

《 ذكر فساد تدبير الخاقانى لامر الوزارة 》

كان أبو على الخاقانى متشاغلا بخدمة السلطان ومراعاة أعدائه لا يقرأ الكتب الواردة عليه ولا النافذة واعتمد على ابنه أبى القاسم عبدالله وقلّدهُ مع العرض على الخليفة خلافته على الاعمال والتنفيذ للأمور .

وكان ابنه هذا متشاغلاً بالشراب انما يُراعى أمر القوّاد والجيوش والولايات للعمّال ويدع ما سوى ذلك . وكان قد نصب لقراءة الكتب الواردة أبا نصر مالك بن الوليد ولقراءة الكُتُب النافذة أبا عيسى يحيى بن ابراهيم المالكى . وكانت لابى على الخاقانى وابنه الجوامع بما يرد وينفذ فلا يقرأها أحد منهم[٨٦] الاّ بعد فوت الامر الذى وردت فيه الكتُب وتبقى الكتب بالجول والسفاتج فى خزانتهما لا تُفَضّ ولا يُعرف حال مافيها فقسدت الامور بولاية أبى على الخاقانى وضاعت .

وكان يقلّد فى أسبوع واحدٍ الكورة عِدّة من العمّال حتى قيل انه قد قلّد اعمال ماه الكوفة فى مدّة عشرين يوماً سبعة من العُمّال واجتمعوا فى خان بحلوان وقلّد اعمال قردى وبزبدي خمسة من العُمّال اجتمعوا فى خانٍ بعُكبرا فى يوم واحدٍ وسبب ذلك ارتفاق أولاده وكُتّابه من العمّال الذين يُولونهم فسُطرت الاحاديث وحفظت له النوادر

وأطلق يده بالتوقيعات وفى الزيادات والنقل والاثبات يوقع بذلك هو

وابناه وبنان ويحيي بن ابراهيم المالكي وأحمد ومحمد ابنا سعيد

وكان أبو على الخاقانى يتقرّب الى قلوب الخاصّة والعامّة فمنع خدم السلطان ووجوه القوّاد ان يترجموا رقاعهم بالتعبّد ويتقرّب الى العامّة بان يصلّي معهم فى المساجد التى على الطّرُق . فكان اذا رأى جمعا من الملاّحين أو غيرهم من العامّة يصلّون فى مسجد على الشطّ قدّم طيّارة وصعد وصلّى معهم فاتضعت الوزارة بافعاله وذلّت (١)

وكان(٨٧) اذا سأله انسان حاجة دق صدره وقال : نعم وكرامة : فسُمّي « دقّ صدره » وضاقت الاموال فقصّر فى إطلاق أموال أصحاب التفاريق والقُوّاد القُدَماء ومن يجرى مجراهم فشغبوا عليه وقصدوا المُصلّى فاقاموا فيه وأخرجوا معهم أكثر القوّاد واستفحل أمرهم وبسطوا فيه ألسنتهم.فامره المقتدر باطلاق أرزاقهم فاعتذر بقصور الاموال ونقصان الارتفاع وذكر ان الاموال المستخرجة من ابن الفرات وأسبابه قد حصلت فى بيت مال الخاصّة وانه ليس ينفذ له صاحب بيت مال الخاصة أمراً فيها . فامر باخراج خمسمائة ألف دينار من بيت مال الخاصة لينفق فى الجند المشغبين

وقلّد ديوان البريد بمدينة السلام والإشراف على الوزير وعلى الجيش وأصحاب الدواوين والقضاة وأصحاب الشّرط شفيع اللؤلؤيّ .

فلما رأى ابن ثوابة ضعف أمر الوزير تقرّب الى المقتدر برقاع أوصلتها أمّ موسى يذكر فيها انه يستخرج من العمّال أموالا جليلة أهملها الخاقانى وذكر انه يستخرج من محمد بن على المادرائى وأخيه ابراهيم وحدَهما سبعمائة ألف دينار(٢)فخرج الامر الى الخاقانى بتقوية يد ابن ثوابة ففعل

(١) وزراء: ٢٦٣ : ٢٧٨ (٢) راجع صلة عريب ٣٩ — ٣٨

ذلك [٨٨] واستخرج أموالا بالعسف وتغلب على الامور وكان يصرف عُمَّال الوزير ويولّي من يرى وتوصّل الاشرارُ الى كتب الرقاع على يد أم موسى الى المقتدر يخطبون الاعمال ويتضمّنون الاموال فخرج الامر الى الخاقانى بتقليدهم ذلك فانتشر أمره وشاركه الاشرار فى النظر واستخرجوا الاموال من كل وجه بكل عسف

وكان حامد بن العباس قد تضمّن أعمال واسط ونواحيها أربع سنين فعمل الكُتّاب له عملاً وحصّلوا عليه فى كل سنة مائتى وأربعين ألف دينار وألفى وأربعمائة كُرّ بالمعدّل شعيراً لِلكراع فى كل سنة يستوفى منه مع المال الذى ذكرنا مبلغهُ . وانما كان حامد ضمن على عبرة السنة المتقدّمة وزيادة يسيرة وكان التقصير والاضاعة والتخليط يقع من الخاقانى وذلك ان الخاقانى كان يتقلد فى أيام عبيد الله بن سليمان (وما بعدها الى وقت استتاره فى أيام وزارة ابن الفرات الاولى) اعمال البريد والمظالم والخرائط بماسبذان فلما ولى الوزارة تحير لِقلّة الدربة ونقصان المعرفة بالاعمال فشرع مونس فى تقليد علي ابن عيسى

﴿ ودخلت سنة ثلثمائة ﴾

[٨٩] ولما رأى المقتدر بالله اضطراب الامور وفساد التدبير وانتقاض المملكة شاور مؤنسا الخادم وعرّفه ان الصورة تقود الى ردّ أبى الحسن بن الفرات وتقليده الوزارة . وكان مونس مستوحشا من ابن الفرات لامور حكينا بعضها في حكاية أمره مع سبكري وتقريره أمر فارس ونقض ابن الفرات عليه . فقال مونس للمقتدر بالله انه يقبح ان يعلم أصحاب الاطراف ان السلطان صرف وزيراً ثم اضطرّ اليه وردّه بعد شهور من صرفه ثم

لاينسبون ذلك الا الى المطمع فى ماله فقط وقال : ان كُتّاب الدنيا الذين دبروا المملكة[١] دواوينها منذ أيام المعتضد بالله هما ابنا الفرات وأبو العباس منهما قد مات وتقلّد الآخر الوزارة الى ان صُرف عنها ومحمد بن داود (٢) ومحمد بن عبدون وقد قُتلا في فتنة ابن المعتز ، وعلي بن عيسى بن داود بن الجرّاح ولم يبقَ من يصلح لتدبير المملكة غيره ووصفه بالثقة والامانة والديانة والنزاهة والصيانة والصناعة فامره المقتدر بانفاذ يلبق اليه ليحمله الى الحضرة وأظهر للخاقاني انه يحضره ليستخلفه لابنه عبدالله على الدواوين .

وكان الخاقاني يقول في مجلسه : اني قد كتبتُ بحمل علي بن عيسى (٩٠) الى الحضرة لاستخلفهُ لعبد الله . فلما كان يوم الاثنين لعشر خلون من المحرّم سنة ٣٠١ ركب الخاقاني الى دار السلطان فقُبض عليه وعلى ابنَيه عبد الله وعبدالواحد وأبي الهيثم بن ثوابة ويحيى بن ابراهيم المالكي وأحمد ومحمد ابني سعيد الحاجبَين وبُنان وسعيد بن عثمان النقّاط واعتقلوا في يد نذير الحرمي .

وكان سعيد بن عثمان النقّاط أحد من سعى للخاقاني في الوزارة فقضى حقّه بان قلّده أعمالا كثيرة جليلة

وفى هذه السنة صُرف عبد الله بن ابراهيم المسمعي عن أعمال المعاون بفارس وتقلّدها بدر الحمامي وكان بدر يتقلّد أعمال المعاون باصبهان فنقل الى أعمال فارس وكرمان[٣] وقُلّد مكانه علي ابن وهسوذان الديلمي

﴿ ودخلت سنة احدى وثلثمائة ﴾

وفيها تقلّد أبو الحسن علي بن عيسى الوزارة وقت قدومه من مكّة وخلع

---

(١) لعله سقط وتقلدوا (٢) وفي الاصل يزداذ وهو غلط (٣) قال صاحب التكملة ان فى صفر سنة ٣١١ مات أبو النجم بدر الحمامى بشيراز ودفن فيها ثم نبش وحمل الى بغداد

عليه وركب من دار السلطان الى داره وركب معه مونس الخادم وغريب الخال وسائر القوّاد والغلمان . وسُلّم اليه في يوم الخلع محمد بن عبيدالله الخاقاني وابناه وجميع من سمّيتهم [٩١] فيما تقدّم فصادرهم مصادرات قريبة الامر واستخرج منهم جميع ما صادرهم عليه ثم أطلق الخاقاني الى منزله ووكّل به فيه وصان حرمه أتمّ صيانة وأوقع بابى الهيثم بن ثوابة مكروهاً . ثم صار ينظر فى أمر الاعمال فى دار الوزارة بالمخرّم ، يبكر اليها فى كلّ يوم ويعمل فيها الى آخر أوقات صلاة العشاء الآخرة ثم ينصرف الى داره . وكتب الى كل واحد من العمّال بما جرت العادة به من تشريف أمير المؤمنين اياه بالخلع وردّ أمر الدواوين والمملكة اليه ويقرّرهم على مواضعهم ويأمرهم بالجدّ والاجتهاد فى العمارة ويقول فى آخر كتابه : وهذا عُنفوان السَنَة وأول الافتتاح ووقت جموم الخراج . واست أعلمُ ما يجب ان أطالبك به فاذكرَهُ وأخاطبك عليه ولكنى آمرُك ان تحمل صدراً من المال يتوفر مقدارُهُ وتنفذ الرسائل بذلك مع الجواب عن كتابى هذا عند نظرك فيه . وتكتب الى بشرح الحال فى أمور نواحيك وتنفذ موافقةً تقف عليها و بها على موقع أثرك فيها ومخائل تدبيرك فى توفيرها وتثميرها . وتتوقف عن امضاء التسبيبات وما يجرى مجراها الى ان يرد عليك كُتُبى وتوقيعاتى فى استدبار رأيك [٩٢] عما يكون عملك عليه وتمكّن فى نفسك انه لا رُخصة عندى ولا هوادة فى حق من حقوق أمير المؤمنين أغضى عنه ولا درهم من ماله أسامحُ فيه ولا تقصير فى شئ من أمور العمل أصبر لقريبٍ أو بعيدٍ عليه . ولا تكون باظهار أثر جميل فى ذلك أشدّ عنايةً منك بانصاف الرعيّة والعدل عليها ورفع صغير المؤن وكبيرها عنها فانى أطالبك بذلك كما أطالبك بتوفير حقوق السلطان وتصحيحها وصيانة الاموال وحياطتها

وتابع كُتُبك بما يكون منك وقتاً وقتاً لأعرِفهُ ان شاء الله .

وقلّد بعد ذلك الدواوين جماعةً وعزل جماعةً وفعل مثل ذلك بالعُمّال ونظر الى مَن تعود اقتطاع الاموال السلطانية واقامة مُروّات نفسه منها وقصر فى العمارة واعتمد غيره فعزل أمثال هؤلاء ثم عمر الثغور والبيمارستانات وادرّ الارزاق لمن ينظر فيها وازاح علل المرضى والقوّام وعمر المساجد الجامعة وكتب الى جميع البلدان بذلك ووقع الى العُمّال به وكتب الى العُمال فى أمر المظالم كتاباً نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

سبيل ما يرفعه اليك كل واحد من المتظلمين قبل النوروز من مظلمته ويدعي انه تلف بالآفة من غلته ان تعتمد فى كشف حاله على أوثق ثقاتك (٩٢) وأصدق كفاتك حتى يصح لك أمره فيزيل بالظلم فيه[1] فترفعه وتضع الانصاف موضعه وتحتسب من المظالم بما يوجب الوقوف عليه حسبه وتستوفى الخراج بعده من غير محاباة للاقوياء ولا حيف على الضعفاء . فاعمل فيما رُسم لك مايظهر ويذيع ويشتهر ويشيع ويكون العدلُ به على الرعيّة كاملاً والانصاف لجميعهم شاملاً انشاء الله

وكتب باسقاط مال التكملة بفارس كتاباً وفى جميع مايشبه ذلك كُتُباً مشهورة مستحسنة[2] فساس أبو الحسن على بن عيسى الدنيا أحسن سياسةٍ ورسم للعُمّال الرسوم الجميلة وأنصف الرعية وأزال السنن الجائرة ودبر أمر الوزارة والدواوين وسائر أمور المملكة بكفاية تامةٍ وعفافٍ وتصوّنٍ وديانةٍ ونظر فى المظالم وأبطل المكس بمكّة والتكملة بفارس وسوق[3] بحر بالاهواز

(١) لعله فيزيل الظلم الخ (٢) وردت نسخة هذا الكتاب فى كتاب الوزراء ص ٣٤٢ (٣) راجع معجم البلدان

وجباية الخور بديار ربيعة فبانت بركتُهُ على الدنيا . وعمر البلاد وتوفر الارتفاع واستقام امر السلطان وعادت هيبة الملك وصلح امر الرعيّة

ثم أسقط على بن عيسى الوزير أكثر ما زاده الخاقاني فى وزارته فى دواوين الجند وأقطاعاتهم وكانت هذه الزيادة قد لحقت القوّاد وسائر أصناف الجند ولحقت الخدم والحاشية[٩٤] وجميع الكُتّاب والمتصرّفين وكانت كثيرةً فلما أسقطها عاداهُ أكثر الناس وشنعوا عليه بالضيق والشحّ وقطع الارزاق وانّما اضطرّ الى ذلك لما رأى نفقات السلطان زائدةً على دخله زيادةً مفرطة تحوج الى هدم بيوت الاموال وصرفها فى نفقات يستغنى عنها

وحكى ثابت بن شيبان عن على بن عيسى انه قال : كنتُ عملتُ عملاً لارتفاع المملكة وما علىّ من الخرج ، فكان الخرج زائداً على الدخل بشىء كثير فقال لى ابن الفرات يوما بعد صرفه اياى وقد أُخرجتُ اليه فى دار السلطان ليناظرنى : أبطلتَ الرسوم وهدمتَ الارتفاع . فقلتُ له . أىّ رسمٍ أبطلتُ ؟ قال : المكس بمكة والتكمله بفارس . فقلتُ : وهذا وحده أبطلتُ ؟ قد أبطلتُ أشياء كثيرة فيها ومنها (وعددتُ أشياء مبلغُ جميعها خمسمائة الف دينار في السنة) ولم أستكثر هذا المقدار فى جنبِ ما حططتهُ عن أمير المؤمنين من الاوزار وغسلتُ به عن دولته من الدَّرَن والعار ولكن أنظرْ معما حططتُ وأبطلتُ الى ارتفاعى وارتفاعك ونفقاتى ونفقاتك . قال ثابت : فقلتُ[٩٥] : فبأىِّ شىء أجابك ؟ فقال : خرج الخادم ففرّق بيننا قبل ان يجيب[١]

قال . وحدّثنى أحمد بن محمد بن سمعون وكان ينظر فى أعمال النهروانات

(١) هذه الرواية موجودة في كتاب الوزراء ٣٢٢

قال : مسحنا على الناس غلاّتهم فاذا ببعض النساء قد ذهب الى باب الوزير على بن عيسى ونحن لا نعلم فتظلّم انّا زدنا عليه فى مساحة قراح له . فلم نشعر بشيء الاّ وقد جاءنا عامل يعرف بابن البذّال ومعه فوج من مسّاح بادوريا وفرسان ورجّالة فلم نشك في انه صارفنا فقال لى صاحبي . أحبُّ ان تتلقّاه وتتنسّم الخبر . ففعلتُ وتلقيتهُ وعرفتُ خبر المتظلم ، فعرّفتُ صاحبي ذلك فقال لى : لاتدرى كيف جرى أمر مساحته . فقلتُ لا.قال : فاخرجْ حتى تواقف وتجتهد . قال : فخرجتُ ومعى مسّاح البلد الذين مسحنا بهم واستقصيتُ معهم وما زلتُ الطف الى ان تقرّرت المساحة . وكنا مسحنا القراح باثنتين وعشرين جريباً فخرجَت مساحتهُ احدى وعشرين جريباً وقفيز . فاحتججتُ بان القراح مُسح وفيه غلة قائمة ومُسح فى هذا الوقت بعد الحصاد وليس بمنكر ان يكون بين المساحتين فى الحالتين هذا المقدار . وانصرف ابن البذّال (٩٦) وورد عليه كتاب على بن عيسي بالصواعق فى الانكار والتوعُّد بأنه ان وقف على ان أحداً من الرعيّة حيف عليه فى معاملةٍ أو مساحة فعل وصنع . قال : فما جسرنا أن نستقصى على أحد فى معاملة . فما كان فى السنة القابلة زاد الارتفاع فى العشرة ثلاثة لان الخبر انتشر بالعدل وقيل « قد رفع الحيف والظلم » فنشط الناس للازدياد من العمارة (١)

وفعل مثل ذلك فى المظالم . وحكى ابن المشرف ان بعض عُمّال بادوريا طالب بالخراج وبقايا عليهم وحبس اهلهُ فصبروا على الحبس فقيدهم فصبروا علي القيد ولم يجسر ان يُوقع بهم خوفاً من على بن عيسى . فكتب بحضرتهم

(١) وردت الحكاية في كتاب الوزراء ٣٤٦ — ٣٤٥

الى علي بن عيسى يضربه عليهم غاية التضريب ويقول : ان هؤلاء قوم يُدِلّون بالجلد وعليهم اموالٌ وقد أَلطّوا وصبروا على الحبس والقيد ومتى لم تطلق اليد فى تقويمهم واستخراج المال منهم كسروه وتأسّى بهم أهل السواد فبطل الارتفاع والوزير أعلى عيناً وما يراه . قال القوم : فجزعنا وخفنا ان يطلق يده فينا فيتلفنا لِما كان فى نفسه علينا وهممنا بان نذعن له ثم اجتمع رأينا على التوقف الى ان يرد الجواب . قال : فورد واذا هو قد وقّع بخطّه على ظاهر الرُّقعة : الخراج عافاك الله دين وليس يجب فيه غير الملازمة فلا تتعدّ [٩٧] ذاك الى غيره والسلام .قالوا . ففرّج عنّا وأدّينا الصحيح مما علينا . فلما كانت السنة القابلة زاد ارتفاع بادوريا فى العشرة اثنين وزرعنا حتى (على) السطوح ثقة بالعدل والانصاف [١]

ولما صرف أبو على الخاقاني عن الوزارة أكثر الناس التزويرات عليه وعُرضت توقيعاتُه على علىّ بن عيسى فأنكرها وجمعها وأنفذ بها الى أبى على الخاقاني وقال : أنظر فى هذه التوقيعات وعرّفنى الصحيح منها والباطل الذى زُوِّر عليك . واتفق ان حضر رسولهُ وأبو على الخاقانى يصلى فوضع الرسول التوقيعات بين يدى أبي القاسم ابنه وادى الرسالة . فأخذ أبو القاسم يميزها ويفرد الصحيح منها . فاومأ اليه أبوه بالتوقف فتوقف فلما فرغ من الصلاة أخذها فتصفحها ثم خلطها ودفعها الى الرسول وقال : تقرأ على الوزير السلام وتعرّفه أن هذه التوقيعات كلها صحيحة ، وأنا أمرتُ بها فما رأيتَ أن تمضيه أمضيتهُ وما رأيتَ أبطالهُ أبطلتهُ .فلما انصرف الرسول قال لابنه . يابنى أردتَ أن تبغضنا الى الناس بلا معنى ويكون الوزير قد التقط

(١) راجع كتاب الوزراء ٣٤٦

الشوك بيدك نحن قد صرفنا فلم لا تحبب الى الناس بامضاء كل ما زُوّر علينا فان أمضاه كان الحمد لنا والضرر عليه وان أبطله كان الحمد لنا والذم له فاستحسن الناس هذا الفعل (٩٨) من أبي على (١) الا ان على بن عيسى تذمم الى الخلق من الخاصة والعامة والحاشية باسقاطه الزيادات التى صارت عند أصحابها كالاصول واطّراحه النفقات التى تعود بتمزيق الاموال بغير فائدة. فثقلت وطأته وكره الناس أيامه وقصدوا التشنيع عليه وثلبوه عند المقتدر بالله وسعى قوم لابى الحسن ابن الفرات فى الوزارة

وفى هذه السنة قبض على الحسين بن منصور الحلاّج بالسوس وادخل بغداد مشهراً على جمل وكان حمل الى على بن احمد الراسبى فحمله علىّ الى الحضرة فصلب وهو حيّ وصاحبه وهو خال ولده معه فى الجانبين جميعا وحبس الحلاّج وحده فى دار السلطان. وظهر عنه بالاهواز وبمدينة السلام انه ادّعى انه اله وانه يقول بحلول اللاهوت فى الاشراف من الناس.

وفيها اطلق الوزير اباعلى الخاقاني وازال عنه التوكيل. وفيها مات على ابن احمد الراسبي بدُور الراسبي وتقدم مونس الخادم بمشورة على بن عيسى لقبض امواله. وكتب الى النمر بن عبد الله بالمصير اليه والاجتماع معه على ذلك. فكتب انه حصل منها نحو الف الف دينار (٢)

وفيها خلع على الامير أبى العباس بن المقتدر بالله وقُلد أعمال الحرب بمصر والمغرب واستخلف (٩٩) له على مصر مونس الخادم. وقلد الامير على ابن المقتدر بالله الصلات وأعمال المعاون والاحداث والحرب بكور الريّ

(١) راجع كتاب الوزراء ٢٨٠ — ٢٧٨　(٢) راجع صلة عريب ٤٥ — ٤٤

ودينا وند وقزوين وزنجان وأبهر والطرم

وفيها ورد الخبر بقتل (أحمد بن اسمعيل) بن أحمد صاحب خراسان على شاطئ نهر بلخ قتله غلمانه وقام مقامه أبو الحسن نصر ابنه فنفذ العهد اليه من المقتدر بالله والكتاب بتقليده خراسان مكان أبيه

وفيها ورد الخبر بان خادما لابي سعيد الجنابي الحسن بن بهرام المتغلب على هجر قتله . ثم ان ذلك الخادم خرج بعد قتله مولاه فدعا رجلا من رؤساء اصحابه وقال : السيد يدعوك . فلما دخل قتله وما زال يفعل ذلك بواحد واحد الى أن قتل أربعة من الرؤساء ثم دعا بالخامس فاحسّ الخامس بالقتل فصاح واطلع النساء عليه وصحن فقبض على الخادم قبل أن يقتل الخامس وقتل الخادم وكان صقلابيا وقد كان أبو سعيد عهد الى ابنه سعيد فلم يضطلع بالامر فغلبه أخوه الاصغر أبو طاهر سليمن بن الحسن

وقد كان القرامطة وافوا الى باب البصرة فى سنة ٢٩٩ وكان المتقلد لاعمال المعاون بالبصرة محمد بن اسحق بن كنداجيق [1] وكان يوم جمعة والناس فى الصلاة فصاح صائح (١٠١) « القرامطة القرامطة ! » فخرج اليهم الموكلون بالباب فوجدوا فارسين قد نزل أحدهما عند الميل فنظر اليه البوابون جالسا متكيا قد وضع احدى رجليه على الاخرى والاخر بازائهم فصاحوا به وبدر اليه رجل من الحول فطعنه [2] القرمطى وقتله وتراجعوا فبكى

(١) وفي تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٠٤ : وفيها مات محمد بن اسحاق بن كنداجق (كذا) بالدينور وكان متقلداً وصادر علي الوزير ورثته فصالحهم على ستين الف دينار معجلة (٢) الصواب فطعن فانه يظهر ان القرمطي هو المقتول

أخوه فقالوا له . ارجع فجر برجله وخـذه لمنكما الله . قالوا : ومن أنتما ؟ قالوا:[١] نحن المؤمنون . ثم تنحى فخبا حتى أخذ أخاه ودخلوا فاغلقوا الباب وركب ابن كنداجيق بمن معه من الجيش حتى صار الى الموضع فنظر الديدبان عند صهاريج الحجاج اليهم فقالوا : إنهم نحو ثلاثين فارساً . فخرج اليهم عطارد ابن شهاب العنبرى وخواصه وغلمان من شحنة البصرة والمطوّعة فقتل أكثرهم ولم ينج منهم الا من هرب قبل المعاينة وسلبوهم ولم يتركوا عليهم شيئا الا السراويلات بغير تكك ثم ضربوهم ضربات قبيحة . ورجع ابن كنداجيق وغلق الباب وجنهُ الليل فلما أصبح لم يرَ منهم أحداً . فكتب الى ابن الفرات وكان هو الوزير فى الوقت يستنجده ، فامدّه بمحمد بن عبد الله الفارقي فى جيش كثيف وقائد من الرجال يعرف بقوروَيه وجعفر الزرنجى فى نفر من الرجالة معونةً لابن كنداجيق

فلما تقلّد أبو الحسن[١٠١] على بن عيسى الوزارة شاوره المقتدر فى أمر القرامطة فاشار بمكاتبة أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنّابى فتقدّم اليه بمكاتبته وانفاذ الكتاب على يدى من يرى فكتب كتاباً طويلا جداً يُذكّرهم بالله ويدعوهم الى الطاعة ويقول فى آخره : ان أمير المؤمنين جعل هـذا ظِهرياً[٢] عليك وحُجّة من الله بيّنةً فيك وقاطِعاً لعِللك وباباً يعصمك ان صدقتَ عمّا أراده من الخير بك وعظُمت النعمة فيما بذلَهُ من العهد لك .

و نفذ الرُسُل فلما وصلوا الى البصرة انتهى اليهم قتل أبى سعيد[٣] فتوقفوا

(١) الصواب قال (٢) الصواب ظهيرا يعني برهانا (٣) ليراجع رسالة نفذها أبو سعيد هذا الى المعتضد بالله وردت فيما تقدم من الكتاب وهى موجودة أيضا فى كتاب الفرج بعد الشده ١ . ١١٠ .

عن المسير وكاتبوا الوزير علي بن عيسى بذلك واستطلعوا رأيه ، فماد الجواب اليهم بالمسير الى أولاده ومن قام بعده مقامه فتمموا المسير وأوصلوا الكتاب وادّوا الرسالة فأجابوا عن الكتاب. وأطلقوا الاسرى الذين تكلم فيهم الرسل وعاد بهم الرسل الى بغداد

﴿ ودخلت سنة اثنتين وثلثمائة ﴾

وفيها قبض على أبي عبد الله الحسين بن عبدالله المعروف بابن الجصاص الجوهري وأنفذ الى داره جماعة حتى حملوه الى دار السلطان فأخذ منه من المال والجوهر ماقيمته أربعة آلاف (١٠٢) وكان هو يدعي أكثر من ذلك بكثير ويتجاوز في ذلك عشرين الف الف دينار وأكثر (١)

(١) ومبلغ ما أخذ منه في صلة عريب ص ٤٨ هو ستة آلاف الف دينار وفي كتاب الوزراء ص ٢٢٣ عشرة آلاف الف دينار ووردت في صلة عريب ص ١٣٠. قصة كيف وجد علي بن عيسى بمصر سبحة جوهر أخذت منه وقد سرقت . وقال صاحب التكملة : في هذه السنة صودر ابن الجصاص قال الصولي : وجد له بداره بسوق يحيى خمسمائة سفط من متاع مصر ووجد فيها جرار خضر وقماقم مدفونة فيها دنانير وأخذ منه الف الف دينار . قال الصولي : وحضرت مجلساً جرى فيه بين ابن الجصاص وابراهيم بن أحمد الماذرائي خلف فقال ابراهيم :مائة ألف دينار من مالي صدقة لقد أبطلت في الذي حكيته عني . فقال ابن الجصاص : قفيز دنانير من مالي صدقة أنني صادق وانك مبطل . فقال ابن الماذرائي : من جهلك انك لا تعلم أن مائة الف أكثر من قفيز فانصرفت الى أبي بكر ابن أبي حامد فاخبرته فقال : نعتبرها . فاحضر كيلجة فملأها دنانير ثم وزنها فكانت أربعة آلاف فنظرنا فاذا القفيز ستة وتسعون الف دينار كما قال الماذرائي . وكان ابن الجصاص قد أنفذ له من مصر مائة عدل خيشاً في كل عدل الف دينار فأخذت أيلم نكبته وتركت بحالها ولما أطلق سأل فيها فردت عليه فاخذ المال منها . وكان اذا ضاق صدره أخرج جوهراً يساوي خمسين الف دينار وتركه في صينية ذهب ويلعب به فلما قبض عليه وكبست داره كان الجوهر في حجره فرمى به الى البستان فوقع بين شجره فلما أطلق فتش عليه في البستان وقد جف نبته وشجره وهو بحالة

وفيها خرج الحسين بن على العلوىّ وتغلب على طبرستان ولقب الداعى فوجه اليه أخو صعلوك جيشاً فلم يثبتوا له وانصرفوا فعاد العلوى اليها [1]

﴿ ودخلت سنة ثلاث وثلثمائة ﴾

وفيها ورد الخبر بأن الحسين بن حمدان قد خالف وخرج عن طاعة السلطان . وكان مونس الخادم غائباً قد أخرج الى مصر لمحاربة العلوى صاحب المغرب [2] لما قصد مصر فى نيف وأربعين ألفاً فندب له الوزير على بن عيسى رائقا الكبيرَ وخلع عليه وكتب الى مونس يعرّفه الخبر ويأمره بالمسير الى ديار مُضر اذا انصرف من مصر وان يجذب معه أحمد ابن كيغلغ وعلى بن أحمد بن بسطام والعباس بن عمرو ليصلح الديار فيزيل الاختلال ويحفظ الثغور وخاصّة الجزرية منها فقد كان جرى على حصن منصور من قصد الروم اياه وسبيهم كلّ من كان فى نواحيه أمرٌ عظيمٌ لتشاغل الناس بالحسين بن حمدان عن الغزاة الصائفة . ولما صار رائق الى الحسين بن حمدان أوقع به الحسين فصار رائق الى مونس واتصلت (١٠٣) كُتُب على بن عيسى الوزير الى مونس بالاسراع نحو الحسين فجد مونس فى المسير ولما قرُب من الحسين جاءه هرون كاتب الحسين وجرت بينه وبينه خطوب كتب بها مونس الى على بن عيسى وذكر ان هرونَ أوصل اليه كتاباً من الحسين يتضمن خطاباً طويلا قد افتتحه و ختمه وكرّر القول فى فصوله : ان السبب فى خروجه عما كان عليه من الثقة والطاعة عدولُ الوزير أيده الله عما كان عليه فى أمره الى ما أوحشهُ وانه لم

(١) هو الأطروش: صلة عريب ص ٤٧ (٢) هو المهدى أبو القاسم عبيدالله ومعه حباسة بن يوسف الكتامى البربرى: راجع كتاب الولاة لابى عمر الكندى ٢٦٨ والبيان المغرب ١: ١٧٢

يفِ له بضمانات ضمنها له وذكر انه قد اجتمع له من قبائل العرب ورجال العشيرة ثلاثون الف رجل . وانه سأل الرسول عما حمله الحسين من الرسالة اليه فذكر أنه يسئله المقام بحرّان اذ كانت تحمل عسكره وان يكاتب الوزير أعزّه الله فى أمره ويسئله صرفه عمايتقلده من الأعمال وتركه مقيما فى منزله وتقليد أخيه ديار ربيعة . وأنه عرّفه ان هذا متعذّر غير ممكن اذ كانت كتب الوزير متصلة اليه بالانجذاب وان مخالفته غير جائز وانه لا يدع الكتاب فيما سأل ولا يثنيه ذلك عما رسمه الوزير أعزّه الله . فان عزم على اللقاء فبالله يستعين على كلّ من خالف السلطان أعزّه الله وجحد نعمته وان انقاد للحق وسلك سبيله وصار (١٠٤) اليه فنزع عما هو عليه كان ذلك أشبه به وان أبى وأقام على حاله من التعزُّز والمخرقة لقيه بمضر بأسرها وصان رجال السلطان مع وفور عددهم عن التعرُّض لطغامه لا لنكول عنه منه لكن لاستهانته بامره وأنه وكل بكاتبه هذا المترسل عنه وأنه لا يأذن له فى الانصراف الاّ بعد أن يعرف خبر الحسين .

ثم وردت الأخبار برحيل مونس حتى نزل بازاء جزيرة ابن عمر ورحل الحسين نحو أرمينية مع ثقله وأولاده وأمواله ثم انفلّ عسكر الحسين وصاروا الى مونس أوّلاً أوّلا . وورد كتاب مونس بأنه قد صار اليه من أمراء الحسين وغلمانه وثقاته ووجوههم سبعمائة فارس وأنه خلع على أكثرهم وتفقد ما كان معه من الخلع والمال وانه فى احتيال باقى ما يحتاج اليه ثم ورد كتابه بأسر الحسين بن حمدان وجميع أهله وأكثر من صحبه وقبض على أملاك بني حمدان باسرهم ودخل مونس ومعه الحسين وابنه بغداد

فلما كان بعد يومين حُمل الحسين من باب الشمّاسية الى دار السلطان

مصلوباً على نِقْنِق منصوباً بأعلى ظهر فالج وابنُهُ مشهور على جمل آخر والبرانس على رُؤُسهما وسار بين يديه الأمير أبو العباس ابن المقتدر بالله (١٠٥) والوزير أبو الحسن على بن عيسى والاستاذ مونس الخادم وأبو الهيجاء عبدالله بن حمدان وابراهيم بن حمدان وسائر القُوّاد والجيش والفيلة . فلما وصلوا الى دار السلطان وقف الحسين بين يدى المقتدر بالله ثم أمر بتسليمه الى زيدان القهرمانة وحُبِس عندها فى دار السلطان

وشغب الرجّالة الحجرية بعد حصول الحسين بن حمدان واحرقوا اصطبل الوزير وطالبوه بالزيادة فى أرزاقهم فزيد بكلّ غلام ثلاثة دنانير فى كل شهر من شهورهم وزيد الرجّالة كلّ واحد نصف ورُبع دينار [1] فى كلّ شهر فسكن الشغب

وقُبض على أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان وجميع أخوته وحبسوا فى دار السلطان وكان هرب ابن للحسين بن حمدان فى جماعة من أصحابه وبلغت هزيمته آمد فأوقع بهم الجزرى وقتل ابن الحسين وجماعةً من أصحابه وحُملت رُؤُسهم الى الحضرة وصُلب قوم من أصحاب الحسين بن حمدان [2]

ودخلت سنة أربع وثلثمائة

وفيها لقى باصبهان غلامٌ لِعلى بن وهسوذان الديلمى . وكان يتقلّد أعمال المعاون بها أحمد بن سيّاه عامل الخراج بها أنفذه صاحبه اليه فى حاجة

---

(١) قال صاحب التكملة : خمسة عشر قيراطاً

(٢) يراجع في قصته صلة عريب ص ٥٨ — ٥٦ وقال فيه الحافظ الذهبي فى تاريخ الاسلام انه قدم الشام لقتال الطولونية فى جيش من قبل المكتفى وقدم دمشق لحرب القرامطة أيام المقتدر ثم ولاه ديار ربيعة فغزا وافتتح حصونا وقتل خلقاً من الروم ثم خالف فسجن ثم قتل سنة ٣٠٦

واتّفق انه لقيه وهو [١٠٦] راكبٌ فكلّمه فى الحاجة فاشتدّ ذلك على أحمد بن سيّاه وقال له: يا مُؤَاجر تخاطبنى فى حاجةٍ على ظهر الطريق ! فانصرف الغلام الى مولاه مُحفظاً وحدّثهُ بما جرى فقال له : صدق فيما قال ولولا أنك مُؤَاجر لضربتَ رأسَه بالسيف لما خاطبك بذلك.. فعاد الغلام ووجد أحمد ابن سيّاء مُنصرفاً فعلاه بالسيف وقتله . فانكر السلطان ذلك عليه وصرف على بن وهسوذان لأجل ذلك عن أصبهان بأحمد بن مسرور البلخى . فاستأذن على بن وهسوذان فى الانصراف الى بلد الديلم فأذن له ثم سأل بعد ذلك فى أمره مونس الخادم فرضى عنه وأقام بنواحى الجبل

وفيها قدم محمد بن على بن صُعْلوك مدينة السلام وهو ابن عمّ صاحب خراسان مُستأمناً فخلع عليه

وفيها فى فصل الصيف تفزّعت العامّة من حيوان كانوا يُسمّونه الزّبزَب ذكروا أنهم يرونه فى الليل على سطوحهم وأنه يأكل أطفالهم قالوا وربُما قطع يد الانسان اذا كان نائماً أو ثدى المرأة فيأكله . وكانوا يتحارسون طول الليل ولا ينامون ويتزاعقون ويضربون الطُسوت والصوانى والهواوين ليفزعوه وارتجّت بغداد لذلك حتى أخذ السلطان حيواناً غريباً ابلق كانه من كلاب الماء وقال «هو الزبزب» وأنه صيد فصُلب [١٠٧] على نقنق عند الجسر الأعلى وبقى مصلوباً الى أن مات . فلم يغن ذلك الى ان انبسط القمر وتبين للناس أنه لا حقيقة لما توهّموه فامسكوا الا أن اللصوص وجدوا فُرصتهم بتشاغُل الناس فى سطوحهم فكثرت النقوب

وفيها تقرّر عند أبى الحسن على بن عيسى الوزير انه قد سعى لابن الفرات فى الوزارة وتحققه فاستعفى منها ولم يُعفه المقتدر . وأظهر فى دار

السلطان ان ابن الفرات عليل شديد العلة واتفق[1] ان مات الشارى الذى كان محبوساً فى دار السلطان[2] والتدبير فى أمر الشراة ان يكتم موت من يؤخذ منهم ممن تسميه الشراة اماماً فانه ما دام حياً فليس ينصبون اماماً غيره فان صحّ عندهم موته نصبوا غيره . فأظهر فى دار السلطان ان ابن الفرات مات وكفّن الشارى واخرجت جنازتهُ على انها جنازة ابن الفرات وصلى عليه الوزير على ابن عيسى ثم انصرف الى منزله متوجّعاً وقال لخواصّه « اليوم ماتت الكتابة » ثم مضت الايام ووقف على بن عيسى من جهات كثيرة على تمام السعى لابن الفرات وانه حيٌّ فقال لخواصه : ليس ينبغى للانسان ان يتحدّث بكلّ ما يسمعهُ

وكان يضجر فى أوقات من سوء[108] أدب الحاشية والمطالبة بالمحالات ويستعفى من الوزارة ويخاطب المقتدر في ذلك فينكر عليه استعفاءهُ الى ان اتفق يوماً ان صارت اليه أُمّ موسى القهرمانة فى آخر ذى القعدة من سنة ٣٠٤ لتواقفهُ على ما يطلق فى عيد الاضحى للحرم والحاشية . وكان على بن عيسى محتجباً فلم يجسر سلامة حاجبه عليه ان يستأذن لها فصرفها صرفاً جميلا فغضبت من ذلك . وعلم على بن عيسى بحضورها وانصرافها فأمر ان تلتمس ويعتذر اليها لترجع فأبت ان تعود وصارت الى المقتدر والسيدة فاغرت به وتخرّصت عليه الاحاديث فصرفه المقتدر بالله وقبض عليه غداة الاثنين لثمان خلون من ذى الحجة سنة ٣٠٤ عند ركوبه الى دار الخلافة ولم يتعرض لشىء من أملاكه وضياعه وضياع أسبابه ولا لاحد من أولاده واعتقل عند زيدان القهرمانة

(١) وفى كتاب العيون : انه مات بعض الخدم (٢) هو هارون وظفر به الحسين بن حمدان المقدّم ذكره في سنة ٢٨٣ :طبري ٣ : ٢١٤٩

فكانت مدّة وزارته هذه ثلاث سنين وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوماً (١)

﴿ وزارة أبي الحسن على بن محمد بن الفرات الثانية ﴾

فيها تقلد أبو الحسن الوزارة والدواوين لثمان خلون من ذى الحجة (٢) وخلع عليه وصار (١٠٩) الى داره بالمخرّم التى كان أقطعها فى وزارته الاولى. وكتب الى الاطراف والبلدان عن المقتدر بالله بخبر إعادته الى الوزارة على

(١) راجع كتاب الوزراء : ٢٨٦—٢٨٣

(٢) قال صاحب كتاب العيون : وفيها قلد أبو الحسن ابن الفرات ابنه أبا أحمد المحسن على زمام المشرق وجعله خليفته له فيه وقلده أيضاً ديوان البر وقلد ديوان المغرب مكان أبى عبد الله محمد بن أحمد (الخاقانى) بعد أن صرفه عن ديوان المشرق فلم يزل يتقلد ديوان المغرب وديوان البر طول أيام أبيه. وقلد أبا الفتح الفضل بن جعفر بن محمد ابن موسى بن الفرات ديوان الخراج والضياع العامة وطساسيج السواد وكور الاهواز وفارس وكرمان وسجستان وصار أبو الفتح الى ديوان الزمام. فصادف أبا الحسين على ابن الحسين الماذرائي المتقلد لهذا الديوان في مجلسه لم يعلم بمجىء أبي الفتح فلما علم أبو الحسين ذلك قام من مجلسه وجلس بمكان غيره الى أن وافوا بدابته فركب وانصرف وجلس أبو الفتح مكانه.

وأما الماذرائيين قال أيضاً ان فى هذه السنة تنكر لهم ابن الفرات لان ابرهيم ابن أحمد الماذرائى حج فيها فلم يكن ابن الفرات تقلد الوزارة فلما وصل الى مكة كانت أخت ابن الفرات مجاورة فى مكة نازلة فى بعض الدور فقصد ابراهيم بن أحمد الدار للنزول بها وحولها منها تحويلا قبيحاً بعد أن أسمعها مكروهاً وبسطوا ألسنتهم فى ابن الفرات فلما انقضي الحج سارت الى بغداد فوجدت أخاها قد قعد في الوزارة فأخبرته بما نالها من ابراهيم فغلظ ذلك عليه وحقده. فلما وافي ابراهيم بغداد وسار الى دار الوزير لتهنئته بالوزارة فقرعه ووبخه بما كان منه فاعتذر فلم يقبل عذره. ووجد الوزير هذا السبب ذريعة الى مطالبته بمال المصادرة الذى عليه وعلى أقاربه فخاطب الخليفة فى أمر الماذرائيين فبسط يده عليهم.

نسخة أنشأها أبو الحسن محمد بن جعفر بن ثوابة [١] وفى فصل منه : ولما لم يجد أمير المؤمنين غنىً عنه ولا للملك بداً منـه وكان كُـتّاب الدواوين على اختلاف أقدارهم وتفاوت مابين أخطارهم مقرين برياسته معترفين بكفايته متحاكمين اليه اذا اختلفوا واقفين عند غايته اذا استبقوا مذعنين بانه الحول القلّب المحنك المجرّب العالم بدرّة المال كيف تحاب ووجوهـه كيف تطاب انتضاه من غمده فعاد ما عرف من حدّه فنفّـذ الأعمال كأن لم يغب عنها ودبّر الامور كأن لم يخل منها . ورأى أمير المؤمنين الاّ يدع سبباً من أسباب التكرمة كان قدعا جعله له الا وفاه اياه ولا نوعاً من أنواع المثوبة والجزاء كان أخّره عنه الاّ حباه به وآتاه . فخاطبه بالتكنيةوكان وكان . . . .

وقبض ابن الفرات على أسباب على بن عيسى واخوته وكتابه وجميع عمّالهِ بالسواد وبالمشرق والمغرب وصادرهم سوى أبى الحسين وأبى الحسن ابنى أبى البغل فانه أقرّهُما على ما كانا يَتَوَلّيَانه من أعمال اصبهان والبصرة لعنايةِ أم موسى (١١٠) بهما وقبض على أبى على الخاقانى وتتبع أسبابهُ وألزم جميعهم مُصادَرَةً ثانيـة أدّوها وطالب العُمَّال المصروفين بالمصادرة وأن يظهروا المرافق ويؤدّوها ونصب ديواناً للمرافق وكان ضمن للمقتـدر ووالدته من هذه الجهة كل يوم ألفا وخمسمائة دينار وكانت تنسب الى تلك الخريطة فكان يحملها ولا يمكنه الاخلال بها وكان منها للمقتدر فى كل يوم ألف دينار وللسيدة فى كل يوم ثلمائة وثلاثة وثلاثون دينارا وثلث وللاميرين أبى العباس وهرون ابنى المقتدر في كل يوم مائة وستّ وستّون دينارا وثلثا وكان ابن الفرات قد اتّسع بما كان استسلفهُ على بن عيسى من الخراج

(٢) وردت ترجمتـه فى ارشـاد الاريب ٦ : ٤٦٣ والكتاب موجود فيها

فانه قد كان جبى قطعةً منه قبل الافتتاح وابتدأ بذلك قبل صرفه بعشرة أيام وأعدّ المال في بيت المال لينفقه في العيد في اعطاء الحشم والفرسان والأتراك فقويت نفس كاتب[1] ابن الفرات به وانضاف الى ذلك جملة عظيمة راجت له من مال المصادرات والضمانات وأموال سفاتج وردت من فارس واصبهان ونواحي المشرق في درج كُتب بحمول كتبت على أنها تصل الى على بن عيسى فأطلق جميع ذلك في الفرسان والحشم والخدم ومهم النفقات

وكان الغالب (١١١) على أمر الدواوين والأعمال في أيام وزارة ابن الفرات هذه من بين سائر كتّابه أبو بشر عبد الله بن فرجويه وكان السبب في ذلك أنه سلم من النكبة وقت القبض على ابن الفرات في الدفعة الاولى واستتر مدّة وزارة الخاقانى وعلى بن عيسى . وواصل بعد ما مضت سنة واحدة من وزارة على بن عيسى مكاتبة ابن الفرات على يد عيسى المتطبب وكان ابن الفرات يجيبه عن رقاعه ويرسم له ما يُكاتب به المقتدر عن نفسه في معايب على بن عيسى وكتّابه وعمّاله ، وأنه ليس يصادر أحدا من عمّاله ويقول « لا أخوّن عاملاً بعد ان ائتمنته » ويذكر تأخُّر أرزاق الولد والحُرم والحشم حتى أنه اقتصر بالولد والحُرم على جارى ثمانية أشهر في السنة والخدم والحشم بستة أشهر من السنة واقتصر بالفرسان من مائة وخمسين ألف دينار تطلق لهم في الشهر على خمسين ألف دينار . وكان المقتدر يوافق ابن الفرات على تلك الرقاع فيُعرّفه أن ابن فرجويه خبير بالأمور وأنه صادق في كلّ ما ذكره فهمّ المقتدر بصرف على بن عيسى فاذا شاور مونسا في ذلك أشار عليه أن لا يفعل ووصف على بن عيسى بالديانة والأمانة .

(١) كلمة كاتب كأنها مشطوبة

فلما خرج مونس الى مصر لمحاربة العلوى [١١٢] صاحب المغرب تمكن ابن فرجويه من الجد في السعى على علي بن عيسى وكان غريب الخال ونصر الحاجب يدفعان عن على بن عيسى لما غاب مونس . فلما تبين لابن فرجويه دفع غريب ونصر عن على بن عيسى كتب رقعة بخطه الى المقتدر يذكر فيها أنه إن صرف على بن عيسى عن الوزارة وقلد مكانه على بن محمد بن الفرات أطلق للولد والحرم والحشم ولمن بالحضرة من تفاريق الفرسان مثل ما كان يطلقه فى أيام وزارته الأولى على التمام والكمال والإدرار وأن يوفر بعد ذلك من مال مصادرات العمال ومال مرافقهم والاستثبات فى النواحى فى كل شهر من شهور الاهلة خمسة وأربعين ألف دينار فواقف المقتدر ابن الفرات على هذه الرقعة فذكر ان جميع ماتضمنته صحيح وبذل خطه بضمانه جميع ذلك . فكانت هذه الرقاع من اكبر اسباب التحاقد على ابن فرجويه فى وزارته هذه واختصاصه به .

واتفق له مع ذلك ان ابن الفرات اودع على يده عند جماعة من التجار والكتاب أموالا جليلة ولم يقر ابن الفرات عما كان أودعه ابن فرجويه لانه لم يكن يعرف أسماء من أودع ذلك عنده فلما عاد الى الوزارة استخرج له ابن فرجويه جميع ما كان أودعه له من غير [١١٣] أن يذهب له شيء منه

وكان أبو على بن مقلة متعطلا فى أيام وزارة الخاقانى وعلى بن عيسى ملازما منزله واستتر أيام الخاقانى ثم آمنه على بن عيسى فلزم منزله فشكر له ابن الفرات واختص به لهذه الحال

﴿ ذكر ماجرى من ابن أبى الساج عند تداول الوزارة الأيدى الكثيرة ﴾

لما وقف يوسف بن أبى الساج على الخبر فى صرف على بن عيسى عن الوزارة

وكان مقيماً بآذربيجان ومتقلّداً أيام وزارة ابن الفرات الأولى أعمال الصلاة والحرب والمعاون والخراج والضياع العامّة بارمينية وآذربيجان ومقاطعاً على مالٍ يحمله في كلّ سنةٍ عنها الى بيت المال بالحضرة وكان يزيح العلّة في ذلك المال مدّة أيام وزارة ابن الفرات الأولى . فلما ولى أبو على الخاقانى الوزارة ثم على بن عيسى طمع فاخّر أكثر المال الذى كان يقاطع عليه واجتمع له من ذلك ما قوى به وحمله على العصيان

﴿ ذكر ما دبّره ابن أبي الساج واحتال به ﴾

أظهر ان على بن عيسى أنفذ اليه اللواء والعهد عن المقتدر بالله بتقليده أعمال الحرب (١١٤) بالرىّ وقزوين وأبهر وزنجان قبل صرفه عن الوزارة وسار مبادراً اليها فلما قرُب منها انصرف عنها محمد بن على صعلوك وهرب الى نواحى خراسان وكان محمد بن على هذا متغلّبا على هذه النواحى ثم قاطع عن الضياع والخراج مقاطعةً خفيفةً ولم يف بذلك أيضاً . فلما وقف ابن الفرات على ما فعله ابن أبى الساج أنهى ذلك الى المقتدر ثم ورد كتاب ابن أبى الساج بعد أيام يعتدّ فيه بما فعله من إخراج محمد بن على صعلوك عن الرىّ وما يليها ويبشّر السلطان بفتحه هذه النواحىَ ويصف انه لما ورد عليه العهد واللواء من جهة على بن عيسى سار اليها فرزقه الله الفتح والنصر فاغتاظ المقتدر بالله من ذلك وتقدّم الى ابن الفرات بمواقفة على بن عيسى على ما كتب به ابن أبى الساج (١) فأخرجه من محبسه ورفق به وخاطبه بجميل وقال له : قد يجوز ان تكون دبّرت هذا الفعل على صعلوك وهذا غير منكر . فحلف انه ماولاّه ولا أنفذ اليه لواءً ولا عهداً وقال : لا بدّ للواء

(١) راجع صلة عريب : ٦٧

والعهد ان ينفذ مع خادم من خدم السلطان أو قائد من قوّاده وهؤلاء الخدم والقوّاد بين أيديكم سلوهم عن ذلك ولديوان الرسائل (١١٥) كاتبٌ يتقلّده بكتب العهود والولايات سلوه هل كتب بشيء فأخذ منه ابن الفرات خطّاً بما حكاه وعرضه على المقتدر بالله فازداد المقتدر غيظاً على ابن أبى الساج

وكتب ابن الفرات عن المقتدر بالله وعن نفسه الى ابن أبى الساج فى هذا المعنى أغلظ كتب وتوعّده وأنفذ اليه من الحضرة لمحاربته خاقان المفلحى وضم اليه الرجال وأنفذ بعده عدة من القواد مدداً له وأنفق الاموال فيهم وكان فيهم مثل محمد بن سرور البلخى وسيما الخزرى ونحرير الصغير وجماعة أمثالهم فواقعه ابن أبى الساج وهزمه وأسر جماعة من أصحابه وأدخلهم مشهرين الى الرىّ. وقدم مونس الخادم من الثغر فندب لحرب ابن أبى الساج وشخص اليه وكتب الى جميع القوّاد فى طريقه بالانضمام اليه واستأمن اليه أحمد ابن على صعلوك فأحسن قبوله وصرف خاقان المفلحى عما كان اليه من أعمال الجبل وقلد مكانه نحرير الصغير .

واتصلت كتب ابن أبى الساج يلتمس الرضا عنه ويبذل سبعمائة الف دينار عن أعمال الخراج والضياع بكورة الرى وما يليها خالصةً سوى أرزاق الاولياء فى تلك الاعمال وسوى النفقات (١١٦) الراتبة فلم يجبه المقتدر بالله الى ما التمسه فكتب يبذل أن يقيم بالرىّ متقلداً أعمال المعاون والحرب بها فقط حتى ينفذ السلطان الى تلك النواحى من يتقلد أعمال الصلاة والخراج والضياع والاحكام والبريد والخبر والخرائط والصدقات فأقام المقتدر على انه لو بذل كلّ بذل لمَا أقرّه على الرىّ يوماً واحداً لإقدامه على ان سار اليها بغير أمرٍ فلما رأى ابن أبي الساج هذه الحال انصرف عن الرىّ وأعمالها

بعد أن أخربها وجبي مالها لسنة ٣٠٤ في مدّة قريبة وقلد مونس الرى وقزوين وصيفاً البكتمريّ . ورضى ابن أبي الساج بأن يُجدّد له العهد والولاية للاعمال التى كانت اليه أوّلاً وأشار ابن الفرات بقبول ذلك منه وضمن أن يلزمه بهذا السبب حمل جملة من المال الى بيت المال يحسن موقعها فعارض ذلك نصر الحاجب وابن الحوارى وقالوا : لايجوز أن يقرّ على ارمينية وآذربيجان الاّ بعد أن يرد الحضرة ويطأ البساط . ونسبوا ابن الفرات الى مواطاته . فاقام المقتدر على أنه لابد من محاربته أو يرد الحضرة وكتب الى مونس بالتعجيل اليه لمحاربته (١١٧)

فلما رأى ابن أبي الساج أن دمه على خطر حارب مونساً بسراة من بلد آذربيجان فانهزم مونس الى زنجان وقتل من قواد السلطان سيما واستأسر ابن أبي الساج جماعة من قوّاد مونس فيهم هلال بن بدر وأدخلهم الى أردبيل مشهرين . وأقام مونس بزنجان يجمع ليوسف وهو مع ذلك يكاتبه ويراسله وابن أبي الساج يلتمس منه الصلح ومونس لايقبل منه الاّ المصير الى الحضرة . وكان ابن أبي الساج أبقى على مونس لما انهزم حتى سلم فى ثلثمائة غلام ولو أراد ابنُ أبي الساج لاسره فكان مونس يشكر ابن أبي الساج على هذه الحال (١)

(١) راجع صلة عريب ص ٦٧ * وقال صاحب كتاب العيون في ترجمة سنة ٣٠٦ : وفيها رحل مونس من همذان متوجهاً الى أبهر يحارب ابن أبي الساج وورد عليه خبره انه شديد الاضطراب وانه عزم على الرحيل من الموضع الذى كان فيه وان اخوته قد تهاربوا عنه فرحل مونس وقصد أبهر وقصد ابن أبي الساج أردبيل واتبعه مونس الى أن أدركه وصفّ مونس أصحابه وصفّ ابن أبي الساج أصحابه واقتتلوا فانهزم مونس فوقف على الموضع الذى فيه المال فانحاز بين يديه واتبعه يوسف إتباعاً رفيقاً وسار مونس من

فلما كان فى المحرّم بعد ذلك فى أيام وزارة حامد بن العباس واقع مونس يوسفَ بن أبى الساج الوقعة الاخرى باردبيل فأسر يوسفَ وبه

بين يديه حتى صعد العقبة ولحق أواخر العسكر أصحاب سبك غلام ابن أبى الساج فوضع فيهم السيف فقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر جماعة وأفلت من صعد العقبة ونهب عسكر مونس وأخذوا من الجمال والبغال ما لا يقع عليه إحصاء

وأتى مونس زنجان ولحقه الناس وأقام مونس بزنجان خمسة أيام وسار منها الى قزوين وأقام بها شهرين . ووافت الاخبار بالقبض على ابن الفرات وكان يتهم فى تحريش ابن أبى الساج ووافى الى مونس من مدينة السلام المال والكراع والهدايا والآلة والفرش والجمال وجرّد اليه العساكر مع أمراء البلدان ثم لقيه ابن حمدان مستأمنا وسرّ الاستاذ وخلع عليه . وتكاثرت العساكر بزنجان تكاثراً ضاقت بهم أرضها وعظم الشتاء وكثر الثلج وفرق مونس العساكر فى البلدان وأقام هو بزنجان ووافى المال من بغداد مع ماهر الخادم ومبلغه مائة ألف دينار عيناً فسر مونس بوروده .

وقال أيضا فى ترجمة سنة ٣٠٧ : وفيها جد مونس السير الى ابن أبى الساج الى ان وصل العقبة فلما كان ذلك اليوم وافت البشارة بمجئ جوامرد غلام ابن أبى الساج فى الأمان فركب وتقدم مونس الى غلامه يلبق ان يتلقاه وأخذ مونس بالحزم وركب العسكر وعلوا رؤوس الجبال ووافى رسول يلبق بصحة الخبر وانه اتى جوامرد معه ثلاثة نفر فقط وكان مونس قد أتهمه فلحق بعسكر مونس فاستبشر الناس بمجيئه وأيقنوا بالظفر وانحلال أمر يوسف وخلع عليه مونس وعلى أصحابه خلعا سلطانية وحمل اليه عشرات آلاف دينار وفروشا . ولم يقف يوسف على خبره الى بعد صلاة العصر من اليوم الذى هرب فيه عرّفه بعض حواشيه بوصوله عسكر مونس فعظم ذلك عليه. وضرب مونس المصافّ مع ابن أبى الساج فكسره وانهزم نحو أردبيل وأحرق مضربا ومضى أبو الهيجاء بن حمدان فى الطلب وأحمد بن على أخو صعلوك والفارقى ووصيف وسراج ورجع من مضى فى الطلب وذكروا ان ابن أبى الساج سار الى باب أردبيل وعدل عن المدينة نحو طريق ورثان ورحل مونس نحو أردبيل فوافاه اعرابى يركض وبيده سيف حليته ذهب وهو يطلب الاستاذ فأرشد اليه فاخبر أنه وجماعة من عشيرته كانوا فى طلب يوسف الى أن انتصف وكلت دوابهم حتى أدركوا يوسف وقد تقنطر به فرسه فسقط الى الارض سقطة أوهنته

ضربات وانصرف به مونس الى بغداد فلما كان سنة ٣٠٧ حمل يوسف بن أبي

ومعه نفر يسير فلما أدركه تفرق من كان معه ولحقه اعرابي فضربه على رأسه فلما ضربه قال : أنا يوسف وعندي غناك وغنى عقبك . فاخذ سيفه ومنطقه وخاتمين ياقوتا من يده وأخذ فرسه وسلبه وهو ابن عمه وحمله على بغل كانا أخذاه في طريقهما ورجعا نحو عسكر مونس فتلقاه أخو صعلوك فلما رأى يوسف ترجل وقال : السلام عليك أيها الامير . فقال له يوسف : أنت الاميراليوم ياأبا العباس . فاخذه وأقبل الى الاستاذ فشكر لله وحده . وكان الاعرابي الذي أخذه يقال دعيجة بغل (ليراجع كتاب الاغاني ١١:٩٧) وبه ثلاث جراحات فادخله الى مونس فكلمه باجمل كلام ووعده أحسن وعد وقال : أنا استوهب من أمير المؤمنين ذنبك واجملك صاحبي وعمدتي . ودعا ماء ورد فغسله به بيده ثم أخرج الى خيمة قد أعدت له وأدخل عليه الاطباء فداووا جراحاته فقال يوسف ليلبق : حاجتي أن لا يدخل اليّ غير الطبيب لعلاج جراحاتي وغلام صغير يخدمني. ففعل ذلك

وتوجه مونس الى بغداد ومعه يوسف فتلقاه أبو القاسم بن الحوارى بحلوان ومعه بشر الخادم خليفة مونس وابراهيم بن حمدان وسار حتى وصل المصلى العتيق واستقبله الوزير وارباب الدولة . وكان قداستعد مايشهر به عجل ليحمل عليها واسعة المقعد وعلى أن يلبس المصبغات والبرانس ويشهر بطبل يجعل فى عنقه ويجلس معه المحنون في العجل يطبلون ويرزون وبلغ ذلك مونس فانكره وكتب فيه كتاباً الى المقتدر يسأله ان لا يشهر بركوب الفيل والعجل فأجيب الى ماسأل . فزينت المدينة وخرج الرجال والنساء فى باب خراسان والى دار المقتدر فى الشارع ودخل مونس وبين يديه يوسف على جمل وعليه الدراعة التي كانت على عمرو بن الليث والبرانس وهو مطرق الى الارض لا ينظر الى أحد وفي رجله خف أسود فرق الناس له ودعوا بأن يعطف الله قلب المقتدر عليه فوصل الى دار المقتدر وأنزل فى الفوج الاول في مرتبة لم ينزلها قبله أحد من نظرائه ثم عدل به الى الدهليز الثالث الذى منه يصل الى المقتدر الى حجرة هناك .

ودخل مونس الى الخليفة بعد أن جلس على سرير ملكه وأبو العباس ابنه عن يمينه والباقون من ولده عن يساره والوزير حامد واقف بين يديه وعلى بن عيسى دونه والناس على مراتبهم فتقدم مونس فقبل يده ورجله والبساط والسرير وتقدم بعده هلال ابن بدر وبعده عبد الله بن حمدان والناس بعدهم ثم وقف ابن أبي الساج فلما وقف بين

الساج على جمل من باب الشماسية وادخل بغداد مشهراً[1] على رأسه برنس وبين يديه الجيش الى أن وصل الى دار السلطان ووقف بين يدى المقتدر ثم حبس فى دار السلطان فى يد زيدان القهرمانة ووسع عليه ثم خلع على مونس وطوّق وسوّر[118] وخلع على جماعة من قواده وزيد الرجالة نصف دينار لكل واحد فى الشهر

ولما بعد مونس من آذربيجان وأنكفأ راجعاً الى مدينة السلام ومعه يوسف بن ديوداذ غلب سبك غلام يوسف عليها . فانفذ مونس اليه محمد ابن عبد الله الفارقى وقلده البلد وكان فى حدود أرمينية فسار الى سبك وحاربه فانهزم الفارقى وصار الى بغداد وتمكن سبك من البلد . ثم كتب الى السلطان يسئل ان يقاطع عن الناحية فأجيب وفورق على أن يحمل فى كل سنة مائتين وعشرين ألف دينار وانفذت اليه الخلع والعقد ولم يف بما ووقف عليه وكان مونس لما ظفر بيوسف بن أبي الساج وقبل انصرافه عن آذربيجان قلد على بن وهسوذان أعمال الحرب بالرى ودنباوند وقزوين وزنجان وأبهر وسلمها اليه وجعل أموالها له ولرجاله وقلد أحمد بن على صعلوك

يدى المقتدر رمي بنفسه ليقبل البساط فمنع من ذلك فما زال واقفا ساعة والمقتدر يتأمله ثم يجيء من بين يديه وسلم الى بدر الحرمى . وقد كان مونس وحامد قد تنحوا من بين يدي المقتدر وجلسوا في صفة لمجيء بابن أبي الساج اليهم فقال له الوزير حامد : طب نفسا وقر عينا فان مولانا أمير المؤمنين حسن الرأى فيك وليس يرى الا ما تحب . ثم مضى مونس لخلع عليه وقلد سيفا وعلى هلال بن بدر بعده وعلى أبي الهيجاء بن حمدان بعده والناس على طبقاتهم وأخر المستأمنة مثل جوامرد وغيره أياما ثم خلع عليهم بعد ذلك فكان جميع من خلع عليه ثلثمائة وخمسة وعشرين رجلا .

(١) قال صاحب التكملة : وشهر على الفالج وهو جمل له سنامان يشهر عليه الخوارج على السلطان

أعمال المعاون باصبهان وقم وجمل مال الخراج والضياع بقم وساوة له ولرجاله مبلغه فى كل سنة أكثر من مائتي الف دينار

ثم وثب أحمد بن مُسافر صاحب الطرم على ابن أخيه على بن وهسوذان وهو معه مقيم بناحية قزوين فقتله على فراشه (١١٩) وهرب فى الوقت الى بلده وكان أحمد بن على أخو صعلوك مقيما بقُمّ فسار منها الى الريّ ودخلها فانكر عليه السلطان فعله وقلّد وصيف البكتمرى أعمال على ابن وهسوذان وقلّد محمد بن سليمان (١) صاحب الجيش أعمال الخراج والضياع وكوتب أحمد ابن على بالانصراف الى قُمّ ففعل ثم جرت بينه وبين محمد بن سليمان وحشة فاظهر الخلاف وصرف عمّال الخراج والضياع عن قمّ وأخذ في الاستعداد للمسير الى الريّ وكوتب نحرير الصغير وهو متقلد همذان بالمسير الى الريّ والاجتماع مع وصيف البكتمري ومحمد بن سليمان على دفع أحمد بن

(١) هو محمد بن سليمان بن المنفق أبو على الكاتب الذي فتح مصر على الطولونية . راجع الطبري . (٣ . ٢٢٥٢) وكتاب الولاة للكندى (٢٤٨) وفى المقفا للمقريزى فى ترجمته انه أخرج معه من مصر القاضى أبا زرعة محمد بن عثمان والقاضي أبا عبيد محمد بن عبدة (وذكر هذا أيضا في القضاة) للكندى ص ٥٢٢ س ٢٣) وموسى بن طونيق وسائر من بقي بمصر من الطولونية. وقدر ان الذى حمله من مصر معه مما أخذه من سائر الناس ألف ألف دينار وأنفذ الى المكتفى من أموال بني طولون وذخائرهم وسلبهم وفرشهم ونعمهم أربعة وعشرين ألف حمل ومن العين ألف ألف دينار . وأخذ لنفسه شيأ عظيما جليل المقدار سوى ماأخذ قواد عسكره وسارالى حلب فوافى كتاب المكتفى الى وصيف مولى المعتضد وكان معه ان يوكل به و يشخصه الى الحضرة ففعل ذلك فاخذه المكتفى وقيده واعتقله وطالبه بالاموال التى أخفاها فلم يزل معتقلا الى ان تقلد على بن محمد بن الفرات الوزارة للمقتدر بالله في سنة ٢٩٦ فأخرجه الى قزوين وزنجان واليا على الضياع والاعشار بها.وراجع قصة محمد بن سليمان مع أحمد بن طولون فى الفرج بعد الشدة (١ ، ١٨٠)

على وسار أحمد بن على الى باب الريّ فواقعوه وانهزم وصيف ونحرير الى همذان وقتل محمد بن سليمان فى الوقعة وحصلت الريّ فى يد أحمد بن على فشرع في إصلاح مابينه وبين السلطان وعنى به نصر الحاجب فقاطع عن أعمال الخراج بالريّ ودنباوند وقزوين وزنجان وأبهر على مائة وستة وستين ألف دينار محمولة في كل سنة الى الحضرة وقلد الناحية وقُلّد محمد بن خلف النيرمانى الضياع بهذه النواحي وأخرج أحمد بن على عن قُمّ وقلّد من نظر فيها

(ونعود الى حديث ابن الفرات)[١٢٠]

لما تبين الوزير أبو الحسن بن الفرات عداوة نصر الحاجب وأبى القاسم ابن الحوارى وشفيع اللؤلؤى ونسبهم اياه الى مُواطأة ابن أبى الساج على العصيان عاداهم ومنعهم أكثر حوائجهم وصرف نصرا وشفيعا عن أكثر أعمالهم . وكان ابن الفرات قلّد أبا على ابن مُقلة كتابة نصر الحاجب ثم استوحش أبو على ابن مقلة من ابن الفرات لاجل استخدامه سعيد بن ابراهيم التسترى فذكر لنصر ان ابن الفرات قد استخرج من ودائعه التي سلمت له خمسمائة ألف دينار بعد ان حلف فى وقت نكبته انه مابقيت له وديعة لم يُقربها فذكر نصر للمقتدر ذلك ليُغيظه على ابن الفرات وغرّ نصرٌ وابن الحوارى أبا على ابن مقلة واطمعاه فى الوزارة ليستخرجا ما عنده من أخبار ابن الفرات التى يُضرّبون بها المقتدر عليه حتى ظهر الامر فى ذلك واشتهر وكثرت به الاراجيف فذهب أبو الخطّاب ابن أبي العباس بن الفرات الى عمّه فشرح له مايتحدث به الناس فقال له : ان شككت في أبى على ابن مقلة مع تربيتى له ودفعى منه شككت في ولدى وفيك.[١] ثم تبين ابن الفرات بعد ذلك صحة ما نسب

(١) راجع كتاب الوزراء : ١٢٠ ـ ١١٩ : ٢١٥

الى ابن مقلة واطلع [١٢١] أبا على ابن مقلة على بعض ما وقع اليه من الخوض فى أمره على طريق التعجُّب لِيَصرِفه عما شرع فيه فاستوحش أبو على منه وخاف معاجلته اياه بالنكبة فجدّ فى السعى عليه واعتصم بنصر الحاجب

﴿ودخلت سنة خمس وثلاثمائة﴾

وفيها ورد رسولان لملك الروم الى مدينة السلام على طريق الفرات بهدايا عظيمة والطاف كثيرة يلتمسان الهدنة وكان دخولهما يوم الاثنين لليلتين خلتا من المحرّم فانزلا فى دار صاعد بن مَخلَد وتقدم أبو الحسن ابن الفرات بان يُفرش لهما و يُعَد فيه كلّ ما يحتاجان اليه من الآلات والاوانى وجميع الاصناف وان يقام لهما ولِمَن معهُما الانزال الواسعة والحيوان الكثير والحلاوة حتى يتّسع بذلك كلّ مَن معهما. والتمسا الوصول الى المقتدر بالله لِيُبلّغاه الرسالة التى معهما فاعلما ان ذلك متعذِرٌ صعبٌ لايجوز الا بعد لقاء وزيره ومخاطبته فيما قصد(١) اليه وتقرير الامر معه والرغبة اليه فى تسهيل الاذن على الخليفة [١٢٢] والمشورة عليه بالاجابة الى ما التمسا. فسأل أبو عمر عدى بن عبد الباقى الوارد معهما من الثغر أبا الحسن ابن الفرات الاذنَ لهما فى الوصول اليه فوعده بذلك فى يوم ذكره له

وتقدَّم الوزير بان يكون الجيش مُصطفاً من دار صاعد الى الدار التى أُقطعها بالمُخرّم وان يكون غلمانه وحدَهُ (٢) وخلفاء الحجاب المرسومين بداره منتظمين من باب الدار الى موضع مجلسه وبُسِط له فى مجلسٍ عظيم مُذهّب السقوف فى دار منها يعرف بدار البستان بالفرش الفاخر العجيب وعُلّقت الستور التي تشبه الفرش واستزاد فى الفرش والبسط والستور ما بلغ ثمنه

(١) لعله قصدا (٢) لعله وجنده

ثلاثين ألف دينار ولم يبق شىء تجمّل به الدار ويفخّم به الأمر الا فُعل وجلس على مصلّى عظيم من وراءه مسندٌ عالٍ والخدم بين يديه وخلفه وعن يمينه وشماله والقوّاد والاولياء قد ملأوا الصحن ودخل اليه الرسولان فشاهدا فى طريقهما من الجيش وكثرة الجمع ما هالهما .

ولما دخلا دار العامة أجلسهما الحاجب فى رواقها والرجال قد امتلأت بهم الدار ثم أخذ بهما فى ممرّ طويل من وراء هذا الرواق حتى أخرجهما الى صحن البستان ثم عدل بهما الى المجلس الذى كان [١٢٣] الوزير جالسا فيه فشاهدا من بهاء المجلس والفرش الذى فيه وكثرة الجمع منظرًا عجيباً جليلاً . وكان معهما أبو عمر ابن عبدالباقى يترجم عنهما ولهما وحضر نزار بن محمد صاحب الشرطة فى جميع رجاله قائما بين يدى الوزير أبى الحسن ابن الفرات فسلما وترجم لهما ابن عبدالباقى ماقالا فاجابهما بما ترجمه لهما . ورغبا اليه فى إيقاع الفداء ومسألة المقتدر بالله الاجابة اليه فاعلمهما انه يحتاج الى مخاطبته فيهاذ كراه ثم العمل فيه بما يرسمه والتمسا منه ايصالهما اليه فوعدهما به . وأخرجا من بين يديه وأخذ بهما فى الطريق الذى دخلا منه وعادا الى دار صاعد والجيش منتظم طول الطريق بأحسن زىٍّ وأكمل هيأة . وكان زيهما دراريع ديباج ملكية ووقايات وفوق الوقايات قلانس ديباج محدودة الرؤس .

وخاطب ابن الفرات المقتدر بالله فى ايصالهما اليه وواقفه على ما يجيبهما به وتقدّم الى سائر الاولياء والقواد وسائر أصناف الجند بالركوب الى دار السلطان وان يكونوا منتظمين للظهر من دار صاعد الى دار السلطان فركبوا ووقفوا فى الطريق على هذا الترتيب [١٢٤] فى الزى الحسن والسلاح التامّ وتقدّم بان تُشحن رحاب الدار والدهاليز والممرات بالرجال والسلاح وان

يفرش سائر القصر بأحسن الفرش ولم يزل يراعى ذلك حتى فرغ من جميعه ثم أنفذ الى الرسولين بالحضور فركبا الى الدار على الظهر وشاهدا فى طريقهما من الجيش وكثرته وحسن زيّه وتكامل عُدّته أمراً عظيما . ولما وصلا الى الدار أُخذ بهما فى ممرٍّ يفضى الى صحن من تلك الصحون ثم عدل بهما الى ممرّ آخر وأخرجا منه الى صحن أوسع من الاول ولم تزل الحجاب يخترقون بهما فى الصحون والممرات حتى كلاّ من المشى وانبهرا . وكانت تلك الصحون والممرّات محشوة بالغلمان والخدم الى ان قرُبا من المجلس الذى فيه المقتدر بالله والاولياء وقوفٌ على مراتبهم والمقتدر جالسٌ على سرير مُلكهِ وأبو الحسن ابن الفرات واقفٌ بالقرب منه ومونس الخادم ومن دونه من الخدم وقوفٌ عن يمينه ويساره . فلما دخلا الى المجلس قبّلا الارض ووقفا حيث استوقفهُما نصر الحاجب وادّيا اليه رسالة صاحبهما فى الفداء ورغبا اليه فى إبقاعهِ . فأجابهما الوزير عنه بأنه يفعل ذلك رحمةً للمسلمين ورغبةً فى فكّهم وإيثارا لطاعةالله عزّ وجلّ (١٢٥) خلاصهم وانه ينفذ مونساً لحضور ذلك ولما خرجا من حضرتهِ خلع عليهُما مَطارِف خزّ مُذهبة وعمائم خزّ وخُلع على أبى عمر أيضاً وانصرف على الظهر معهما والجيش على حاله منتظم للفداء. فتاهّب لذلك وابتيع من التمس الرُسل ابتياعهُ من الروم المطلوبين واطلق له ولِلقوّاد الشاخصين معه من بيت المال بالحضرة مائة ألف وسبعون ألف دينار . وكتب الى العُمّال فى طريقه بإزاحة علّته فيما يلتمسهُ وحُمل الى كل واحدٍ من الرسولين عشرون ألف درهم صِلةً لهُما وخرجا مع مونس ومعهُما أبو عُمر . وتمّ الفداء فى هذه السنة على يد مونس

وفيها أُطلق أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان واخوته من الحبس فى دار

السلطان وخلع عليهم خلعة الرضا

وفيها مات العباس بن عمرو الغنوى وكان متقلداً أعمال الحرب والمعاون بديار مضر فقلّد مكانه وصيف البكتمرى . فلم يضبط العمل فقلد مكانه جنيّ الصفوانى فضبطه أحسن ضبط [1]

﴿ ودخلت سنة ست وثلثمائة ﴾

وفيها قبض على الوزير أبى الحسن بن الفرات وكانت مدّة وزارته هذه الثانية سنة واحدة[١٢٦] وخمسة أشهر وتسعة عشر يوماً

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾ [2]

كان السبب الظاهر فى صرف ابن الفرات عن وزارته هذه الثانية انه أخر إطلاق أرزاق الفرسان الذين مع القوّاد واحتجّ بضيق الاموال لاجل ما احتيج اليه من صرفها الى محاربة ابن أبى الساج وأيضاً لاجل نقصان الارتفاع بأخذ يوسف مال الرى . فشغب الفرسان فى أول سنة ٣٠٦ شغباً عظيما وخرجوا الى المصلى والتمس ابن الفرات من المقتدر بالله إطلاق مائتى ألف دينار من بيت مال الخاصّة ليضيف اليها مائتي ألف دينار يُنفق فى الفرسان فغاظ ذلك على المقتدر وراسله بأنه قد كان ضمن له أن يقوم بسائر النفقات على رسمه كان فى وزارته الاولى ويحمل ما ضمن حمله الى حضرته مفردا وانه لم يظنّ انه يقدِمُ عليه بطلب مال . فاحتج ابن الفرات بما ذكرته فلم يسمع حجّته وتنكّر له

(١) زاد صاحب التكملة : فيها مات سبكرى بعد اطلاقه من الحبس . وفيها مات غريب الخال وعقد لابنه مكانه وحضر ابن الفرات جنازته بداره بالنجمى . وفيها قلد أبو عمر قضاء الحرمين (٢) راجع صلة عريب : ٧٢

وكان عبد الله بن جُبَير لما أقام فى وزارة على بن عيسى بواسط وقد عرف مقدار ارتفاع أعمالها وما يحصل لحامد بن العباس من الفضل على الضمان شرح ذلك لابن الفرات (١٢٧) وبيّنَ له وجوهه لما عاد الى بغداد وعند عوده الى مجلس الاصل فى ديوان السواد . فعظم ذلك فى نفس ابن الفرات فلما أتى على ذلك مدّة استأذن ابن جبير ابنَ الفرات في ان يُكاتب حامداً فى بعض ما كان أنهاه اليه من ضمان حامدٍ فأذن له فيه اذنا ضعيفاً . فكتب من مجلسهِ (وهو مجلس الاصل فى ديوان الخراج) الى حامد وأجاب حامد وتردّدت بينهُما مُكاتبات فى هذا المعنى . وتبع ذلك كتب بشر بن على (وهو خليفة حامدٍ) يعتب على ابن جبير لما كان يتكلم به فى مجلسه . فاستوحش حامد من ذلك وتخوّف ان يكون ما يظهره ابنُ جبير عن مواطاة الوزير ابن الفرات ولشىء قد عرفه من نيّتهِ فأنفذ من يسفر له فى الوزارة ويُخاطب له نصراً الحاجب . فسعى له فى ذلك وعرّف نصراً سعة نفس حامد وضمن له تصحيح أموال جليلة من جهة ابن الفرات وأسبابه وراسل أيضاً السيّدة فى هذا الباب

ووافق ماسعى له فيه وما بذله له سوء رأى نصر فى ابن الفرات وتخوُّفه منه والاضاقة التى عرضت فى الوقت حتى طلب ماطلب فتمّ لحامد ماقدّره بما اجتمع من هذه الاحوال . فرُوسل حامد بالخروج الى الحضرة من واسط (١٢٨) وان يكتب كتاباً بخروجه على أجنحة الطير . فلما وقف عليه المقتدر أنفذ نصرا الحاجب وشفيعا المقتدرى فقبضا على ابن الفرات وعلى ابنه المُحسِّن وموسى بن خلف وعيسى بن جبير وسعيد بن ابراهيم

التُستَرِي وأم ولد له وابنها منه [١] وحُمِلوا الى دار السلطان فاعتقل أبو الحسن ابن الفرات وحده في يد زيدان القهرمانة واعتقل الباقون في يد نصر . ووصل حامد الى مدينة السلام وأقام ليلته في دار الحجبة من دار السلطان وتحقّق به أبو القاسم ابن الحوارى .

وجلس حامد يتحدّث فبان للقوّاد وجميع خواصّ المقتدر حِدّتهُ وقلة خبرته بامر الوزارة وحُدِّث المقتدر بذلك فاستدعى أبا القاسم ابن الحوارى وعاتبه على مشورته به . فوصفه ابن الحوارى باليسار العظيم وباستخراج الاموال وهيبته عند العُمّال ونُبل النفس وكثرة الغلمان . وكان مع حامد لما قدم أربعمائة غلام يحملون السلاح فيهم عُدّة يجرون مجرى وجوه القواد وأكابر أصحاب السلطان . وأشار ابن الحوارى على المقتدر في عرض كلامه باطلاق على بن عيسى وتقليده الدواوين بأسرها ليخلف حامداً عليها فامتنع المقتدر من ذلك الاّ بعد أن يلتمسه حامدٌ (١٢٩) منه فاحال ابن الحوارى على حامد وقال له : التمس ذلك من المقتدر اذا وصلت الى حضرته وعظِّم عليه أمرَ الاعمال والدواوين وحوائج الحاشية وخوّفه من سوء أدبهم . وصوّر لحامد انه ان لم يفعل ذلك فعل مُراغَمَةً له وحلف انه ناصحٌ له . فلما وصل حامد الى المقتدر بالله وتقلد وزارته قبّل الارض بين يديه وبعقب ذلك سأله إطلاق على بن عيسى والأذن له في استخلافه على الدواوين والاعمال فقال له المقتدر بالله : ما أحسب على بن عيسى يجيب الى ذلك ولا يرضى ان يكون تابعا بعد ان كان متبوعا رئيساً . فقال حامد بحضرة الناس : لِمَ لا يستجيب الى ذلك ؟ وانما مثل الكاتب مثل الخياط يخيط ثوباً قيمته الف دينار ويخيط

(١) يعنى دولة وابنها وهو الحسن، كذا فى كتاب الوزراء : ٣٣

ثوباً بعشرة دراهم . فضحك الناس منه

ولما خلع على حامد خلع الوزارة صار الى دار الوزارة بالمخرّم فنزلها وجلس فيها للتهنئة . ولم يقرّر شيئاً من الدواوين فتركها مختومةً ذلك اليوم وتحقق به أبو على ابن مقلة واختصّ به واستحضر حامد أبا عبد الله زنجى الكاتب فألزمه داره ورد اليه مكاتبة العمال عنه على رسمه مع ابن الفرات . وتحقق بجميع الامور ابن الحوارى (١٣٠) وصار هو السفير بين حامد وبين المقتدر بالله . وكتب عن المقتدر الى جميع أصحاب الاطراف وعمال المعاون بخبر تقليده حامداً الوزارة أنشأ ذلك أبو الحسن محمد بن جعفر بن ثوابة . ثم قرر حامد وعلى بن عيسى أمر الدواوين على إتفاق منهما جميعاً ثم ابتدأ بعد ذلك يغير ما رأى تغييرَهُ

وكان على بن عيسى فى أوّل أيام وزارة حامد بن العباس يحضر دار حامدٍ فى كل يوم دفعتين مدّة شهرين ثم صار يحضر فى كلّ أسبوع دفعةً واحدة . ثم سقطت منزلة حامد عند المقتدر بالله أول سنة ٣٠٧ وتبيّن هو وخواصُّهُ أنه لا فائدة فى الاعتماد عليه فى شىء من الأمور . فتفرّد حينئذ أبو الحسن على بن عيسى بتدبير سائر أمور المملكة وأبطل حامداً فصار لا يأمر فى شىء بتّةً حتى قيل فيه

هذا وزيرٌ بلا سوادٍ وذا سوادٌ بلا وزير

فلما رأى حامد بن العباس نفسَهُ لا يأمر ولا ينهى ولا يزيد على لبس السواد والركوب فى أيام المواكب الى دار السلطان فاذا حضر لم يُدخله المقتدر فى شىء من التدبير وكان الخطاب كلّه مع على بن عيسى شرع فى تضمّن أعمال الخراج والضياع (١٣١) والخاصّة والعامّة المستحدثة والعباسية

والفراتيه بالسواد والأهواز واصبهان وتردّدت بينه وبين على بن عيسى فى ذلك بحضرة المقتدر مُناظرات الى أن تضمن هذه الاعمال . فضمّن حامد أبا على أحمد بن محمد بن رُستم اصبهان بزيادة مائة ألف دينار فى كل سنة على ما كان يرتفع به على يده ويد ابن أبى البغل ويد أحمد بن سيّاه ولما زال ضمان حامد عقد على بن عيسى على أبى على ابن رستم اصبهان بهذه الزيادة ثم شرح أبو الحسين ابن أبى البغل عظيمَ ما يرتكب أبو على بن رستم من الظُلم لأهل اصبهان فبحث عنه على بن عيسى حتى تحققه فاستشار ابن ابى البغل فأشار بعقد الضمان على صاحبين له كانا يتولّيان له باصبهان مدّة تقلّده اياها وهُما أبو مسلم محمد بن بحر وأبو الحسين أحمد بن سعد[1] فعقد ذلك عليهما بثمانين ألف دينار زيادة وحطّ من جملة المائة الالف عشرين الفا ليكون فى ذلك ترفيه للرعيّة وسلّم اليهما ابن رستم

ولما تبيّن حامد إتّضاع حاله عند المقتدر ورأى أنه لا يأمر ولا ينهى فى شىء من أمر المملكة استأذن فى العود الى واسط ليدبّر أمر ضمانه الأول فأذن له [١٣٢] المقتدر فى ذلك وأقام بواسط وله اسم الوزارة فقط

﴿ ذكر ما عامل به حامد بن العباس علىّ بن محمد بن الفرات وأسبابه ﴾

ركب حامد بن العباس وعلى بن عيسى ثالث يوم تقلّد حامد الوزارة الى المقتدر ووصل الناس ودخلا اليه . والتمس حامد الأذن لرجُل من الجند وذكر أنه وجده قبل تقلّده الوزارة وأقرّ له بأنه كان رسول ابن الفرات الى يوسف بن أبى الساج فى العصيان فأحضره كتاباً منسوبا الى ابن أبى الساج من ابن الفرات . فغاظ ذلك على المقتدر واغتاظ على ابن الفرات

(١) راجع ترجمته في ارشاد الاريب ١ : ١٢٩

وأقبل على أبي عمر القاضي وقال له ماعندك في هذا الفعل من ابن الفرات؟ قال له : ياأمير المؤمنين لئن صحّ أنه أقدم على هذا الفعل لقد سعى في إفساد أمر المملكة . ثم أقبل بعده على أبي جعفر ابن البهلول القاضي فقال له : ما عندك في هذا ؟ قال له : عندي أن الله عزّ وجلّ قد أمر بالتثبّت ونهى عن قبول قول الفاسق . ثم ناظر ابن البهلول الرجل مناظرة [١] أدت الى أنه كذبٌ فأقرّ الرجل بالكذب فيما ادّعاه . فسلّم الرجل الى صاحب الشرطة وأمر بضربه مائة سوطٍ فضُرب [١٣٣] وحُبس في المطبق ثم نُفي الى مصر

ثم ان حامداً وعلى بن عيسى أحضرا أباعلى الحسين بن أحمد المادرائى [٢] مناظرة بن الفرات في دار السلطان فكاشف الحسين بن أحمد المادرائى ابنَ الفرات بانه حمل اليه في وزارته الأولى أربعمائة ألف دينار من مال المرافق باجناد الشام وان أبا العباس ابن بسطام [٣] وأبا القاسم ابنه بعده حملا اليه ثمانمائة ألف دينار من مال الاستثناء والمرافق بكور مصر حساباً في كل سنة مائتى ألف دينار . وحضر المناظرة القضاةُ والكُتّابُ وجلس المقتدر بحيث يسمع ما يجرى ولا يراهُ أحد واحتجّ ابن الفرات بأن قال : انهذا العامل قد تولّى أعمال مصر والشام في أيام وزارة على بن عيسى وقد اعترف بأن هذه اموال واجبٌ استخراجها وادّعى انه حمل بعضها اليّ حيث كان متقلدا أعمال أجناد الشام وان ابنى بسطام حملا اليّ ماذكره . وقد ولى

(١) راجع كتاب الوزراء : ١٠١ — ١٠٠ وارشاد الاريب : ١ : ٩١ — ٨٩

(٢) المعروف بأبى زنبور . راجع كتاب الوزراء ص ٩٢ (٣) هو أحمد بن محمد وله قصة مع الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب رواها أبو الحسن على ابن الفتح المطوق في كتابه مناقب الوزراء وهى موجودة في الفرج بعد الشدة ١ : ١٣٢ وكذا في كتاب الولاة والقضاة لابى عمر الكندى ص ٥٢٥

على بن عيسى الوزارة مدّة أربع سنين وليس يخلو هذا المال من ان يكون حمل الى على بن عيسى فهو واجبٌ عليه أولم يحمل فهو واجبٌ على هـذا العامل فى نفسه . ثم قد اعترف أنه قد جبى فى أيام وزارتى الأولى ما قال وهو أربعمائة ألف دينار [١٣٤] وادّعى حملها الىّ فصار مُقرًّا على نفسه ومـدّعيًا علىّ . وأنا أقول انه كاذبٌ فى ادّعائه علىّ وحكم الله تعالى ورسوله والفقهاء معروفٌ فى أمثاله . فأسمعه حامدُ ما يكره وشتمهُ شتمًا قبيحًا فقال له ابن الفرات : أنت على بساط السلطان وفى دار المملكة وليس هذا الوضع مما تعرفه من بيدر تقسمهُ ولا هو مثل أكار تشتمهُ ولا عامل تلاكمهُ . ثم اقبل على شفيع اللؤلؤى وقال له : يجب ان تكتب عنى بما أقوله الى مولانا أيده الله ان حامـدًا انما حملهُ على الدخول فى الوزارة وليس من أهلها انى أوجبت عليه أكثر من ألف ألف دينار من فضل ضمانه أعمال واسط وجددتُ فى مطالبته بها فقدّر بدخوله فى الوزارة أن يفوز بذلك الفضل وبما يحصّله مُستأنفًا وقد كان ينبغى له وهو وزير أمير المؤمنين أن يدع ضمان أعمال واسط حتى يتبيّن أمر بحٍّ هوام مُخيّرٌ فيدبّرهُ أبو الحسن على بن عيسى فانه لا يشك أحدٌ فى بُعد ما بينه وبين حامد فى الصناعة والاحتياط . فأما وهو وزير وهو ضامنٌ فهذا أوّل خيانته واقتطاعه . فأمر حامد بن العباس أن ينتف لحيته فلم يمتثل أحدٌ أمره فوثب هو بنفسه اليه وجذب لحيته

وكان [١٣٥] الخطاب قد انتهى أن بذل الحسين بن أحمد المادرائى خطّه بخمسمائة ألف دينار ان سُلّم اليه ابن الفرات وكان ذلك قبل شتيمة حامد له ومدّ يده الى لحيته وكان حامد أحضر أبا على ابن مُقلة وواقفهُ على ان يواجه ابن الفراتَ بأنه قد استخرج من ودائعه التى كتمها فى وزارته خمسمائة

ألف دينار فلم يبرز أبو على صفحته لابن الفرات وراسله حامد فى المجلس ان يفى بوعده ويواقفهُ فى وجهه فقال أبو على : أنا أكتب خطى بذلك فأما ان أواجه ابن الفرات فلا أفعل. فغاظ ذلك على حامد وتنكر لابن مُقلة منذ هذا اليوم . (١)

وكان على بن عيسى لا يزيد على أن يُكلّم ابن الفرات في مواضع الحُجّة بكلام جميل وحامد مشغول بالسفه والشتم وكان ابن الحوارى يُرى ابن الفرات أنه مُتوسِّط بينه وبين حامد وتبيّن في خطابه انه متحامل على ابن الفرات ولما سمع المقتدر شتمَ حامدٍ لابن الفرات ووقف على مدّ يده الى لحيته أنفذ خادماً أقام ابن الفرات من مجلسه وردّه الى محبسه. فقال على ابن عيسى وابن الحوارى لحامد : قد جنيتَ علينا بما فعلته بابن الفرات . وكان الحسين ابن أحمد المادرائى بعد مكاشفته لابن الفرات قال له (٢) : ان تأدّى الى المصادرة (١٣٦) تحمّلتُ عنك خمسين ألف دينار . فلما خرج من المجلس قال له نصر الحاجب وعلى بن عيسى وابن الحوارى : دخلت لتناظر الرُجل فلم تبرح حتى بذلتَ له مرفقاً وصانعتهُ . فقال لهم : أدخلتمونى الى رجل قال لى بعضكم لما دخلتُ اليه « انظرْ لمن تُخاطِب » وقال آخر « أنظرْ بين يديك » وقال آخر « الله الله فى نفسك » فلم أجد شيئاً أقرب الى الصواب ممّا فعلتُ بعد ان سمعتُ كلامَهُ . فمن جميل ما عملهُ ابنُ الفرات انه لمّا تقلد بعد هذا الوقت الوزارة وهي وزارته الثالثة قبض على ابن الحسين بن أحمد المادرائى وهو أكبر أولاده فأخذ خطّه بخمس وعشرين ألف دينار كانت واجبةً عليه من مال السلطان ولم يطالبه بها واعتقله الى ان وافى

(١) وزراء : ٩٧ — ٩٦ (٢) وزراء ٩٦

أبوه من الشام . فذكّره ابن الفرات ما كان بذله من الخمسين الألف الدينار التي تحمّلها عنه وقال له : قد كنتَ مُخيّراً ان تفعل وان لا تفعل وانما وعدتَ وعدا وهذه رُقعة بخطّ ابنك بخمسة وعشرين الف دينار وهي واجبة عليه حاصلة قبله ولا حجة له ولا لك فيها وقد رددتها عليك مكافاة لك على ما بذلتَ

وقد كان أنفذ أبو أحمد بن حماد لمُناظرة ابن الفرات بحضرة شفيع اللؤلؤي وغيره فافتتح ابن حماد الخطاب بأن قال : ان [١٣٧] الوزير والرئيس أدام الله عزّهما يقولان لك « أصدق نفسك فقد وصل اليك من ضياعك وغلاّتك في كل سنة الف الف ومائتا الف دينار ومن وجوه ارتفاقاتك مثلها وهذا مال عظيم فاكتبْ خطك بألف الف دينار معجلة تُقدمها الى أن ينظر في أمرك حتى تسلم نفسك والاّ سلّمت الى مَن يُعاملك بما يُعامل به مثلك من الخونة الذين دبروا على المملكة فقد صحّ عند السلطان انك كاتبتَ ابن أبي الساج وأمرته بالعصيان » فقال له ابن الفرات : قد كان ينبغي أن يشغلك أمرك وما عليك في نفسك عن تحمل الرسائل قد تصرّفتَ لعلي بن عيسى أربع سنين واقتطعت أموالا فلما نظرتُ في الامر استترت عني وكتب اليّ من تصرّفَ مكانك باستدرا كات عليك وارتفاقات لك كثيرة والكتب باعيانها في ديوان السلطان محفوظة . فاقبل شفيع على ابن حماد فقال له : لستَ من رجال ابن الفرات فقم الى ابنه المحسّن فناظره . فقام وأخذ خطّ المحسّن بثلاثمائة الف دينار

ثم ناظر موسى بن خلف [١] وسأله عن ودائع ابن الفرات وأمواله فقال له

(١) راجع صلة عريب ٧٤

موسى : ما له عندي وديعة ولا أعرفُ أخبار ودائعه ولا جرى[١٣٨] له على يدي مالٌ ولا وليتُ له عملا سلطانياً وانما كنت أنظر في نفقات داره . وكان موسى بن خلف شيخا كبيرا قد أتت عليه نحو تسعين سنة وكان مع ذلك عليلاً به ذربٌ لافضل له للمكروه فشتمه ابن حماد . وكان يتردّد بعد ذلك الى أصحاب ابن الفرات ويُناظرهم فلا يرتفع له شيء وكان علّق المحسن بفرد يد من حبل الستارة فلم يصح له من جهته شيءٌ فلمّا رأى ذلك استعفى منهم فأعفى. وأحضر حامدٌ موسى بن خلف فقال له : دُلّ على أموال ابن الفرات فانك تعرفها ولا تحوُج الى مكروه يقع بك . فقال له : أحلفُ بما شئت من الأيمان انى لا أعرفُ شيئا من ودائعه . فأمر بصفعه فصفع الى أن سأل على بن عيسى فيه وأشار الى الغلمان بالكفّ . ثم عاودَهُ حامد بالمكروه مرّات حتى أحضره ليلة بين يديه وضربه حتى مات تحت الضرب . فقيل له : انه قد تلف . فقال : أضربوه . فضرب بعد موته سبعة عشر (سوطا) فلما علم بموته أمر بجرّ رجله فجرّ وتعلقت اذنه في زرّ عتبة الباب فانقلعت وحمل الى منزله ميتا . واستحسن من فعل موسى بن خلف ووفائه انه كان يقف على أموال وودائع لصاحبه عند جماعةٍ فلم يقرّ عليه[١٣٩] الى أن تلف .

وأحضر حامد المحسّنَ وطالبه فذكر المحسّن أنه لا يقدر على أكثر من عشرين ألف دينار فأمر بصفعه فصفع فرأى على رأسه شعراً كثيراً فقال : هذا لا يتألم بالصفع هاتوا من يحلق شعره . فأُخرج من بين يديه فحُلق شعره ثم أعيد اليه فصفعهُ حتى كاد يتلف وذلك بين أيدي جماعةٍ كثيرة . فشفع اليه على بن عيسى وسأله أن يقتصر منه على خمسين الف دينار فحلف انه لا يقنع منه بدون سبعين ألف دينار فبذل خطهُ بها وألبسه جُبّة صوف

وعذّبه ألواناً ثم سلّمهُ الى أبي الحسن الثُعباني فادّى ستين ألف دينار بعد أن استماحَ الناسَ وأسعفَـهُ عليّ بن عيسى بعشرة آلاف درهم وأقام شهوراً كثيرة يستميح الناس حتى صحّح ما بذل خطّهُ به وكثُرت الشفاعات فيه فردّه حامد الى منزله

وجهد حامد في أن يُسلّم اليه ابن الفرات فقال المقتدر :انا أسلّمه اليك وأوكّلُ به خادماً يحفظ نفسه . فقال حامد: اذا علِم ابن الفرات أنه يُحرَس من المكروهِ تماتَنَ . فقال المقتدر : أنا أسلّمُهُ الى على بن عيسى أو الى شفيع اللؤلؤى فانى اثقُ بهما.وكان المقتدر يروّى فى أمر ابن القرات فتارة تشرهُ نفسه الى (١٤٠) المال وتارةً يكرهُ أن يتلف في يد حامدٍ فعرفتْ زيدان القهرمانة هذه الحاله من المقتدر وأعلمتها ابن الفرات.فاظهر ابن الفرات أنه رأى أخاه[1] أباالعباس فى النوم ووصّاه وقال له : أدِّ المال فان القوم ليس يريدون نفسك وانّما يريدون مالك.وانه قال : قد أدّيت اليهم جميعَ مالى . وان أخاه أجابه بأن قال له : لم تؤدِ اليهم المال الفلانى فقلتُ :أن معظم ذلك لورثتك فقال: أدِّه فانّا جمعناه من أسلافهم وأذخرناه لِمثل هـذا اليوم . ثم كتب الى تاجرين بحمل ماعندهما وهو سبعمائة ألف دينار الى حضرة المقتدر وكتب الى أبى بكر ابن قرابة بشيء آخر والى ابن ادريس الجمّال بشيء آخر فانفذ المقتدر رقاعهُ الى حامد وعلى بن عيسى فغاظ ذلك عليهما ويئسا معها من تسلم ابن الفرات ، وقال على بن عيسى وابن الحوارى لحامد : أى شيء عندك فيما فعله ابن الفرات فقال حامد : هذا من اقبال مولانا أمير المؤمنين . فقال له على بن عيسى : هـذا لاشكّ فيه كما قال الوزير أيده الله ولكن ما أشكّ ان ابن

(١) صلة عريب : ٧٤

الفرات ما فعل هذا حتى توثق بنفسه ولا سمح بهذا المال العظيم عفواً بغير مكيدة وقد كان يجوز ان يقع منه[١٤١] بعضه الا لشروعه في تضمن أنفسنا وأحوالنا فقال حامد وابن الحوارى : هذا لاشك فيه

ثم تشاغل حامد وعلى بن عيسى باستحضار من عليه المال وأوصلوا اليهم رقاع ابن الفرات فاعترفوا بصحته سوى ابن قرابة فانه قال في عشرة آلاف دينار كان أودعهُ اياها : قد كان أودعني هذا المال ثم ابتاع مني في أول سنة ٣٠٦ عنبراً ومسكاً كثيراً أهدى أكثرهُ الى المقتدر بالله واليسير منه لنفسه ومعي توقيعاتهُ بخطه بتواريخ أوقاته واستدعى أن يجمع بينه وبين ابن الفرات فانفذهُ حامد الى دار السلطان وأوصله مفلح الى ابن الفرات حتى ذكر له ذلك فصدّقه وقال له : لا تلمني على ما كتبتُ به فقد كنت أنسيت ماجرى فيه ولعمري لقد كنت جعلت مال الوديعة محسوبا لك في ثمن العطر وكتب ابن الفرات خطه بصحة ما قاله ابن قرابة فسلمت الدنانير لابن الفرات وكان هذا الفعل من ابن قرابة أوكد أسباب تحققه فيما بعد ذلك بابن الفرات

وقد كان ابن الفرات أودع القاضى أبا عمر مالا لابنه الحسن بن دولة فلحقت أبا عمر رهبة شديدة من حامد لبسطه يده على القضاة والشهود[١٤٢] فاعترف أبو عمر القاضى ان لابن الفرات عنده وديعة لما سأله حامد هل عنده وديعة فأمر باحضاره فأحضره وادّاه وبلغ ذلك ابن الفرات فتنكر لأبي عمر فحكى ان أبا بكر ابن قرابة قال : لما خلع على ابن الفرات للوزارة الثالثة كنت[١] أول من لقيه في دهليز الحجبة المتصل بباب الخاصة فقال : يا أبا بكر تقرّب أبو عمر بوديعتي وعرّضني (قال) فقلت : الوزير أيده الله

(١) وفي الأصل : كان

صادقٌ فمن أخبره ؟ فأومأ الى زيدان القهرمانة وان القاضى أبا عمر عرف تنكر الوزير له . ووصل الى منزله وقت العشاء الآخرة فاذا بأبى عمر وابنه جالسين فى مسجد على بابه فأكبر ذلك ونزل اليهما لحلفا عليه ان يدخل الى منزله ودخلاه بدخوله فقالا له : خبر المجلس عندنا فما الذى ترى ؟ فقال لهما : ازالة الاعتذار والاحتجاج وردُّ المال . فاستجابا وكان مبلغ المال ثلاثة آلاف دينار وسألاه التسكين عنهما لئلا يعاجلا فبكّر ابن قرابة الى ابن الفرات فقال له : قد جاءنى أبو عمر القاضى وابنه قلقين وذكرا ان المال بحاله فقال : الحمد لله ربّ العالمين . فلما كان فى اليوم الثانى من ذلك حمل أبو بكر الثلاثة الالاف الدينار فى برنيّة كانت ضُمّنت الوديعة فلما رآها ابن الفرات عجب (١٤٣) وأمر بتسلمها

وعدنا الى خبر حامد فى وزارته . ولما رأى حامد وعلى بن عيسى تمكن ابن الحوارى من المقتدر بالله خرج توقيع حامد بخطّ على بن عيسى بتقليد ابن الحوارى جميع أعمال العطاء فى العساكر لسائر نواحى المغرب من حدّ هيت الى آخر حدود مصر وان يقام له من الرزق مثل ما كان يقام لجميع من كان ينظر فى ذلك فى آخر أيام وزارة ابن الفرات الثانية وان يقلد ابنه (وكانت سنّه فى الحال نحو عشر سنين) ويُجرى عليه ما مبلغه فى الشهر مائة وخمسون دينار وقلد ابنه هذا بيت مال العطاء بالحضرة بحقّ الأصل بجارى مائة وثمانين ديناراً فى الشهر واستخلف له عليه المعروف بقاطرميز الكاتب . وزاد بعد ذلك اختصاص ابن الحوارى وخدمته له فى خلواته وكان يشاوره فى أموره فقلد أعمالا أخر وأجرى عليه واستخلف له عليها فكان يصل اليه مال عظيم ولا يباشر شيئا من الاعمال ولا يدرى

مايجرى فيها. وصرف نزار عن الشرطة بمدينة السلام وقلد نجح الطولونى واستخلف عليها (١) وأقام فى الارباع فقهاء يعمل أصحاب الشرط فى أمر الجناة بما يفتون به فى أمرهم فضعفت هيبة الشرطة بذلك واستلان اللصوص والعيّارون جانب نجح (١٤٤) فكثرت الجراحات والفتن وتفاقم الامر فى اللصوص وكان العيّارون يقولون : اخرج ولا تبالى مادام نجح والى

﴿ ودخلت سنة سبع وثلثمائة ﴾

كان غرض حامد فى الضمانات على النواحى التى ذكرناها تفرّدُ على ابن عيسى بتدبير المملكة وإبطاله أمر حامد فتضمّن حامد بهذه النواحى ليكون له بالحضرة أمر ونهى ولِيوفّر من هذه الاعمال مايطلق به السوق التى قامت لعلى بن عيسى عند المقتدر بالكفاية والعفاف . وانما لم يدخل أعمال فارس فى ضمانه لانها كانت فى ضمان أبى القاسم ابن بسطام (٢) وكان النعمان يُشير على حامد بترك الدخول فى الضمان فانه زعم انه تسقط هيبته عند الناس ويصير على بن عيسى المطالِبَ له بالاموال والمتحكّمَ عليه وكان أبو عيسى أخو أبى صخرة قديم الصداقة لحامد وكان يشير عليه بالضمان ليتبيّن

(١) وفي صلة عريب ص ٧٦ : وليها محمد بن عبد الصمد

(٢) ليراجع فيه صلة عريب ص ٧٨ وزاد صاحب التكملة : وضمن على بن عيسى الحسين بن أحمد المادرائى أعمال مصر والشام بثلاثة آلاف الف دينار فاوصله الى المقتدر بالله فخلع عليه وشخص الى عمله وقدم على بن أحمد بن بسطام من مصر فولاه أعمال فارس . قال أبو الفضل العباس بن الحسين وزير معز الدولة : رأيت أبا القاسم بن بسطام وقد دخل الينا فارس عاملا ومعه أثقال لم ير مثلها ورأيت فى جملة أثقاله أربعين نجيباً موقرة أسيرة مشبكة ذكروا أنه يستعملها فى الطرقات للمجاس والتمس يوماً سجادة للصلاة بعينها وكان يؤالفها ففتشت رزم الفرش فكان فيها نحو أربعمائة سجادة

أثره وان يتضمّن بعبرة سني علي بن عيسى خاصّة ليكون ما يثيره وهو شيء كثير وافر استدراكاً على عليّ بن عيسى فمال حامد الى هذا الرأي وخاطب على ابن عيسى بحضرة المقتدر وقال له : قد تفرّدت بتدبير الامور دوني وليس ترى أن تشاورني في شيء تعمله ولا بدّ من صدق أمير المؤمنين فقد اضعت بالسواد والاهواز وأصبهان أربعمائة (١٤٥) ألف دينار في كلّ سنة وأنا أضمن هذه الاعمال أربع سنين بعبرة المحمول والمسبّب في سني وزارتك وزيادة أربعمائة ألف دينار في كل سنة . فأجابه على بن عيسى بأنه لا يستصوب تضمينه هذه الأعمال لان مذهبه في خبط الرعية وإحداث السنن وضرب الابشار معروف ومن عمل بهذه السيرة فهو لا محالة يوفر سنة أو اكثر ثم تخرب خراباً لا يتلافى في سنين فيبطل الارتفاع ويسيء الذكر . فتخاصما خصومة طويلة فقال المقتدر : هذا توفيرٌ من حامد ولا يجوز تركه فان ضمنتَ أنت هذه النواحي بما ضمنه حامد ضمنتك . فقال على بن عيسى : أنا كاتب ولست بعامل وحامد أولى بالضمان لا سيّما وقد بذل ما بذل راغباً والاثر في ذلك بامير المؤمنين لاني قد عمرت البلدان لرفقي بالرعيّة وتقليدي من العمّال من أزال المؤن عنهم . وسنة سبع قد تناهت عمارتها وليس يقدران يقول أنه يتضمّنها ليستزيد في عمارتها لان أيام العمارة قد انقضت منذ مدّة فأمر المقتدر بعقد الضمان على حامد وأخذ خطّه به فخرجا

وتقدّم على بن عيسى الى أصحاب الدواوين باخراج العبر من دواوينهم بعبر السنين القريبة لأنها أوفر (١٤٦) فأخرج عبرة المحمول والمسبّب مع مال النفقات الراتبة في نواحي السواد والاهواز لسنة من ثلاث سنين أولاهن

سنة ثلاث وأخراهنّ سنة خمس وثلمائة ثلاثة وثلاثين ألف ألف درهم وأخرج عبرة الضياع الخاصّة والمستحدثة والعبّاسيّة والفراتيّة للمحمول والمسبّب ثمانية ألف ألف درهم وثمانمائة ألف درهم وأخرج عبرة مال اصبهان مع النفقات الراتبة بقسط سنة واحدة من ثلاث سنين ستة آلاف ألف وثلاثمائة ألف درهم تصير الجميع لسنة واحدة ثمانية وأربعين ألف ألف درهم ومائة ألف درهم والزيادة التى بذلها حامد وهي عن قيمة اربعمائة ألف دينار خمسة آلاف ألف وثمانمائة الف درهم مبلغ الجميع ثلاث وخمسون الف ألف وتسعمائة ألف درهم

والتمس حامد بن العباس من المقتدر بالله أن يأمر بتسليم جماعة من الكُتّاب اليه ليُولّيهم كتابته على دوان ضمانه واختار عبيد الله بن محمد الكلواذي وأحمد بن محمد بن زُرَيق وغيرهُما فتقدّم المقتدر باجابته الى ما سأله بعد أن عقد على بن عيسى عليه الضمان باسم صاحبه محمد بن منصور وأخذخطّ حامد بتضمنه عنه ما عقده باسمه. واعتمد حامد بن العباس على عبيد الله بن محمد الكلواذى فكان يُنظم الاعمالَ التى يخرجها كُتاب حامد ويتولّى المواقفة عن (١٤٧) حامدٍ فى دار السلطان ويرفُق فى المُناظرة ويستعمل الحجة فقط واعتمد على بن عيسى على الصقر بن محمد فى مناظرة كُتاب حامد فكان حامد اذا حضر لا يزيد على الشتم والسبّ لعلى بن عيسى وذكره بالقبيح فى نفسه واسلافه واستعمل فى ذلك ما فضح به المملكة وشاع في الخاصّ والعامّ الخبر به ثم أصلحَ المقتدر بينهما بحضرته

وأسرف علىّ بن عيسى فى الالحاح على حامد فى حمل المال واحتاج حامد الى ان يستأذن فى الخروج الى الاهواز فأذن له وذكر أبو القاسم

الكلواذى انه يضعف عن مقاومة على بن عيسى عند غيبته فنصب حامد صهره أبا الحسين محمد بن أحمد بن بسطام للنيابة عنه فى دار السلطان عند المناظرة ولإغرار الكلواذى ليستوفى حجته وظهرت فى ذلك الوقت صناعة الكلواذى وكفايته وصحة عمله فكان ذلك من أكبر أسباب نباهته . وجرى خلاف كثير بين كتاب حامد وبين كتّاب على بن عيسى يطول ذكرها ورضى حامد بوساطة النعمان فيها وكتب بذلك وتوسط النعمان وقرّر الامر من سائر أبواب الخلاف على مائة ألف دينار تقسط سنة واحدة وكتب ابن بسطام والكلواذى الى حامد وهو [١٤٨] بالاهواز بصورة ما تقرّرت عليه الحكومة فدبر حينئذ حامد فى ذلك تدبير الشيوخ المجرّبين فكتب الى المقتدر كتابا وأنفذ مع غلام له فأوصل نصر الكتاب مختوما الى المقتدر فوجده قد ذكر فيه انه لم يدخل فى هذا الضمان لاستجلاب فائدة لنفسه ولا للربح على السلطان وانما أراد أن يبين عن خبرته بالاعمال وحفظ الاموال وقبح آثار على بن عيسى فيما تولاّه قديماً وحديثا وانه كان بذل زيادة أربعمائة ألف دينار فى كل سنة وانه لما صار بالاهواز لاحت له زيادة مائتى ألف دينار فى سنة سبع على أربعمائة ألف دينار فوفّر ذلك وكتب كتابه بخطه حجةً عليه لينضاف ذلك الى الزيادة الاولى ويثبت فى الدواوين فسرّ المقتدر بذلك وأمر بتقوية يد حامد وان يقتصر بعلى بن عيسى على النظر فى حوائج القوّاد والحاشية والاحتياط فيما يطلق من الاموال فى النفقات فانه بذلك أبصر من حامد وبافراد حامد بجباية الاموال والنظر فى النواحى . وخاف على بن عيسى ان تقوى يد حامد فيسلّم اليه واتفق بعقب ذلك ان تحرّكت العامة ثم الخاصة بسبب زيادة السعر وشغبوا [١٤٩] شغباً

عظيماً متصلا أشفى به الملك على الزوال وبغداد على الخراب فادعى كُتّاب حامد وأسبابه ومن يميل اليه ان علي بن عيسى حمل العامة وأكثر الخاصة على الشغب لان السعر لم يكن زاد زيادة توجب ماخرجوا اليه وانما بلغ الخبز الحُوّارى ثمانية ارطال بدرهم

﴿ ذكر ما اضطرب لاجله أمر حامد بن العباس حتى فسخ ضمانه ﴾

تجمع الناس وقوم من أماثل العامة فتظلموا من زيادة السعر وضجوا فى وجه علي بن عيسى لما ركب ثم نهب العامة دكاكين الجماعة من الدقّاقين ببغداد ثم اجتمعوا الى باب السلطان فضجوا فتقدّم المقتدر الى ابن الحوارى بأن يكتب الى حامد بأن يبادر الى الحضور وينظر فى أمر الاسعار فيزيل التربص ببيع الغلاّت لتنحطّ الاسعار فنفذ الكتاب بذلك فخرج حامد من الاهواز وأنفذ المقتدر ماهرا الخادم لاستعجاله وخرج أصحاب الدواوين والقوّاد لتلقيه وخرج نصر وابن الحوارى فتلقياه وخرج علي بن عيسى فتلقاه ووصل الى المقتدر بالله فخاطبه بجميل وعرّفه احماده اياه على ما وفّره وأمر بأن يخلع عليه فخلع عليه وحمل على شهرى وانصرف الى منزله (١٥٠)

وتحرك الجند بعد ذلك اليوم فى دار السلطان وضجوا لارتفاع السعر وتحركت العامة فى المساجد الجامعة ببغداد وكسروا المنابر وقطعوا الصلاة بعد الركعة الأولى واستلبوا الثياب ورجموا بالآجُرّ وكثرت الجراحات واجتمع منهم فى المسجد الجامع الذى فى دار السلطان عددٌ كثيرٌ على نصر الحاجب فوثبوا عليه ورجموه بالآجُرّ ثم صاروا فى ذلك اليوم الى دار حامد ابن العباس فأخرج اليهم غلمانه فرموهم بالآجُرّ والنُشّاب وقُتل خلق من العامّة فحملوا على الجنائز وشنّعوا بهم ووجّه حامد جماعة من غلمانه ومعهم

ديوداذ بن محمد وهو ابن أخي يوسف ابن أبي الساج فدخلوا المسجد الجامع بالجانب الغربي على دوابهم فقتلوا جماعةً وقُتل أيضاً من الجند عدّة وبات الناس ليلة السبت على صورة قبيحة من الخوف على أنفسهم وأموالهم وحُرمهم وضعف صاحب الشرطة عن مُقاومتهم لكثرة من تجمع من العامّة فلما أصبحوا يوم السبت صار من العامّة عدد كثير الى الجسور فأحرقوها وفتحوا السجون ونهبوا دار صاحب الشُرطة ودار غيره فأنفذ المقتدر جماعة من الغلمان الحجريّة (١٥١) في شذاءات عدّة لمُحاربة العامّة وركب هرون بن غريب الخال في جيش عظيم الى باب الطاق فاحرق مواضع وتهارب العامّة من بين يديه الى المسجد الجامع بباب الطاق ووكّل هرون بباب المسجد وقبض على جميع من وجده فيه ولم يفرق بين المستور والعيّار وحملهم الى مجلس الشرطة فضُرب بعضهم بالسوط وبعضهم بالدّرة وقطع أيدي قوم عُرفوا بالإفساد ثم ركب يانس الموتّقي يوم الاحد فسكّن الناس ونادى فيهم وزالت الفتنة ثم ركب حامد في طيّارة يريد دار السلطان فقصده العامّة ورجموه بالآجُرّ فأمر المقتدر شفيعاً المقتدرى بالركوب لتسكين العامة فركب وسار في الجانب الغربي وفيه كانت الفتنة فسكن الناس ثم قبض على جماعة من العامة فضرب بعضهم بالسوط وقطعت أيدي قوم عرفوا بالرجم . وضجت الرجالة المصافية في دار السلطان من زيادة السعر فتقدّم المقتدر بالله بفتح الدكاكين والبيوت التي لحامد وللسيدة والامراء أولاد الخليفة والوجوه من أهل الدولة وبيع الحنطة بنقصان خمسة دنانير في الكرّ وبيع الشعير بحسب ذلك ومطالبة التجار والباعة ان يبيعوا بمثل هذا (١٥٢) السعر فركب هرون بن غريب ومعه ابراهيم بن بطحا

المحتسب فسعّر الكرّ المعدّل بخمسين دينارا وتقدّم الى الدقاقين بذلك فرضى العامة وسكنوا وانحلّ السعر

وخرج توقيع المقتدر الى حامد بن العباس بفسخه عنه الضمان لاجل الفتنة وضجيج العامة من زيادة السعر وتوقيع الى علي بن عيسى بأن يدبر هو الاعمال بالسواد والاهواز وأصبهان وتقليدها العُمّال من قبله وان يكتب عنه كتابا الى العامة يقرأ فى الشوارع والاسواق ثم على المنابر بأنه قد زال ضمان حامد بن العباس وحظر على جميع الوجوه والقوّاد والغلمان ان يتضمنوا بشىء من الاعمال وكتب حامد الى عماله بالانصراف من الاعمال وتسليمها الى عمال علي بن عيسى وانخزل حامد بن العباس لذلك

﴿ ودخلت سنة ثمان وثلثمائة ﴾

وفيها ورد الخبر من مصر بحركة الفاطمى اليها فأخرج مونس الخادم اليها [1]

وفيها خلع على أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان وقلد طريق خراسان والدينور وخُلع على أخويه أبى العلاء وأبى السرايا

وفيها ورد رسول أخى صعلوك بالمال والهدايا فخُلع (١٥٣) عليه [2]

﴿ ودخلت سنة تسع وثلثمائة ﴾

وفيها وردت الكُتُب وقُرئت على المنابر بهزيمة المغربى [3] واستباحة

(١) زاد صاحب التكملة : ودخل صاحب السند بغداد فاسلم على يدى المقتدر بالله وتحركت الاسعار فى هذه السنة فافتتن بغداد لذلك وبرد الهوا فى تموز فنزل الناس من السطوح وتدثر بالاكسية واللحف (٢) زاد صاحب التكملة : وأنفذ الى ابن ملاحظ عقد على اليمن وخلع : ليراجع فيه الكامل لابن الاثير ٨ : ٤٧ فى ترجمة سنة ٢٩٨

(٣) هو عبيد الله المهدى صاحب القيروان ليراجع صلة عريب ص ٨٠

عسكره وفيها لقّب مونس المُظفّر وأنشئت الكُتُب به عن المقتدر بالله الى أمراء النواحي وعُقد له على مصر والشام

وفيها دخل رسول صاحب خراسان برأس ليلى بن النعمان الديلمى الذى خرج بطبرستان

وفيها اشتهر أمر الحلاّج واسمه الحسين بن منصور حتى قتل وأُحرق

﴿ ذكر خبر الحسين بن منصور الحلاج وما آل ﴾
(اليه أمره من القتل والمثلة [1])

انتهى الى حامد بن العباس فى أيام وزارته انه قد موّه على جماعة من الخدم والحجاب وعلى غلمان نصر الحاجب وأسبابه وانه يحيي الموتى وان الجن يخدمونه فيحضرونه ما يشتهيه وانه يعمل ما أحبّ من معجزات الانبياء وادّعى جماعة ان نصرا مال اليه وسعى قوم بالسمرّيّ وببعض الكُتّاب وبرجل هاشمى انه نبى الحلاج وان الحلاج اله عزّ الله وتعالى عما يقول الظالمون علوّا كبيرا . فقبض عليهم وناظرهم حامد فاعترفوا بأنهم يدعون اليه وانه قد صحّ عندهم أنه اله يُحيي الموتى وكاشفوا الحلاج بذلك (١٥٤) فجحده وكذّبهم وقال : أعوذ بالله أن ادّعى الربوبيّة والنُبوّة وانما أنا رجلٌ أعبدُ الله عزّ ذكره وأُكثرُ الصومَ والصلاةَ وفعلَ الخير ولا غير . واستحضر حامد بن العباس أبا عُمر القاضى وأبا جعفر بن البهلول القاضى وجماعة من وجوه الفقهاء والشهود واستفتاهم فى أمره فذكروا أنهم لا يفتون في قتله بشيء الى أن يصحّ عندهم ما يوجب عليه القتل وانه لا يجوز قبول قول من ادّعى عليه ما ادّعاه وان واجهه الا بدليل واقرار منه

(١) قصة الحلاج بعينه كما رواه المؤلف موجودة فى حاشية صلة عريب ص ٨٦—٩٦

فكان أوّل من كشف أمره رجل من البصرة تنصّح فيه وذكر أنه يعرف أصحابَهُ وانهم متفرّقون في البلدان يدعون اليه وانه كان ممن استجاب له ثم تبيّن مخرقته ففارقَهُ وخرج عن جملته وتقرّب الى الله بكشف أمره واجتمع معه على هذه الحال أبو على هرون بن عبد العزيز الاوارجي الكاتب الأنبارى وقد كان عمل كتاباً ذكر فيه مخاريق الحلاج وحِيَله فيه وهو موجود فى أيدى جماعة والحلاّج حينئذٍ مُقيمٌ فى دار السلطان مُوسَّع عليه مأذون لِمن يدخل اليه وهو عند نصر الحاجب . ولِلحلاج اسمان احدهما الحسين بن منصور والآخر محمد بن احمد الفارسى وكان استهوى (١٥٥) نصراً وجاز عليه تمويههُ وانتشر له ذكرٌ عظيم فى الحاشية

فبعث به المقتدر الى على بن عيسى لِيُناظره فأحضر مجلسَه وخاطبه خطاباً فيه غلظة فحُكي أنه تقدّم اليه وقال له فيما بينه وبينه : قف حيث انتهيت ولا تزد عليه شيئا والاّ قلبتُ عليك الارض . وكلاماً فى هذا المعنى فتهيَّب على بن عيسى مناظرته واستعفى منه ونقل حينئذٍ الى حامد بن العباس . وكانت بنت السمَّرىّ صاحب الحلاج قد أدخلت الى الحلاّج وأقامت عنده فى دار السلطان مدة وبعث بها الى حامد ليسئلها عما وقفت عليه من أخباره وشاهدته من أحواله فذكر أبو القاسم زنجى انه حضر دخول هذه المرأة الى حامد بن العباس وانه حضر ذلك المجلس أبو على أحمد بن نصر البازيار (١) من قبل أبى القاسم ابن الحوّارى ليسمع ما تحكيه فسألها حامد عما تعرفه من أمر الحلاج فذكرت ان أباها السمرى حملها اليه وانها لما دخلت اليه وهب لها أشياء كثيرة عدّدت أصنافها. قال أبو القاسم : وهذه المرأة كانت

(١) وترجمته في إرشاد الاريب ٢ : ١٢٢

حسنة العبارة عَذْبة الالفاظ مقبولة الصورة فكان مما أخبرت عنه انه قال لها : قد زوّجتك من سليمان ابنى وهو أعزُّ أولادي عليّ (١٥٦) وهو مقيم بنيسابور وليس يخلو ان يقع بين المرأة والرجل كلامٌ أو تنكر منه حالا من الاحوال وأنت تحصلين عنده وقد وصيته بك فان جرى منه شيء تنكرينه فصومى يومك واصعدى آخر النهار الى السطح وقومى على الرماد والملح الجريش واجعلى فطرك عليهما واستقبلينى بوجهك واذكرى لى منه ما تنكرينه منه فانى أسمع وأرى[1] قالت : وأصبحت يوما وأنا أنزل من السطح الى الدار ومعى ابنته وكان قد نزل هو فلما صرنا على الدرجة بحيث يرانا ونراه قالت لى ابنته : اسجدى له . فقلت لها : أو يسجد أحد لغير الله (قالت) فسمع كلامى لها فقال : نعم اله فى السماء واله فى الارض (قالت) ودعانى اليه وادخل يده فى كمه وأخرجها مملوءة مسكا ودفعه الىّ ثم أعادها ثانية الى كمه وأخرجها مملوءة مسكا ودفعه الىّ وفعل ذلك مرات ثم قال : واجعلى هذا فى طيبك فان المرأة اذا حصلت عند الرجل احتاجت الى الطيب (قالت) ثم دعانى وهو جالسٌ فى بيتٍ على بوارى فقال : ارفعى جانب البارية من ذلك الموضع وخذى مما تحته ما تريدين . واومأ الى زاوية البيت فجئت اليها ورفعت البارية فوجدت تحتها الدنانير مفروشة (١٥٧) ملء البيت فبهرنى ما رأيت من ذلك . فأُقيمت المرأة وحصلت فى دار حامد الى ان قتل الحلاّج

وجدّ حامد فى طلب أصحاب الحلاج وأذكى العيون عليهم وحصل

(١) وزاد الذهبي في تاريخ الاسلام : وكنت نائمة ليلة وهو قريب منى وانتبه عندى فما حسست به الا وقد غشيني فانتبهت فزعة فقلت : مالك ؟ قال : أنما جئت لاوقظك للصلاة

في يده منهم حيدرة والسمرى ومحمد بن على القنائى والمعروف بأبي المغيث الهاشمي واستتر ابن حماد وكبس منزله فأخذت منه دفاتر كثيرة وكذلك من منزل محمد بن على القنائى فكانت مكتوبة في ورق صيني وبعضها مكتوب بماء الذهب مبطنة بالديباج والحرير مجلدة بالادم الجيد . ووجد فى أسماء أصحابه ابن بشر وشاكر [١] فسأل حامد من حصل فى يده من أصحاب الحلاّج عنهما فذكروا انهما داعيان له بخراسان قال أبو القاسم بن زنجي : فكتبنا فى حملهما الى الحضرة أكثر من عشرين كتاباً فلم يرد جوابُ أكثرها وقيل فيما أجيب عنه منها أنهما يطلبان ومتى حصلا حملا ولم يحملا الى هذه الغاية . وكان فى الكتب الموجودة له عجائب من مكاتبات أصحابه النافذين الى النواحى وبوصيته اياهم بما يدعون اليه الناس وبما يأمرهم به من نقلهم من حال الى حال أخرى ومرتبة الى مرتبة حتى يبلغوا الغاية القصوى وان يخاطبوا [١٥٨] كل قوم على حسب عقولهم وافهامهم وعلى قدر استجابتهم وانقيادهم وجوابات لقوم كاتبوه بألفاظ مرموزة لايعرفها الاّ من كتبها ومن كتبت اليه

وحكى أبو القاسم بن زنجي قال : كنتُ أنا وأبي يوماً بين يدى حامد اذ نهض من مجلسه وخرجنا الى دار العامة وجلسنا فى رواقها وحضر هرون ابن عمران الجهبذ بين يدى أبي ولم يزل يحادثه فهو فى ذلك اذ جاء غلام حامد الذى كان موكلاً بالحلاّج واومأ الى هرون بن عمران ان يخرج اليه

(١) قال الصفدى في الوافى بالوفيات : شاكر الصوفى خادم الحلاج ذكره أبو عبد الرحمن السلمى في تاريخ الصوفية ذكرانه من أهل بغداد وانه كان شهماً مثل الحلاج وهو الذي أخرج كلامه للناس وضرب عنقه بباب الطاق بسبب ميله الى الحلاج

فنهض مسرعاً ونحن لا ندري ما السبب فغاب عنا قليلا ثم عاد وهو متغير اللون جدًّا فأنكر أبي ماراى منه فسأله عن خبره فقال : دعاني الغلام الموكل بالحلاّج فخرجت اليه فاعلمني انه دخل اليه ومعه الطبق الذي رسمه ان يقدّم اليه في كلّ يوم فوجده قد ملأ البيت بنفسه فهو من سقفه الى أرضه وجوانبه حتى ليس فيه موضع فهاله ما رأى ورمى بالطبق من يده وعدا مسرعاً وان الغلام ارتعد وانتفض وحمّ فبينما نحن نتعجب من حديثه اذ خرج الينا رسول حامد وأذن في الدخول اليه فدخلنا وجرى حديث الغلام فدعا به وسأله عن خبره فاذا هو محموم وقصّ (١٥٩) عليه قصته فكذّبه وشتمه وقال : فزعتَ من نيرنج الحلاّج (وكلاماً في هذا المعنى) لعنك الله أُعزُب عني . فانصرف الغلام وبقي على حالته من الحمّى مدّة طويلة ثم وجد حامد كتاباً من كتبه فيه : ان الانسان اذا أراد الحجّ فلم يمكنه أفرد في بيته بناء مربعا لا يلحقه شيء من النجاسات ولا يطرّقه أحدٌ فاذا حضرت أيام الحج طاف حوله وقضى من المناسك ما يقضى بمكة ثم يجمع ثلاثين يتيما ويعمل لهم أسرى ما يمكنه من الطعام ويحضرهم ذلك البيت ويقدّم لهم ذلك الطعام ويتولّى خدمتهم بنفسه ثم يغسل أيديهم ويكسو كلّ واحد منهم قميصاً ويدفع الى كلّ واحد سبعة دراهم أو ثلاثة دراهم (الشك من أبي القاسم ابن زنجي) وان ذلك يقوم له مقام الحج (قال) وكان أبي يقرأ هذا الكتاب فلما استوفى هذا الفصل التفت أبو عمر القاضي الى الحلاّج وقال له : من أين لك هذا ؟ قال : من كتاب الاخلاص للحسن البصري . قال له أبو عمر : كذبت يا حلالَ الدم قد سمعنا كتاب الاخلاص للحسن البصري بمكة وليس فيه شيء مما ذكرت . فكلما قال له أبو عمر « يا حلال الدم » قال

له حامد : أكتب ما قلت . فتشاغل أبو عمر بخطاب الحلاّج فلم يدعه حامدٌ يتشاغل [١٦٠] وألحّ عليه الحاحا لم يمكنه معه المخالفة فكتب بإحلال دمه وكتب بعده من حضر المجلس فلما تبين الحلاج الصورة قال : ظهري حمى ودمي حرامٌ وما يحلُّ لكم أن تتأولوا عليَّ بما يبيحهُ اعتقادي الاسلام ومذهبي السنة ولي كتب في الورّاقين موجودة في السنة فالله الله في دمي ولم يزل (يردد) هذا القول والقومُ يكتبون خطوطهم حتى كمّل الكتاب بخطوط من حضر فأنفذه حامد الى المقتدر بالله

فخرج الجواب : اذا كان فتوى القضاة فيه بما عرضتَ فأحضرهُ مجلس الشرطة واضربهُ الف سوط فان لم يمت فتقدّمْ بقطع يديه ورجليه ثم اضرب رقبته وانصبْ رأسه واحرقْ جثتهُ . فأحضر حامد صاحب الشرطة واقرأه التوقيع وتقدّم اليه بتسلم الحلاّج وإمضاء الامر فيه فامتنع من ذلك وذكر انه يتخوّف أن ينتزعَ من يده فوقع الاتفاق على أن يحضر بعدُ العتمة ومعه جماعة من غلمانه وقوم على بغال يجرون مجرَى الساسة ليجعل على بغل منها ويدخل في غمار القوم وأوصاه بأن لا يسمع كلامه وقال له : لو قال لك « اجرى لك دجلة والفرات ذهبا وفضةً » فلا ترفع عنه [١٦١] الضرب حتى تقتله كما أُمرتَ . ففعل محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة ذلك وحمله تلك الليلة على الصورة التي ذُكرت وركب غلمان حامد معه حتى أوصلوه الى الجسر وبات محمد بن عبد الصمد ورجاله حول المجلس

فلما أصبح يوم الثلاثاء لستّ بقين من ذى القعدة أُخرج الحلاج الى رحبة المجلس واجتمع من العامة خلق كثير لا يحصى عددهم . وأمر الجلاد بضربه الف سوط فضرب وما تأوّه ولا استعفى (قال) فلمابلغ ستمائة سوط

قال لحمد بن عبد الصمد : ادعُ بي اليك فان عندي نصيحة تعدل عند الخليفة فتح قسطنطينيه . فقال : قد قيل لى انك ستقول هـذا وما هو أكثر منـه وليس الى رفع الضرب عنك سبيل . فسكت حتى ضرب الف سوط ثم قطعت يده ثم رِجلهُ ثم ضرب عنقه وأحرقت جُثّتهُ ونُصب رأسـه على الجسر ثم حمل رأسـه الى خراسان

وادعى أصحابه ان المضروب كان عدوا للحلاج أُلقي شبهه عليه وادعى بعضهم انه رآه وخاطبه فى هـذا المعنى بجهالات لا يكتب مثلها . وأحضر الوراقون وأحلفوا ان لا يبيعوا شيأ من كتب الحلاج (١٦٣) ولا يشتروها

﴿ ودخلت سنة عشر وثلثمائة ﴾

وفيهـا أطلق يوسف ابن أبي الساج بمسألة مونس المظفر من الحبس وشفاعته ثم حُمِلَ اليه مال وكسوة (١) ثم وصل الى المقتدر بالله وكان ركب فى سواد فقبل البساط ثم يدَ المقتدر وخلع عليه خلع الرضا وحمل على فرس

(١) زاد صاحب التكملة . وحكي انه أنزل فى دار دينار وانه أنفـذ الى مونس المظفر يستدعى منـه انفاذ أبي بكر بن الادمى القارى فتمنع أبو بكر وقال . انى قرأت بين يديه يوم شهر « وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة » ورأيته يبكي فأظنه حقد على ذلك فقال له مونس : لا تخف فانى شريكك في جائزته . فمضى اليه وجلا فلما دخل وقد أفيضت عليه الخلع والناس بحضرته والغلمان وقوف على رأسه قال لهم : هاتوا كرسياً لأبى بكر . فأتوه به قال : اقرأ . واستفتح وقرأ قوله تعـالى . « وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى » . فقال : لا أريد هذا بل أريد أن تقرأ بين يدى ما كنت تقرأه يوم شهرت . فامتنع ثم قرأ حين ألزمه . «وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة» . فبكى ثم قال : هذه الاية كانت سبباً لتوبتى من كل محظور ولو أمكننى ترك خدمة السلطان لتركتها . وأمر له بمال جزيل وطيب كثير . وقال أيضاً . وفي هـذه السنة قلد ابن ملاحظ الحرمين وصرف عنهما نزار بن محمد

بمركب ذهب . ثم جاس المقتدر فى دار العامة بعد أيام وعقد له على أعمال الصلاة والمعاون والخراج والضياع بالرى وقزوين وأبهر وزنجان وآذربيجان وركب معه مونس المظفر ونصر الحاجب وشفيع ومُفلح وجميع من بالحضرة من القوّاد والغلمان وكانت الدار قد شحنت له بالرجال والسلاح واحتشد له . واستكتب يوسف ابن أبى الساج محمد بن خلف النيرمانى وقوطع عن الاعمال التى تقلدها على خمسمائة الف دينار محمولة فى كل سنة على ان عليه القيام بمال الجيش الذى فى هذه الاعمال والنفقات الراتبة . وخلع على وصيف البكتمرى وعلى طاهر ويعقوب ابنى محمد بن عمرو بن الليث

وفيها قلد نازوك الشرطة ببغداد [١] وخلع عليه وعزل عنها محمد بن عبد الصمد وخلع على وصيف البكتمرى خلعة أخرى (١٦٣) وضمّ الى يوسف ابن أبى الساج وشخص يوسف ابن أبى الساج الى عمله على طريق الموصل فلما وصل الى اردبيل وجد غلامه سبك قد مات

وفيها وصل الى بغداد هدية أبى زنبور الحسين بن أحمد المادرائى من مصر وفيها بغلة معها فلوٌ وكان يتبعها ويرتضع منها وغلام طويل اللسان يلحق طرف أرنبته

وفيها قبض على أم موسى القهرمانة وعلى أختها وأخيها

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان السبب فى ذلك ان أمّ موسى زوّجت بنت أخيها أبى بكر أحمد بن العباس من أبى العباس بن محمد بن اسحق بن المتوكل على الله وكان من أولاد الخلفاء النجباء وكانت له نعمة حسنة ظاهرة وكان حسن المروءة واللبسة

(١) راجع صلة عريب ١٠٩ .

والدواب والمراكب وكان صديقا لعلى بن عيسى حتى قيل انه كان يُرشّحه للخلافة . فلما وقعت المصاهرة بينه و بين أم موسى أسرفت فيما نثرت من المال وفيما أنفقت على دعوات دعت فيها الصغير والكبير من أهل المملكة في بضعة عشر يوما . فتمكن أعداؤها من السعى عليها ومكّنوا فى نفس المقتدر بالله ووالدته السيّدة أنها انما صاهرت ابن المتوكل ليزيلوا المقتدر بالله عن (١٦٤) الخلافة و ينصبوا فيها ابن المتوكل فتمّت النكبة عليها وسُلّمت الى ثُمْل القهرمانة مع أختها وأخيها وكانت ثمل موصوفة بالشر لانها كانت قهرمانة أحمد بن عبد العزيز ابن أبى دُلَف وكان أحمد يسلم اليها من يسخط عليه من جواريه وخدمه فاشتهرت بالقسوة والسرف فى العقوبات واستخرجت ثمل منها ومن أختها وأخيها أموالاً عظيمةً وجواهر نفيسة ومن الثياب والكسوة والفرش والطيب مايعظم مقداره حتى نصب على بن عيسى لذلك ديوانا وسماه ديوان المقبوضات عن أم موسى وأسبابها أجرى فيها أمرضياعهم وأملاكهم وقلده أبا شجاع المعروف بابن اخت أبى أيوب أبى الوزير وقلد الزمام عليه أبا عبد الله اليوسُفى الكاتب ويقال انه حصل من جهتهم نحو الف الف دينار . ولما قبض على أم موسى صرف على بن عيسى ابن أبى البغل عن أعماله بفارس وقلدها أبا عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي وصادره ثم لما تقلد ابن الفرات الوزارة الثالثة كتب الى الكرخي بتجديد مصادرة ابن أبى البغل واعتقاله

وفيها توفى محمد بن جرير الطبرى وله نحو تسعين سنة ودُفن ليلاً لان العامّة اجتمعت ومنعت من دفنه نهارا وادعت عليه الرفض (١٦٥) ثم ادعت عليه الالحاد

وفيها دعا المقتدر مونسا المظفر فشرب بين يديه وخلع عليه خلع منادمة وكانت مثقلة بالذهب

﴿ ودخلت سنة احدى عشرة وثلثمائة ﴾

﴿ وفيها صرف حامد بن العباس عن الوزارة وعلى بن عيسى عن الدواوين ﴾

(ذكر صرف حامد وعلى بن عيسى وردّ الوزارة الى ابن الفرات)

كانت لذلك أسباب كثيرة منها ان حامدا شرع فى تضمن على بن عيسى لما فسخ ضمانه لتلك الاعمال والبلدان التى ذكرناها وبذل أن يقوم بالامور ويدبر الاعمال وكان الذى حمله على ذلك ما كان يبلغه من عزم المقتدر بالله على تقليد ابن الفرات لما كثر ضجيج الحاشية من على بن عيسى لتأخيره عنهم ارزاقهم وارزاق الحرم والولد واقتصر بالخدم والحاشية والفرسان على البعض من استحقاقاتهم وحطّ من أرزاق العمال شهرين فى كلّ سنة ومن أرزاق المنفقين وأصحاب الاخبار والبرد والقضاة أربعة أشهر فزادت عداوة الناس له وخشى حامد بن العباس من ابن الفرات لما سلف(١٦٦) منه اليه ولما عامل به ابنه المحسن وسائر كتابه وأسبابه فأمره المقتدر أن يكتب رقعة بخطه بما يضمنه ويبذله وبتسمية من يقلده الدواوين ففعل حامد ذلك وعرض المقتدر بالله رقعته على ابن الفرات وهو فى حبسه وشرح له أمرهُ

فقال ابن الفرات : لو اجتمع مع حامد بن العباس الحسن بن مخلد واحمد بن اسرائيل (١) وسائر مَن شهر بالكفاية لما كان موضعاً لتدبير المملكة ولا لضبط أعمال الدواوين وانه ان قُلد ذلك انخرقت الهيبة وزالت الحشمة وان على بن عيسى على تصرُّف أحواله أقوم منه وأعرف بالاعمال والتدبير .

(١) راجع فيه كتاب الوزراء : ١٩٢ — ١٩١

ثم أنه قال : أنا أتضمّنُ خمسة أضعاف ماضمنَهُ حامدٌ ان أعاده ومكّنه مما يُريد فوعده المقتدر بذلك

وكان حامد مقيماً ببغداد لا يدخُل نفسه في شيء من الامور ولا يزيد على أن يحضر فى أيام المواكب وينصرف وضجر حامد من مقامه ببغداد لقبح حاله فى الذلّ ولانه افتضح بما كان يُعامِلهُ به علي بن عيسي فى توقيعاته وذلك أنه كان يوقّع الى كُتّاب الوزير حامد والى كتّاب الدواوين اذا ذكرهُ بما لا صبر له عليه وكان يُوقع « ليُطالب جهبذ الوزير أسعده الله بحمل وظيفة واسط وليكتب الى الوزير اسعده الله بان يُبادر بحمل شعير الكُراع » (١٦٧) واذا تظلّم اليه مُتظلم من أعمال حامد وعُمّالِه وقّع على ظهر رقعتِه « هذامماينظُر فيه الوزير أسعده الله » وذكر علي بن عيسى انه يحتج فى ذلك برسم قديم كان لِلوزراء فاستأذن حامد المقتدر فى الخروج الى واسط والمقام بها لِينظر فى أمور ضمانه بنواحيها فأذن له وخرج

ومنها ما جرى من أم موسى وما ذكرناه من خبرها وما تحدث به الناس من أمر ابن المتوكل وان ابن الحوارى دبّر ذلك لميل أم موسى اليه وكشفها له أسرار الخلافة

وكان بعض أسباب ابن الفرات طرح رُقعة فى دار المقتدر فيها بيت شعر

يُهنيك يُهنِيك هذا * ياديك دار الخليفة

ولم يذكر فى الرقعة غير هذا البيت وهى أبيات فاحشة ليس فيها أصلح من هذا البيت وتعمَّدا ان جُعلت الرقعة فى ممَرّ الخليفة الي دار حرمة له فقرأ المقتدر الرقعة وقبحت عنده صورة ابن الحواري جدًّا واعتقد فيه ذلك اليوم استحلال دمه وسفكه ونكبة أم موسي ويظن ان هذا البيت كان

من أوكد أسباب نكبتها ونكبته

ومنها ان مفلح الاسود كان شديد التحقق بالمقتدر مثاراً على خدمته ثم عظم أمره حتى (١٦٨) أقطع الاقطاعات وملك الضياع الجليلة ووقعت بينه وبين [حامد] مماحكة وذكر مفلح حامداً بالقبيح وقال حامد : لقد هممت أن اشترى مائة خادم اسود وأسمى كل واحد منهم مفلحا واهبهم لغلمانى . فحقد مفلح ذلك عليه ووقف على ذلك المحسّنُ وعلى ما يشبه ذلك فوجّه الى كاتب مفلح واجتمع معه وضمن له الاعمال والاموال والولايات حتى عقد حالاً بينه وبين مفلح

وكتب المحسن رقعة الى المقتدر بالله على يد مفلح (١) يذكر فيها انه ان سُلم مِنه حامد وعلى بن عيسى ونصر الحاجب وشفيع اللؤلؤى وابن الحوارى وأم موسى وأخوها والمادرائيون استخرج منهم سبعة آلاف الف دينار وكان أبو الحسن ابن الفرات لا يقصّر وهو فى الحبس فى التضريب على هؤلاء وإطماع المقتدر فيهم

وكان من طريف ما عملَهُ وعجيبه (٢) أن راسل المقتدر يوماً على يدى زيدان القهرمانة يلتمس منه قيمة اثنى عشر ألف دينار أو هذا المقدار دنانير بعينها لشئ من أمره فتذمم المقتدر مما أخذه من أمواله أن يمنعه فحملها اليه ثم سأله أن يدخل اليه اذا اجتاز بموضعه ليُلقى اليه شيأ لا تحتمله المكاتبة ولا المراسلة وكان المقتدر كثيراً (١٦٩) ما يدخل اليه ويُشاوره فدخل اليه فلما رآه ابن الفرات قام وأخذ الكيس التى فيه الدنانير ففتحهُ وفرّغهُ بين يديه وقال له : يا أمير المؤمنين قد عرّفتُك أن أموالك تنتهب وتضيّع وتقضى بها

(١) راجع كتاب الوزراء ٢٤٣ (٢) وزراء ٨٤

الدمامات ماتقول فى رجل واحد يرتزق فى كل شهر من شهور الاهلة هذا المقدار من مالك وهو اثني عشر ألف دينار ؟ فاستعظم المقتدر ذلك واستهوله وقال : ويحك من هذا الرجل ؟ قال له : على بن محمد بن الحوارى وهذا سوى مايصل اليه من مال المنافع لمكانه منك وموضعه من الاختصاص بك وسوى ارتفاع ضياعه وسوى المرافق التى تصل اليه من الاعمال التى يتولاها وسوى وسوى ورد الدنانير الى المقتدر بالله وقال : انما أردتُ أن تُشاهد ما يُصنَع بك وتراه بعينك فليس الخبر كالمُعاينة . فقام المقتدر بالله وقد عظم عنده أمر ما يجرى واعتقد لابن الحوارى غاية المكروه . فلما اجتمعت هذه الاسباب قوى عزم المقتدر على ردّ الوزارة الى ابن الفرات فلما كان يوم الخميس لتسع بقين من شهر ربيع الآخر وقد انحدر على بن عيسى الى دار السلطان قُبض عليه وحُبس عند زيدان القهرمانة فى الحجرة التى كان فيها ابن الفرات فأخرج منها (١٧٠) ابن الفرات ليقلد الوزراة

قال أبو محمد على بن هشام . كنت حاضراً مع أبى مجلس أبى الحسن ابن الفرات فسمعتُه يتحدّث فى وزارته الثانية قال : (١) دخل الىّ أبو الهيثم العباس بن محمد بن ثوابة الانبارى فى محبسى من دار المقتدر بالله فطالبنى أن أكتُب خطى بثلاثة عشر ألف ألف دينار فقلت : ماجرى قدر هذا على يدى للسلطان فى طول ولايتى فكيف أصادر على مثله فقال : (٢) انى أحلفتُ

(١) وزراء : ١٠٥ — ١٠٣

(٢) فليراجع هذه الحكاية كما وردت فى كتاب العيون : قال العباس بن محمد (يعني أبا الهيثم ابن ثوابة : فدخلت الى ابن الفرات فوثب عن مجلسه وأقبل يزحف فناظرته على الاموال فالطّ فامرت بتقييده فقال : من عجائب ماراْينا أن تقيدنى فعرفته ما أعرف من أولية أهله وان أخاه لما تزوج الينا عجب الناس فقال لى : أنت تطالبنى بثار ابن

بالطلاق أن تكتب خطك بذلك. فكتبتُ بثلاثة عشر ألف ألف من غير أن اذكر ماهي أو ضماناً فيها فقال: فاكتب ديناراً لتبرئني من يميني. فلما

عبدون. فقلت: ياجاهل تريد أن تعرفهم ان بيني وبين ابن عبدون قرابة؟ ثم أمرت بعرك أذنيه بحضرتهم فالتفت الي وقال: اقرؤا على الوزير السلام وقولوا له «هذه سنة ردية على الوزراء من قيد حتى أقيد أنا؟ فقلت: صاحبك الذي نوه باسمك واسم أخيك اسماعيل ابن بلبل. فامسك ثم خرجت من عنده (قال) ثم دخلت بعد ذلك فرأيت على المصلى آثار رشاش المداد فقلت: أراك تدخل اليك دواة اذا خرجت من عندك. فقال: من أين وعلي بضعة عشر رجلا؟ فامرت بأخذ المصلى والحصر والمزملة وأخليت الحجرة وضيقت عليه فسمعته يقول «اليوم حبست اللهم اقبضني اليك» فدخلت عليه وقد أحدث في مكانه وقد أشرف على أمر عظيم من ثقل الحديد فأمرت بتحديده ففك ورأيت القذر قد غلب روائحه في البيت فقلت: ليس هذا يوم مناظرة أروحه أياماً ثم أعود. فخرجت الى رسالة (بعزم على) العود غداً فعدت من الغد فأخذت خطه بثلاثة آلاف الف دينار فلما كان بعد ثلاثة أيام دخلت عليه وقد أحضرت جبة من صوف وغلا برمانة وشيئا يمنع المغلول أن يرد رأسه الى خلف وغلا بغير رمانة فأمرت من ألبسه الجبتين واحدة فوق الاخرى وغله فاشفقت من الغل الذى بالرمانة أن يتلفه فقلت: ان تلف تلف بيت مال الخاصة. فنزعت احدى الجبتين فقال: ياأبا هيثم من ألبس من الوزراء جبة صوف؟ فقلت: صاحبك اسماعيل بن بلبل. وأردت أن أذكر له دهن الا كارع وكيف فعل بابي الصقر فقال: لاتذكر شيئا. وقدم الى السندان وقام نسيم وأخذ يلابسه فقال له: يانسيم ليس يومي منك بواحد. فقلت لنسيم: وما يومه منك؟ قال: أنا أزلت عزه أخذت السيف والمنطقة من وسطه ونزعت أقبيته في اليوم الذى قبض عليه فيه وأنا أجره الى السندان. فجره اليها وهو يصيح. اقتلوني ياأم موسى اقتلوني هذا جزائي منك وحق خدمتي لكم؟ فقالت له. يا فاجر قد صح عندنا انك أردت إخراج هذا الامر من ولد العباس الى ولد أبي طالب. فوضع رأسه على السندان وهو يصيح: اقتلوني ما رأيت مثل هذا قط. وجعل يبكي ويقول: واصبياناه. فقلت: ياأبا الحسن جزعات الاماء وفريسات الاسد ما هكذا يجب ان تكون. وانصرفت

وأما أبوالهيثم ابن ثوابة وسوء عمله فليراجع ارشادالاريب ١ : ٢٩٨ ومات بالكوفة في الحبس سنة ٣٠٣ : صلة عريب ص ٥٩

كتبت ديناراً ضربت عليه وأكلتُ الرقعة وقلتُ : قد برئت عن عذابي ولا سبيل لك الى غير هـذا . فاجتهد جهده فلم أجبهُ الى شئ فلما كان من الغد دخل الى الحبس ومعه ام موسى فطالب بذلك وأسرف في سبي وشتمي ورماني بالزنا فحلفت بالطلاق والعتاق والأيمان المغلظة أني ما دخلت في شئ من محظور هذا الجنس منذ نيف وثلاثين سنة وسمته أن يحلف بمثل ذلك أن غلامه القائم على رأسه لم يأته في ليلته تلك فانكرت أم موسى هـذه الحال وغطت وجهها حياء منه فقال لها ابن ثوابة : هذا انما تبطره الاموال التي وراءه ومثله في ذلك (١٧١) مثل المزين مع كسرى والحجام مع الحجاج بن يوسف (١) فاستأمري السادة في إزال المكروه به حتى يذعن بأموال (قال أبو الحسن يعني بالسادة المقتدر ووالدته وخالته وخاطف ودستنبويه أم ولد المعتضد (٢) لانهم اذ ذاك يدبّرون الأمر معاً لحداثة المقتدر) قال ابن الفرات : فمضت أم موسى ثم عادت فقالت لابن ثوابة : يقولون لك قد صدقت ويدك مطلقة فيه . وكنت في حجرة ضيقة وحرّ شديد فأمر بكشف البواري حتى صرتُ في الشمس ونحّى الحصير من تحتي واغلقت أبواب البيوت حتى حصلت في الشمس ثم قيّدني بقيد ثقيل والبسني جُبّة صوف قد نُقعت في ماء الا كارع وغلّني بغل واقفل باب الحجرة وانصرف فاشرفت على التلف

فلما مضت نحو أربع ساعات اذا صوت غلمان مُجتازين في الممرّ الذي فيه الحجرة التي انا فيها محبوس فقال لي الخدم الموكلون : هذا بدر الخادم الحُرمي وهو لك صنيعة . فاستغثت به فصحتُ : يا أبا الخير الله الله فيّ

(١) ليراجع كتاب الوزراء ١٠٦　(٢) وفي الاصل : المقتدر

لك مكان من السادة ولى عليك حقوق وقد ترى حالى والموت أسهل علىّ مما أنا فيه نخاطب السادة [1] و ذكّرهم حرمتى وخدمتى فى تثبيت دولتهم اذ خذلهم الناس وافتتاحى [172] البلدان المنغلقة وإثارتى الاموال المنكسرة فان كان ذنبى يوجب القتل فالموت أروح فرجع اليهم نخاطبهم ورقّقهم ولم يبرح حتى حلّ الحديد كلّه عنّى ثم أذنوا فى إدخالى الحمّام وأخذ شعرى وتغيير لباسى وتسليمى الى زيدان وترفيهى فجاءنى مُبشّرا بذلك فلم يبرح حتى فعل جميع ذلك وقال : يقولون لك لن ترى بعدها بؤساً

﴿ ذكر الخبر عن وزارة أبى الحسن ابن الفرات الثالثة ﴾

وتقلّد أبو الحسن على بن محمد بن الفرات الوزارة الثالثة فى ذلك اليوم وخُلع عليه واستدعى المقتدر بالله المحسّنَ ابنَهُ من منزله بسوق العطش فخلع عليه مع أبيه ولم يوصل المقتدر بالله اليه فى ذلك اليوم أبا القاسم ابن الحوارى وظهر أولاد ابن الفرات وأسبابُهُ واستتر بعض أسباب حامد وقبض المحسّن فى طريقه على جماعة من أسباب حامد

وكان أبو على ابن مقلة يتقلّد لعلى بن عيسى زمام السواد طول أيام وزارة حامد فلما تقلّد ابن الفرات هذه الوزارة تجلّد ولم يستتر وصار اليه وظهر من إعراض ابن الفرات عنه ما غضّ منه ولم يقبض عليه للمودّة التى بينه وبين [173] ابن الحوارى فلما قُبض بعد ذلك على ابن الحوارى قبض عليه.

وانتقل ابن الفرات الى داره الاولى التى بالمخرّم وركب اليه ابن الحوارى لهنئه فأطال عنده وآنسه ابن الفرات وشاوره وخلا به فتحقق به وأظهر السرور بولايته مما يُبطنهُ من الخوف الشديد منه وكان أسباب أبى القاسم

(١) وفى الاصل : السيدة

ابن الحوارى قد أشاروا عليه بالاستتار وقالوا له : ان المقتدر بالله لم يأذن لك عند تقليده ابن الفرات مع علمه بالعداوة بينكما الاّ لسوء رأيه فيك . فقال ابن الحوارى : لو كان كذلك لقبض علىّ قبل تقليد ابن الفرات . فلما كان يوم الاثنين ركب ابن الفرات [1] وركب ابن الحوارى الى دار السلطان فأذن لابن الفرات ولم يؤذن لابن الحوارى فاستوحش ابن الحوارى . ثم صرف الامر الى ابن الفرات وقد كان شرط على ابن الفرات ان يجريه على رسمه في وزارته الثانية فانه لم يكن يصلُ مع ابن الحوارى ظاهراً وانما كان يصلُ سرّاً فلما خرج ابن الفرات من عند المقتدر بالله وانفرد دخل اليه ابن الحوارى فأقبل عليه وشاورَهُ في جميع أموره وقال : قد غبت عن مجارى الامور منذ خمس سنين وأنتَ عارفٌ بها وأريد ان تعاضدنى وتستعمل ما يلزمك بحقّ المودّة . فتلقى ابن الحوارى (١٧٥) قوله بالشكر و إظهار المناصحة وانشأ ابن الفرات معه حديثاً طويلاً ونهض قبل ان يستتمّه ونزل الى طيّاره وأنزل معه ابن الحوارى وأحمد بن نصر البازيار ابن أخيه [2] ومحمد بن عيسى صهرهُ وعلى بن مأمون الاسكافى كاتبه وعلى بن خلف النيرمانى وكان أخوه محمد بن خلف مصاهراً له وأظهر لجماعتهم الإكرام والاختصاص وما زال يضاحكهم الى ان حصل في داره ثم أسرّ الى العباس الفرغانى حاجبه بأن يقبض على ابن الحوارى وجميع أسبابه فقبض عليهم واعتقلهم في حجرة الدار واستحضر ابن الفرات في الوقت شفيعاً اللؤلؤى فأنفذهُ الى دار ابن الحواري ليحفظها من النهب وضمّ اليه جماعة من الفرسان والرجالة

(١) وزراء ٣٩ (٢) وفي ارشاد الاريب (٢: ١٢٤) في ترجمته : ابن أخت أبي القاسم ابن الحواري .

وأمر بمعاملته بالجميل فى مطعمه ومشربه وأفردت له دارٌ واسعة وفُرِّشت بفرش نظيف وأفرده عن كُتّابه ومن يأنس به . وراسلهُ ابن الفرات فى المصادرة وتوسّط ابن قرابة بينهُما وكان ابن قرابة مُتحققاً بابن الفرات وشديد الانس بابن الحوارى فتقرّرت مصادرتهُ بعد خطاب كثير على سبعمائة ألف دينار فى نفسه دون كُتّابه وأسبابه واشترط إطلاق أحمد بن نصر البازيار لينصرف فى اداء مال التعجيل (١٧٥) وهو مائتان وخمسون ألف دينار فأطلق وأزيل التوكيل عن دار ابن الحوارى وأسبابه وسلّم جميعها الى أحمد بن نصر

وأمر ابن الفرات بكبس مواضع فيها أسباب حامد وكُتّابه فأثارهم وكان المحسّن يُسرف فى المكروه الذى يوقعه بمن يحصل فى يده منهم حتى انه أحضر ابن حماد الموصلى وأخذ خطّهُ بمائتى ألف دينار وسلّمهُ الى مستخرجه فصفعه المستخرج صفعاً عظيماً فلم يرض المحسّن ذلك وأخرجهُ الى حضرته وصفعه على رأسه حتى خرج الدم من أنفه وفمه ومات . ولم ينكره المقتدرَ وقد كان أشفق المحسّن من إنكاره وخافهُ خوفاً شديداً فلمّا كان بعد أيام أنفذ المقتدر الى المحسّن خلع منادمته وأجرى عليه من الرزق كلّ شهر الفى دينار زيادة على رزق الدواوين فضرى المحسّن على مكاره الناس وأسرف المقتدرُ فى استصابة أفعاله الى ان بلغ الامرُ فيه الى ان غنّى الجوارى بحضرته « أحسن المحسّن أحسن »

وكان استتر أبو الحسين محمد بن أحمد بن بسطام صهر حامد بن العباس فاستخرجه واستخرج منه ستين ألف دينار وأخذ خطّهُ بمائتى ألف دينار بعد مكروه غليظ وغضبه على خادم يعرف بعرج كان مشهوراً بالميل (١٧٦) اليه

وقبض على جماعة فأخذ خدمهم وغلمانهم الرُوقة وأوقع بهم المكاره

﴿ ذكر الخبر عن قبض الوزير ابن الفرات على حامد بن العباس ﴾

كان المقتدر قد شرط على ابن الفرات ان لا ينكب حامداً وان يناظره على ما يجب عليه من فضل الضمان فاذا وجب عليه شيء بقول الكُتاب والقضاة أخذ بعضه وقال : قد خدمني ولم يأخذ منى الا رزق سنة واحدة وشرط عليّ أن لا أسلّمه لمكروه ولا أدعُ عليه حقا . فاضطرّ ابن الفرات الى اقراره على أعمال واسط وخاطبه بأجلّ دعاء [1] ثم عمل له الاعمال واستقصى عليه الحجّة وخرّج عليه أموالا عظيمةً وكاتب أصحابه بمطالبته والالحاح عليه فان تقاعد بها وُكّلَ به من يطالبه بالمال الواجب عليه للمصالح والبذور اذ كان مما لا سبيل الى تأخيره « فان أمير المؤمنين ليس يأذن فى تضمينه مستأنفاً » فأظهر صاحب الوزير ابن الفرات هذا الكتاب فى مجلسه وبلغ حامداً الخبر فى الوقت فأظهر بواسط ان كتاب المقتدر ورد عليه يأمر فيه بالمسير الى بغداد وخرج من واسط مع جميع كُتابه وحاشيته ورجالته وحمل معه من الفرش والآلات والكسوة جميع ما كان يخدم به بعد ان احتاط (١٧٧) فى أمواله وأمتعته الفاخرة وأودعها عند ثقاته بواسط وضرب عند خروجه بالبوقات وأجلس غلمانه وحاشيته بأسرهم فى الزواريق والسُميريّات . وبادر بخبره على أيدى الفيوج وعلى أجنحة الطير الى ابن الفرات

(١) وزاد فيه صاحب التكملة : فاصغي ابن الفرات على اقرار حامد على واسط وكان يتأول عليه تأولا ديوانيا وكان حامد يطالب بما حسبه من النفقة على البثوق فى أيام الخاقانى وهى مائتان وخمسون ألف دينار فكانت تتأخر المطالبة جديدة الضمان ولانه شرط أن يحسب ذلك من ماله لامن مال السلطان

وقاد دوابّه ودوابّ حاشيته وأصحابه على الشطّ فوصل خبرُهُ الى ابن الفرات فاستشار ابنَهُ المحسن ومن يختصه فيما يعمل به فأشاروا عليه بأن يبادر الى المقتدر ويقرأه كتاب حامد ففعل ذلك وقال المقتدر : ماوقفت على ما عمله حامدٌ ولا كتبت بشيء مما ادّعاه عليّ . فقال ابن الفرات : فان كان كذلك فالصواب ان ينفذ نازوك في جمع من الغلمان الحجريّة والفرسان والرجّالة بعضهم في الماء وبعضهم في الظهر حتى يقبض على حامد وأسبابه . فأذن له في ذلك فانصرف ابن الفرات الى داره وأنفذ نازوك وتقدم اليه بالمبادرة حتى قبض على حامد وعلى أسبابه حتي لا يفوته أحدٌ منهم . فسار نازوك واخطأ بأن قبض على أوّل من لقيه من اسباب حامد وعلى دوابّه وغلمانه وبلغ حامداً خبره فاستتر من الطريق ونهب أسباب نازوك بعض ما كان مع القوم(١٧٨) من الامتعة واستظهر نازوك على الكتب والحسبانات والاعمال وصار بالجميع الى الحضرة

فأمر المقتدر بتسليم جميع الكتب والاعمال الى ابن الفرات وفرّق الامتعة في خزائنه والدوابّ في اصطبلاته ووجد ابن الفرات في الكُتُب المحمولة اليه عجائبَ من كتُب مَن تقرّب اليهم فقبض عليهم وكان حين ورد كتاب حامدٍ بالمسير من واسط استظهر بالتوكيل بجهبذه ابرهيم الذى كان بالحضرة فلما تمّ قبضُ نازوك على أسباب حامد أمر ابن الفرات هشاماً بالرفق بهذا الجهبذ مرّةً وبالغلظة اخرى ويسئل عن ودائع حامد ففعل هشام به ذلك فاقرّ عفواً أن لحامد عنده مائة ألف دينار عينا ثم حلف على أنه ليس عنده لحامد ولا لاحدٍ من أسبابه وديعة غيرها فآمنه ابن الفرات على نفسهِ وان لا يسلمهُ الى المحسِّن ولم يُطلع ابن الفرات المقتدر بالله على

خبر هذه المائة الالف الا بعد أن تَسلَّم حامداً

وانتشر الخبر فى رجب أن حامداً إنّما استتر لأن المقتدر كتب اليه يُنكِر خروجَهُ من واسط على تلك الحال التى خرج عليها ويأمره أن يستتر ويوافى بغداد حتى يتوثّق منه ويأخذ خطَّهُ بما بذل أن يضمن (١٧٩) به ابن الفرات والمحسّن وكُتابهما واسبابهما ليسلّم الجماعة اليه فاستتر المحسّن والفضل والحسين والحسن أولاد أبى الحسن ابن الفرات وحُرمهم واكثر الكُتاب ولم يبق في دار ابن الفرات من كُتّابه الذين يحضرون مجلسه الا أبو القاسم بن زنجى وحده . وكانت مدة سعادة حامد قد انقضت[1] فصار الى دار السلطان في زىّ الرُهبان ومعه مونس خادمه وصعد الى دار الحجبة التى فيها نصر الحاجب فاستأذن له فارس بن زُنداق على نصر وقال : حامد ابن العباس قد حضر الباب وهو يستأذن على الاستاذ. فقال : قُل له يدخُل . فلما دخل قال له قبل أن يجلس : الى أين جئتَ ؟ قال : جئتُ بكتابك . فقال له فالى هاهُنا كتبتُ اليك أن تجىء ؟ ولم يقُم له واعتذر اليه أنه تحت سخط الخليفة . ووجّه نصر الى مُفلِح يسئله الخروج اليه وكان مُفلح يتولى الاستئذان على المقتدر اذا كان عند حُرمه فخرج مفلح وكلّمهُ نصر فى أمر حامد وقال له : هو فى هذا الوقت فى حال رحمةٍ ومثلك من استعمل معه الجميلَ ولم يؤاخذه بما كان منه فى تلك الامور . ثم قال حامد لمفلح : تقول لمولانا أمير المؤمنين (١٨٠) عنّى بأنى أرضى أن أكون معتقلاً فى دار أمير المؤمنين كما اعتقل فيها على بن عيسى ويُناظرنى الوزير والمحسّن والكُتّاب بحضرة الفقهاء والقضاة ووجود القوّاد فان وجب علىّ مالٌ خرجتُ منه بعد أن أكون

(١) وزراء ٣٦

مالكاً لاستيفاء حُجتي ومحروساً فى نفسي ولم يمكّن المحسّن من دمى فيجازيني على المكاره التى كنتُ أوقعُها به فى طاعة مولانا أمير المؤمنين وهو شابٌّ وأنا شيخٌ قد بلغتُ هذه السنّ العالية واليسير من المكروه يتلفني . فوعدَهُ مفلح بذلك ودخل على المقتدر بالله نخاطبَه فى أمرِه بضدّ ما وعدَهُ به فتكلمت السيّدة فى امر حامد وقالت : لا يضرّ أن يُعتقَل فى الدار ويُناظر حتى تُحرس نفسهُ . فقال مفلح : ان فُعل هذا لم يتمّ لابن الفرات عملٌ لأن الاراجيف قد كثرت به وخربت الدنيا وبطلت الأموال فقال المقتدر لمفلح : صدقتَ . وأمَرهُ أن يخرج الى نصر فيأمره ان يُنفذ حامداً الى ابن الفرات فخرج مفلح الى نصر بذلك فأخذ نصر يطيّب نفس حامد بأن يقول : لا بدّ من أن تصير الى حضرة الوزير مع ثقةٍ لى ثم أردُّك الى دار أمير المؤمنين . فالتمس حامد من نصر ثياباً يغيّر بها ما عليه من زيّ الرُهبان فامتنع مفلح من الأذن له فى ذلك وقال : قد أمرنى مولاى أن أوجّه به (١٨١) فى الزي الذى حضر فيه . فما زال نصر يشفع له حتى أذن له فى تغيير زيه وانفذهُ مع ابن زُنداق الحاجب وبادر مفلح بانفاذ كاتبه الى ابن الفرات يُبشره بحصول حامد وما أمر به المقتدر من تسليمه اليه وكان ابن الفرات على قلقٍ وانزعاج لما وقف على حصول حامد فى دار السلطان واستتر كتابُه وأولاده كلهم فلما جاءته رسالة مفلح سكن بعض السكون وصلى الظهر وجلس وليس بين يديه غير ابن زنجى وهو ينظر فى العمل نظراً خفيفاً الى أن ذكر بعض الغلمان أن طيّاراً من طيارات الخدمة قد أقبل ثم قدّم عند درجة داره وبادر البوّابون بخبره ودخل ابن الزنداق ومعه حامد بن العباس فلما رآه ابن الفرات قال له : لِمَ تركتَ عملك وجئتَ ؟ قال : بكتابك جئتُ . قال : فلِمَ لم

تقصد داري ان كنت جئت بكتابي ؟ قال : حرمت التوفيق .[1] ولم يزل يُخاطبه « بالكاف » من غير ذكر الوزارة . وأخرج ابن الرُنداق رُقعة نصر الحاجب الى الوزير بانفاذ حامد اليه فألقاها الى ابن زنجي وقال : اكتبْ بوصوله . فكتب وسلّم الجواب الى ابن رُنداق فنهض من المجلس

فلما انصرف ضعفت نفس حامد وأقبل يُخاطِبُ ابن الفرات بالوزارة ولان كلامه وبان فيه (١٨٢) الخضوع . وأمر ابن الفرات يحيي بن عبد الله قهرمان داره بان يفرد لحامد داراً واسعة في داره ويفرُشها فرشاً حسناً ويتفقّدهُ في طعامه وشرابه وطيبه حتى يُخدَم بمثل ما كان يخدَم به وهو وزيرٌ وان يقطع له كسوةً فاخرةً ويجعل معه لخدمته اذا كان خاليا خادمين أسودين أعجميّين وأمَرَه أن يؤنسه عند الأكل وأن يخدمه في تلك الحال من الخدم والفرّاشين من يوثق به ففعل يحيي ذلك

﴿ ذكر ما عومل به حامدٌ وما عمله هو ﴾

دخل الى حامد وقت العصر من ذلك اليوم عبد الله بن فرجويه واحمد بن الحجاج بن مخلد صهر موسى بن خلف وقد كان حامد استعمل معهما في أيام وزارته من المكاره ما لم يسمع بمثله قط فوبّخاهُ على مافعل بهما فجحد أن يكون رآهما او وقع بصره عليهما فلما أكثرا عليه قال لهما : قد أكثرتُما عليَّ وأنا أجل القول لكما ان كان ما استعملتُه من الاحوال التي تصفانَ وما عاملتُ الناس به قد أثمرَ لي خيرا فاستعملا مثلَه وزيدا عليه وان كان قبيحا وهو الذي أصارني الى أن تمكنتم مني فتجنّبوه فان السعيد من وُعظ بغيره . (١٨٣) فذهبا وأعادا ذلك على ابن الفرات فاسترجع حامدا

(١) وفيا زاد على هذا راجع وزراء ٣٧

وقال : ماأدفعُ رُجلته ولا أنكر دُربتَه ولكنّه رجل من أهل النار يقدم على الدماء ومكاره الناس .

قال ثابت فى كتابه فى التاريخ : ومن أعجب العجب أن يقول أبو الحسن ابن الفرات هذا القول ويُصدّق قول حامد ويستجيدهُ ويقول انه بافعالهِ القبيحة من أهل النار وهو لايُنكِر مع كرم طبعهِ وجلالة قدره وسلامة أخلاقهِ وإيثاره الاحسانَ الى كلّ أحدٍ على المحسّن ابنهِ طرائقهُ المنكرة وأفعاله العظيمة التى أنكرها على حامد بن العباس[1] وقد زاد عليها للواحد واحداً ولا ينهاه ولا يَعظهُ عالحق حامداً فيرجع « ويكون السعيد الذى وُعظ بغيره » فان مَنْ يُقدم على الله تعالى على بصيرةٍ وبعدَ التنبيه والتذكير خلاف من يقدِم وهو مغترٌ غافلٌ

ثم راسل ابن الفرات حامدَ بن العباس فى الاقرار عاله عائتى ألف دينار منها المائة التى كانت له عند ابراهيم جهبذهِ لانه قد كان وقف على حصول هذا المال من جهة الجهبذ فى يد ابن الفرات وأخذ المحسن شيئا آخر من جهة مونس خادمه الى حضرة المقتدر بالله وكتب اليه انه أخذ ذلك عفواً بغير مناظرة ولا مكروه[١٨٤] واطمع المقتدر من جهة حامد فى أموالٍ كثيرة واستخرج من مونس بعد ذلك بعد مكروه كثير أربعين ألف دينار وصُودر جماعة من حاشيته باموال أخرَى . واستحضر ابن الفرات حامد بن العباس بحضرة الفقهاء والقضاة والكُتّاب[٢] وناظرهُ مناظرةً

---

(١) راجع وزراء ١٠٥

(٢) زاد فيه صاحب التكملة : فيهم النعمان بن عبد الله وكان قد تاب من عمل السلطان فحضر بطيلسان وناظره ابن الفرات مناظرة طالت كان محمد ابن الفرات أن قال له : الضمان

طالت واستوفى حامد حجّتهُ الى أن أخرج ابن الفرات عملا وجده فى صناديق غريب غلام حامد وكان هذا الغلام يتولى لحامد بيع غلاّته فى الفُرضة . فواقف حامدا عليه وأحضر غريبا فاعترف بذلك العمل وكان حمله سهوا منه لان حامدا كان فى كل سنة يجمع جميع حسباناته ويغرّقها فى دجلة فلما جرى المقدار على حامد بما جرى أنسى أن يطلب من هذا الغلام هذا العمل وكان فى جملة الظهور فكان ماثبت فى ذلك العمل من أثمان الغلاّت لسنة واحدة خمسمائة ألف دينار ونيفا واربعين الف دينار سوى شعير الكُرّاع المحمول الى الحضرة فبان ان فى الضمان من الفضل أكثر من الضعف وظهر ايضا ان اسعار تلك السنة الثانية فى العمل اسعار ناقصة وان اسعار السنين التى بعدها بأسرها ازيَدُ واتّجهتْ حُجّة ابن الفرات على حامد

الذي ضمنتة من الخاقاني سنة ٢٩٩ لا يمضيه الفقهاء والكتاب لانه ضمان مجهول وضمنت أثمان غلات لم تزرع . فقال له حامد : فقدعملت بى كذلك حين ضمنتنى أعمال الصدقات والضياع بالبصرة وكور دجلة . فقال ابن الفرات : الغلة بالبصرة يسيرة وأنما ضمنت الثمرة . فقال حامد : فمن أحل بيع الثمرة قبل إدراكها وحضرها فى الزرع . فقال الحسن لحامد : هذا الكلوذاني كاتبك وكتابه يشهدون عليك بما اقتطعته . فقال : هؤلاء كتاب الوزير الآن (بياض فى الاصل) هواه ولزمت ابن الفرات حجة حتى قال له حامد: لم أمضيت ضماني في وزارتك الثانية ؟ فقال ابن الفرات : لهذا نقلني أمير المؤمنين الى حبسه . وذكر حامد حججا كانت في يده فقال ابن الفرات : أنا فتشت صناديقك فلم أجد فيها ما ذكرت وأنا المقدم باحضارها وبتفتيشها . فقال حامد : أفتشها بعد أن فتشها الوزير وقبضها نازوك وفتح أقفالها ! فخجل ابن الفرات وتعجب الناس من استيفاء حامد الحجة . وزادفيه أيضاً صاحب التكملة : وصودر محمد بن عبدالله النصراني حاجبه والحسن بن على الحصيب كاتبه على ثمانين ألف دينار واستعمل الحصيب مع حامد من المكاشفة مالم يستعمله كاتب مع صاحب فردّ ابن الفرات عليه ما صادره به

واخذ ابن الفرات خطوط القضاة والـكتّاب وشفيع اللولوى بما ظهر من الحجّة على حامد

وكان (١٨٥) ابن الفرات يرفق فى المناظرة ولا يُسـمهُ ولا يخرق به ولا يزيد على إيجاب الحجّة عليه ويدعهُ حتى يستوفى منه لنفسه الحجة وكان المحسّن ابنه يشتمه بحضرة الناس اقبح شتم ويقول : ليس يخرج المال منك الامثل المكاره التى كنتَ تُجريها على الناس . ويقول : انى اعطى خطى ان سلم مني ان استخرج منه الفي الف دينـار معجلة ويبذل دمه ان لم يف بذلك . . .ويستكفه ابوه وينهاه عن الشتم فلا ينتهي

فقال حامد . أيها الوزير قد أكثر من شتمى واحتملتهُ وليس الاحتمال له وانما أكرم مجلس الوزير وليس بعد الحال التى أنا فيها شىء يُخاف أعظم من القتل ولولا مايلزمنى من توقير مجلس الوزير لرددت عليه . فحلف أبو الحسن لئن عاد المحسّن لشتم حامد ليستعفينّ الخليفـةَ من مُناظرته فحينئذ أمسك عن الشتم ثم أعاده الى المناظرة مرّات (١) وكان يحصل فى آخره انه لا مال له وكان قد باع ضياعهُ ومستغلاّتهُ وفرشَهُ ودارَهُ ولم يبق له حيلة .

فلما أعيت ابن الفرات الحيلةُ فيـه خلا به فى دار من دُور حرمه من حيث لم يحضر معهُما أحدٌ من خلق الله ورفق به وحلف له على انه ان صدقَهُ عن أموالهِ وذخائرهِ لم يُسلِّمهُ الى المحسّن ولم يُخرجهُ عن دارهِ (١٨٦) وحفظ نفسه فاما أقام فى داره مكرما واما خرج الى فارس مُتقلّداً لها أو الى أى بلد أحبّ مع خادم من خدم السلطان يحفظ نفسه ووكّد اليمين على ذلك ثم قال له : أنت تعلم انك ضمنتنى من أمير المؤمنـين لأسلّم اليك فافتديت نفسى بسبعمائة

١) راجع ما رواه أبو القاسم زنجي في كتاب الوزراء ١٧٤

ألف دينار وأخورت بها عفوا من مالى حتى سُلّمتُ منك وأنت فقد تناسيت كل جيل فعلتُه وفعله أخى [١] بك والخليفة الآن مقيم على ان يُسلّمك الى المحسن وهو حدث وقد أسلفته من المكاره مالم يستعمله أحدٌ مع وزير ولا مع ولد وزير وأنا أرى لك ان تفتدى نفسك بمالك حتى تلحقك الصيانة من التسليم الى المحسن . ووكّد له الايمان فعند ذلك ركن حامد الى قوله ويمينه وأقر له من الدفائن فى البلاليع احتفرها وتولى هو بنفسه دفن المال فيها بخمسمائة ألف دينار وأقر بان له عند جماعة من الوجوه والشهود نحو ثلاثمائة ألف دينار وأقر بان له كسوةً وطيبا وودوعة بواسط فاخذ ابن الفرات خطّه بذلك وبادر بالركوب الى المقتدر من غير ان يحضر معه المحسن ولا عرّفه شيأً من الخبر فسر المقتدر بذلك ووعدهُ ان يسلّم اليه كل مَن ضمنه من نصر الحاجب وشفيع اللؤلؤى وغيرهما وأشار ابن الفرات (١٨٧) بانفاذ شفيع ليسلم هذا المال بواسط . فخرج شفيع فوجد تلك الاموال المدفونة واستخرج تلك الودائع وصار بها الى المقتدر بالله

وما زال حامد فى دار ابن الفرات مَصُونا الى ان توصل المحسن الى المقتدر بالله على يد مُفلح فالتمس منه ان يوقّع الى أبيه بان يستخلفه على سائر الدواوين وجميع أمر المملكة فتردّد مفلح برسائل من المقتدر بالله الى أبى الحسن بن الفرات وتنكّر ابن الفرات لابنه وجرت فيه ألوان مناظرات الى ان خُلع على المحسن وركب معه أبوه والقوّاد ثم انصرف أبوه الى داره ومضى المحسن الى داره . ثم ركب المحسن مع أبيه الى دار السلطان وخاطب

(١) ليراجع قصة حامد مع اسمعيل بن بلبل واعتماده على عناية أبى العباس ابن الفرات فى الفرج بعد الشدة ١ : ١١٤

الخليفة بحضرة أبيه وقال : قد بقيت على حامد جملة وافرة من مال مصادرته وان سُلّم اليّ استخرجت منه خمسمائة ألف دينار . فامر المقتدر أبا الحسن بتسليمه اليه فقال ابن الفرات : قد عاهدته ان لا أسلّمه اليه . فراجع المحسن المقتدرَ الى ان أمر المقتدر أمرا لم يمكن أبا الحسن مخالفته فيه فسلّمه اليه وحمله المحسن الى داره . وطالَبهُ وأوقع به مكروها وأقام حامد على انه لم يبق له مال ولا حال فامر بصفعه فصفع خمسين صفعة وسقط كالمغشى عليه وما زال[١٨٨] يُصفَع الى ان تكلّم وقال : أى شيء تريد[1] منى ؟ قال : أريد المال . قال : مابقى غير ضيعتى . قال : فاكتب بوكالة لابن مُكرم (وكان أحمد ابن كامل القاضى حاضراً) تقرّ فيها انّك قد وكلته فى بيعها . فكتب ذلك ووقعت الشهادة على حامد . ثم ان المحسن عامله بعد ذلك بمعاملةٍ تجرى مجرى السُخف من إذلاله والوضع منه ثم سلّمه الى خادم له مع خمسة من الفرسان وعشرة من الرجالة ليحدروا به الى واسط ويبيع ضياعه وأملاكه

وشاع ببغداد ان حامداً طلب ليلة انحداره بيضا فحمل اليه وتحسّى منه وقت افطاره عشر بيضات وان خادم المحسن الموكل به طرح فيه سما فما استقر فى جوفِهِ حتى صاح ولحقه ذرب عظيم ودخل واسط وهو لما به فسلمه الخادم الى محمد بن علي البزوفَري وجعله فى داره وبادر الخادم بالانصراف وقلم حامد أكثر من مائة مجلس ولم يتغدّ الاّ بسُوَيق السُلت . وأراد البزوفرى الاستظهار لنفسه فاستحضر القاضى والشهود بواسط وكتب كتابا يقول فيه ان حامدا وصل الى واسط وتسلّمه البزوفرى وهو عليل من ذرب شديد لحقه فى طريقه بين بغداد وواسط وانه ان تلف من ذلك

(١) فى الاصل تريدين

الدرب فانما مات [١٨٩] حتف أنفه ولاصنعَ للبزوفرى فى شيء من امره ،
ووجّه بالكتاب الى حامد فاظهر له حامد الاستجابة الى الاشهاد على نفسه
بمافيه فلّما دخل اليه القاضى والشهود قال لهم : ابن الفرات الكافر الفاجر
المجاهر بالرفض عاهدَنى وحلف لى بايمان البيعة والطلاق على انى ان اقررت
بجميع اموالى لم يُسلّمنى الى ابنه المحسن وصاننى عن كل مكروه واطلقنى الى
منزلى وولاّنى اجلّ الاعمال فلما اقررت له بجميع ماملكته سلّمنى الى ابنه
المحسن فعذبنى باصناف العذاب واخرجنى مع فلان الخادم واحتال علىّ
وسقانى بيضا وطرح فيه سما فلحقنى الذرب ولاصنع للبزوفرى فى دمى فى
هذا الوقت ولكنه فعل وصنع ثم اخذ قطعةً من اموالى وامتعتي وجعل
يحشوها فى المساور البزيون المخلقة فتباع المسورة بخمسة دراهم وفيها أمتعة تساوى
ثلاثة آلاف دينار فيشتريها هو فاشهدوا على ماشرحتُهُ لكم . وتبين البزوفرى
حينئذ انه اخطأ فيما فعله . وكتب صاحب الخبر بواسط الى ابن الفرات
بجميع ماتكلّم به حامد .

وتوفى حامد بن العباس ليلة الثالثة عشر من شهر رمضان سنة ٣١١ [١٩٠]

﴿ ماجرى فى امر على بن عيسى وتسليمه الى ابن الفرات [١] ﴾

لما قبض المقتدر على علىّ بن عيسى وجعله فى يد زيدان القهرمانة راسله
بان يقرّ باموالِه فكتب رُقعةً يقول فيها انه لايقدر على اكثر من ثلاثة آلاف
دينار . واتفق ان ورد الخبر بدخول ابى طاهر سليمان بن الحسن الجنّابى الى
البصرة سحر يوم الاثنين لخمس بقين من شهر ربيع الآخر فى الف وسبعمائة

(١) ورد ذكر ما جرى فى أمر على بن عيسى الى أن نفى الى مكة فى كتاب
الوزراء : ٣٠٨ — ٢٨٩

راجل وانه وصل اليها بسلالم نصبها بالليل على سورها وصعد الى اعلى السور ثم نزل الى البلد وقتل البوّابين الذين على ابواب السور وفتح الابواب وطرح عن كلّ مصراعين منها حصى ورملا كان معه على الجمال لئلا يمكن اغلاق الباب عليه . وانه لم يعرف سُبك المفلحي والى البصرة الا فى سحر يوم الاثنين ولم يعلم انه ابن أبى سعيد الجنّابى وقدّر انهم اعراب فركب مفترّا ولقيه وجرت بينهم حرب شديد وقتل سُبك ووضع أبو طاهر في أهل البصرة السيف وأحرق المِرْبَد وبعض المسجد الجامع ومسجد قبر طلحة ولم يعرض للقبر . وهرب الناس الى الكلاء فكانوا يحاربونهم عدّة أيام ثم أخذهم السيف فطرحوا أنفسهم فى الماء فغرق اكثرهم . واقام ابو طاهر بالبصرة (١٩١) سبعة عشر يوما ويحمل على جماله كل مايقدر عليه من الامتعة والنساء والصبيان ثم انصرف الى بلده . فانفذ ابن الفرات فى الوقت الذى ورد فيه خبر القرمطيّ بُنيّ بن نفيس وجعفراً الزرنجى الى البصرة وقلد محمد بن عبدالله الفارقى اعمال المعاون بالبصرة وخلع عليه وانحدر فى الطيّارات والشذاآت وورد الخبر بوصوله اليها بعد انصراف ابى طاهر الجنابى عنها فاقام فيها الفارقى رجالهُ وانصرف بُنيّ والزرنجى

وكان بُنيّ بن نفيس انفذ جماعةً من القرامطة الى بغداد ذكرَ انهم استأمنوا اليه وانهم زعموا ان على بن عيسى كاتبهم بالمصير الى البصرة وانه وجّهَ اليهم في عدّة اوقات بهدايا وسلاح فوافوا بغداد وانهى ابن الفرات الحالَ في ذلك الى المقتدر بالله

﴿ذكر مناظرة ابن الفرات علىّ بن عيسى﴾

عرض الكتاب بينه عليه فامره المقتدر باخراج على بن عيسى اليه

ليناظره والجمع بينه و بين القرامطة حتى يواجهوه بما قالوا فيه فعمل ابن الفرات . فاحتجّ على بن عيسى بان قال: انه من كان في مثل حالتي وتحت سخط السلطان كاشَفَهُ الناس بالكذب (١٩٢) والباطل لا سيّما اذا كان الوزير منحرفا ومُغتاظا . ثم أخذ ابن الفرات يُخاطِبه فى امر الاعمال وكان فيما ناظره عليه امر المادرائيين وقال : قد اخذ ابن بسطام (١) خطوطَهما في ايام وزارتى الثانية صلحا عمّا وجب عليهما من خراج ضياعهما بمصر والشام وما اخذاه من المرافق بها مدّة تقلُّدهما فى أيامك الأولى بالفي الف دينار وثلاثمائة الف دينار وادّيا فى ايامي نحو خمسمائة الف دينار . فصرفت على ابن بسطام ساعة وليتَ الدواوين وقلّدتَ هذين العاملَين المجاهرَين باقتطاع مال السلطان وأنشأتَ اليهما كتاباً عن أمير المؤمنين أطال الله بقاءهُ باسقاط ذلك بأمره عنهُما . ثم ادّعيت ان أمير المؤمنين أمر بذلك وقد أُنهيتُ هذه الحال الى أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فقال : لم آمر بشيء من هذا ولا ظنّ ان أحداً يُقدِم عليه بمثلها . فأجاب على بن عيسى بانه كان في الوقت (كاتباً) لحامد بن العباس يخافهُ على العمل : وكان أمير المؤمنين أمرنى قبول قوله وان حامدا ذكر ان أمير المؤمنين أمر باسقاط هذا المال عن هذين العاملين ووقّع بذلك توقيعاً فوقّعتُ تحت توقيع حامد بامتثال أمره كما يفعل خليفة الوزير فيما يأمره بهصاحبهُ . فقال له (١٩٣) ابن الفرات : أنت كنتَ تُعارض حامداً وتخاصمهُ أبدا فى اليسير تخرجه عليه فى عبرَه ما كان ضمنهُ حتى جرى بينكما ما تحدث به الناس فكيف تركت أن تستأذن أمير المؤمنين فى هذا المال العظيم الجسيم ؟ فقال على بن عيسى : كنتُ فى أوّل الامر كاتباً لحامد

(١) هو أبو القاسم على بن أحمد : راجع صلة عريب ٦٥

مدّة سبعة أشهر ثم بان لامير المؤمنين ما أوجب أن يعتمد عليّ وكان الذى جرى من أمر المادرائيين فى صدر أيام حامد . فقال له ابن الفرات : فلما اعتمد عليك أمير المؤمنين الاّ صدقته عن خطأ حامد فى هذا الباب وتلافيته ؟ فقال : أغضيتُ عن ذلك لانى كنتُ فى ذى القعدة سنة ستّ اوصلتُ الحسين ابن احمد الى حضرة أمير المؤمنين وأخذتُ خطّه فى مجلسه بما عقدتهُ عليه من ضمان أعمال الخراج والضياع بمصر والشام بعد النفقات الراتبة واعطاء الجيش فى تلك النواحى وهو ألف ألف دينار فى كلّ سنة خالصة للحمل الى بيت المال لا ينكسر منه درهمٌ واحدٌ وذلك بعد ان أخذتُ خطّه بجميع ما تصرّف فيه من عطاء الجيش والنفقات الراتبة فى ناحية ناحية ووقفتُ عليه أيضاً فى كل سنة لما ينكسر ويتأخر فى هذه الاعمال مائة وثلاثين ألف دينار (١٩٤) وخطه بذلك في ديوان المغرب وهذا غاية ماقدرتُ عليه . فقال ابن الفرات : أنتَ تعملُ أعمال الدواوين منذُ نشأتَ وقد وليت ديوان المغرب سنين كثيرة ثم ولّيتَ الوزارة ودبّرت أمر المملكة مدّة طويلة هل رأيتَ من يدع مالاً واجبا يُؤدّى معجلا ويأخذ عوّضا منه مالا مؤجّلاً يُحَال به على ضمانٍ ! وهبك أغضيتَ كما ذكرتَ ورأيتَ ذلك صواباً في التدبير فهل استوفيت مال هذا الضمان من هذا الضامن فى مدّة خمس سنين دبّرت فيها المملكة ؟ فاجاب عن ذلك بانه قد كان ورد من مال الضمان للسنة الأولى جُملةٌ ثم سار العلوى (١) من افريقية حتى تغلّب على أكثر النواحى بمصر فنفذ مونس المظفّر الى مصر لمحاربته فانصرف أكثر المال الى اعطيات الجند ونفقات العساكر وانكسر باقيه لاجل استخراج العلوىّ ما استخرجهُ

(١) هو المهدي عبيد الله . راجع صلة عريب ٥١

من أموال النواحي المجاورة لمصر . فقال ابن الفرات : فقد انهزم العلوى منذ صفر سنه تسع ووجب على هذا الضامن مال سنتين كاملتين بعد هزيمة العلوى فهل استخرجتَ من هذا الضامن ألفى ألف دينار ؟ فاجاب على ذلك مالم يحفظ ثم قال له فى آخر خطابه : فقد (١٩٥) أمر أمير المؤمنين بمطالبتك بالاموال التى جمعتها وخنتهُ فيها فينبغى ان تقرّ بها عفواً وتصون نفسك عن المكروه . فقال على بن عيسى : لستُ من ذوى المال وما أقدر على أكثر من ثلاثة آلاف دينار

ثم ناظره على أموال الحاشية فقال لعلى بن عيسى : أنتَ قد أسقطتَ من ارزاق الحرم والولد والحشم والفرسان الذين كنتُ أوفّيهم أرزاقهم على الادرار فى أيّامي الأُولى والثانية مدّة خمس سنين دبّرتَ فيها أمر المملكة ما يكون مبلغهُ في كل شهر مع ارتفاع الضياع التى هى ملك خاصّة خمسة وأربعون ألفاً يكون فى السنة خمسمائة واربعون ألف دينار وفى هذه المدّة ستّة ألف ألف دينار ولستَ تخلو من أن تكون احتجنتها لنفسك أو اضعتها . فقال على بن عيسى : ما استغللتُهُ من هذه الضياع ووفّرتهُ من أرزاق من يستغنى عنه تممتُ به عجزَ الدخل عن النفقات المسرفة حتى اعتدلتْ الحال فلم أمدّ يدى الى بيت مال الخاصّة فاما الخمسة والاربعون الالف الدينار التي كنتَ تحملها من أموال المرافق فانى ما استصوبُ ما استصوبتَهُ أنت من أخذها والاذن للعُمّال فى ان يرتفقوا بل حظرتُها ورفعتُها فلم أعرض لها لانها كانت طريقاً الى تلف أموال السلطان وظلم الرعية (١٩٦) وخراب البلاد وأنتَ كنتَ تُعوّل فى النفقات على ما كنتَ تحوّلهُ من بيت مال الخاصّة الى بيت مال العامة فترضى به الحاشية وتخرب به بيت المال . وتكرّر

الخطاب فى هذا المعنى

ثم ناظره على ماحملهُ الى القرامطة من الهدايا والسلاح وما تردّدت بينه وبينهم من المكاتبات مرّة والمقاربات أخرى فقال : أردتُ استمالتهم وإدخالهم فى الطاعة وكففتُهم عن الحاج وأعمال الكوفة والبصرة مدّة ولا يتى دفعتين وأطلقوا من الأسارى الذين كانوا من المسلمين عدّة . فقال له ابن الفرات : فأي شيءٍ أعظم من ان تشهد ان أبا سعيد وأصحابه الذين جحدوا القرآن ونبوّة النبي عليه السلام واستباحوا عُمان وقتلوا أهلها وسبوهم مسلمون[1] وتكاتبهم بذلك وتؤخر اطلاق ارزاق من يحفظ السور بالبصرة حتى أخلوا مراكزهم فدخلها القرمطي وقتل أهلها . فاحتج بحجج يطول شرحها

فسأل نصر الحاجب والمحسن ابا الحسن ابن الفرات ان يدعهما يخلوان به فخلوا واشارا عليه بالمصادرة فاستجاب اليها والزماهُ ثلثمائة ألف دينار يُعجل منها فى مدّة شهرٍ مائة الف دينار اوّلها يوم خروجه من دار السلطان الى حيث يأمن فيه على نفسه ويصل اليه الناس (١٩٧) فأخذ ابن الفرات خطه بذلك وانفذه الى المقتدر بالله فامضاهُ ثم كتب ابن الفرات كتبا عن نفسه الى كلّ واحدٍ من اصحاب الدواوين يذكر فيها خيانة على بن عيسى وسرقتهُ وما واجهه به وما بذله من المصادرة

وحكى أبو الفرج ابن هشام عن ابن المُطوّق أن أبا الحسن على بن عيسى كان سأل أبا الحسن ابن الفرات ان يتجافى له عن ارتفاع ضيعته لسنة ٣١١ ليؤديه من جملة المُصادرة وان ابن الفرات قال له : هو خمسون ألف دينار . فقال على بن عيسى : قد رضيتُ بعشرين ألف دينار . وذكر

(١) في الاصل مسلمين

أنه دون ذلك فلما نُفي الى مكة وجد فى ضيعته نحو الخمسين الألف الدينار (١)

قال أبو الفرج : فسمعتُ الهُمانى الواسطى يقول : سمعتُ أبا الحسن على بن عيسى يُوبّخ أبا عبدالله البريدى ويقول له : يا أبا عبد الله أما خفتَ الله حيث حلفتَ بما حلفتَ به ونحن مُجتمعون فى دار السلطان أطال الله بقاءه أن استغلالك واستغلال اخوتك من ضيعتكم بواسط عشرة آلاف دينار وقد وجدتُه من حساب رفعَهُ الىّ (يعني الهُمانى) ثلاثين ألف دينار . فقال أبو عبد الله : اقتديتُ بسيّدنا أيّده الله حيث سأله أبو الحسن ابن الفرات عن ارتفاع ضيعته فلم يصدقه وساتَرَهُ (١٩٨) وعلمتُ أنه مع ديانته لو لم يعلم ان التقية مباحة عند من يخاف ظلمه لَمَا حلف بتلك اليمين . فكأنّه ألقَم على بن عيسى حجراً

ونعود الى تمام خبر على بن عيسى مع ابن الفرات . امتنع المقتدر من تسليم على بن عيسى الى ابن الفرات فذكر على بن عيسي أنه لا يمكنه أن يؤدّى مال مصادرته الا بعد أن يخرُج من دار الخليفة وأحضره المحسّن دفمين وطالبهُ ورفق به فلم يؤدّ الا ثمن دارٍ باعها فقيّده المحسّن فلما رأى نصر ذلك نهض عن المجلس وطالب المحسّن على بن عيسى فقال : لو كنتُ اقدرُ ها هُنا على أداء المال لَمَا قُيّدتُ . فالبسه جُبّةَ صوف وأقام على أمره فحينئذٍ صفعهُ عشر صفعات فقام نازوك من المجلس فقال المحسّن : الى اين تقوم ؟ فقال : ما أحبّ أن أحضُر مكروهَ هذا الشيخ . وأُعيد على بن عيسى الى محبسه وبلغ أبا الحسن ابن الفرات ما عامَل به المحسّن على بن عيسى فأقلقَهُ ذلك وقال لابنهِ : قد جنيتَ علينا بما فعلتَهُ كان يجب أن تقتصر على

---

(١) ليراجع ما روى فيه صاحب كتاب الوزراء ص ٢٩٥

القيد. ثم كاتَبَ المقتدر بالله يشفع لِعلى بن عيسى وذكر أنه لما وقف على ما جرى عليه لحقهُ من الغمّ أمرٌ لا يذكر مثله وأنه لم يطعم طعاماً مُنذ عرف خبره لأنه شيخ من مشايخ الكُتّاب وقد خدم أمير المؤمنين (١٩٩) وتحرّم بداره ومثله يُخطئ وأمير المؤمنين أَوْلَى بالصفح وسأل أن يُزال عنه القيدُ والجُبّة الصوفِ فاجابَهُ المقتدر بان على بن عيسى مُستحقّ لاضعاف ما جرى عليه وأن المحسن قد أصاب فيما عاملَهُ به وأنه قد شفعهُ فى امرِهِ وأمر بحلّ قيده ونزع جُبّة الصوف عنه وتقدّم بعد ذلك بتسليم على بن عيسى الى ابن الفرات ليؤدّى مال التعجيل من مُصادرته. فلما حُملَ اليه [قال] لستُ أُحبّ أن يكون فى دارى لئلا يلحقه مرضٌ وهو شيخٌ فيُنسبُ الىّ وأنا أسئلُ أمير المومنين أن يأذن فى تسليمه الى شفيع. فقيل لِلمقتدر ذلك فقال: أنا أُسلّمهُ اليك لانك الوزير فأحفظ نفسهُ ولا تُسلّمهُ الى المحسن فأما غير هذا فانت أَولى وما تراهُ. فانفذ ابن الفرات الى شفيع وأحضره

وأخذ ابن الفرات فى توبيخ على بن عيسى وعاتَبَهُ على أمر وقوفٍ وقّم أميرُ المؤمنين بردّها عليه وان مالها كان ينصرف الى أشياء يتقرّب بها الى الله عزّ وجلّ وينصرف بعضها الى ولده وغلمانه وان مافعله لايجوز فى الدين ولا فى المروءة. فأخذ على بن عيسى يعترف بالتفريط الذى وقع منه وسأله قبول عذرِهِ وكان المحسن حاضراً (٢٠٠) فاطنب فى توبيخه وتقريعه على هذا الباب فاجابه بمثل ما اجاب به والدَهُ وزيادة (١) وقال في عرض كلامه: انا

(١) وفى كتاب الوزراء ٣٠٣: ودخل المحسن فى القول فى الزيادة من توبيخ على ابن عيسى فى فعله فقال له الخ

والله استجليك . فقامت على المحسن القيامة من هذه الكلمة وغلظت على ابيه ايضا فاجابه المحسن بجواب فيه غلظة واقبل ابوه يسكّنه ويرفق به ثم قال لعلى بن عيسى : ابو احمد كاتبُ امير المومنين وصنيعتُهُ (وأخذ يصفَ محلهُ منه وتفويضه اليه) وأخذ على بن عيسى فى الاعتذار من تلك الكلمة . ونهض على بن عيسى مع شفيع فاجلسه شفيع فى صدر طياره وحمله الى داره

وحكي ابو الحسن ابن أبى هشام انه كان حاضرا المجلس وانه رأى الحسن بن دولة ابن أبى الحسن بن الفرات خرج فى تلك الحال فقام له على ابن عيسى وقبّل رأسه وعينه فاستكثر ذلك ابن الفرات وقال له : لاتفعل يا أبا الحسن هذا ولدُك . ثم فتح دواته ووقّع الى هرون بن عمران الجهبذ أن يحمل الى أبى الحسن على بن عيسى بلا دُعاء ألفى دينار يستمين به على أمره فى مصادرته وقال لابنه المحسّن : وقّع أنت أيضا بشىء . فوقّع بالف دينار ثم أحضرا بشر بن هرون وكتب قبضاً لعلى بن عيسى من مال مصادرته بهذه الثلاثة الالاف الدينار [٢٠١] فانصرف على بن عيسى شاكراً

ولم يقبل على بن عيسى من أحدٍ من الكُتاب معونةً فى مصادرته مع بذل جماعتهم له وحملهم اليه ما أطاق كل واحد منهم الا من ابن فرجويه وابنى أبى الحسن بن الفرات الفضل والحسين فانه قبل من كلّ واحد منهُما خمسمائة دينار وحمل اليه أبو الهيجاء ابن حمدان عشرة ألاف دينار فردها وقال : لو كنتَ متقلداً فارس اقبلتُها منك ولكنى أعلمُ انهذه جميع مالكَ وما أحبّ أن أثلمك . فحلف أبو الهيجاء أن لايرجع الى ملكه ففُرّقت فى الطالبيين وفى الصدقة على الضعفى وبذل له شفيع اللؤلوى الفى دينار فامتنع من قبولها وقال : لا أجمع عليك موؤنتى ومعونتى فى مصادرتى . وقبل

من هارون بن غريب ومن نصر الحاجب وشفيع المقتدرى

فلما ادّى على بن عيسى أكثر مال مصادرته قال ابن الفرات للمقتدر : ان فى مقام على بن عيسى فى دار شفيع ضرراً عليه فان الاراجيف قد كثرت وان ردّ الى دار السلطان زاد الارجاف . والتمس الاذن فى إبعاده الى مكة فأذن له المقتدر فى ذلك فأطلق ابن الفرات لما قدّر له من نفقته وما يحتاج اليه سبعة آلاف درهم فخرج [١] اليها ثم كتب ابن الفرات بابعاده الى صنعاء من بلاد اليمن [٢٠٢] فأبعد اليها

ثم استخرج ابن الفرات من أسباب على بن عيسى وعماله وكتابه مالا عظيما بالمكاره وبسط يد ابنه فأنكر الناس اخلاقه وما كان يعرف من كرمه ونبله . فأما أبو على ابن مقلة فانه كتب الى أبى عبد الله محمد بن اسمٰعيل بن زنجى رقعة وكانت بينهما مودّة وضمنها أبياتا له ما أثبتها لانى لم أستجدها وكتب رقعة الى ابن الفرات يذكره بحرمته وقديم خدمته ويستعطفه وجعلها فى درج تلك الرقعة وسأله ايصالها فلما وقف ابن الفرات عليها تقدّم بحلّ قيده وتقرّر مصادرته علي ما ينهض به ثم خفف عنه بعد ذلك وأطلقه

فأما ابن الحوارى [٢] فان ابن الفرات سلمه الى ابنه المحسن فصفعه صفعاً عظيما فى دفعات وضربه بالمقارع ثم أخرجه الى الاهواز مع مستخرج له فلما وصل اليها قتله المستخرج

---

(١) زاد فيه صاحب التكملة : فاستجار له جمالا وأعطاه نفقة وأنفذ معه ابن الكوثانى صاحبه فاراد قتل علىّ فبلغ ذلك أهل مكة فهموا بقتل ابن الكوثانى فمنع على منه وحفظه
(٢) وزراء ٤٠

فأما المادرائيان[١] فانه كتب باشخاصهما فحمل الحسين بن أحمد وهو أبو زنبور فاعتقله ابن الفرات فى داره واستحضر القضاة وأصحاب الدواوين الى داره وحضر المحسن وأحضروا أعمالا عملوها لابى زنبور وناظره ابن الفرات عليها وأخذ خطه من الابواب التي نوظر عليها بألفي ألف وأربعمائة ألف دينار ثم استكثر (٢٠٣) ابن الفرات هذا المال فقرر مصادرته على ألف الف وسبعمائة الف دينار وعرض خطه بذلك على المقتدر بالله فاستصاب فعله وتناهى ابن الفرات فى معاملته بالجميل وكان يسترجله ويصف فهمَهُ ويقول انه ما خاطب عاملا أفهم منه ولا أجلد وسامَهُ أن يُواجه على بن عيسى بانه أرفقه فى أيام تقلُّدِه ديوان المغرب وفى أيام وزارته فاستعفاهُ من ذلك فقال له ابن الفرات : فكيف واجهتني انا بامره[٢] ولا تُواجهُ بامرى فقال . ما حمدتُ معه تلك الحال ولا استحسنها الى أحد مع الظاهر من اساءة الوزير الىَّ بتسليمه اياى الى ابن بسطام وبسط يده علىَّ فى أيام وزارته الثانية فكيف تستحسنون لى هذه الحال فى معاملة على بن عيسى مع قديم وحديث احسانه الىَّ فاعفاه ابن الفرات من ذلك

ثم قدم محمد بن على المادرائى[٣] ولم يكن تقلد في أيام وزارة حامد

(١) وزراء ٤٤ (٢) ليراجع ما تقدم ص ٦١ وكتاب الوزراء ص ٦٢ (٣) قال صاحب تاريخ الاسلام انه مات سنة ٣٤٥ وان مولده سنة ٢٥٧ وولى أبوه خراج مصر وقدم هو مصر شابا على والده وولى الخراج استقلالا وله ثلاث وعشرون سنة وقد وزر أبوه أيضا لابي جيش خمارويه فلما قتل أبو جيش واجلس فى مكانه ابنه هرون بن أبي الجيش استوزر ابا بكر محمد بن على فلما قتل هرون وقدم محمد بن سليمان الكاتب مصر من قبل المكتفى وازال دولة الطولونية وخرب ديارهم حمل ابا بكر الي بغداد ثم انه وافى مصر مع مونس والعسكر في نوبة حباسة وأمر أبو بكر ونهى ودبر البلد

ابن العباس شيئا من الاعمال فناظره ابن الفرات على المال الباقى عليه وعلى الحسين بن احمد من ضمان اجناد الشام ومصر وعن حق بيت المال فى ضمانه وهو حينئذٍ شريك للحسين بن احمد فى الضمان فاحتج فى بعضه فقال له ابن الفرات : لست بأفهم من الحسين وقد احتجّ بأكثر ما ذكرتَ (٢٠٤) فلم تثبت له حجّة . وأخذ خطّه بلا تهديد ولا مكروه بألف الف وسبعمائة الف دينار ثم سلّمه الى المحسّن وكان فى داره على أتم صيانةٍ وأقام فيها يوما واحداً وكان المحسّن يتطاول عليه اذا حضر ثم أطلقهُ وكان السبب فى ذلك انه حمل اليه مالاً جليلاً وثيابا فاخرة وجواهر نفيسة وخدماً رُوقة

﴿ ذكر ما دبّره ابن الفرات فى أمر مونس حتى أبعده ﴾

كان ورد مونس من الغزو بعد ان ظفر بالروم ظفراً حسناً فتلقّاه المحسّن ونصر الحاجب وشفيع ومفلح وسائر القوّاد والى المقتدر بالله فتحدث الناس ان مونسا (١) أنكر ما جرى على الكتّاب والعمّال من المكروه العظيم من ابن الفرات والمحسن وما ظهر من وفاة حامد بن العباس وان أكثر الفرسان الثفاريق بالحضرة قد عملوا على الانضمام الى عسكر مونس المظفر لتروج أرزاقهم . فغلُظ ذلك على ابن الفرات وصار الى المقتدر بالله بعد أسبوعٍ من قدوم مونس المظفر فخلا به وأعلمَه ما عمل مونس عليه من ضمّ الرجال اليه وانه ان تمّ له ذلك صار أمير الامراء وتغلب على أمر المملكة ولا سيما والقوّاد (٢٠٥) والغلمان مُنقادون له . وعظّم عليه الامر وأغراه به إغراء شديدا فلما ركب مونس المظفر الى دار المقتدر بالله قال له المقتدر بحضرة ابن الفرات : ما شيء أحب الىّ من مقامك لانى أجمّ الى

(١) وزراء ٤٦ ــ ٤٥

الأنس بك والتبرّك برأيك الانتفاع بحضورك فى أمر الحضرة كله ولكن أرزاق الفرسان برسم التفاريق عظيمة وما يتهيأ أن تطلق أرزاقهم على الإدرار ولا النصف من استحقاقهم وليس يطيعون فى الخروج الى نواحي مصر والشام لانهم يحتجّون بقصور أحوالهم عن ذلك وقد علمتَ ان الريّ وابهر وزنجان متغلقة باخي صعلوك وكذلك ارمينية وآذربيجان بيوسف بن أبي الساج وان أقمتَ ببغداد التمس الرجال الانضمام اليك فان لم أُجبهم شغبوا وافتنوا البلد وان أقمت لم يُرَج من مال ديار ربيعة ومضر والشام شيء وليس يفي مال السواد والاهواز وفارس بنفقات الحضرة ومال عسكرك والوجه ان تخرج الى الرقة وتتوسط عملك وتُنفذ عُمالك فى اقتضاء الاموال وتستخرج ماجب على المادرائيين من الاموال العظيمة التي بذلوا بها خطوطهم وتهابك عمال المعاون والخراج بمصر والشام فيستقيم امر (٢٠٦) الملك . ورسم له الشخوص من رقة فى سائر الغلمان الحجرية والساجية برسمه

فعلم مونس ان هذا من رأى ابن الفرات وتدبيره وعرف شدّة عداوته له فسأل المقتدر بالله ان يأذن له فى المقام بقية شهر رمضان حتى يُعيّد ببغداد فاجابه الى ذلك . فلما عيّد صار الى ابن الفرات لوداعه فقام له قياما تاماً فاستعفاه مونس وحلف عليه أن يجلس فى المُصلّى فامتنع وسأله مونس فى عدّة أمور فوقع له بجميع ما التمسهُ وأراد القيام عند خروجه من حضرته فاستحلفه برأس الخليفة ألا يفعل ثم ودّع الخليفة وخرج الى مضربه فى يوم مطيرٍ

﴿ ما دبّره ابن الفرات بعد مونس فى أمر الحاشية ﴾

ولما فرغ ابن الفرات من مصادرة جميع الكتاب وأخرج مونساً شرع فى القبض على نصر الحاجب [(١)] وشفيع المقتدرى فوصف للمقتدر ما فى جنب نصر خاصةً من الاموال والضياع وكثرة مايصل اليه من الاعمال التى يتولاّها ثم من سائر وجوه مرافقه فاجابه المقتدر الى تسليمه اليه واتّصل الخبر بنصر فلجأ الى السيدة واستغاث اليها [(٢٠٧)] فكلّمت ابنها وقالت له : قد أبعدَ ابن الفرات مونسا عنك وهو سيفك وثقتك ويريد الآن ان ينكب حاجبك ليتمكن منك فيجازيك على ماعاملتهُ به من ازالة نعمه وهتك حُرمه فليت شعرى بمن تستعين عليه ان أراد بك مكروهاً من خلعك والتدبير عليك لاسيما معما أظهر من شرّه واقدام ابنه المحسن على كل عظيمة ! وقد كان نصر مضى الى منزله واستظهر بتفريق ماله فى الودائع واستتر فراسلته السيدة بالرجوع الى داره فوثق وعاد وهو مع ذلك شديد التذلل لابن الفرات وابنه وابن الفرات يُعرّف المقتدر من احواله ومن إفساده ابن أبى الساج حتى ضيّع على الخلافة خمسة آلاف ألف دينار من ارتفاع نواحيه مايُهمّ معه المقتدر بتسليمه اليه .

فلما كان في ذى الحجة من هذه السنة ورد الخبر على ابن الفرات بإيقاع ابن أبي الساج باحمد بن على أخى صعلوك وقتله اياهُ وانه أخذ رأسه وهو على حمله الى بغداد فركب المحسّن الى المقتدر والتمس من مفلح أن يوصله اليه من غير حضور نصر الحاجب فاوصله وبشّره بالفتح وأعلمَهُ ان نصراً الحاجب يكره ذلك وانه عدُوّ لابن أبى الساج وهو الذى [(٢٠٨)] أفسدَهُ

(١) وزراء ٤٧

على السلطان فلذلك كتمه الخبر

﴿ ودخلت سنة اثنى عشرة وثلثمائة ﴾

فلما كان بعد أيام ظهر فى دار للسيدة كان المقتدر يكثر الجلوس فيها عند والدته رجل اعجمى [١] على سطح مجلس من مجالسها وعليه ثياب فاخرة وتحتها مما يلى بدنه قميص صوف ومعه محبرة ومقدحة وسكين وأقلام وورق وسويق وحبل ويقال انه دخل مع الصناع لحصل فى الموضع وبقى اياما فعطش وخرج ليطلب الماء فظفر به وسئل عن خبره فقال : ليس يجوز أن أخاطب غير صاحب الدار . فأخرج الى الوزير أبى الحسن ابن الفرات فقال له : أنا أقوم مقام صاحب الدار فقل ماشئت . فقال : ليس يجوز غير خطابه فى نفسه ومسئلته عمّا احتاج اليه . فرفق به فلم يغن الرفق فلما لم تكن فيه حيلة أخذ الخدم يقرّونه بالضرب والعنف فعدل عن الكلام بالعربية وقال بالفارسية « ندانم » [٢] ولزم هذه اللفظة فلم يزل عنها فى كلّ مايخاطب به وأخرج فعوقب حتى تلف وهو لايزيد على « ندانم » فصُلب ولُف عليه حبل من قنّب ومشاقة ولطخ بالنفط وضُرب بالنار

وخاطب ابن الفرات نصراً الحاجب بحضرة (٢٠٩) المقتدر فى أمر هذا الرجل وقال له : ماأحسبك ترضى لنفسك أن يجرى عليك فى دارك مثل هذا الذى جرى على أمير المؤمنين وأنت حاجبُهُ وحافظ داره وما تمّ مثل هذا على أحد من الخلفاء فى قديم ولا حديث وهذا الرجل هو صاحب احمد بن على اخى صعلوك لامحالة والدليل على ذلك انه أعجمي فاما ان يكون احمد بن على قبل أن يقتل واطأك حتى أوصلتهُ الى هذا الموضع

(١) وزراء ٤٨　(٢) يعنى لست أعرف

واما ان تكون أنت دسستهُ ليفتك بأمير المؤمنين لتخوُّفك على نفسك منه ولاجل عداوتك لابن أبي الساج وصداقتك لاحمد بن على ولاجل عظيم ماوصل اليك من احمد بن على من الاموال . فقال له نصر الحاجب : ليت شعرى أُدبّر على أمير المؤمنين لانه أخذ أموالى وهتك حُرمي أو قبض ضياعى أو حبسني عشر سنين . فقال المقتدر : لوتم هذا على بعض العوّام لكان عظيماً[1] وتمكّن ابن الفرات منه واندفع عنه المكروه بما ورد به الخبر مما جرى على الحاجّ من القرمطى وسنشرحهُ فيما بعد فشغل ابن الفرات بنفسه وقوى أمر نصر وسلم من ابن الفرات

وفى هذه السنة ورد الكتاب بشرح الخبر فى مصير ابن أبى الساج من آذربيجان الى الرىّ ومحاربته (٢١٠) احمد بن على وحمل رأس احمد بن على وجُثّته الى مدينة السلام

وفيها فرّق ابن الفرات على طلّاب الادب مالاً وعلى من يكتب الحديث مثله (٢) وكان السبب فى ذلك انه جرى حديثهم فى مجلسه فقيل : لعلّ الواحد منهم يبخل على نفسه بدانق فضة أو دونها ويصرفه الى ثمن ورق وحبر . وكان ابن الفرات موصوفاً بسعة الصدر وحسن الخلق وكان فرّق فى الشعراء مالا فقال لماجرى حديث هؤلاء : انا أولى من عاونهم على أمرهم . وأطلق لهم لما يصرفونه الى ذلك عشرين ألف درهم

فذُكر انه لم يُسبق ابن الفرات الى ذلك الاّ ماحدث به الضّبى عن رجاله ان مسلمة بن عبد الملك أوصى عند وفاته بالثلث من ثلثه لطلاب

---

(١) ليراجع ما زاد فيه صاحب كتاب الوزراء ص ٤٩ (٢) وزراء : ٢٠٢ — ٢٠١ وراجع أيضا ارشاد الاريب ١:٢٢٨

الادب وقال « هم مجفوون » (١)

وكان يستعمل كلّ يوم فى مطبخ ابن الفرات (٢) من لحوم الحيوان وفى دوره من الثلج الكثير ومن الاشربة التى تعرض على كل من دخل ومن الشمع ومن القراطيس ما لم يستعمله احد قبله ولا بعده وكان اذا ولى الوزارة ارتفعت أسعار الشمع والثلج والقراطيس خاصة واذا عزل رخصت . وكان اهدى الى مونس (٢١١) المظفر عند موافاته من المغرب والى بُشرى ويلبق والى نازوك وغيرهم من الغلمان والخدم لما حضر النوروز هدايا عظيمة لم تسمح نفس احد بمثلها وقدّر انه يستكفهم بها فلم يقع موقعه الذي أراد

﴿ ذكر السبب فى ضعف أمر ابن الفرات بعد تناهيه
فى القوة والاستقامة ﴾ (٣)

اتّفق أن ورد الخبر الى بغداد على ابن الفرات بان أبا طاهر ابن أبى سعيد الجنابى ورد الى الهَبير ليتلقى حاجّ سنة ٣١١ فى رجوعهم فاوقع بقافلة فيها خلق كثير من أهل بغداد وغيرها واتّصل خبره بهم وهم بفَيْد فأقاموا حتى فنى زاد من فيها وضاق بهم البلد فارتحلوا على وجوههم . وأشار عليهم أبو الهيجاء عبدالله بن حمدان وكان اليه طريق الكوفة وطريق مكة وبَذرَقة الحاجّ لما بلغهم خبر الهجرى أن يعدل بهم من فَيْد الى وادى القرى لئلا يجتازوا بالهَبير فضجّوا من ذلك وامتنعوا عليه وساروا وسار معهم ضرورةً الى

(١) وفى ترجمة مسلمة فى مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى سنة ١٢٢ : قال الواقدى : أوصى مسلمة بثلث ماله لاهل الادب وقال : انها صناعة مهجورة تجفو أهلها

(٢) وزراء : ٦٣ : ١٩٥　(٣) ومن هنا الى مقتل ابن الفرات وابنه راجع كتاب الوزراء : ٦٢ — ٤٩

الهَبير فلما قربوا من الهبير عارضهم أبو طاهر ابن أبى سعيد الجنّابى وقاتلهم فظفر بهم وقتل (٢١٢) منهم خلقاً كثيراً وأسر أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان وأحمد بن كُشَمَرْد [1] ونحريرا العُمَرى واحمد ابن بدر عمّ السيّدة امّ المقتدر وجماعة من خدم السلطان وحُرَمِه وأخذ أبو طاهر جمال الحاجّ فى سائر القوافِل وسبى مِمّن كان فيها من اختار من النساء والرجال والصبيان وسار بهم الى هجر وترك باقي الحاجّ فى مواضعهم بلا زاد ولا جمال وكانت سنّ أبى طاهر في ذلك الوقت سبعة عشر سنة ومات أكثر من خلّف من الحاجّ بالعطش والحفا والرُجلة

وانقلبت بغداد وطُرُقها فى الجانبين وخرج النساء حُفاة مُنشّرات الشعور مُسوّدات الوجوه يلطمنَ ويصرخنَ فى الشوارع وانضاف اليهن حُرَم المنكوبين الذين نكبهم ابن الفرات وذلك فى يوم السبت لسبع خلون من صفر فكانت صُورةً فظيعة قبيحة شنيعةً لم يُر مثلها . وتقدّم ابن الفرات الى نازوك بالركوب الى المساجد الجامعة فى الجانبين ببغداد بسبب حركة العامّة فركب في جميع جيشه من الفرسان والرجالة والنفّاطين حتى سكن العامّة . ثم قدم سابقُ الحاجّ فشرح الصورة (٢١٣) لابن الفرات فركب ابن الفرات آخر هذا اليوم وقد ضعفت نفسه الى المقتدر وشرح له الحال واستدعي نصرا الحاجب وأدخله فى المشاورة وتمكن نصر من خطاب ابن الفرات بحضرة المقتدر وانبسط لسانُه عليه وقال له : الساعة تقول «أى شيء الرأى» بعد أن زعزعتَ أركان الدولة وعرّضتها للزوال بابعادك مونساً الذى يُناضِل الاعداء ويدفع عن الدولة فمن يمنع الآن هذا الرجل

(١) وفى إطلاق كشمرد راجع كتاب الفرج بعد الشدة ١ : ١٨٠

عن السرير ومن الذى أسلَمَ رجال السلطان وقُوادَهُ وحُرمه وخدمه الى القرمطى سواك ؟ وقدظهر الآن أمرُ الاعجمىّ الذى وُجد فى دار السلطان وانه انما كان صاحب القرمطى . وأشار نصر على المقتدر بمكاتبة مونس بالتعجّل الى الحضرة فأمر أن يُكتَب بذلك ووثبت العامّة على ابن الفرات ورجمَت طيارهُ بالآجرّ وركب المحسن من داره يُريد طياره فرجموه وضجت العامّة فى الطُرقات بان ابن الفرات القرمطى الكبير وليس يقنعه الا إتلاف أُمة محمد وتحرّكت العامّة فامتنعت من الصلاة فى المساجد الجامعة ذلك اليوم وارتجت بغداد باسرها من الجانبين (٢١٤)

وأشار ابن الفرات بانفاذ ياقوت الى الكوفة لضبطها لئلا تَردها الهجرية ويضمّ الغلمان الحجرية ووجوه القوّاد اليه وان كان الهجرى مقيماً سار لمحاربته فتقدّم المقتدر الى ياقوت بالشخوص والى ابن الفرات بازاحة علته فالتزم ابن الفرات له ولولَدَيه وهما المظفّر ومحمد وللزيادة فى اقطاعهم ومواندهم ولمن ضمّ اليه أموالاً عظيمة

وخرج ياقوت بمضربه الى باب الكناسة وورد الخبر على ابن الفرات بانصراف الهجرى الى بلده فوقع الى ياقوت بالرجوع فرجع وبطل نفوذه الى الكوفة

وأصلح المقتدر بين ابن الفرات وبين نصر وأمر الجماعة بالتضافر على ما فيه الصلاح للدولة وكفاية الهجرى . ودخل مونس بغداد وتلقاه الناس فلم يتأخر عنه احد وركب اليه ابن الفرات للسلام عليه ولم تجر له بذلك عادة ولا لاحد قبله فلما عرف مونس خبره خرج الى باب داره وتلقاه وسأله أن ينصرف فلم يفعل وصعد اليه من طياره حتى هناه بمقدمه فلما خرج

لينصرف خرج معه مونس الى أن نزل الى طياره [٢١٥]

﴿ ما عامل به المحسن المنكوبين لما اضطرب أمره وأمر أبيه ﴾

استوحش المحسن بعد إيقاع الهجرى بالحاج من المنكوبين ونظر الى سقوط حشمته فخاف أن يظهر ما أخذه وارتفق به وما أسقطه من اداء المصادرين وفاز به فنصب أبا جعفر محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاقر [١] وكان هذا يدّعي من حلول اللاهوت فيه ما ادّعاه الحلاج وكان المحسن قد عني بهذا الرجل فاستخلفه بالحضرة لجماعة من العمال وكان له صاحب يعرف بملازمته مقدام على الدماء من أهل البصرة فسلم المحسن الى صاحب ابن الفرات هذا البصرى جماعة فيهم النعمان بن عبد الله وعبد الوهاب بن ما شاء الله ومونس خادم حامد وأظهر انه يطالبهم بما بقي عليهم من المال فلما حصلوا في يده ذبحهم كما يذبح الغنم . وكان جماعة مستترين فكتب ابن الفرات اليهم كتبا جميلة حتى ظهروا ثم صادرهم واستخرج منهم أموالا كثيرة

﴿ ذكر القبض على أبي الحسن بن الفرات وهرب ابنه المحسن [٢١٦] ﴾

واشتدّ الارجاف بابن الفرات حتى استتر أولاده وكتابه فراسله المقتدر على لسان نسيم . فحكى أبو القاسم ابن زنجى انه كان بين يديه اذ جاءه نسيمٌ وتقدّم اليه فادى الرسالة التي كانت معه فسمعتُه يقول في جوابها [٢]

(١) ليراجع رسالة الخليفة الراضي بالله الى نصر بن أحمد الساماني بقتل العزاقرى وردت في ارشاد الاريب ١ . ٢٩٨ في ترجمة ابن أبي العون وما رواه ثابت بن سنان في عناية المحسن به . وفي العزاقرية ليراجع قصة للوزير المهلبي مع هذه الفرقة بالبصرة في سنة ٣٤٠ وردت في الكامل لابن الاثير ٨ : ٣٧٢ (٢) راجع وزراء : ١٢٥

قل له : أنت تعلم ياأمير المؤمنين انى عاديتُ فى استيفاء حقوقك الصغير والكبير واستخرجتُ لك المال من الدَنى والشريف وبلغتُ غاية ما أمكننى فى تأييد دولتك ولم أفكر فى أحدٍ مع سلامة نيّتك وما قرّبنى منك واجتلب لى حُسن رأيك فلا تقبل فىّ قول من يريد إبعادى عن خدمتك ويُغريك بما لافائدة فيه ويدعوك الى ما تُذَمّ عواقبه وبعد فطالعى وطالعك واحدٌ وليس يلحقني شىء الا يلحقك مثله فلا تلتفتُ الى ما يُقال فقد علمت الخاصّة والعامة انى أطلقت للرجال النافذين الى طريق مكة ما لم يطلقهُ أحدٌ تقدّمنى واخترت رؤساء الجند والقوّاد وشجعان الرجال وأزحتُ العلة فى كل ما التمس مني فحدث من قضاء الله عزّ وجل على الحاج ما قد حدث مثله في أيام المكتفى بالله رحمه الله [1] فما أنكره [217] على وزيره ولا ألزمهُ جريرته ولا أفسدَ عليه رأيه . . . وتكلم فى هذا المعنى بما يُشاكله وانصرف نسيمٌ والغلمان بانصرافه .

واحتدت الاراجيف وكثرت بابى الحسن ابن الفرات والمحسن ابنه وأراد المقتدر ان يسكن منهما فكتب اليهما رُقعة يحلف فيها على ما هو عليه لهما وما يعتقده من الثقة بهما وانه ينبغى لهما ان يثقا بما تقرر فى نفسه من موالاتهما وأمرَهُما ان يظهرا رُقعته اليهما لاهل الحضرة ويكتب بنسختها الى جميع عُمّال الحرب والخراج في البلدان

ثم ركب بعد ذلك ابن الفرات والمحسّن الى الدار فوصلا الى المقتدر فى شهر ربيع الاول سنة اثنتين وعشرة ولما خرجا أجلسهُما نصر الحاجب [2]

(١) يعني في سنة ٢٩٤ فيها أوقع بالحاج ذكرويه بن مهرويه القرمطى : طبري ٣ : ٢٢٦٩ (٢) وزراء ص . ٥١

وكان راسل الغلمان الحجريّة المقتدرَ في القبض عليهما فدخل مفلح برسالتهم ثم أشار عليه بتأخير الامر وقال له : ان صرف الوزير بكلام الاعداء خطر وخطأ في التدبير وإطماع للغلمان . فامره ان يقدم الى نصر بإطلاقهما ويُعرّف الغلمان ان الامر يجري فيما راسلوه على شبهتهم فقدم مفلح وقال : لينصرف الوزير . فأذن نصر للوزير وابنه في الانصراف [٢١٨] فقام ابن الفرات في الممرّات كالمهزول حتى وصل الى طيّاره وكذلك ابنه المحسّن فلما وصلا الى دار الوزير دخل اليه المحسّن فسارّهُ اسراراً طويلا ثم خرج من عنده وانصرف الى منزله وجلس فيه ساعةً وتقدم بما أراد ثم خرج فاستتر . وجلس أبوه غير مكترثٍ ينظرِ في العمل وبين يديه وجوه الكتّاب وانصرفوا آخر النهار وقد تشككوا فيما بلغهم من صورة الامر لما رأوه من نشاطهِ وانبساطهِ وجريهِ على رسمه في الحديث والأنس والامر والنهي . وتحدّث بعض خواصه قال : سمعتُه يقول في اخر الليل وهو في مرقده يتمثل بهذا البيت

وأصبحَ لا يدري وان كان حازما أقدّامهُ خيرٌ له أم وراؤهُ

فدل ذلك على سهرهِ وتفكُّره في أمره . وجلس من الغد ينظر في أمره قال أبو القاسم ابن زنجي : فبينما هو كذلك اذ وردت رُقعة لطيفة مختومة فقرأها فما عرفت ممن هي في الوقت ثم عرفت انها كانت من مفلح . ثم وردت رُقعة أخرى من رجل يجري مجرى الجند كان ملازما لدار السلطان فلما قرأها أمسك [٢١٩] قليلا ثم دعا يحيي قهرمانه فاسرّ اليه بشيء وانصرف ثم صرف الناس ووعدهم البكور ونهض ابن الفرات عن مجلسه الى دور حُرمه وتفرّق الناس . فلما صرت الى الروشن ذكرت شغلا عليّ كان

شغلني به فانصرفتُ وجلستُ لذلك فاذا بنازوك قد دخل عليه سيفُهُ وبيده دبُوسٌ واذا يلبق يتلوه وهُما بخلاف ما اعهدهُما من الانبساط ومع كل واحد منهُما نحو خمسة عشر غلاما بسلاح . فلما لم يجدوه في مجلسه دخلوا الى دار حرمه فاخرجوه منها حاسرا وأجلس في طيّار وحُمل الى دار نازوك وقبض معه على ابنيه الفضل والحسين ومن وُجد من كُتّابه .

ومضى نازوك ويلبق الى مونس المظفّر وعرّفاه الخبر وكان قد خرج الى باب الشمّاسيّة وأظهر انه خرج للنزهة فانحدر معه هلال بن بدر وجماعة من قوّاده وذهب يلبق الى دار نازوك وأخرج ابن الفرات من هُناك مع ولديه وأسبابه وأخرج نازوك من داره رداء تصب وطرحه على رأسه لانه كان حاسراً . فلما رأى ابن الفرات مونسا أظهر الاستبشار (٢٢٠) بحصوله في يده فاجلسه معه في الطيار وخاطبه بجميل مع عتاب فتذلل ابن الفرات وخاطبه بالاستاذية فقال له مونس : الساعة تخاطبني بالاستاذية وبالامس تخرجني على سبيل النفي الى الرقة والمطر يُصبّ على رأسي ثم تذكر لمولانا أمير المؤمنين اني أسعى في فساد مملكته . وانحدر به الى دار السلطان وتقدّم بحمل ولديه وكتابه اليها وتسليمهم الى نصر

فتكاثر العامّة على ابن الفرات ومعهم اسباب المنكوبين يدعون عليه ويضجون واجتهد مونس في دفعهم فما قدر على ذلك ورجموا طيار مونس لمكان ابن الفرات فيه وصاحوا « قد قبض على القرمطي الكبير وبقي القرمطي الصغير » ولما وصلوا الى باب الخاصة صعد جمع عظيم من السميريات لرجم ابن الفرات وولديه وكتابه بالآجُرّ حتى حوربوا واحتيج الى رميهم بالسهام وجرح بعضهم فانصرفوا وتسلّمهم نصر .

فكانت مدّة ابن الفرات فى هذه الوزارة الثالثة عشرة أشهر وثمانية عشر يوماً . ثم اجتمع وجوه القوّاد الى دار السلطان وأقاموا (٢٢١) على ان ابن الفرات ان حبس (١) فى دار الخلافة خرجوا باسرهم الى المصلى وأسرفوا فى التهدّد فدعا المقتدر مونسا ونصرا وشاورهما فاشارا بتسكين القواد وبان يخرّج ابن الفرات ويسلّم الي شفيع اللؤلؤي ويعتقل عنده فاستحضر شفيع وسلم اليه

﴿ ذكر توصُّل أبى القاسم عبدالله بن محمد بن عبيدالله الخاقاني الى الوزارة ﴾

كان أبوالقاسم عبد الله بن محمد الخاقانى استتر فى أيام وزارة ابن الفرات الثالثة وأبوه أبو علي شديد العلة وقد أسنّ وتغير فهمه (٢) ولما اضطرب أمر ابن الفرات عندما جرى علي الحاج ماجرى سعى عليه أبو القاسم الخاقانى وعلى ابنه المحسن وعمل لهما عملا وسعي له فى ذلك نصر الحاجب وثمل القهرمانة وغيرهما . وكان مونس أشار بابى القاسم الخاقانى قبل ذلك فقال المقتدر : أبوه خرب الدنيا وهو شرّ من أبيه ولكن تقلد الحسين بن أحمد المادرائى . فعرّفه مونس انه قد نفذ الى مصر وان استحضاره يبعد . ثم ساعده نصرٌ وابن الخال (٢٢٢) فى ذلك ثم استحضره المقتدر وشافههُ بتقليده الوزارة والدواوين وخلع عليه وركب معه مونس المظفر وهرون بن غريب الى داره

﴿ ذكر ماجرى عليه أمر ابن الفرات واسبابه
بعد تقلد أبى القاسم الخاقانى الوزارة ﴾

ذكر أبو الحسن انه سلم الى شفيع كما ذكرنا فراسلهُ شفيع على يد المعروف بالجمل كاتبه فيما يبذلهُ من المصادرة عن نفسه ليسلم من اعدائه

(١) وفى الاصل جلس (٢) يراجع فيه صلة عريب ١٢٠

ومن تسليمه الى الخاقاني وأبي العباس بن بعد شرّ وهو كاتب الخاقانى فاجابه ابن الفرات بانه لايفعل أو يثق من المقتدر بالله فى حفظ نفسه من تسليمه الى أحد من هذه الطبقة . وقال لِلكاتِب الملقَّب بالجمل : قل لصاحبك (١) « انى قد خلفتُ فى يد هرون الجهبذ وابنه مائة ونيفاً وستين ألف دينار حاصلة قبلهما من مال المصادرين » ليعرف الخليفة ذلك ويتقدّم بحملها الى بيت مال الخاصة من وقته هذا حتى لا يوهمه الخاقاني انه هو استخرجه ثم يصرفه في النفقات التى سبيلها ان ينفق من بيت مال العامه . فركب شفيع للوقت وأنهى ذلك الى المقتدر (٢٢٣) فوجه الى الجهبذَين وكانا في دار الخاقانى لم يُكلِّمهُما بعدُ لتشاغله بالتهنِئة فاحضرا واعترفا بالمال وحملاه وصححاه فى بيت مال الخاصة .

وتقدّم المقتدر الى نصر الحاجب بتسليم أولاد ابن الفرات وكُتّابه وأسبابه الى الخاقانى فسلمهم اليه وأخذ خطهُ بتسلمهم وسلمهم الخاقانى الى ابى العباس ابن بُعد شرّ فقيدهم واجلسهم على الارض فى الحر الشديد . ثم أخذ خطّ كلّ واحدٍ من ولدى ابن الفرات بمائة ألف دينار وخطّ سعيد بن ابراهيم (٢) بمائتى ألف دينار وخط أبى غانم كاتِب المحسن بمائتى ألف دينار ووقع النداء على المحسن وهشام وابى نرجويه والتهديد لمن وُجدوا عنده بعد النداء بالنهب واحراق المنازل وضرب ألف سوطٍ . وواقف

---

(١) راجع وزراء : ١٢٤ (٢) هو التستري أبو الحسين (وقال ياقوت أبو الحسن) كان نصرانيا من صنائع بنى الفرات هو وأبوه يلزم السجع فى كلامه وله كتاب المقصور والممدود على حروف المعجم وكتاب المذكر والمؤنث وكتاب رسائل الفتوح كذا في الوافي بالوفيات للصفدي

أبو الحسن شفيعا على ان يضمن عنده مالاً ان رُدّ الى دار السلطان ولم يسلم الى أحد فذهب شفيع فخاطب فى ذلك المقتدر فقال له المقتدر : ان مونسا ونصراً وهرون بن غريب قد اجتمعوا على انه لا يمشي للخاقانى أمرٌ الا بتسليم ابن الفرات اليه وضمن ان يستخرج منه ومن ابنه واسبابه(٢٢٤) ألفى الف دينار .

فانصرف شفيع ووجه الى ابن الفرات بكاتبه يشرح الصورة له فقال هذا الكاتب وهو الملقّب بالجمل : كنتُ أدخل الى ابن الفرات فى كل يوم لتفقّد أحواله فكنتُ أجده اقوى الناس نفساً وأصبرهم على نوائب الدهر (قال) ولقد سألنى عمّن تقلد الوزارة فعرّفتهُ [1] أنه أبو القاسم ابن أبى على الخاقانى فقال « السلطان نكب ومانكبتُ أنا » وسلنى عمّن تقلّد الديوان (يعني ديوان السواد) فقلتُ : محمد بن جعفر بن حفص . فقال « بحجرِه رُمى » وسألني عمّن تقلد باقى الدواوين فعرّفته أنهم يحيى بن نُعيم المالكى ومحمد بن يعقوب المِصرى واسحق بن على القُنّائى فقال « لقد أيّد الله هذا الوزير بالكفاة »

وكان المُناظِر لابن الفرات ابن بُعد شرّ فرفق به فوعده ان يتذكر ودائعهُ ويُعرّفه اياها فعاوده بالرفق فأقرّ أن له عند التجار مائة وخمسين ألف دينار وكان المقتدر رسم أن يكون مال مُصادرة ابن الفرات وحده يُحصَّل فى بيت مال الخاصّة ومال مصادرة أسبابه فى بيت مال العامّة . ولما(٢٢٥) استُخرج ما ذكره ابن الفرات من التجار أعاد ابن بُعد شرّ مطالبة ابن الفرات فذكر أنه لم يبق له مالٌ فاوقع به مكروهاً يسيراً ولم يكن ابن

(١) وزراء ١٢٤

الفرات ممّن يستجيب بالمكروه فتقاعَدَ وامتنع دفعةً واحدة من أداء شيء . فمضى هرون بن غريب الى المقتدر وعرّفه أن الخاقانى جنى على السلطان بتسليمه ابن الفرات الى ابن بُعد شرّ وانه كان ينبغى أن يرفُق به ويُداريه فانه ممّن لا يستجيب بالمكروه فتقدّم المقتدر الى الخاقانى بان تكون مُناظرة ابن الفرات بحضرة هرون بن غريب وان يرفق به . وكان ابن بُعد شر قد ضيَّق على ابن الفرات فى مطعمه ومشربه حتى أنه أدخلَ اليه خبز خُشكار وقثاء وماء الهواء فوجه اليه بطعام واسع وشراب وثلج كثير وفاكهة واعتذر اليه عمّا جرى وحلف أنه لم يعلم بما عُومل به

ثم أن الخاقانى راسله على يد خاقان بن أحمد بن يحيى برفق ومداراة بان يقرّ بماله ولا يلاجّ السلطان فليس ذلك بمحمود فأجابه بان قال : قُل للوزير « لست حدثاً غرّا فتحتال عليّ فى المناظرة ولست (٢٢٦) أقول انى لا أقدر على المال ولكن اذا وثقت لنفسى بالحيوة فديتها بالمال وانما أثق بذلك اذا كتب أمير المؤمنين بخطّه لى أماناً وشهد الوزير والقُضاة بخطوطهم ويكتب لى الوزير أيّده الله أماناً بخطّه ويسلّمنى الى أحد رجلين إما مونس المظفّر وان كان عدوّى وإما شفيع اللؤلؤى فان لم يفعل ذلك فقد وطنتُ نفسى على التلف . فوجّه اليه الخاقانى : بانى لو قدرتُ على التوثق لك لتوثّقتُ ولكن ان تكلّمتُ فى هذا المعنى عادانى خواصّ الدولة لاجلك ثم لم تنتفع أنت بذلك وقد ردّ الخليفةُ أمرَكَ الى هرون بن غريب . فتواعدوا الى دار الخاقانى بالمُخرّم واستحضر ابن الفرات وناظَرَهُ ابن بُعد شرّ بحضرته فتماتن ابن الفرات فبدأ ابن بُعد شرّ يُسمعهُ المكروه فأنكره هرون وزبره وقال : بهذا تُريدُ ان تستخرج مال ابن الفرات ؟ واقبل هو على ابن

الفرات وداراهُ وخاطبَهُ بجميل وقال له : أنت أعرف بالامور من كلّ من يخاطبك والخلفاء لا يُلاحِّهم وزراؤهم اذا سخطوا عليهم . فقال له ابن الفرات : أشِر عليّ أيّها الامير فان من كان في مثل حالي عزب عنه الرأي . فلم يزل معه في مناظرات الى ان أخذ (٢٢٧) خطّهُ بمصادرة الفي ألف دينار على ان يُعجّل منها الربع وعلى ان يحتسب له من الربع بما أدّاه وما أُخذ بعد ذلك مما لعلّه استُخرج من ودائعه بغير إقرار منه ويطلق له بيع املاكه ومايستبيع من ضياعه وأمتعته وينقل الى دار شفيع اللؤلؤي أو غيره من ثقات السلطان ويطلق الكلوذاني ليتصرّف في جمع أمواله وتطلق له الدواة[1] ليكاتب من يرى مكاتبته . فأخذ هرون بن غريب خطّهُ بجميع ما كتب به وحمله الى المقتدر بالله

﴿ ذكر اتّفاق سيّئ اتّفق على المحسن حتى ظفر به وصودر وقتل ﴾

كان المحسن استتر عند حماته حنزابة وهي حماتُهُ ووالدة الفضل بن جعفر بن الفرات فكانت تحمِلهُ كلّ يوم بكرة الى المقابر في زيّ النساء وتردّهُ الى المنازل التي تثق بها بالليل . فمضت به يوما الى مقابر قُريش في زيّ النساء على رسمه وأمست فبعُد عنها الطريق الى الكرخ . فوصفت لها امراة كانت معها منزل امرأة تثق بها ليس معها رجل لان زوجها مات منذ سنةٍ فصارت حنزابة مع النسوة والمحسن (٢٢٨) الى هناك فقالت لصاحبة الدار : ان معنا امرأةً لم تتزوّج بعد وقد عادت من مأتمٍ وضاقت عليها فافردي لها بيتاً . فافردت لها بيتاً في صُفّةٍ وادخلت اليه المحسن ثم ردّت عليه الباب وجلس النسوة مع المحسن في البيت . فجاءت جارية سوداء بسراج

---

(١) في الاصل الدواء

معها فوضعته فى الصُفّة وأدخلت حنزابة الى المحسن بسُوَيق وسُكّر وكان المحسن قد نزع ثيابهُ فاطّلعت الجارية السوداء من حيث لا يشعُر المحسن ولا حنزابة فى البيت وعلمت انه رجلٌ فانصرفت وأخبرت مولاتها فلما جن الليل جاءت مولاتها وطالعت البيت فرأت المحسن . وكان ذلك من نحس المحسن وخذلان الله اياه لأن تلك المرأة كانت زوجة لمحمد بن نصر وكيل على بن عيسى وكان المحسن طلبهُ فأدخل الى ديوانه فرأى ما يلحق الناس من المكاره بحضرة المحسن فمات من الفزع فُجأةً من غير ان يكلمه المحسن . فمضت المرأة فى الوقت الى دار السلطان حتى وصلت الى دار نصر الحاجب وشرحت له الصورة فأنهى نصر الحاجب الخبر الى المقتدر بالله فتقدمّ بالبعثة الى نازوك ليركب الى الموضع ويقبض على المحسن فركب نازوك من وقته الى الموضع وكبسه وقبض على المحسن . وضُربت (٢٢٩) الدبادب لذلك نصف الليل عند الظفر به حتى ارتاع الناس ببغداد وظنّوا ان القرمطى قد كبس بغداد

وحمل المحسن الى دار الوزارة بالمخرّم وتسلّمه ابن بُعد شرّ [فأوقع به ابن بُعد شرّ وجرّعهُ] فى وقته مكروهاً عظيما وأخذ خطه بثلاثة آلاف ألف دينار . وحضر هرون بن غريب دار المخرّم وناظر المحسن فوعدَهُ ان يتذكّر ودائعه ويقرّ بها ولحِقه فى يومين متواليين مكروه عظيم فلم يذعن بدرهمٍ واحدٍ وقال : ليس يجمع بين نفسى ومالى . وحضر بعد ذلك هرون بن غريب ومعه شفيع اللؤلؤى وأحضر المحسن والكتّاب وابن بعد شرّ وناظر المحسن وأوقع به مكروهاً عظيماً وقال له : هبك لا تقدر ان توفى المال الذى أخذ خطّك به لا تقدرُ ان توفى مائة ألف دينار ؟ فقال له :

بلى اذا أمهلت وزال عنى المكروه . فقال له : نحن نمهلك فاكتبْ خطك بمائة ألف دينار . وثبت بذلك خطه وانه يودّيها فى مدّة ثلاثين يوماً فلما قرأ هرون بن غريب الرقعة قال : كأنك ترجو ان تعيش ثلاثين يوماً . نخضع له المحسن وقال له : [٢٣٠] افعلْ ما يأمر به الامير . قال : اكتبْ بانك تؤدّيها فى مدّة سبعة أيام . فارتجع الرقعة ليكتب بدلها فلما حصلت فى يده مضغها وبلعها وامتنع ان يكتب غيرها . فقيّد وغلّ وألبس جبة صوف وضرب على رأسه بالدبابيس على ان يكتب ما كان كتبه فلم يكتب فأعيد الى محبسه وعذّب فيه بأنواع العذاب فلم يذعن بدرهمٍ واحد .

فلما كان بعد ذلك حضر الاستاذ مونس ونصر الحاجب والقضاة والكتاب مجلس الوزير الخاقانى وأحضر أبو الحسن ابن الفرات وناظره الخاقانى ولم يكن الخاقانى من رجالهِ وكاد أبو الحسن ابن الفرات ان يأكله فكان فيما قال له : انك استغللتَ ضياعك فى مدّة أحد عشر شهراً ألف ألف دينار . فقال : قد كانت هذه الضياع في يد على بن عيسى عشر سنين أيام وزارته وأيام وزارة حامد بن العباس وما ارتفع له منها الاّ أربعمائة ألف دينار فقد ادّعيتَ لى المعجزات . فقال له : أضفت حقوق ضياع السلطان الى ضياعك . [١] فقال : الدواوين لا يمكن ان يكتم ما فيها فتنظر فى ارتفاع النواحى السلطانية فى أيام نظرى فيها وفى ارتفاعها أيام على بن عيسى ووزارة [٢٣١] حامد بن العباس ووزارة أبيك التى دبّرتها أنت حتى تعلم هل زادت ارتفاع ضياع السلطان في أيامى أم نقصت .

ونوظر فيمن قتل وشنع عليه بهم فقال : ليس يخلو ذلك من أحد

(١) فى كتاب الوزراء (٥٧) قد أضفت الى حق المرقبة حقوق بيت المال

أمرين اما ان يقال انى أنا قتلتهم فلم أغب عن الحضرة والقتل لم ينسب الىّ والمدّعى قتله بالبعد منها واما أن يقال « كتبتَ خطَّك بقتلهم » وهؤلاء أصحاب المعاون وثقات السلطان وعمّال الخراج ووجوه متصرّفى عمّال السلطان قد حكمتهم على نفسى . فقيل له : قد قتلهم ابنك . فقال : انا غير ابنى وأنتم تناظرونى . فقال له ابن بعد الشرّ (كذا) : اذا قتل ابنك الناس فأنت قتلتهم . فقال له ابن الفرات : هذا غير ما حكم الله ورسوله فانه عزّ وجلّ يقول : (ولا تَزِرُ وازرةٌ وزرَ أخرى) . وقال النبى عليه السلام لرجل من أصحابه : أهذا ابنك . فقال : نعم . قال : أما انه لا يجني عليك ولا تجنى عليه . ومع هذا فهو في أيديكم سلوه فان وجب عليه قودٌ بادّعاء قتلٍ فى موضع ناءٍ عنه يقال فيه ان غيره تولّى قتله فالحكم فى هذا معروف .

فتحير القوم فى الجواب فقال عثمان بن سعيد صاحب ديوان الجيش لنصر الحاجب : ان رأى الحاجب ان يقول له : حيث كنت تقول لمن تطالبه « ان اديتَ والاّ سلّمتُكَ (٢٣٢) الى المحسّن » أكنت تسلّمه ليسقيه السويق والسكّر أو ليعذّبه ومَن أطلق التعذيب فقد أطلق القتل لان الانسان قد يتلف بمقرعةٍ واحدةٍ يُضرَب بها فضلاً عن غيرها . فخاطبه نصر بذلك فقال فى الجواب : ان الخليفة أطال الله بقاءه ولّي المحسّن وأنا اذ ذاك محبوس وهو مُطلَقٌ فضمن ماضمنه وجرى ذلك على يد مُفلح وتوسطه جماعة من ثقات السلطان . ثم لما تقلّدتُ الامر كنتُ أحبّ الرفق بالناس واذا ناظرتُهم ورفقتُ بهم لم يذعنوا بما يلزمهم فاذا أقاموا على الامتناع سلّمتهم الى مَن نصبهُ السلطان وأمر بتسليمهم اليه . فقال له مونس : كانك تُحيل على الخليفة فى قتل الناس فان الخليفة قال « ما أمرتُ بقتل أحد سوى ابن

الجواري فقط »

ثم أقبل نصر عليه فقال له : معي رسالة من الخليفة اليك فتسمعها وتُجيب عنها . قال : وماهي . قال : يقول : سلّمتُ اليك قوما ومالا ضمنته لي وأريد منك أحد أمرين اما وفّيتني المال أو رددت عليّ القوم . فقال ابن الفرات : اما المال فقد صح في بيت المال واما الرجال فما ضمنتُ أرواحهم ولا بقاءهم وقد تلفوا حتف انافهم . فقال له مونس المظفر : هب ان لك في كل شيء عذرا وحجّة أي عُذر (٢٣٣) لك في اخراجي الى الرقة حتى كأني من العُمّال المصادرين أو من أعداء دولة أمير المؤمنين . قال : انا أخرجتُك ! قال : فمن أخرجني ؟ قال : مولانا أمرني باخراجك . قال : مولاي لم يأمر بذلك . قال : معي حجة بخطه كتب اليّ رُقعة احتفظت بها لانها بخطه يشكو فيها أفعالك وقتاً بعد وقت وفتحك البلدان بالمؤن الغليظة ثم اغلاقك اياها بسوء تدبيرك وآثارك القبيحة . قال : وأين الرقعة . قال : في أيديكم في جملة المهمات التي أمرتُ بحفظها في السفط الخيزران المكتوب عليه بخطي بالتحفظ به من المهمات وفيها الامر بإخراجك الى الرقة والتوكيل بك حتى تخرُج . فامر الخاقاني باحضار السفط فوجدهُ مختوماً بخاتم ابن الفرات ووجد فيه الرُقعة بعينها وفيها جميع ما ذكر ابن الفرات بخط المقتدر فاخذها . ومضى مونس من وقته الى المقتدر حتى لقيه وأقرأه الرُقعة فاغتاظ المقتدر على ابن الفرات غيظا شديدا فامر هرون بضربه بالسوط فمضى هرون حتى ضرب ابن الفرات بين الهنبازين خمس درر فقط وقال له : ياهذا اذعن بمالك . فاعطى خطّه بعشرين الف دينار وقال : هذا مالي .

ثم أخرج المحسن (٢٣٤) في الوقت فضربه ضرب التلف فلم يذعن

بشيء بتة فصار هرون بن غريب الى المقتدر بالله واستعفى من مناظرة ابن الفرات وابنه وقال : هؤلاء قوم ليس فى عزمهم ان يُؤدّوا شيأ البتة وقد استقتلوا . فامر بتسليمهما الى نازوك وبسط المكروه عليهما فاوقع نازوك بالمحسن أنواع المكاره حتى تدوّد بدنه ولم يبق فيه فضل لمكروه وضرب أبا الحسن ابن الفرات ثلاث دفعات بالقلوس فلم يذعن بدرهم واحد واستبطأ المقتدر بالله أباالقاسم الخاقانى الوزير وقال له : مارأيت شيأ مما ضمنته من أموال ابن الفرات وابنه صحّ . فقال : لانه لم يترك والتدبير [1] وان ابن الفرات لما عدل به عن مناظرة الكتاب وسلم الى أصحاب السيوف يئس من الحياة فضنّ بالمال ونظر اليه ابنه فاقتدى به . وقال نازوك للمقتدر . قد انتهيت بهؤلاء القوم من المكاره الى الغاية حتى ان المحسن مع ترفّه قد تدوّد بدنهُ وصبر بعد ذلك على مكاره عظام لم يُسمَع بمثلها وقد مضت له الآن أيام لم يطعم طعاما وانما يشرب الماء شربا يسيراً وهو فى أكثر أوقاته مغشى عليه . فقال المقتدر بالله : اذا كان الامر كذلك فلا بد من حملهما الى دارى . فاظهر مونس [٢٣٥] والجماعة ان الصواب فى ذلك وقال الخاقانى : قد وفق الله [رأى] أمير المؤمنين . وخرجت الجماعة من حضرته

فاسرّ الخاقانى اليهم وهم بعد مجتمعون فى دار السلطان وقال : ان حمل ابن الفرات الى دار الخليفة بذل أسبابه عنه وعن ابنه الاموال واذا وثق مع ذلك بالخليفة وحصل فى داره أخرج أمواله وتوثق لنفسه ولابنه . فاذا أمن على نفسه تضمن الجماعة وحمل الخليفة على تسليمها اليه ويطمعه فى ان يوفر أرزاقها واقطاعاتها وضياعها ويجمع له أموالا جليلة خطيرة . والوجه

(١) يعنى مع التدبير

ان يقع التجمّع من القوّاد واليمين على انهم ان وقفوا على ان ابن الفرات وابنه حملا الى دار الخليفة خلعوا الطاعة . فقال مونس : هذا شيء ان لم نفعله لم يصف لنا عيشٌ . وتجرد لهذه الحال هرون بن غريب ونازوك فجمعا القواد ووجوه الغلمان الحجريّة وكان يلبق يستحلفهم .

﴿ذكر مقتل أبي الحسن ابن الفرات وابنه المحسن﴾

ثم اجتمعوا باسرهم الى مونس ونصر وأظهروا ما في نفوسهم فاشار مونس بان يلتمس القوّاد نقل ابن الفرات وابنه الى دار مونس فان مات المحسن استبقى أبوه فقال له (٢٣٦) هرون بن غريب : اذا مات المحسن لم يصلح ان يستبقى أبوه وكيف يوثق به وقد قتل ابنه حتى يؤمن على الملك ؟ ثم كاشفوا المقتدر بالله وقالوا باجمعهم : ان لم يقتل ابن الفرات وابنه خلع الاولياء باسرهم الطاعة . وواصل هرون بن غريب مخاطبة المقتدر في قتل هذين وقال : لستُ آمنُ أن يجتمع الاولياء على البيعة لبعض بني هاشم ثم لا يتلافى الامر . وأرادت الجماعةُ من الوزير الخاقاني التجريد في ذلك فقال : لستُ أدخل في سفك الدماء وانما أشرتُ بألاّ يحملا الى دار السلطان فاما قتلهُ فخطا لانه ليس ينبغي ان يُسهّل على الملوك ولا يُحسّن لهم قتل أحدٍ فانهم متى فعلوا ذلك خفّ عليهم قتل خواصهم حتى يأتوا عليهم بأدنى ذنبٍ وخطاءٍ يكون منهم

فلما كان يوم الاحد لاثنى عشر ليلة خلت من شهر ربيع الاخر قُدّم الى ابن الفرات طعامهُ فأمر برفعه وقال : أنا صائمٌ . وحضر وقت الافطار فقدّم اليه لما حضر وقت الطعام فقال : لستُ أفطر الليلة . فحضر عنده من اجتهد به ان يفطر فقال : أنا مقتول في غد لا محالة . فقيل له : (٢٣٧) أعيذك

بالله . فقال : بلى رأيتُ البارحة أخى أبا العباس رحمه الله فى النوم وقال لى « أنت تفطر عندنا يوم الاثنين بعد غدٍ » وما قال قط فى النوم شيئا الا صحّ وغداً الاثنين وهو اليوم الذى قُتل فيه الحسين بن على صلوات الله عليه . فلما كان من الغد وهو يوم الاثنين انحدر الناس الى دار الخليفة فلم يصلوا فكتب هؤلاء الرؤساء بقتل ابن الفرات وابنه فأجابهم المقتدر : ان دعونى انظرْ فى ذلك . فكتبوا اليه : انه ان تأخّر قتل ابن الفرات وابنه عن هذا اليوم جرى على المملكة ما لا يتلافى .

وكتب المقتدر الى نازوك بأن يضرب أعناقهما ويحمل رؤسهما الى حضرته فقال نازوك : هذا أمر عظيم لا يجوز ان أعمل فيه بتوقيع . فأمر المقتدر الاستاذين والخدم بالخروج اليه برسالته بامضاء ما كتب به فخرجوا اليه بذلك فقال : لا أعملُ على رسالة ولا بدّ من مشافهة بذلك . وابن الفرات راعى الخبر فلما قيل له ان الناس قد انصرفوا وان نازوك انصرف الى منزله سكن قليلاً ثم قيل له : ان نازوك قد عاد الى دار السلطان . فاضطرب جدًّا وصار نازوك الى دار الوزارة بعد الظهر من ذلك اليوم فجلس (٢٣٨) فى الحجرة التى كان ابن الفرات معتقلا فيها ووجّه بعجيب خادمه ومعه السودان حتى ضرب عنق المحسِّن. وصار برأسه الى أبيه فوضعهُ بين يديه . فارتاع لذلك ارتياعاً شديداً وعُرض هو على السيف فقال لنازوك : ياأبا منصور ليس الا السيف ؟ راجع أمير المؤمنين فى أمرى فان لى أموالاً عظيمة وودائع كثيرة وجواهر جليلة . فقال له نازوك : قد جلّ الامر عن هذا. وأمر به فضُربت عنقهُ وحمل رأسه ورأس ابنه الى المقتدر بالله فأمر بعرتهما فغُرّقا فى الفرات وغُرّقت الجثّتان فى الثمانين ببغداد . وكان سنُّ أبى

الحسن ابن الفرات رحمهُ الله يوم قتل احدى وسبعين سنة وشهوراً وسن ابنه المحسّن ثلاثاً وثلاثين سنة وقد كان حكم العاصمي المنجّم فى تلك السنة انه يخاف فيها على ابن الفرات نكبةً وتلفاً بالسيف وذكر ذلك فى مولده الذى كان بين يديه وحكم على مولد المحسّن ان عُمرَهُ ثلاث وثلاثون سنة فصحّ حكمه (١)

وفى هذه السنة ورد كتاب الفارق من البصرة يذكر ان كتاب أبى الهيجاء ابن حمدان ورد عليه من هجر يذكر انه كلّم أبا طاهر القرمطى فى أمر من استأسر من الحاجّ (٢٣٩) وسأل إطلاقهم فوعده بهم وانه أحصى من عنده منهم فكانوا من الرجال الفين ومائتين وعشرين رجلاً ومن النساء نحو خمسمائة امرأة . ثم وردت الاخبار بورود قوم بعد قوم الى ان كان آخر من ورد منهم أبو الهيجاء وأحمد بن بدر عمّ السيّدة . وقدم بقدوم أبى الهيجاء رسولٍ أبى طاهر القرمطى يستدعى الافراج عن البصرة والاهواز ونواحٍ أخر فأنزل الرسول وأكرم وأقيمت له الانزال الواسعة ثم صرف ولم يقع اجابة الى شىء مما التمس

وفيها خلع على نجح الطولونى ورُدّ الى أصبهان لولاية أعمال المعاون بها .

وفيها ورد رسول ملك الروم ومعه أبو عُمَير ابن عبد الباقى ووصل الى السلطان وأوصلهُ معه هدايا والتمس الهُدنة والفداء فأجيب الى ذلك بعد الغزاة الصائفة وخلع عليهما ورجع الرسول الى بلد الروم

وفيها خلع على جِنّي الصَفْوانى وكان ورد من ديار مُضر واستدعى

(١) وفيها حكم به أبو معشر راجع كتاب الوزراء (١٦١) وأبو معشر هو جعفر بن محمد البلخي توفى سنة ٢٧٢ : فهرست ٢٧٧

محاربة أبي طاهر القرمطي

وكان سليمان بن الحسن بن مَخْلد وأبو على ابن مقلة مبعَدين بشيراز فى يد أبي عبد الله جعفر بن القاسم الكرخى فذكر أبو على انه كان مجتمعاً مع سليمان فى دار (٢٤٠) واحدة مصونَين مُكرَمَين . فورد عليه الخبر بالقبض على ابن الفرات وكان أبو الحسين ابن أبي البغل معتقلا فى يد صارفه جعفر بن القاسم الكرخى قال : فاطّلعت الجماعة على الخبر وكان ابن أبي البغل قد وقف على ما كان رسمه ابن الفرات والمحسّن فى أمره فحين وقف على الخبر وقّع فى حاشية التقويم : وفى هذا اليوم وُلد محمد بن أحمد بن يحيى وله احدى وثمانون سنة .[1] ولما وقف الكرخى على الخبر أطلق أبا على ابن مقلة وسليمان بن الحسن وهنّأهما بالسلامة قبل ان يرد عليه كتاب باطلاقهما . ثم ورد كتاب الخاقانى على المسمعى والكرخى باطلاقهما ومراعاتهما حتى لايخرجا من شيراز فأقام سليمان مدّة أسبوع حتى أحكم أمره . ودعا المسمعى جعفر بن القاسم الكرخى دعوة عظيمة وأقام على حال سرور يومين متواليين نخفى عنهما الخبر فى خروج سليمان وكان خرج فى زىّ الفيوج فلما كتبا الى الخاقانى بهرب سليمان عظُم عليه واشتدّ الاراجيف بوزارة سليمان ودخل سليمان بغداد مُستتراً . وأقام أبو على ابن مقلة بشيراز الى ان توصّلت زوجتهُ الى أسباب الخاقانى وعنى به شفيع المقتدرى وأمر الخاقانى بإطلاقه (٢٤١) والاذن له فى المصير الى الاهواز وكتب له بإجراء مائتى دينار فى كلّ شهر عليه ومنعه من الخروج فأقام مدّة ثم أذن له فى قدوم بغداد بشفاعات الناس له .

(١) يعنى هو بنفسه أبو الحسين ابن أبي البغل وراجع وزراء : ٢٧٣

وفيها خاطب مونس المظفّر الوزيرَ الخاقانى فى أمر على بن عيسى وان يكتب الى أبى جعفر صاحب اليمن بالاذن له فى الرجوع الى مكة فكتب اليه بذلك فأذن له أبو جعفر وحمل اليه طيباً وكسوة وآلات نحو خمسين ألف دينار وعاد على بن عيسى الى مكة مع حاجّ اليمن فلما حصل بها قلّده الخاقانى بمسئلة مونس الاشراف على مصر والشام (١) . وكتب على بن عيسى لما وصل الى مكة وقبل تقلّده الاشراف على مصر والشام الى الوزير الخاقانى كتاباً يهنّئه فيه بالوزارة ويُعزّيه بأبى على ابيه ويسئله صيانة أهله وولده والعناية بهم فى ضيعته ومعيشته فأجابه الخاقانى بجواب جميل وانه قد رعى حقّه فى أهله وولده وحاشيته غير مُعتدّ عليه ولا مُتحمّد به

﴿ ذكر الاسباب التى اتّفقت على الخاقانى حتى صرف عن الوزارة ﴾ (٢)

كان أبو العباس ابن الخصيبى وقف على مكان زوجة المحسّن بنت حزابة فسأل ان يُولّى النظر (٢٤٣) فى أمرها واستخراج مالها فقُبل ذلك واستخرج منها سبعمائة ألف دينار وصحّحها فى بيت مال الخاصّة فتمهدت له بذلك حال جليلة عند المقتدر ورشّحه للوزارة . وبلغ ذلك الخاقانى فحمل ابن بعد شرّ على ان بذل خطه انه يستخرج من الخصيبى مائة ألف دينار معجلة وصل اليه من مال المحسّن وزوجته زيادة على ماصححه من هذه الجهة وعرض الخاقانى الرُقعة فلم تقع موقعها واتصل الخبر بأبى العباس الخصيبى فكتب الى المقتدر رُقعة يذكر فيها معايب الخاقانى وابنه وكتابه وضياع

(١) وعامل مصر يومئذ الحسن بن محمد الكرخي وعامل الشام محمد بن الحسن بن عبدالوهاب . وزراء ٣٠٩ (٢) وأما ماجرى بينه وبين نصر الحاجب ومونس فليراجع فيه صلة عريب ١٢٣ : ١٢٦ ـ ١٢٤

الاموال وفساد التدبير وسلمها الى من يعرضها على المقتدر والسيدة . وبلغ ذلك الخاقانى واشتدّت به الاراجيف وضعفت نفسه وكان عليلا فزادت عليه حتى أقام شهوراً لا يقدر على اكل لحم حمل ولا طائر وكان يأكل كل يوم وزن أربعين درهما خبزاً ثم صار عشرين درهما وظهر به ورم فى بدنه ورجليه ووجهه وكان يتجلد ويركب فى كل شهر مرة أو مرتين الى دار السلطان وينوب عنه ابنه فى أيام المواكب . فشغب الفرسان لطلب أرزاقهم وخرجوا الى المصلى فوعدوا به وتأخر عنهم (٢٤٣) فعادوا وطمعوا فى النهب وأشرفت بغداد على فتنة عظيمة وخرج اليهم ياقوت بتوقيع المقتدر بالله الى الخاقانى باطلاق رزقة تامة لهم وضمن ياقوت ذلك . فراسل المقتدر الوزير الخاقانى باطلاق نفقاتهم فذكر انه لا يقدر على ذلك وكان عليلا فعاوده برسالة يأمره فيها أن يحتال فى مائة ألف دينار ليضيف اليها مائتى ألف دينار ينفق فيهم . فأقام على انه لا يقدر على احتيال مائة ألف درهم وان له فى توجيه مال النوبة للرجالة ومال الغلمان الحجرية والحشم وخلفاء الحجاب شغلا طويلا . فتقدم المقتدر باخراج ثلثمائة ألف دينار من بيت مال الخاصة واعتمد على ياقوت فى تفرقتها

وكان مونس المظفر بواسط فاستدعاه المقتدر لما شغب الفرسان فوافى وتلقاه الامير أبو العباس والوزير الخاقانى ونصر وسائر الاستاذين والقواد ولقى المقتدر فعرفه ضيق الاموال وتبلح الخاقانى وشاوره فى صرفه فأشار عليه بالتوقف ليلقاه ويواقفه فلقيه مونس فعرفه الخاقانى انه لا حيلة له فى شيء يصرفه فى المهم واحتج بانه عليل لا فضل فيه للعمل فأشار مونس (٢٤٤) لما رأى تبلح الخاقانى الشديد باستحضار على بن عيسى وتقليده

الوزارة فاستبعد المقتدر ذلك فأشارت السيّدة والخالة بابى العباس الخصيبي فقبض على الخاقانى واستتر ابنه عبد الوهاب واسحق بن على القُنَّائى وأخوه وابن بُعد شرّ وخاقان بن احمد بن يحيى بن خاقان وظهر الباقون فكانت مدة وزارته سنة واحدة وستة أشهر

﴿ ذكر سبب وزارة أبى العباس الخصيبي ﴾

واستحضر المقتدر أبا العباس الخصيبي وهو احمد بن عبيد الله يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان فقلده الوزارة والدواوين وخلع عليه وركب معه هرون بن غريب وياقوت ونازوك وأكثر القواد واستكتبت ثمل القهرمانة مكانه على ديوان ضياع السيّدة أبا يوسف عبد الرحمن بن محمد وكان قد تاب من عمل السلطان فلما أسند اليه هذا العمل الجليل كسر التوبة فسماه الناس « المرتد » واستدرك أموالا جليلة كان الخصيبي أضاعها فتنكرت ثمل للخصيبي فى الباطن

وكان أبو العباس الخصيبي يواصل شرب النبيذ بالليل والنوم (٢٤٥) بالنهار فى أيام وزارته كلها واذا انتبه يكون مخموراً لافضل فيه للعمل فردّ فض الكتب الواردة من عمّال الخراج والمعاون وقراءتها والتوقيع عليها واخراجها الى الدواوين وقراءة الكتب النافذة والتعليم عليها الى مالك بن الوليد ويعمل جوامع مختصرةً للمهمّ مما يرد وينفذ فيعرضه عليه اذا انتبهَ فربما قرأه وربما لم يقرأه فيقرأه أبو الفرج اسرائيل ويوقّع فيه على حسب رأيهِ . وكانتِ الجوامع تعمل بخط أبى سعيد وهب بن ابراهم بن طازاذ فتبقى اياما بحضرته فاذا كثرت تقدم بأن يقرأ عليه ويتقدم بالتوقيع تحت كل فصل بما عنده فيه ويخرج ذلك الجامع الى مالك بن الوليد فيبقى عنده

يوماً أو يومين ثم يخرج الى صاحب الديوان فيقرأه ويوقع تحته بما يراه ويجاب عن الكتاب من الديوان بما ينفذ الى صاحب الديوان فيقرأه ويعلم عليه والى ان ينفذ الجواب ما قد تمردت البثوق واتسعت الفتوق واحتملت الاعراب الغلات وحدثت الحوادث المفسدة لمعنى ذلك الكتاب

فلما رأى الكلوذاني ذلك ورأى الضرر يزيد والخطأ لا يتلافى كتب الى العمال بأن ينفذوا نسخة لما يكتبونها الى الوزير اليه(٢٤٦) فكانوا يكتبون اليه نسخا بما ينفذ منهم الى الوزير فيوقع على ظهرها بما يجابون به وتخرج اليه الكتب المكتوبة عن الوزير بعد جمعة وأكثر

وتقدم الوزير الخصيبي الى [أبي] الحسن بن ثوابة (١) بان يقرأ قصص المتظلمين ويوقع عنه فيها في غير يوم المظالم ويجمع القصص في يوم المظالم و يختصر ما في الرقعة فاذا قرأها وقّع بحسبه وكان اكثر اعتماده على اموال المصادرين وكان اول المصادرين ابو القاسم الخاقاني واعتنق مونس امره وذكر للمقتدر انه لا فضل فيه للحركة وانه قد قرر امر مصادرته عن نفسه وابنه وكتابه المختصين به على مائتي ألف وخمسين الف دينار . فامضى المقتدر ذلك وأنفذ خطه به الى الخصيبي ووضع الخصيبي يده على العمال والكتاب وجاذفهم فيما صادرهم عليه فصادر جعفر بن قاسم الكرخي على مائة وخمسين ألف دينار وقبض على المالكي وعلى هشام وعلى بن الحسين بن هندى وورثة ابي احمد الكرخي (٢) والحسن بن أبي الحسن ابن الفرات ويحيى بن عمرويه وأبي الحسن بن مابنداذ واسحق بن اسمعيل النوبختي ومحمد بن يعقوب

(١) هو محمد بن جعفر تقدم ذكره وفي ارشاد الاريب ٢ : ٣٧ هو أبو الحسين

(٢) هو الحسن بن محمد وراجع فيه كتاب الوزراء ٨٢ ـ ٨١ : ١٦٩ ـ ١٦٨ : ٣٠٩

المصرى وورثة نصر بن الفتح صاحب بيت المال (٢٤٧) وابن عبد الوهاب وعبد الله بن جُبَير وكثرت الاراجيف بالخصيبى وانه مصروف عن الوزارة لانه حمار لايحسن شيئا غير المصادرات وهو مشغول بالشرب واللعب وان الامور كلّها ضائعة والمهمّات واقفة وأرجف بالوزارة لجماعة

وفيها كانت وقعة أبى طاهر سليمان بن الحسن القرمطى بالكوفة وأسر قوّاد السلطان

﴿ ذكر الخبر عن دخول القرمطى الكوفة ﴾

كان جعفر بن ورقاء يتقلّد أعمال الكوفة وطريق مكة فلما شخص الحاجّ من بغداد تقدّمهم خوفا من أبى طاهر القرمطى وكان معه الف رجل من بنى عمّه من بنى شيبان. ثم خرج فى القافلة الاولى ثمل صاحب البحر وفى قافلة الشمسة (١) جنّى الصفوانى وطريف السبكرى وسياشير الديلمى فكانت عدة من بذرق بالقوافل من أصحاب السلطان ستة آلاف رجل. فتلقاهم أبو طاهر الجنّابى وكان أوّل من لقىَ جعفر بن ورقاء فناوشه قليلاً ثم طلع على جعفر قوم من أصحاب أبى طاهر على نُجب يقودون خيلاً فنزلوا عن النُجب وركبوا الخيل وخالطوا جعفر بن ورقاء فلم يثبت لهم وانهزم (٢٤٨) بمن معه من بنى شيبان فلقى القافلة وقد نزلوا من العقبة فردّهم وأخبرهم الخبر فولّوا مبادرين حتى دخلوا الكوفة. وتبع أبو طاهر رجال السلطان والقوافل حتى بلغ باب الكوفة فخرج قوّاد السلطان الذين ذكرناهم فاوقع بهم وهزمهم وأسر جنّيًا الصفوانى. وأقام أبو طاهر بظاهر الكوفة ستة

(١) وفى صلة عريب ص ١١٩. وأسر مازج الخادم صاحب الشمسة . . . وأخذت القرامطة الشمسة

أيام يدخل البلد بالنهار ويخرج بالليل فيبيت فى معسكره ويحمل كل ما قدر على حمله فكان فى جملة ما حمل أربعة آلاف ثوب وشي وثلثمائة راوية زيت . فلما حمل كلّ ما قدر عليه رحل الى بلده

ودخل جعفر بن ورقاء وجماعة المنهزمين الي بغداد فقدّم المقتدر بالله الى مونس بالخروج الى الكوفة لمحاربة القرمطي . واضطرب أهل بغداد اضطرابا شديدا وانتقل أكثر أهل الجانب الغربى الى الجانب الشرقى ودخل مونس الكوفة وقد رحل أبو طاهر الجنّابى عنها فاستخلف مونس بها ياقوتا وسار هو الى واسط . ولم يتمّ الحجّ لاحد

{ ودخلت سنة ثلاث عشرة وثلثمائة [٢٤٩] }

وفيها ورد الخبر بمسير على بن عيسي الى مكة حاجاً فى هذه السنة من مصر وورد سلامة حاجبهُ بغداد ومعه سفاتيج بمائة الف وسبعة وأربعين ألف دينار وبآثار واستدراكات أثرها وكان الخصيبي قد أقرّ علىّ بن عيسى على ما كان اليه من الإشراف على مصر والشام

وفيها فتح ابراهيم المسمّى ناحية القفص وأسر منهم خمسة آلاف انسان وحملهم الى فارس

وفي هذه السنة كثرت الارطاب ببغداد حتى عُمل منها التُمور وحُملت الى البصرة فنُسبوا الى البغى [١]

وفيها كتب ملك الروم الى أهل الثغور يرسم لهم أداء الخراج اليه ويقول : ان فعلتم ذلك طائعين والاّ قصدتكم فقد صح عندى ضعفكم

(١) وفى تاريخ الاسلام : أبيع كل ثمانين أرطال بحبة

﴿ ودخلت سنة أربع عشرة وثلثمائة ﴾

وفيها دخل الروم ملطية فاخربوا وسبوا وأقاموا ستّة عشر يوما

وفيها وصل ثمل الى عمله من الثغور عند انصرافه من بغداد

وفيها مات أبو القاسم عبد الله بن محمد الخاقاني وكان أطلق الى منزله فلما ارتفعت الصرخة (٢٥٠) بوفاته كبست داره لطلب عبد الوهاب ابنه فلم يُوجَد

وفيها دخل أهل ملطية بغداد مستغيثين مما نزل بهم من الروم

وفيها خرج أهل مكة منها ونقلوا حُرمهم وأموالهم لاتصال خبر القرمطي بهم بانه قريب منهم فتخوّفوا على أنفسهم وأموالهم منه .

وكتب الكلوذاني الى الخصيبي بان أباطالب زيد بن على النوبندجاني قد صار يجرى مجرى أصحاب الاطراف وانه قد تغلب على ضياع السلطان وانه يلزمُهُ مما استغلّهُ منها ثلاثة آلاف الف درهم . وعمل بذلك عملا أحال فيه على ما كان كتبه أبو القاسم على بن أحمد بن بسطام وقت تقلّده فارس وكتب الى الحسن بن اسمعيل وكان شخص ليُقرّر خلافا كان بين المسمعي والكرخي بان يُصادره على مائة ألف دينار فاستدعى الحسنُ بن اسمعيل أبا طالب زيد بن على وأخذ خطّه بمائة ألف دينار

﴿ ذكر تدبير سيء دبره الخصيبي أخرج به أكثر ﴾
(الممالك عن يده ولم يمكن تلافيه)

دبر الوزير أبو العباس الخصيبي أن يقلد يوسف بن ديوداذ جميع نواحي المشرق ليُسلّم أموالها اليه فيكون مع مال ضمانه أرمينية وآذربيجان مصروفة الى قوّاده وجنده (٢٥١) وغلمانه وكاتبهُ في المصير الى واسط ليُنفذه الى هجر لمحاربة أبي طاهر الجنّابي وأشار بتكنيته وبان يكون مونس

المظفّر ببغـداد ليقوى بمكانه أمر الخلافة وتعظُم الهيبة فى قلوب الاعـداء .
فلما قرب ابن أبي الساج من واسط وكان فيها مونس المظفّر رحـل مونس
الى بغداد ودخـل ابن أبي الساج واسط . وأنفذ قبـل وصوله اليها أبا على .
الحسن بن هرون كاتبه وكان يخدمه فى خاصّ أمرهِ على سبيل الخلافة لابي
عبد الله محمد بن خلف النيرمانى كاتبه واختصّ به وخف على قلبه فصار الى
بغداد ليواقف الخصيبي على مال رجالهِ وأموال الاعمال التي كانت معقودة
عليه والاموال التي جعل مالها مصروفا الى رجاله زيادة على الاموال المتقدّم
ذكرها . فانّ الخصيبي جعل أموال الخراج والضياع بنواحي همذان وساوه
ورُوزه وقمّ وماه البصرة وماه الكوفة والايغارين وماسبذان ومهرجانقذق
لابن أبي الساج لمائدتهِ لمحاربة الجنابي . وأمضى المقتدر ذلك وتقدّم بتقليده
أعمال الصلاة والمعاون والخراج والضياع بسائر كور الجبل وأنفذ اليه اللواء
وكنّاه فكان يوسف يتكنّي [٢٥٢] على جميع الناس الا على الوزير ومونس
المظفر . والتمس الحسن بن هرون أن يجعل لابن أبى الساج مائدة مبلغها فى
الشهر خمسة الف دينار وقال : ليس هو بدون أحمد بن صُعلوك . وكان قد
جعلت له مائدة فى أيام وزارة حامد بن العباس مبلغها ثلاثة آلاف دينار فى
الشهر وجعل له عشرة آلاف دينار في كل شهرين من شهور المماليك
لارزاقِ غلمانٍ لا يحضرون . وسام الكُتّاب الحسن بن هرون ان يشرط
على نفسهِ أن ينفذ السلطانُ منفقاً يُنفِق أموال تلك النواحي فى رجالهِ وغلمانهِ
فاستجاب الى جميع ما طالبوه به وأعطى خطه الا بأمر المنفق فانه زعم ان
صاحبهُ لا يصوّر نفسه عنـد أصحاب الاطراف بصورة من لم يوثق به على
مال رجالهِ . ولما عقد لابن أبي الساج على الجبل وندب لمحاربة القرمطى عقد

لصاحب خراسان على الريّ فصار الى الريّ وأنفذ اليه من يخاطبه على المال الذى وُقف على حمله من الريّ . وصار ابن أبي الساج الى الريّ وحمل اليه المقتدر خلعاً سلطانية وسيفاً ومنطقة ذهب وخيلا بمراكب ذهب وفضة وطيباً وسلاحاً (٢٥٣)

﴿ ذكر الخبر عن القبض على الخصيبي وتقليد على بن عيسى الوزارة ﴾

أضاق أبو العباس اضاقةً شديدة واضطرب أمره وأشار مونس بعلي ابن عيسى . فأنفذ ضحوة نهار يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة الى الخصيبي حتى قبض عليه وعلى ابنه وكتّابه وحُملوا الى دار السلطان وحُبسوا عند زيدان القهرمانة . وفرّق بين الخصيبي وبين ابنه وحمل باقى المعتقلين الى دار الوزارة بالمخرّم فاعتقلوا فيها وأنفذ نازوك وقت قبضه على الخصيبي حتى حفظت داره القديمة من النهب . واستدعى المقتدر أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذانى وأوصله الى حضرته وعرّفهُ أنه قد قلّد أبا الحسن على بن عيسى الوزارة وانه قد استخلفهُ له ويقدم اليه بالنيابة عنه واستحضر سلامة الطولونى وتقدّم اليه بالنفوذ فى البرية الى دمشق واستحضار على بن عيسى منها . وانصرف أبو القاسم الكلوذانى من دار السلطان فى الطيار الذى قُبض على الخصيبي الى دار الوزارة بالمخرّم ونظر فى الاعمال وكتب الى العمال فى النواحى والى جميع الامراء وأصحاب البُرد والخبر والقضاة بما قلد على بن عيسى من (٢٥٤) الوزارة واستخلاف امير المؤمنين اياه . وأمر ونهى وصرف وولى

وظهر فى ذلك اليوم أبو على ابن مقلة وأبو الفتح الفضل بن جعفر ابن حنزابة وصارا الى الكلوذانى وسلما عليه

﴿ ذكر خلافة أبي القاسم الكلوذاني لعلي بن عيسى وتمشيته للأمور ﴾

قد كان جمع الخصيبي عنده جميع رقاع المصادرين وكفالات من كفل منهم وضمانات العمال بما ضمنوا من المال بالسواد والاهواز وفارس والمغرب وكان عنده خط كاتب المسمعي عن مال فارس بما يعجّله عن الزيادة في ضمانه وهو الف الف درهم وخطّ سليمان بن الحسن بما استدركه على ابني عبد الوهاب وهو اربعمائة الف دينار وكسر وما ضمن حمله عن اعمال الشام وهو خمسمائة الف دينار وخطوط ضمناء واسط والبصرة وطريق خراسان والنهروانات ونهر بوق والذنب الاسفل وجازر والمدينة العتيقة وغيرهم فحفظ جميع ذلك الكلوذاني الى ان قدم علي بن عيسى فسلّمهُ اليه

وأدّى نُصير بن علي اليه مائتي الف درهم وأحمد بن اسحاق بن زرَيق[1] عشرة آلاف دينار وورد بعد أسبوع من صرف الخصيبي نيج بكتُب سليمان ابن الحسن وفي درجها سفاتج (٢٥٥) بثمانين الف دينار وورد ما كان حملَهُ علي بن عيسى على الظهر من مال مصر ووصل من جهةِ البرجمَاني من قُمّ عشرة آلاف دينار ووردت من جهة أبي علي ابن رُستم من مال الضمان سفاتج بأربعمائة الف درهم فكان ذلك سبب تمشيتِهِ للامور . وأنفق الكلوذاني في سائر المرتزقة وفي الفرسان قبل العيد ولم يزل أبو القاسم الكلوذاني يدبر الامور وقد تمكّنت الهيبة لعلي بن عيسى في الصدور فاستعان بذلك على أمرهِ . وسار علي بن عيسى من دمشق الى جسر منبج ثم انحدر في الفرات الى بغداد وشخص الناس في استقباله سنة خمسة عشرة فمنهم من ابعد الى الرقة

(١) لعله « أحمد بن محمد » كما تقدم ص ٧١

﴿ودخلت سنه خمس عشرة وثلثمائة﴾

﴿ذكر مادبّره على بن عيسى فى وزارته هذه وماجرى فى أيّامه﴾

وصل على بن عيسى الى بغداد وبدأ بدار المقتدر ووصل الى حضرته بعد عشاء الآخرة ومعه مونس فخاطبه أجمل خطاب وانصرف الى منزله ووجّه المقتدر اليه فى ليلته بكسوة فاخرة وفرش ومال يقال انه بقيمة عشرين الف دينار وخلع عليه (٢٥٦) من الغد وسار معه مونس المظفر الى ان بلغ داره وحلف عليه على بن عيسى فنزل فى داره وسار بين يديه هرون ابن غريب وشفيع ومفلح ونسيم وياقوت ونازوك وجميع القواد حتى وصل الى داره بباب البستان

وكان قد ضرّب علىُّ بن عيسى على هشام فتأخر عنه واستوحش فكاتبه وونّسه حتى حضر مجلسه ثم قال له : ما مذهبي ان أذكر اساءة لاحدٍ من الناس ولما خلّصنى الله من صنعاء وعدتُ الى مكة عاهدت الله على ترك الاساءة الى أحدٍ من سعى علىّ فى ولايتى ونكبتى ووكّلت جميعهم الى الله ولك خدمة متقدّمة توجب لك حقّاً وعليك اضعافه فان كنت لا ترعى ذلك فلن ادع رعايته

وقلد على بن عيسى الكلوذانى ديوان السواد وقال له : هذا أجلّ الدواوين ومتى تشاغلت بخلافتى اختلّ وليس يقوم به أحد كقيامك . ثم نظم الأعمال وقلّد العُمّال ورتّب الدواوين (١) واعتمد على ابراهيم بن أيوب فى إثبات أمر المال بحضرته وفى موافقة صاحب بيت المال على ما يُطلقه وينفقه فى كلّ يوم ومطالبته بالروزنامجات (٢٥٧) فى كل اسبوع ليُتعجّل

(١) وزراء ٣١٤

معرفة ما حلّ وما قبض وما بقى . وكان الرسم اذا عُملت الختمة لم يُرفع الى الديوان للشهر الاوّل الا فى النصف من الثانى .

وقلّد أبا الفتح الفضل بن جعفر بن حنزابة ديوان المشرق وأبابكر محمد بن جنّي ديوان المغرب وأبا على ابن مقلة ديوان الضياع الخاصة والمستحدثة وأبا محمد الحسين بن أحمد [1] المادرائى ديوان الضياع الفراتيّة وأبا محمد بن روح ديوان زمام الخراج والضياع العامة بالسواد والاهواز وفارس وكرمان وما يجرى فيه . وقلّد أبا القاسم ابن النفّاط ديوان زمام النفقات والخزائن وأبا جعفر القمّى ديوان الدار وأبا أحمد عبد الوهاب بن الحسن ديوان البرّ وديوان الصدقات وأبا الفتح محمد بن أحمد قلنسوه ديوان زمام الجيش ومحمد بن عيسى ديوان الحرَم وأبا يوسف ديوان الفص والخاتم .

وقلد أيضاً كفاة العمّال واقتصر فى أرزاقهم على عشرة أشهر فى كل سنة وبأصحاب البرد والمنفقين على ثمانية أشهر في كل سنة . وحطّ من مال الرجالة برسم النوبة ومن مال الفرسان وجميع أرزاق مَن كان يرتزق بهذين الرسمين (٢٥٨) من الكتّاب والتجار ومن لا يحمل السلاح وحط أولاد المرتزقة الذين فى المهود وحطّ من مال الخدم والحشم وجميع أرزاق الجلساء والندماء والمغنّيين والتجار وأصحاب الشفاعات وحط أرزاق غلمان وأسباب أصحاب الدواوين . ولازم النظر بنفسه فى العمل ليلا ونهاراً والجلوس لاصحاب الدواوين فى الليل وكان يسهر اكثر الليل حتى استقامت الامور وتوازن الدخل والخرجُ وكان الى أبى عبد الله البريدى فى الوقت الضياع الخاصّة ضماناً واقطاع الوزراء وكان أبو يوسف البريدى يتولى لعلى بن عيسى الخراج

(١) هو «ابن كردى» صلة عريب ١٤٥ وقال صاحب التكملة أنه مات فى سنة ٣٣٨

برامهرمز سهلها وجبلها

﴿ شرح ما جرى بين الوزير أبي الحسن علي بن عيسى ﴾
﴿ وبين أبي العباس أحمد بن عبيد الله من المُناظرة ﴾

تقدّم المقتدر الى أبي الحسن علي بن عيسى بمُناظرة أبي العباس الخصيبي فأخرج اليه وناظره في دار السلطان بحضرة الاستاذين والقوّاد والقضاة مُناظرة جميلةً وسأله عن مبلغ ما صحّ له من الخراج والضياع وسائر النواحي فلم يعرفه وسأله عن مبلغ ما أُنفق بالحضرة من بيت المال فلم يحفظه وسألهُ عمّا صحّ له من مال المصادرين وعن رقاعهم (٢٥٩) بالمصادرات وعن كفالات من كفل منهم وعن ضمانات ماضمنه عنهم فقال : امّا المصادرات فقد صحّ لي منها في مدّة أربعة عشر شهراً تولّيتُ فيها الوزارة نحو ألف ألف دينار . فقال له : كم منها من جهة الخاقاني فان أمير المؤمنين عرّفني انك ضمنتهم بخمسمائة ألف دينار . فقال : دفع عنه مونس المظفّر . فردت الجماعةُ قولَهُ وقالوا له : قد سُلم اليك حتى شُنّع عليك بانك سممتَهُ ثم أطلقتَهُ . ثم قال له علي بن عيسى : لايّ شيء استحضرتَ يوسف بن أبي الساج الى واسط وسلّمتَ اليه أعمال المشرق بأسرها سوى أصبهان وكيف وقع لك انه يجوز ان يخرُج هو مع قوم اعتادوا الجبل والمقام فيه في طريق البرّ يقصدون طريق السواحل في بلدان حوالي هجر . قال : كان عندي ان هذا صوابٌ . فقال له : فحيث فعلتَ ذلك لِمَ لمْ تقتصر على ان يعرض رجالَهُ وغلمانَهُ ويُجري مال عسكره مجرى مال عسكر مونس المُظفّر فانه يُسبّب له مالٌ ويُطلَق على أيدي مُنفقين من قبل السلطان ويُرفَع الحساب بذلك الى دواوين الجيش ولا يقتصرون على ديوانٍ منها دون جميعها ولا يُزاد أحدٌ

(٢٦٠) ولا يُنقل عنه من رسم الى رسم الا على استقبال معروف ثم يُوفر المُعطون كل شهر من التوفيرات بسبب الغُرم ولاجل سُقوط من يسقط جُملة من المال ولِمَ لم تترك الاعمال فى أيدى عُمّال السلطان ويُسبّب له عليهم مال رجاله كما يُسبّب مال رجال أبى الحسن مونس المُظفّر؟ قال: لمْ أفعل هذا لانه تكلّف من هذا الامر عظيماً احتيج معه الى فضل مُسامحة. فقال له: فلاىّ سبب ضمّنتَ ابراهيم بن عبد الله المِسمَعى أعمال فارس وكرمان؟ فقال: لاجل زيادة بذلها. فقال له: أما علمتَ ان حفظ الاصول أولى من طلب الارباح؟ وهبْك رغبتَ فى الزيادة لِمَ لم تستدعه الى الحضرة فاذا وردَها واردتَ تضمينه أقام بها واستعمل على العمل خُلفاءه وأقام لك الضُمناء الثقات بالمال ومضى بعد ذلك. فقال: انما رغب فى الضمان ليعمله بنفسه. فقال على بن عيسى: أرجو ان يسلّم الله. ثم قال: لِمَ قبضتَ جارى ابنك محمد الفى دينار فى كل شهر وهو لايقرأ كتاباً ولا يحضر دواناً ولا يحسن ان يعمل شيئا؟ قال: سألتُ أمير المؤمنين له رزقَ المُحسّن وعبد الوهّاب بن الخاقانى (٢٦١) فأجابنى اليه. قال: المحسن رُبّى فى الدواوين ودبّر الامور وكان مع شرّه واستحلاله وقبح ديانته كاتباً وابن الخاقانى كان ينوب عن أبيه ويأمر وينهى ويخدم وهو فَهِمٌ وابنك لايجرى مجرى واحد منهما فاكتبْ خطك انك تردّ ما قبضهُ. فقال: كيف أردُّ مالاً قبضه ابنى وأنفقهُ؟ فقال له: على أى شىء أنفقهُ؟ قال: على ماينفق مثله الاحداث.

ثم سأله عن أموال المصادرين وما صح من جهتهم فقال: لا أحفظهُ الاّ انه ثابتٌ فى ديوان المصادرين. قال: فمَنْ أسألك. قال: هو عند هشام

وان سئل عنه خبّر به فان رقاع المصادرين والكفالات والاعمال فى يده . فقال له : ما سبقك أحدٌ الى تسليم خطوط المصادرين الى صاحب ديوان المصادرات لان سبيل الخطوط ان تكون فى خزائن الوزراء محفوظة يتسلمها وزيرٌ بعد وزير فان كنت أردت عمارة الديوان فكان ينبغى ان تأخذ الخطوط على نسختين نسخة للديوان ونسخة تكون عندك . فلو باع صاحب الديوان رقاع المصادرين والكفالات وضمانات الضُمناء هل كان على السلطان مضرّة (٢٦٢) فى هذا المال أعظم منك ؟ واذا كان هذا تدبيرك فيما لم تكن تحسن سواهُ فاىّ شيء دبّرت غيره من أعمال الدواوين ؟ فامّا أن تكون خُنتَ الامانة وإما ان لم تُحسِن ضبط شيء من الاعمال . وكلّ ذلك يُخاطبه به عن غير إسماع مكروهٍ ولا صياح

ثم قال : غررت المملكة فضرب النساء والحُرُم بالمقارع وهتكتَ الستور بما فعلتَ من تسليمهنّ الى الرجال فلايّةِ حالٍ سلّمتَ بنت جعفر بن الفرات الى أفلح وهو رجلٌ شابٌ جميل الوجه يتصنّعُ حتى تزوج بها فى حبسك ولِايّة حالٍ ضربتَ دولةَ وابنها بحضرتك ثم لم ترض بذلك حتى اعتقلتَ الجماعةَ فى يد غلمانك وحجّابك عِدّة شهور ؟ ثم قال : ارتزقتَ لنفسك خمسة الاف دينار فى الشهر يكون فى مدّة أربعة عشر شهراً سبعين الف دينار سوى ما ارتزقه ابنك وأخذتَ من اقطاعك فى مدّة سنة وشهرين ما ثبت فى الختمات الموجودة لجهبذك في ديوانك مائة وثمانين الف دينار يصير الجميع مائتين وخمسين الف دينار . ثم أخرج عملاً بخط على بن محمد بن روح بهذا المبلغ وبأنه انفق فى كلّ شهر من النفقات الراتبة التى وخمسمائة دينار تكون فى أربعة عشر شهراً خمسة وثلاثين الف دينار (٢٦٣) وفى النفقات

الحادثة والصلات والمؤونة مع ثمن الطيب والكسوة عشرين الف دينار وفى ثمن عقارات أضافها الى داره مع ما أنفقهُ على البناء أربعين الف دينار وفي ثمن الهدايا فى النورُوز والمهرجان الى الخليفة والى الأميرين أبى العباس وهرون ابنَيْه والى السيدة والخالة وزيدان ومُفلح خمسة وثلاثين الف دينار وفي ثمن بغال ودواب وجمال وخدم وغلمان عشرة الاف دينار وفيما يحتاج الى إنفاقه وصرفه الى منَ برسم دار الوزارة من خلفاء الحُجاب والبوّابين وأصحاب الرسائل وانزال الفُرسان والرجّالة عشرين الف دينار

فقال في الجواب : هذا عملٌ صحيحٌ وليس كلّ ما أنفقتُهُ كتبتُه فقد كنتُ أصُوغ لِحُرمى وأولادى وانفق نفقات أسترُها عن كاتبي وما سرقتُ ولا خُنتُ . فقال له على بن عيسى : ما يقول أحد انك سرقتَ أو خُنتَ ولكنك أضعتَ وأسأتَ التدبير ودخلتَ فيما لا تحسنه ولو أخذتَ أضعاف ما أخرجناه عليك لمّا ناظرك أمير المؤمنين فيه لاسيّما وهو منسوبٌ الى أرزاقك وإقطاعك ونفقات معروفة لك وكيف نُناظرك فى ذلك وما نعيش (٢٦٤) ولا أحدٌ من كتّاب أمير المؤمنين الا فى نعمته وإحسانه ؟ ولنا ضياعٌ استفدناها فى خدمته وخدمة اسلافه رضى الله عنهم

ولم يزل يرفق به الى أن أخذ خطّه باربعين الف دينار يؤدّيها فى مدّة أربعين يوماً بعد أن حلف أنه لا يتجهُ له حيلة فى غيرها وسلم على بن عيسى رُقعته بها الى مفلح وقال له : تعرضها على أمير المؤمنين وتقول : ان هذا وان كان قد غرّ من نفسه وأضاع وأهملَ فقد تحرم بخدمة أمير المؤمنين وحلف بأيمان بيعته على أنه غاية ما يقدر عليه وليس له ذنبٌ وانما الذنب لمن غرك منه ولم ينصحك فى أمره . ثم كتب رُقعة الى المقتدر بقبول ما بذله

الخصيبي وبحمله الى ثمل القهرمانة الى أن يُؤدّى ما فُورقَ عليه

﴿ ذكر ما دبّره على بن عيسى من الأمور فى وزارته هذه ﴾

لما نظر على بن عيسى فى الأمور وجد أهمّ ما يحتاج اليه أمر الرجّالة المصافية وكان مبلغ مالهم فى أيامه ثمانين الف دينار ومال رجال مونس المظفر وهو ستمائة ألف دينار فى كلّ سنة سوى مال الرجّالة معه ومال الحجريّة برسمه فانه يطلق (٢٦٥) مع أرزاق نُظرائهم . وكان يُسبَّب مالُ رجال مونس على نواح اختارها مونس فاذا ازاح العلّة فيما ذكرناه نظر بعد ذلك في أمر مال خلفاء الحجّاب والحشم والمتطبّبين والفرسان برسم التفاريق والمنجّمين والفرّاشين والطباخين والساسة وسائر المرتزقة من الخدم . فخرج على بن عيسى يوماً من حضرة المقتدر بالله ليركب فى طياره فوثب به الخدم والحشم بألسنتهم وثوباً قبيحاً .

وورد الخبر على علىّ بن عيسى بأن ابراهيم بن المِسمعى [1] اعتلّ علّةً حادّةً وتوفّى بالنوبَندَجان فأشار على بن عيسى بتقليد ياقوت أعمال الحرب والمعاون بفارس وتقليد أبى طاهر محمد بن عبد الصمد أعمال المعاون بكرمان فخلع عليهما وعقد لهما لواآن . وكتب على بن عيسى الى القاسم بن دينار بالمبادرة الى فارس وقلّدهُ أعمال الخراج والضياع بها وقلّد ما كان اليه من أعمال الاهواز أبا الحسن أحمد بن محمد بن مابنداذ وابن السلاسل [2]

---

(١) وأما ابراهيم وولده عبد الله بن ابراهيم الذى توفى سنة ٣٠٥ ليراجع صلة عريب ص ٦٩ (٢) قيل في كتاب الوزراء ٣٤٦ ان العامل بادوريا من قبل على بن عيسى هو ابن أبي السلاسل وفى تاريخ ميافارقين لاحمد بن يوسف بن علي الفارقي ان والى ميافارقين من قبل المقتدر هو ابن أبي سلاسل

فحكى أبو الفرج ابن أبي هشام قال : لما بلغ أبا عبد الله البريدي ما تقلده هؤلاء من أعمال الاهواز وما حولها قال : يقلد هؤلاء هذه الاعمال ويقتصر بأخي أبي يوسف على سُرّق وبي على ضمان الضياع (٢٦٦) الخاصة ! خذ يا أبا هشام هذا الكتاب (يعني الكتاب الوارد عليه بما تقلد) واعطه ابنك حتى يمثّل عليه ويتعلّم منه الخط فان لطبلي صوتاً سوف تسمعهُ بعد أيام . وكان أبو عبد الله البريدي أنفذ أخاه أبا الحسين الى الحضرة لما بلغه اضطراب أمر علي بن عيسى ووافقه على أن يخطب له عمل الاهواز اذا تجددت وزارة لمن يرتفق : فان علي بن عيسى يعفّ ولا يرتفق

فلما تمت الوزارة لأبي علي ابن مقلة صار أبو الحسين الى أبي أيّوب السمسار وبذل له عشرين ألف دينار فقلّد أخوه أبو عبد الله البريدي أعمال الاهواز سوى السُوس وجند يسابور وقُلد أبو الحسين الفراتيّة وأبو يوسف الخاصة والاسافل على أن يكون المال في ذمته الى أن يقع الوفاء لهم فوفى لهم وقبض المال وكتب أبو علي ابن مقلة في القبض على أبي السلاسل فخرج أبو عبد الله بنفسه الى تستر حتى حصلهُ وأسبابه . ووجد له في صناديقه وعند جهبذه عشرة آلاف دينار فأخذها ووافقه على أن يصك بما كان عند الجهبذ بنفقات باطلة وأخذ من كاتبه ألفي دينار ومن خليفته ثلاثة آلاف دينار (٢٦٧) ومن حاجبه ألفي دينار . وكان أبو عبد الله البريدي احد دَجالي الدنيا وشياطينها (١) ثم كُثّر على أبي علي ابن مقلة بأنه أهّلهُ لما لا يستحقه فصرفهُ بابي محمد الحسين بن احمد المادرائي وقلدّه اشرافا وقلد الاصل جماعة من العمال فما أحلى أبو محمد ولا أمرّ وكان كاتبه علي بن يوسف وخليفته

---

(١) ليراجع صفة البريديين في صلة عريب ص ١٣٨

صحبته من الحضرة فبان من تجلفه وسقوطه ماصار به نكالا وحديثاً

وحسبك ان أبا عبد الله البريدى أخذ عليه الطرقات فكان كل ما كتب به يؤخذ من رسله فما قرئ له كتاب منذ دخل الاهواز الى أن صرف عنها. ثم صرفه بعد ذلك أبو على بابى عبد الله البريدى وقال : اغتررت بطلل ذلك الشيخ وما كل من يصلح للكتابة ينفذ فى العمالة

وعدنا الى تمام حديث على بن عيسى وما دبره به المملكة. ولما أخرج اليه الارتفاعات كان فيها مبلغ ارتفاع لضياع أقطاع الوزراء بعد نفقاتهم الراتبة مائة وسبعين ألف دينار فكتب الى المقتدر بأنه غنى عن هذا الاقطاع وانه قد وفر ماله فان أمر ضيعته قد صلح وكذلك(٢٦٨) وقفه باعادته اياه الى خدمته وانه يوفر أيضاً رزق الوزارة وهو مع ألفى دينار أجريت لابن الخصيبي سبعة آلاف دينار في كل شهر . وكتب اليه المقتدر بالشكر وانه لابد من أن يقبض الرزق على الرسم فخاف على بن عيسى انه لايقبض رزقا لهذه الخدمة لان مذهبه ترك التنعم (١)

وفيها شغب الفرسان برسم التفاريق وخرجوا الى المصلّى فنهبوا القصر المعروف بالثريا وذبحوا الوحش الذى فى الحاير وذبحوا البقر التى لاهل القري التي حوله وخرج اليهم مونس وضمن لهم أرزاقهم فرجعوا الى منازلهم

وفيها خلع على مونس للخروج الى الثغر لان ملك الروم دخل سميشاط وضرب فى مسجد الجامع بالنواقيس وصلى فيه الروم صلواتهم

﴿ وفيها ظهرت وحشة مونس المظفر ﴾

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

---

(١) راجع صلة عريب ١٣٢ _ ١٣١

كان السبب فى ذلك ان خادماً من خدّم المقتدر بالله حكى لمونس ان المقتدر تقدم الى خواص خدمه بحفر زُبية فى الدار المعروفة بدار الشجر من دار السلطان حتى اذا حصل مونس فيها عند الوداع اذا أراد الخروج الى (٢٦٩) الثغر حجب الناس وأدخل مونس وحده الى ذلك الصحن فاذا اجتاز على تلك الزبية وهي مغطاة وقع فيها ونزل اليه الخدم وخنقوه ويظهر انه وقع فى سرداب فمات . فامتنع مونس من دار السلطان وركب اليه جميع القواد والغلمان والحاشية وعبد الله بن حمدان واخوته وأكثر العرب وخلت دار السلطان من الجند . وقال عبد الله بن حمدان : نقاتل بين يديك أيها الاستاذ الى أن تنبت لك لحية . فوجه اليه المقتدر بنسيم الشرابى ومعه رقعة بخطه اليه يحلف له فيها على بطلان مابلغه فصرف مونس جميع من اجتمع اليه من الجيش وأجاب عن الرقعة بما يجب فى مثل ذلك وانه لاذنب له فى حضور من حضر عنده لانه لم يستدعهم . وامتنع ابن حمدان من الانصراف وحلف انه لا يبرح من دار مونس ليلا ونهاراً الى ان يركب معه الى دار السلطان ويطمئن الى سلامته ولازم مونساً أياما كثيرة . وانضاف الى ذلك ان اسحاق بن اسمعيل كان يسبب عليه مال مونس (٢٧٠) ومال رجاله فيلّح فيها . وكان على بن عيسى متنكرا له لاشياء بلغته عنه فى غيبته فشغب الفرسان لتأخر أموالهم فجد على بن عيسى باسحاق بن اسمعيل واعتقله وأخذ خطه بخمسين ألف دينار من مال ضمانه واعتقل احمد بن يحيى الجلخت كاتبه وعدّة من أصحابه حتى استوفى ذلك ثم صرفه عن أعماله

وجدّ بعمال السواد حتى صح له فى مدة ثلاثة أيام ما أنفقه فى أصحاب مونس . وكتب المقتدر الى جماعة من وجوه القواد بانه قد صفح عما كان

منهم فى نهب الثريا وإحراقها وقرئت عليهم فشكروا وسألوا أن يضم جماعة منهم ممن اتهم بذلك الى مونس المظفر لينحدر معهم الى حضرته فانحدر معهم ووصل الى المقتدر بالله وقبل الارض بحضرته وحلف المقتدر له على صفاء نيته وودّعه مونس

وقرأ عليه على بن عيسى كتابا ورد عليه من وصيف البكتمرى بأن المسلمين عقبوا على الروم وظفروا بهم وبجميع من فى عسكرهم وقتلوا منهم وغنموا غنائم جليلة . وخرج مونس من داره الى مضربه بباب الشماسية وشيّعه الامير أبو العباس والوزير على بن عيسى ونصر الحاجب وهرون ابن غريب (٢٧١)

وورد رسول ملك الروم ومعه كتاب من وزير الملك وهو اللغثيط الى الوزير على بن عيسى يلتمس فيه الهدنة

﴿ ظهور الديلم ﴾

وفى هذه السنة ظهر الديلم [1] وكان أول من غلب على الرىّ منهم بعد خروج ابن أبى الساج منها ليلى بن النعمان ثم ما كان بن كاكى ودخل هذا الرجل فى طاعة صاحب خراسان لانه كتب اليه واستدعاه فمضى اليه وغلب على الرىّ اسفار بن شيرويه وكان مرداويج بن زيار احد قواده . وكان اسفار بن شيروَيه لما غلب على قزوين ألزم أهلها مالا جليلا وعسفهم عسفاً شديداً وخبطهم وأحل بهم من تسليط الديلم على مهجهم وأموالهم واستباحتهم وتعذيب عمالهم ما استعظمه هو فى نفسه فضلا عن غيره ورقت القلوب منه وضاقت النفوس وبلغت الحناجر ويئس الناس من الحياة وتمنّوا

(١) راجع صلة عريب ص ١٣٧

الموت فخرج الرجال والنساء والاطفال الى المصلّى مستغيثين الى الله تعالى وراغبين اليه فى كشف ضرّهم فمضى لهم يومٌ على ذلك

وانهى الخبر الى أسفار فتهاون بالدعاء فلما كان فى اليوم الثانى خرج عليه مرداويج فواقعهُ وهزمَهُ (٢٧٢) فمرّ على وجهه فتبعه يومه أجمع فلم يظفر به ولحقت أسفار مجاعة في اليوم الثانى فأوى الى رحى طحّان فى قرية وسأله أن يُطعمهُ فأخرج اليه خبزاً ولبناً وكان يأكل وأطلّ مرداويج على الموضع فوجد آثار الحافر قد انقطع هُناك فوقف يتأمّل فرأى اكّاراً فتشبّث به وسأله عن أسفار فانكر وأرهبَهُ فقال له : ما اعرفُهُ ولكني رأيتُ فارساً قد دخل الى هذه الرحَى وكبس مرداويج الموضع فوجده يأكل خبزاً فاحتزّ رأسَهُ وعاد الى قزوين فسكّن أهلها وتلافاهم وازال تلك المُطالبة عنهم ووعدهم بالجميل وانصرف عنهم ووهب دعاءهم

ثم أن مرداويج ذهب فتغلّب على الرىّ واصبهان واساء السيرة باصبهان خاصّة وتبسّط فى أخذ الاموال وانتهاك الحُرم وطغى وجلس على سرير ذهب دونه سرير فضة يجلس عليه من يرفع منه وأقام جندهُ يوم السلام عليه صفُوفاً بالبُعدِ منه . وسام مرداويج رجاله الخسف وكانوا يرهبونه رهبة عظيمة وكان يقول : انا سليمان بن داود وهؤلاء الشياطين . وكان يغُضُّ من الاتراك (٢٧٣) غضاً شديداً فساءت نيّاتهم له فطلبوا كيداً يكيدونه به وتمكّنت له فى نُفُوس الخاصّ والعامّ البغضاءُ وضجروا منه وضعُفت نفوس أهل مملكته فى أيّامه (قال) وركب يوماً فى موكب عظيم وخرج الى الصحراء وكان ينفرد عن جيشه ويسير وسطاً لا يجسر أحدٌ على القرب منه فكان العالَمُ يتعجبون منه ومن تمرّدهِ وطغيانهِ اذ اشتقّ

العسكرَ رجلٌ شيخٌ لا يُعرَف على دابة فقال : زاد أمر هذا الكافر واليوم تكفنونه قبل تصرُّم النهار ويأخذه الله اليه. فلحقت الجماعة دهشة وتبلدوا * قال أبو مخلد عبد الله بن يحيى : وكنتُ فى الموكب فنظر بعض الناس الى بعض ولم ينطق أحدٌ منهم بحرف ومرّ الشيخ كالريح ثم قال الناس : لِمَ لا نتبعه ونستعيدهُ الحديث ونسئلهُ من أين علِمَ أو نأخذه ونمضى به الى مرداويج لئلا يبلغه الخبر فيلومنا على تركِهِ . فركضوا يميناً وشمالاً الى كلّ طريق وسبيل فى طلبِهِ فلم يُوجَد وكانّ الارض ابتلعتهُ

ثم عاد مرداويج ولم يلوِ على أحدٍ ودخل داره ونزع ثيابه ثم دخل الحمّام وأطال . وكان كورتكين قريباً منه وخصيصهُ يحرسُهُ ويراعيه فى خلواته وحمّامِهِ فأمره ان لا يتبعه وتأخرعنه مُغضَباً . فتمكّن منه الاتراك وهجموا عليه فى الحمّام فقتلوه بعد ان مانع عن نفسه وقاتل بكرنيب (٢٧٤) فضّة كان فى يده فشقّ بعض الاتراك بطنَهُ فلما خرجت حشوتهُ ظنّ انه قد قتله فلمّا خرج الى أصحابه قالوا له : اين رأسهُ ؟ فعرّفهم انه قد شق بطنه فلم يرضوا بذلك وعاودوه لحزّ رأسهِ . فوجدوهُ قد قام على سرير ين فى الحمام وردّ حشوةَ بطنِهِ وأمسكها بيده وكسر جامة الحمام وعاونه قيّم الحمام وهمّ بالخروج من ذلك الموضع الى سطح الحمّام فلما رأوه كذلك حزّوا رأسَهُ . فظهر أمرُهُ بين الظهر والعصر بخروج الاتراك الذين كانوا معه الى رُفقائهم وإخبارهم ايّاهم بخبرهِ وركوبهم الى الاصطبلات للنهب

{ وفيها ارتفع ذكر أبى جعفر بن شيرزاد وعنى به على بن عيسى }

{ ذكر السبب فى ذلك }

كان السبب فى ذلك ان ابن شيرزاد كان يكتب لهرون بن غريب

وينظر فى جميع أموره فاطمع هرون فيه وقُرّف بجنايات عظيمة فقبض عليه يوم الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الاولى سنة ٣١٥ وسلّمه الى خادمه(٢٧٥) مونس وأمره بالتضييق عليه ومنعهُ من الدواة . فتأخّرت رُقعته من أخيه أبى الحسن زكريا وكان يكتب للخالة على ديوان ضياعها فعرف الخالة صورة أخيه فشكت الخالة ذلك الى السيّدة فوجّهت السيّدة بخادم لها الى هرون حتى انتزعهُ من يده وحمله الى دار السلطان وتقدّمت بإطلاقه . وخاطب هرون بن غريب على بن عيسى فى أمر ابن شيرزاد وقال له : قد كان اقترض منى للخاقانى أموالا كثيرة وأخذ بها تسبيبات وفاز بها وقد عمل له المؤمّل كاتبى بمال عظيم وأنا أرضى بنظر ثقة من ثقات الوزير فى العمل. فتقدّم الوزير على بن عيسى الى أبى يوسف كاتب السيّدة بالمصير الى دار هرون وحضر المؤمّل وكُتّابه فنظروا فى العمل .

فكان أوّل باب فيه انه وُجد فى دفترٍ من دفاتر ديوانه ثبت ما قبض من التسبيبات التى سبّبها الخاقانى لابن شيرزاد من مال القُروض التى اقترضها من مال هرون بن غريب وقد حكى فيه انه قبض خمسة عشر ألف دينار وانه لم يجد هذا المال فى ختمات الجهبذ الثابتة فى الديوان . وكان كاتب ابن شيرزاد على ذلك الديوان ابن أبى الميمون فقال(٢٧٦) ابن أبى الميمون : قد صحّ فى ختمة الجهبذ ومع صاحبى خطّ الامير بقبضه ايّاه لانه حمله الى حضرته وصرفه فى ثمن دار المُحسِّن التى أُبتيعت من وكيل الخليفة فى وزارة أبى القاسم الخاقانى . فأُخرجت الختمة بعينها فوُجد ذلك فيها. ووجد مُحرّر هذه الختمة قد كتب هذا المال كأنّه تفصيل المال المتقدّم وكان سبيلهُ ان يكون مُخرَجاً بارزاً عن التفصيل الاوّل. فوجد أبو يوسف

ومحمد بن جنّى الامر على ماقال كاتب ابن شيرزاد وأخرج ابن شيرزاد خط هرون بن غريب بصحّة هذا المال منسوباً الى تلك الجهة وانه أُدّى فى بيت المال لثمن الدار وأُحضر قبضُ صاحب بيت المال به

ثم نظر فى الباب الثانى ان المُطلق لفرسان فى عسكر هرون من مالهم فيه الرُبعُ دراهمُ تساوى ستّة عشر درهماً بدينار وانه لم يضع الصرف من مال الرجال وانه يلزمهُ منه فى مدّة ولايته كتابة هرون نيفٌ وعشرون ألف دينار . فأخرجوا الختمات فوجدوا الجهبذ قد احتسب بما صرفهُ فى اعطيات الرجال ورقاً من غير أن يُوضع منه شىء لفضل الصرف فاحتجّ كاتب ابن شيرزاد بان فضل (٢٧٧) الصرف فى ختمة توردفى أصول الأموال فى آخر باب من أبواب الأصول وهو ما يتوفر من هذا الباب وغيره من سائر نفقات هرون بن غريب فأخرج ذلك من الختمات

فلما بطل هذان البابان وهما معظم ما كان فى العمل نهض أبو يوسف ومحمد بن جني وقام معهما ابن شيرزاد وأقبل عليه هرون فقال : قد هتكني كاتبي هذا الجاهل الناقص قبّحهُ الله وقد جنيتُ على نفسى بصرفك ولكن ان تصرّفتَ لاحدٍ فعلتُ وصنعتُ ... وتهدّدهُ فذهب ابنُ شيرزاد وشرح لعلى بن عيسى ذلك فصار ذلك سبباً لعناية على بن عيسى به واشتهر حديثهُ وفاض فى الكتّاب

وفيها ورد الخبر وكتابُ الفارقي من البصرة بانه قد اجتاز بباب البصرة مما يلى البرية جيش للقرمطي كثير المَدد يقصد الكوفة فكتب المقتدر الى مونس المُظفّر يأمرهُ بالرجوع الى بغداد فرجع من تكريت ودخل بغداد بعدصلوة العصر بعد أن أنفذ قطعة من جيشهِ الى الثغر

وخرج ياقوت الى مضربه بالزعفرانية متوجهاً الى عمله بفارس

وفي هذه السنة قبض يوسف بن أبي الساج على كاتبه (٢٧٨) أبي عبدالله محمد بن خلف النيرماني وقلد مكانه أباعلي الحسن بن هرون وقيد محمد بن خلف بقيود ثقال وأخذ منه يوم قبض عليه من المال والفرش والكسوة والغلمان ما قيمته مائة الف دينار وأخذ خطه بخمسمائة ألف دينار مصادرة عن نفسه

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان السبب في ذلك ما استعمله بواسط من السرف في التكبر والتجبر والتوسع في النفقات حتى أنه جعل في داره بواسط في شراب العامة ثلاثين غلاماً وفي شراب الخاصة عشرين غلاماً وكان يخرج من داره الى دار صاحبه يوسف ويبكر اليه جميع قواد ابن أبي الساج ورؤساء غلمانه ورؤساء العمال ويسلمون عليه كما يفعل الناس ببغداد بالوزراء في أيام المواكب . وكان قبل ذلك في مسير ابن أبي الساج من الريّ الى واسط قد لبس القباء والسيف والمنطقة الا أنه لم يكن يركب الى دار صاحبه بسواد فرقاً بينه وبين وزير السلطان واحتمله ابن أبي الساج على ذلك . ثم أطمع نفسه أيام مقامه بواسط في الوزارة للسلطان وتبين (٢٧٩) عداوة نصر الحاجب لابن أبي الساج فكاتبه ووجه اليه بمن يثق به يلتمس منه أن يشير على المقتدر بتقليده الوزارة مكان على بن عيسى وضمن أن يستخرج من على بن عيسى وأخيه وسليمان بن الحسن وأبي زنبور المادرائي والكلوذاني وأسبابهم ألف ألف دينار (١) ويقوم بنفقات السلطان وأرزاق الأولياء

وسعى بصاحبه وقال انه كان يستر عنه مذهبه في الدين وأنه لما سار

(١) قال للمقتدر انه قد بذل تحصيل هذا المبلغ من مال النواحي : وزراء ص ٣١٥

الى واسط أنس به وانبسط اليه فكشف له أنه يتديّنُ بان لا طاعه عليه للمقتدر ولا لبني العباس على الناس طاعة وان الامام المنتظر هو العَلَوي الذى بالقيروان وان أبا طاهر الهجرى صاحبُ ذلك الامام وانه قد صح عنده انه يتديّن بدين القرامطة وأنه انما صير العلوى مُتحققاً به وبجميع أسراره بهذا السبب وأنه ليس له نية بالخروج الى هجر وانه انما يحتال بالوعد بالخروج الى هجر حتى يتمّ له أخذ الاموال وانه قال له فى شهر ربيع الآخر: أى شىء بقى لنا على الخليفه ووزيره من الحجة ولِمَ ليس تخرج الى هجر ولا أراك تستعدّ لذلك. فقال له فى الجواب: لِمَ لا تكون لك معرفةٌ (٢٨٠) بالامور من فى نيّته الخروج الى هجر؛ وانه قال له: فلِمَ غررت السلطان من نفسك ووعدتَهُ بهذه الحال حتى سلّم اليك جميع أعمال المشرق؛ فأجابه بأنه يرى انتقاض الخليفة وسائر ولد العباس الغاصبين أهلَ الحقّ فرضاً لله عز وجل عليه وان طاعة طاغية الروم أصلح من طاعة الخليفة وأنه قال: فهبك فعلت ذلك ما الذى يؤمنك من القرمطى أن يوافى الى واسط والى الكوفة فلا تجد بدّاً من لقائه ومحاربته؟ فقال فى الجواب: ويحك كيف أحارب رجلا هو صاحب الامام وعدّة من عدده! فقال له: فان أراد هو حربك أىّ شىء تعمل؛ فقال له: ليس لهذا أصلٌ وقد ورد عليه كتاب الامام من القيروان بأن لا يطأ بلداً أكون فيه ولا يحاربنى بوجه ولا سبب. وأنه ختم القول بأن قال: انى انما انتظر أن يقبض رجالى باسرهم أموال سنة ٣١٤ فاذا قووا بذلك منعت أولا من أعمال واسط والكوفة وسقي الفرات وانفذت اليها العمال فلا بدّ للسلطان أن ينكر حينئذ ما أفعله فاكاشفه واخطب للامام واظهر (٢٨١) الدعوة وأسير الى بغداد فان من بها من الجند قوم يجرون مجرى النساء؛

الفوا الدور على دجلة والشراب والثلج والخيش والمغنيات فآخذ نعمهم وأموالهم ولا أدع الهجرى يفوز بالاسم وأكون أنا سائق الدولة الى الامام فان أبا مسلم خراز النعال لم يكن له أصلٌ وقد بلغ ما بلغ ولم يكن معه لما ارتفع النصف ممّن معى وما هو الا أن أظهر الدعوة حتى قد اجتمع مائة الف ضارب سيف. ويقول محمد بن خلف : قد صدقت أمير المؤمنين عن هذا الامر فان ولانى الوزارة انقمع ابن أبى الساج وبطل عليه تدبيره وأخبب حينئذ رجاله وغلمانه فاما أسروه واما هرب طائراً على وجهه الى آذربيجان فانى اذا توليت الوزارة جدّدت به فى المطالبة بالخروج الى هجر فان كاشف دبّرت عليه

فانهى نصر الحاجب كلّه الى المقتدر وعرّفه ان محمد بن خلف قد كتب اليه يحلف له على انه ما حملَهُ على هذا الفعل الاّ الغضب للدين أوّلاً ثم الانفة من ان يتمّ لهذا القرمطى على الخليفة وسائر الخاصّة والعامّة ما دبّرهُ . وكان الحسن بن هرون يخلف محمد بن خلف [٢٨٣] ويقف دائما بين يديه على رجله ويخدمه كما يخدم ابن أبى الساج فلما رأى اختصاصَهُ بابن أبى الساج تنكّر له وعمل على القبض عليه وإتلافه وأظهر ذلك لابى بكر ابن المُنتاب وكان قد اختصّ به وغلب عليه . فاتّفق ان شرب ابن المُنتاب مع جماعةٍ من اخوانه بواسط وفيهم عبد الله بن على الجَرجَرائى عامِل الصلح والمبارك[١] فسأله عبدالله بن على ان يشكر له أباعلى الحسن بن هرون لما يوليه من الجميل وقال له : تعرضُ لى رُقعةً على سيّدنا أبى عبد الله محمد بن خلف اسئله فيها ان يُعرّفه شكرى ويأمره بالزيادة فيما شكرتُهُ عليه . فقال له

(١) ليراجع كتاب كتب اليه الوزير على بن عيسى فى سياسة الرعية : وزراء ص ٣٣٩ — ٣٣٧

ابن المُنتاب : اتّق الله في نفسك ولا تفعل فان أبا عبد الله على غاية التنكُّر لِلحسن بن هرون وان يبعد ان يقبض عليه ويبلغه فحفظ ذلك عبدالله بن على وتقرب به الى الحسن بن هارون. ووقعت بين محمد بن خاف وبين عبد الله بن على مُماحكة فيما سُبّب عليه لقوم يعتنى بهم محمد بن خاف فشتمهُ محمد بن خاف وهدّدهُ وأمر بإخراجه من مجلسه على أقبح صورةٍ . فاجتمع عبد الله بن على والحسن بن هرون على التدبير على محمد بن خلف ونصبا عليه أصحاب الاخبار الى ان وقفا [٢٨٣] على ما عملَهُ فى السعى فى تقلُّد الوزارة لِلمقتدر وسعايته بصاحبِهِ فاطلع عبد الله بن على ابن أبى الساج على ذلك وتقرّب اليه . فنصب يوسف بن أبى الساج أصحابَ اخبارٍ على محمد بن خاف الى ان وقف على ان خادماً له يثقُ به قد أنفذه دفعاتٍ الى بغداد وأظهر انه انما ينفذه لابتياعِ كسوةٍ وفرشٍ ودواب وغلمان له وانه هو السفير بينه وبين نصر الحاجب فى التدبير على ابن أبى الساج . فتقدّم ابن أبى الساج الى عبد الله بن علي فى أخذ الطُرُق على هذا الخادم والى الحسن بن هرون بمراعاة الوقت الذى ينفذ فيه الخادمَ فلما نُفذ من واسط عرّفهُ الحسنُ ذالك فوجّه بثقاته وأمرهم ان يرصدوا الخادمَ فى الطريق فاذا عاد من بغداد قبضوا عليه وسلّموه الى صاحب عبد الله بن على بجرجرايا وتقدّم الى عبد الله ابن على بان يوجّه بمن ينتظره بجرجرايا. وانفذت الكُتُب التى معه الى ابن أبى الساج فوجدها بخطّ كاتبِ نصرٍ جوابات عن كُتُب محمد بن خاف اليه تدلّ على اشارات ورموز وتراجم وفيها كلّ مكروه وسعى على دم ابن أبى الساج وحالهِ وإطماع فى مالهِ وحالهِ [٢٨٤] وتحذير من تأخُّر القبض على علىّ بن عيسى . فبادر ابن أبى الساج فى إنفاذ الحسن بن هرون الى الحضرة

بكتب ورسائل الى على بن عيسى على رسمه ووجّه بتلك الكُتُب بعينها وقال له : تقول للوزير عنى : قد سعى هذا الرجل على دمى ودمك ودماء أصحابك وأريد ان أقبض عليه وأكثر ذنوبه عندى سعيُه عليك . فلما وقف على بن عيسى على جميع كُتُبِهِ ورسائلهِ تعجّب وقال له : تقول لاخى أبى القاسم : ان كنتَ تريد ان تفعل ذلك لِتُريح نفسك من هذا الرجل الخائن المُستحلّ فالله يوفقك ويُحسِن معونتك وان كنتَ تفعل هذا بسببى فوالله ما أشكُر أحداً كما أشكُر من يسعى فى صرفى عن الوزارة فالحبس والنفى اسهَل ممّا اقاسيه منها .

وزوّر عبد الله بن على عن الخادم كُتُباً على انها من بغداد الى محمد ابن خلف بانه «قد أحكم أكثر ما تحتاج اليه وانه سريع العود الى واسط» فسكنت نفس محمد بن خلف الى ذلك . وصار عبد الله بن على الى محمد بن خلف وترضّاهُ وبذل له ان يحمل اليه من ماله مائة ألف درهم مرفقاً ليزول ما فى نفسه عليه فظنّ محمد بن خلف ان ذلك صحيحٌ ودعا عبد الله بن على وواكلهُ وشاربَهُ . (٢٨٥)

ولم يلبث الحسن بن هرون ان عاد من بغداد فبدأ بدار محمد بن خلف ووقف بين يديه فقال محمد بن خلف : يا عاضّ قد بلغنى انك شنّعتَ علىّ عند على بن عيسى وذكرتَ له انى أطالب الوزارة مكانَهُ وانك مع ذلك قد ضرّبتَ علىّ حاشية الامير وغِلمانَهُ ووالله يا كلب لأضربنك خمسمائة سوطٍ ولآخذنّ منك ثلاثين ألف دينار قد أبطرَتْك . والحسن بن هرون لا يزيد على ان يقول له : الله بينى وبين من أغرى مولاى ومَن أنا عبده وغرسهُ . ومحمد بن خلف يشتمهُ الى ان قال له : لقيتَ الاميرَ . فقال الحسن

ابن هرون : ما لقيتُهُ بعد . فقال له : فامضِ الى لعنة الله فالقَهُ وعُد اليَّ .
فمضى الى ابن أبي الساج وشرح له جميع ما وقف عليه من سعي محمد بن خلف عليه وما خاطبَهُ به لما لقيهُ بعد قدومهِ من بغداد .
فقال ابن أبي الساج لخازنه الذي يتسلّمُ من محمد بن خلف : الاموال المحمولة اليه التي ينفقها في رجاله وغلمانه ونفقاته : قد كنتَ أحضرتَني مُنذ مدّة مالاً نصفه غلّة ودراهم بهرجة وخُراسانية وذكرت ان ابن خلف حمله اليك لتنفقهُ في الاولياء (۲۸٦) وغيره وذكرتَ ان الامر مُسرفٌ في فضل الصرف وانه كثير فمرّ في الآن الحال فيما يحملُهُ اليك . فقال : الذي يحمله الآن شرٌّ من كلّ ما تقدّم وقد أخرجتُ من مائة الف درهم حملها اليوم الف وخمسمائة درهم جديد والفي درهم صحاح لا سيّئة واثنين وأربعين الف درهم غلّة ردية .
وعظم عليه الامر في فضل الصرف في ذلك فقال له : فاذا حضر محمد بن خلف العشيّة فادخل اليّ واحمل المال كهيئته وعرّفني ان جميع غلماني ورجالي قد فسدت نيّاتهم بهذا السبب . ففعل الخازن ذلك فقال ابن أبي الساج : يا أبا عبد الله أنت تعلم ان هذا المال لا يجوز لاحد ان يقبض مثلَهُ واذا فوتَّ رجالي شهراً وأعطيتَهم مالاً جيداً أو مُقارباً للجودة كان أصلح من هذا .
فغضب محمد بن خلف وقال له : ما جرّأ هذا الكلب على خطابي بحضرتك في هذا الباب الاّ لانه قد وقف على فساد رأيك فيّ وانما أفسدك عليّ من قدّر ان يتولّى كتابتك وهو هذا العلج الحسن بن هرون وأهوّن به وبهذا الخازن وبجميع غلمانك ورجالك عليّ وأنا عقدتُ لك هذه الحال وهذا الامر (۲۸۷) والآن فوالله لا نظرتُ في شيء من أمرك فاعمل ما شئت .
ونفض يده في وجهه وخرج من مجلسه فجعل ابن أبي الساج يحلف عليه

ان يعود فلا يفعل ويخاف انه لا يرجع . فلما طال ذلك بينهما وبلغ ان يعطف الى دهليز يغيب به عن عينه قال ابن أبي الساج لغلمانه : ضعوا أيديكم فى قفا الكلب اللاحد الخنزير فاسمعونى صوتهُ بالصفع . فصُفع نحو من مائة صفعة وأخذ سيفهُ ومنطقتهُ . واستدعى ابن أبي الساج عبد الله بن على وأحضر للوقت فوجّه به الى دار محمد بن خلف ليحفظها وقبض على سائر غلمانه وأسبابه وخزائنه . وكان عبد الله بن على مشهورا بالعفاف والثقة وتقدم الى الحسن بن هرون بان يتقلّد كتابته مكانه وأستحلفه ان يدخل الى الحجرة التى اعتُقل فيها ويقيّده بخمسين رطلاً ويلبسه قميص باريباف[1] ففعل به الحسن بن هرون ذلك فقال له : يامحمد بن خلف اخبرنى أغرّك انى أقول لك « يا مولاى » انما كنتُ أسخر منك أيّنا كان أبعد غورا وتدبيراً انا أم أنت ؟ وأخذ الحسن بن هرون خطّهُ بستمائة الف دينار بعد ان أهانهُ وصفعهُ وضربهُ بالمقارع فادّى نحو خمسين الف دينار (٢٨٨) الى ان رحل ابن أبي الساج من واسط الى الكوفة لمحاربة الهجرى وحملهُ معه مُقيَّداً وشُغل عنه بالحرب وأسر فافلت محمد بن خلف

﴿ ذكر وقعة ابن أبي الساج مع القرمطى وما استعملهُ من ترك الحزم واستهانته بالعدوّ حتى أسر وما اتفق عليه بعد الاسر حتى قُتل ﴾

كتب يوسف بن ديوداذ من واسط الى الوزير أبي الحسن على بن عيسى يلتمس منه حمل مال اليه ليصرفهُ فيما يحتاج اليه من اعداد الانزال والعُلوفات بين واسط والكوفة ويحتجّ بان أموال المشرق متأخّرة عنه وان الامر ليس يحتمل مع قرب مُوافاة الهجرى بان ينتظر ورود مال من

(١) كذا في الاصل

الجبل ويقول انه لا يُقنعه لذلك أقل من مائة الف دينار . فعرض على بن عيسى كتابهُ على المقتدر فتقدم بان يحمل من بيت مال الخاصة سبعون الف دينار وينفذ اليه

وورد الخبر بخروج أبي طاهر من هجر بنفسه يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان فنزل فى الموضع المعروف بالحس وبينه وبين الاحساء مسيرة يومين وأقام به الى يوم السبت ورحل من غد . وكتب[٢٨٩] السلطان الى ابن أبي الساج بما ورد من خبره ويأمره بالمبادرة الى الكوفة . وكتب علي بن عيسى الى عُمّال الكوفة باعداد الميرة والعلوفات ليوسف . وسار يوسف من واسط يوم الاربعاء لليلة بقيت من شهر رمضان نحو الكوفة وعاد سلامة الطولوني منصرفا من عنده وكان حمل اليه المال

ولما قرُب أبو طاهر الهجرى من الكوفة أطلق جميع من كان معه من أسارى الحاجّ وهرب عُمّال السلطان من الكوفة فاخذ أبو طاهر جميع ما أعدّ ليوسف من الميرة والعُلوفات وهو مائة كرّ دقيقاً والف كرّ شعيرا وقد كان خفّ ما مع أبي طاهر من الميرة ولحقهُ وأصحابه شدة فقوى ومن معه بما صار اليهم . ووافى يوسف الى ظاهر الكوفة يوم الجمعة لثمان خلون من شوّال وقد سبقه أبو طاهر اليها بيوم واحد فحال بينها وبينه

وحكى عن أبي طاهر انه قال ان عسكره قرُب من عسكر يوسف فى الطريق بين واسط والكوفة ؟ وكان يوم ضباب فلم ير أحدُهما صاحبهُ وانه أحسّ به ولوشاء لأوقع به . ووجّه يوسف الى أبي طاهر يدعوه[٢٩٠] الى الطاعة فان أبى فان الوعد للحرب يوم الأحد . فحكى الرسول انه لما

صار اليه حُمل الى موضع فيه جماعة متشا كاو الزيّ وقيل له : تكلّم فان السيّد يستمع . ولم يعرف من هو منهم فادّى الرسالة فأجيب بانه غير مُستجيب لِما دعاهُ اليه ولا لتاخير المُناجزة فكانت الحرب بينهما يوم السبت لِتسع خلون من شوّال سنة ٣١٥ على باب الكوفة . فيقال ان ابن أبي الساج لما عاين عسكر أبي طاهر ووقف على عِزّته ازرى عليه واحتقرهُ وقال : مَن هؤلاء الكلاب ؟ هؤلاء بعد ساعة في يدي . وتقدّم بان يكتب كتاب الفتح قبل اللقاء تهاوُنا به وزحف كلّ واحد منهُما الى صاحبه .

فلما سمع الهجريّ صوت البوقات والدبادب والزعقات عن عسكر ابن أبي الساج وكانت عظيمة جدًّا التفت رجل منهم الي رفيق له وهو يُسايرهُ فقال له: ما هذا الزجَل ؟ فقال له رفيقهُ : فَشَلٌ . فقال له : اجل . ما زاده لفظة ورسم عسكر أبي طاهر ان لا تكون فيه بوقات ولا دبادب ولا صياح . وعبّى ابن أبي الساج رجالَه وانفرد هو مع غلمانه على عادة له فى الحرب وكان ابتداء الحرب بينهُما مذ ضحوة نهار يوم السبت الى وقت غروب الشمس . وما قصّر ابن أبي الساج فى الثبات وأثخن أصحاب أبي طاهر بالنُشاب وجرح منهم خلقا فلما رأى أبوطاهر ذلك وكان واقفا فى عمّارية له مع من يثق به من أصحابه نحو مائتي فارس بالقرب من حيطان الحيرة نزل من العمّارية فركب فرسًا له وحمل بنفسه مع ثقاته وحمل يوسف بنفسهِ وغلمانهِ عليه واشتبكت الحرب بينهُما [1] فأسر ابن أبي الساج اخر النهار وبه ضربة على جبينه بعد ان اجتهد به غلمانه ان ينصرف فامتنع عليهم وحصل أسيرًا فى يد أبي طاهر مع جماعةٍ من غلمانهِ بعد ان قُتل من أصحابه عددٌ

(١) وفى تاريخ الاسلام : وجرح من القرامطة بالنشاب المسموم نحو خمسمائة

كثيرٌ وانهزم الباقون .

ولما أُسر يوسف وقت المغرب حُمل الى معسكر أبي طاهر وضُربت له خيمة وفُرش له فيها ووكل به . وأحضر رجل مُعالج يعرف بابن السُبيعي فقال ابن السُبيعي هذا : لما دخلتُ اليه الى الخيمة التي حُبس فيها وجدته جالساً وعليه دُرّاعة ديباج فضّي وجُرُّبانها ولِبنتها من ديباج أحمر وقد تلوّنت بالدم الذي سال من الضربة التي في جبينه . ووجدت الدم قد جمد على وجهه فالتمست ماءً حارًّا فقال لي بعض أصحاب أبي طاهر : والله ما ذاك عندنا ولا عندنا ما يُسخن فيه . وكانوا[٢٩٢] خلّفوا سوادَهم بالقُرب من القادسيّة وتجردوا لِلقتال فغسلتُ وجهه بماء بارد وغسلت موضع الضربة وعالجتهُ . وسألني عن اسمي وبايّ شيء اعرَف فذكرتُ له ذلك فوجدته يعرف أهلي أيّام كان بالكوفة وهو صبيّ مع أخيه الافشين وكان يتقلّد الكوفة . فعجبتُ من ذِكره وفهمِه وقلّة اكتراثه بما هو فيه

وورد خبر الوقعة وانسر ابن أبي الساج على علي بن عيسى فراح الى دار السلطان واجتمع مع نصر الحاجب ومونس المُظفّر على إنهاء الخبر الى المقتدر بالله . وانتشر الخبر فدخلت الخاصّةَ والعامّةَ لِابي طاهر هيبةٌ عظيمةٌ ورهبة شديدة . وعملت الجماعة على الهرب الى واسط ثم الى الاهواز وابتدأ المنهزمون بالدخول الى بغداد وأخرج مونس المظفّر مضربه الى ميدان الاشنان وخرج على ان يمضي الى الكوفة . وورد كتاب العامل بقصر ابن هبيرّة علي عليّ بن عيسى بأن أبا الطاهر وأصحابه رحلوا عن الكوفة يوم الثلاثاء لِاثني عشرة خلت من شوّال قاصدين عين التمر وورد كتابه بعد ذلك بنزولهم عين التمر . فبادر علي بن عيسى باستئجار خمسمائة سميريّة وجعل

فيها الف رجل ومعها عدّة[٢٩٣] من شذاءات وطيارات وحوّلها من دجلة الى الفرات وفيها جماعة من الغلمان الحجريّة لمنع الهجرى من عبور الفرات وتقدّم الى جماعةٍ من القوّاد بالمسير على الظهر من بغداد الى الانبار لضبطها .

فلما كان يوم الجمعة رأى أهل الأنبار ومَن بها من القوّاد خيلَ أبي طاهر مقبلةً من الجانب الغربي فبادروا الى قطع جسر الانبار وأقام أبو طاهر الى أن أمكنه العبور بالسفُن فعبر يوم الثلاثاء نحو مائة رجل ولا يعلم بهم أصحابُ السلطان الى أن حصلوا بالانبار ونشبت الحرب بينهم وبين جماعة من القوّاد . فلمّا خلا البلد من أصحاب السلطان عقد أبو طاهر جسرَ الانبار وعَبَرَ وخلّف سوادَهُ في الجانب الغربي وفيه ابن أبي الساج . ولما علم مَن في الشذاآت من أصحاب السلطان ان أبا طاهر قد عقد الجسر ساروا اليه بالليل فضربوه بالنار فبقى أبو طاهر فى جماعة من أصحابه فى الجانب الشرقى من الفرات وسواده فى الجانب الغربى منه وحالت الشذاآت والطيّارات بينهم . ولما ورد الخبر بعبور أبي طاهر الى الانبار وقتله من بها من القوّاد خرج نصر الحاجب ومعه[٢٩٤] الحجريّة والرّجالة المصافيّه وجميع من كان بقى ببغداد من القوّاد وبين يديه عَلَمُ الخلافة وهو شبيه باللواء أسودُ وعليه كتابة ببياض « محمد رسول الله »

وكان مونس قد صار بباب الانبار واجتمع مع نصر وكان عدد مَن معهما من الفُرسان والرجّالة وغيرهم يزيد على أربعين ألف رجل . وخرج أبو الهيجاء ومن اخوته أبو الوليد وأبو العلاء وأبو السرايا فى أصحابه واعرابه وسار نصرٌ وسبق مونسا على قنطرة النهر المعروف بزُبارا بناحية عقرقوب على نحو فرسخين من بغداد ولحق به مونسٌ واجتمعا على النهر . وأشار

أبو الهيجاء على نصر الحاجب بقطع قنطرة نهر زُبارا وألحّ عليه فى ذلك فلما رآه يتثاقل عن قبول رأيه قال له : أيها الاستاذ اقطعها واقطعْ لحيتى معها . فقطعها حينئذٍ

وسار أبو طاهر ومَن حصل معه من أصحابه من الجانب الشرقى من الفرات قاصدين نهر زُبارا فلما صار على فرسخ واحد من عسكر السلطان اخر يوم الاثنين لعشر خلون من ذى القعدة بات بموضعه ليلته وباكر المسير الى قنطرة نهر زُبارا . وتقدّم من رجّالته[٢٩٥] راجلٌ أسود يقال له صُبح فكان امام عسكره فما زال نُشّاب أصحاب السلطان تأخذه وهو يتقدم ولا يهوله وقد صار بالنُشّاب كالقُنفُذ فلما صـ القنطرة ورآها مقطوعة رجع وما زال أصحاب أبي طاهر يمتحنون غورَ الماء فى النهر فلمّا علموا انه ليس يُخيض انصرفوا راجعين القهقرى من غير ان يولّوا ظُهُورهم وصاروا الى الحسينية فوجدوا الماء قدأحاط به لان نصرا ومونسا وجها قبل ذلك بمَن بثق هناك بُثوقا كباراً فصار ماء المخر محيطا بعسكر أبى طاهر . فاقام هناك يوم الثلاثاء وسار هو وأصحابهُ الى الانبار ولم يجسر أحدٌ من أصحاب السلطان ان يتبعهُ أو يُصلح قنطرة زُبارا أو يعبرُها . وكان ما أشار به أبو الهيجاء من قطع هذه القنطرة توفيقاً من الله فانها لو كانت صحيحة لعبر أصحاب القرمطى عليها وما هالَهُم وفور عسكر السلطان ولانهزم أصحاب السلطان وملك القرمطى بغداد . وذلك ان أكثر أصحاب السلطان كرّوا الى بغداد منهزمين لمّا بلغهم وصول أبى طاهر الى النهر من غير ان يروهم أو تقع عينٌ عليهم لعظيم ما تداخل القلوب من الرعب بعد الحادث بابن أبى الساج[٢٩٦] ولم يحدّث أحدٌ نفسه بعد ذلك ان يجوز له ان يثبت فى وجهه .

وكان مع أبي طاهر جماعة من الأدلاء فعدلوا به عن المخر وسار نحو الانبار ولما ولّي أبو طاهر وأصحابُهُ عن موضع العسكر بُرزًا ارتفع التكبير والتهليل من أصحاب السلطان ليذيع الخبر به وبادر أصحاب الاخبار الى علي بن عيسى بالسلامة وبانصراف أبي طاهر ورجوعه الى الانبار وبانه لا طريق له ولا مخاضة ولا حيلة في الوصول الى معسكر عسكره ولا الى نواحي بغداد. وطمع مونس في الظفر بسواده وباقي رجاله الذين خلّفهم في الجانب الغربي من الانبار وفي تخليص ابن أبي الساج فانفذ يلبق حاجبَهُ وجماعة من القوّاد ومن غلمان ابن أبي الساج في ستة آلاف رجل وظنوا انه لا يتم لابي طاهر العبور الى خيله وسواده وبلغ أبا طاهر ذلك فاحتال حتى انفرد عن رجاله ومشى مشيا طويلاً حتى خرج عن الانبار الى الصحراء التي تتصلُ بالفرات ثم عبر في زورق صيادٍ يقال انه دفع اليه الف دينار حتى عبر به الى سواده فلما حصل في سواده واجتمع مع أصحابه حارب يلبق ومن معه [٢٩٧] فلم يثبت له يلبق وانهزم ومن معه وقتل جماعة من أصحابه. وبصر أبو طاهر في الوقت بابن أبي الساج وقد خرج من خيمته التي كان معتقلا فيها متطلعا الى الطريق لينظر ما يكون من حال الوقعة فوقع له انه أراد ان يهرب فدعا به الى حضرته وقال: أردت الهرب. ويقال ان غلمانه كانوا نادوه فقال له القرمطي: طمعتَ ان يخلّصك غلمانك. فأمر به فضربت عنقه بحضرته وضرب أعناق جماعةٍ كانوا في الأسر.

واحتال بعد ذلك أبو طاهر حتى عبر جميع أصحابه الذين كانوا معه في الجانب الشرقي من الفرات بالانبار فحصلوا معه في الجانب الغربي الذي يلي البرّية. وعاد يلبق منهزما مفلولا الى مونس المظفر

وحكى أبو القاسم ابن زنجى انه كان عـدة أصحاب أبى طاهر الف وخمسمائة رجل منهم سبعمائة فارس وثمانمائة راجل وانه عرف ذلك من رجل انباريّ كان يقيم له ولرجاله الخبر وقد قيل انهم كانوا الفى وسبعمائة قال : وسمعت بعض مستأمنة أبى طاهر وقد سُئل عن السبب في سرعة هزيمة أصحاب السلطان وثباتهم (٢٩٨) فقال : السبب فى ذلك ان أصحاب السلطان يُقدّرون ان السلامة فى الهرب فيقدّمونه ونحن نقدّر ان السلامة فى الصبر فنثبت ولا نبرح (١)

ورتب على بن عيسى بين بغداد ونهر زُبارا المرتبين وسلم اليهم مائة طير الى مائة رجل منهم يكتبون على أجنحتهم كتبا بخبر العدو فى كلّ ساعة . وكان السبب فى سلامة بغداد وأهلها يوم قصد القرمطى زُبارا مع كثرة العيارين والمتشبهة بالجند وتشوّفهم الى النهب ان على بن عيسى تقدّم الى نازوك بمواصلة الركوب والتطواف فى جميع جيشه كلّ يوم غدوةً وعشيةً فى الجانبين ففعل ذلك ثم تقدم اليه فى يوم موافاة أبى طاهر الى نهر زُبارا ان يُبكّر الى باب حرب بجميع جيشه ويُقيم فيه الى وقت العتمة وان يُواصل النداء فى الجانبين بانه : من ظهر من العيارين والمتشبهة بالجند ومن وُجد معه حديدٌ ضرب عنقهُ . فانجحر العيارون وأغلق أهلُ باب المحوّل ونهر طابق والقلائين وغيرهم دكاكينهم وتحرّز الناس فنقلوا أمتعتهم الى منازلهم . وأما وجوه الناس فاكثروا الزواريق وجعلوها فى (٢٩٩) الشوارع فى دجلة

(١) قال صاحب كتاب العيون . وحكي أن رجلا من أهل بغداد تقدم الى الاسود ولامه على تهجمه على ذلك الجمع العظيم فقال له . يارجل نحن نرى الصبر راحة وانتم ترون الفرار راحة فتعمدون عليه .

ونقلوا اليها أمتعتهم ومنهم من حدَرها الى واسط . ونقل قومٌ من المجهَّزين أمتعتهم الى حلوان ليحمل الى خراسان مع الحاج ولم يكن عند أحد من الخواصّ والعوامّ شكٌّ فى ان القرمطى يملك بغداد . وأقام نازوك فى ذلك اليوم كما رسم له على بن عيسى على ظهر دابّته من أول النهار الى ان مضى صدر من الليل لا ينزل هو ولا احد من اصحابه عن دوابّهم الا للصلوات وضربت له ولهم الخيم فنزلوها بالليل وكان ذلك سببا لسلامة البلد

وقصد القرمطي الى هيت وبادر هرون بن غريب وسعيد بن حمدان الى هيت لدفعه عنها فسبقا القرمطي الى هيت وصعدا الى سورها وقويت بهما قلوب أهل هيت فلمّا وصل القرمطى اليها قاتلوهُ بالمنجنيقات فقُتل من القرامطة جماعةٌ وانصرف أبو طاهر عنها . وورد الخبر بذلك الى بغداد فسكنت النفوس واطمأنّت القلوب وتصدّق المقتدر والسيّدة لمّا بلغهما خبر انصرافه بمائة ألف درهم . وكان مونس ونصر أحضرا جرائدَ جميع الرجال الذين اجتمعوا على نهر زُبارا مما يلى بغداد سوى (٣٠٠) الاعراب فوجدوهم اثنين وأربعين ألف رجل سوى غلمانهم وأسبابهم فانهم كانوا أضعاف هذه العدّة

وكان على بن عيسى لما بلغه أسرُ ابن أبى الساج بادر فى الوقت الى المقتدر وقال له : انّما جمعَ الخلفاء المتقدّمون الاموالَ ليقمعوا بها اعداء الدين والخوارج وليحفظوا بها الاسلام والمسلمين ولم يلحق المسلمين مُنذ قُبض النبي صلى الله عليه وسلم شئٌ أعظَم من هذا الامر لان هذا الرجل كافرٌ وقد أوقع بالحاج فى سنة ٣١٢ بجرى مالم يُعهَد مثلُهُ وقد تمكّنت له هيبة فى قلوب الاولياء والخاصّ والعامّ . وانما جمع المعتضد والمكتفى فى

بيت مال الخاصة ماجمعوا لمثل هـذه الحوادث والآن فلم يبق فى بيت مال الخاصة كبير شيء فاتق الله ياأمير المومنين وتخاطب السيدة فانها دينـه فاضلة فان كان عندها مالٌ قد ذخرته لشدّة تلحقها أو تلحق الدولة فهـذا وقت إخراجه وان تكن الأخرى فاخرج أنت وأصحابك الى أقاصى خراسان فقـد صدقتُك ونصحتُك . فدخل الى والدته ثم عاد فاخبر ان السيدة استرأته وأمرت باخراج خمسمائة ألف دينار من مالها الى بيت (٣٠١) مال العامـة لينفق فى الرجال . وسأل على بن عيسى عن مقدار مابقى فى بيت مال الخاصة من المال فعرّفهُ على بن عيسى ان فيه خمسمائة ألف دينار .

وتجرّد على بن عيسى لحفظ الاموال وتقـدّم الاّ يُضيَّع منهـا درهمٌ واحدٌ فى قضاء الذمامات وجمع أموال النواحى وأنفذ المُستحثين الى العمّال فاجتمعت له جملة أخرى . وتنصّح الى على بن عيسى رجـل من التجار بانه وقف على خبر رجل شيرازى يتخبر للقرمطى ويكاتبهُ فانفـذ معه جماعـةً فقبض عليه وحُمل الى دار السلطان . وناظرهُ على بن عيسى بحضـرة القاضى أبى عمر والقوّاد وقال : انا صاحب أبى طاهر وما صحبتُهُ الا على انه على حق وأنتَ وصاحبك ومن يتبعكم كفّار مبطلون ولا بدّ لله فى أرضـه من حُجّة وامام عـدل وامامنا المهـدى فلان بن فلان بن اسماعيل بن جعفر الصادق وليس نحن مثل الرافضة الحمقى الذين يدعون الى غائب منتظر . فقال له على بن عيسى : اصـدقنى عمن يكاتب القرمطى من أهـل بغـداد والكوفة . قال : ولِمَ أصـدقك عن قوم مؤمنين حـتى اسلّمهم الى قوم كافرين فيقتلونهم (٣٠٢) لاأفعلُ ذلك أبداً . فأمر بصفعه بحضرته وضربه بالمقارع وقيّدَهُ وغلّهُ بغلٍّ ثقيف وجعل فى فمه سلسلة وسلّمه الى نازوك

وحبسهُ فى المطبق فمات بعد ثمانية أيَّام لانه امتنع من ان يأ كل ويشرب حتى مات . وشغب الجند [١]

(ودخلت سنة ستّ عشرة وثلثمائة)

ودخل مونس المظفّر بغداد من الانبار ودخل بعد نصرٍ وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من المحرّم وكان الجندُ قد شغبوا بالانبار لطلب الزيادة في أرزاقهم فأقاموا ببغداد على مطالبتهم فزيد كلّ واحد منهم ديناراً وأنفق فيهم على الزيادة .

وورد الخبر بدخول أبي طاهر القرمطى الدالية من طريق الفرات فلم يجد فيها شيئا وقتل من أهلها جماعة . ثم سار الى الرَحْبة فدخلها بعد ان حارَب أهلها ووضع السيف فيهم بعد ان ملكهم ونُدب مونس المُظفّر للخروج اليهم بالرقة . وكان أهل قرقيسيا وجّهوا الى القرمطي يطلبون الامان منهم ووعدهم بجميل ثم أنفذ اليهم من نادى بقرقيسيا الاّ يظهر بها أحدٌ بالنهار فلم يجسر أحد بها ان يظهر . (٣٠٣) فعبرت سرية له الى الاعراب على جسر عقدهُ بالرحبة فأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذ جمالهم وأغنامهم فرهبه الاعراب رهبة شديدة وصاروا لا يسمعون بذكره الاّ تطاروا وجعل عليهم اتاوة الى هذه الايام وهى من كلّ بيت دينار فى السنة ثم أصعد من الرحبة الى الرقة . وسار مونس المظفّر الى الموصل ومنها الى الرقة فانصرف أبو طاهر عن الرقة على طريق الفرات ووصل الى الرحبة فحمل ما معه من

(١) وفي تاريخ الاسلام : شغبوا على المقتدر وطلبوا الزيادة وشتموه ونهبوا القصر الملقب بالثريا وصاحوا : أبطلت حجنا وأخذت أموالنا وجرّأت العدوّ وتنام نوم الجارية . فبذل لهم المال فسكنوا . وجددت على بغداد الخنادق وأصلحت الاسوار

الزاد وغيره فى زواريق وانحدر فى الماء وعلى الظهر ليعاود هيتاً . وكان أهلها قد نصبوا على سورها عرّاداب ومنجنيقات فحاربوه وقتلوا من أصحابه [١] فانصرف عنها الى ناحية الكوفة وزاد الخبر بذلك فأخرج بنيّ بن نفيس وهرون بن غريب على مقدّمة نصر .

وجاءت خيل القرمطى ومعها ابن سنبر الى قصر ابن هبيرة وعبروا الفرات بمخاضة فقتلوا جماعة من أهل القصر فخرج نصر الحاجب ومعه القوّاد والرجّالة المصافيّة يريدون مواقعة أبى طاهر وحُمّ نصر حمى حادّة فلم يمنعه ذلك من المسير الى سُورا . ووافى [٣٠٤] أبو طاهر الى شاطئ سورا وقت المغرب فلم يكن فى نصر نُهوضٌ للركوب لشدّة علته فاستخلف أحمد بن كيغلغ وانفذ معه الجيش فانصرف القرمطى قبل ان يلقاه أحمد بن كيغلغ . واشتدّت علّة نصر وجفّ لسانهُ من شدّة الحمّى فرُدّ الى بغداد فى عمارية ومات فى الطريق . فخرج شفيع المقتدرى برسالة المقتدر الى الجيش الذى كان مع نصر بانه قد جُعل الرئيس عليهم مكانَ نصرٍ هرون ابن غريب فدخل هرون بن غريب مع الجيش بغداد [٢]

﴿ ذكر الحال التى أدّت الى صرف على بن عيسى وتقليد أبى على ابن مقلة [٣] ﴾

---

(١) وفى تاريخ الاسلام : قتلوا أبا الدواد من خواص أصحابه (٢) وفى تاريخ الاسلام : ورجع القرمطى فبنى دارا سماها دار الهجرة ودعا الى المهدى وتفاقم الامر وكثر أتباعه وبث السرايا فهرب عمال الكوفة عنها . فسار هرون ابن غريب الى واسط فظفر بسرية لهم فقتلهم وبعث الى بغداد بأسارى ومائة وسبعين رأساً واعلام بيض منكسة عليها مكتوب : ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . ففرح الناس واطمأنوا (٣) ومقلة اسم أم لهم كان أبوها يرقصها فيقول : يامقلة أبيها . فغلب عليها : ارشاد الاريب ٣ : ١٥٠

لما رأى على بن عيسى[١] اختلال النواحى فى أيام وزارة الخاقانى والخصيبي ونقصان الارتفاع وزيادة النفقات وما لحق من زيادة الرجالة بعد انصرافهم من الانبار من حرب القرمطى وان زيادتهم بلغت مائتى وأربعين ألف دينار فى السنة مضافةً الى النفقات المفرطة هالَهُ ذلك واستعظمهُ ووجد رجال السلطان قد ضعفوا عن القرمطى وتبين انحراف نصر الحاجب عنه وذلك لميل مونس اليه استعفى (٣٠٥) المقتدرَ من الوزارة فأمرَهُ بالصبر وقال له : أنت عندى بمنزلة المعتضد بالله ولى عليك حقوقٌ . فواصل الاستعفاء[٢] فشاور المقتدر مونساً المظفّر واعلمَهُ انه قد سُمى له ثلاثة الفضل بن جعفر ابن حنزابة فلم يشر به لاجل من قُتل من آل الفرات وأبو على ابن مقلة فلم يشر به لحداثته وقال : لا يصلح للوزارة الا شيخٌ له ذِكر وفيه فضل ومحمد بن خلف النيرماني فلم يشر به وعرفه انه جاهلٌ لا يحسن ان يتهجّى اسمهُ وانه متهوّر وأشار بمداراة على بن عيسى . ثم لقى مونس على بن عيسى ورفق به وداراهُ فقال له على بن عيسى : لو كنت مقيما بالحضرة لاستعنتُ بك وعملتُ ولكنك خارجٌ الى الرقة . وبلغ أبا على ابن مقلة ذلك فجدّ فى السعى وشاور المقتدر نصرا الحاجب فى أمر الثلاثة فقال : اما الفضل بن جعفر فلا يدفع عن صناعة ومحلّ ولكنك بالامس قتلتَ عمَّهُ وبنو الفرات يدينون بالرفض وأما ابن مقلة فلا هيبة له . وأشار بمحمد بن خلف لما كان بينهما مما ذكرناه فيما تقدّم فنفر المقتدر منه لما عرفهُ من جهله وتهوّرِه . وواصل ابن مقلة (٣٠٦) مداراة نصر الحاجب فأشار على المقتدر به وقال : يُقلد فان قام بالامر كما يجب والاّ فالصرفُ العاجلُ بين يديه . واضطرّ

---

(١) وزراء ٣١٦—٣١٤ (٢) وفي الاصل : الاستقصاء

المقتدر الى ان استوزر أبا على بن مقلة .

وكان ما مال به المقتدر الى أبى على ان أبا طاهر القرمطى لما قرُب من الانبار تشوّف الى علم خبره ولم يكن يكاتب بشئ من خبره غير الحسن بن اسمعيل الاسكافى عامل الانبار فلما عرف أبو على ابن مقلة الصورة طلب أطياراً وأنفذها الى الانبار وكوتب عليها أخبار القرمطى وقتاً بعد وقت فكان ينفذها الى نصر لوقته ويعرضها نصر على المقتدر ووجد بذلك نصر السبيل الى تقريظ ابن مقلة وقال للمقتدر : ان كان هذه مُراعاتُهُ لامورك ولا تعلّق له بخدمتك فكيف يكون اذا اصطنعتَهُ

﴿ ذكر القبض على علىّ بن عيسى وتقليد ابن مقلة ﴾

فلما كان يوم الثلاثاء للنصف من شهر ربيع الاوّل سنة ٣١٦ أنفذ هرون ابن غريب للقبض على علىّ بن عيسى فصار هرون الى دار على بن عيسى ومعه أبو جعفر بن شيرزاد وكان أبو جعفر متعطّلا فى الوقت فوجّه بأبى جعفر اليه لانه (٢٠٧) استحيا منه وعرّفه ما أمر فيه فلما أدّي اليه الرسالة قال له : أنا جالس متوقّع له . وكان قد لبس على بن عيسى خفًّا وعمامةً وطيلساناً وفى كمّهِ مُصحفٌ ومقراض وسأل هرون ان يصون حُرَمهُ وولدَهُ ففعل وحمَلَهُ مع أخيه أبى على عبد الرحمن الى دار السلطان فسلّم على ابن عيسى الى زيدان القهرمانة واعتقل عبد الرحمن عند نصر فكانت وزارته هذه سنة واحدة وأربعة أشهر ويومين .

فلما كان فى آخر نهار يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر اُحضر أبو على ابن مقلة الى دار السلطان ولم يصل الى المقتدر وأقام عند نصر الحاجب فى دار السلطان . وجدّ محمد بن خلف فى طلب الوزارة

وضمن ثلثمائة الف دينار معجّلة غير أموال النواحي فقلق أبو على ابن مقلة لذلك وحضر من غد دار السلطان ولم يصل أيضاً . واجتمعت الألسُن على المقتدر بامضاء أمره وبلذمّ لمحمد بن خلف فامضاه وحضر يوم الخميس للنصف من الشهر ووصل وخلع عليه وحمل اليه من دار السلطان طعام على رسم الوزراء اذا تقلّدوا

وكان أبو الحسن (٣٠٨) على بن عيسى قبل صرفه عن الوزارة بعشرين يوماً كتب الى أبي عبد الله البريدى يأمره باستخراج ما كتب به ابن مابنداذ انه قد اجتمع في بيت مال الاهواز من مال الاهواز وهو الف الف وخمسون الف درهم وانضاف الى ذلك ماحمله القاسم بن دينار من مال فارس وكرمان على الظهر وهو سبعمائة الف درهم سوى ماحمله أبو على ابن رستم من مال أصبهان وهو أربعمائة وخمسون ألف درهم فيصير الجميع الفى الف ومائتي ألف درهم . وكان في أبي عبد الله البريدى حركة ورجلة يحتاج اليهما في ذلك الوقت فكتب الى ابن مابنداذ يطالبه بالمال فكتب بأن المال حاصل . وكان ابن مابنداذ يتستر فوجّه اليه يستعجله ولم ينتظره واستحضر كاتبه فحمل في الشذاآة الفى الف ومائتي الف درهم وكتب انه ان عادت الشذاآة حمل فيها باقي المال فصرف على بن عيسى قبل موافاة بقية المال .

وقد كنا ذكرنا انحراف نصر الحاجب عن على بن عيسى لِمَيْل مونس المُظفّر اليه فلمّا نكب على بن عيسى ادّعى نصر الحاجب (١) انه وجد رجلا يعرف بالجوهرى اقرّ انه صاحب القرمطى (٣٠٩) وانه جعله سفيراً بينه وبين على بن عيسى وحكى عنه ان على بن عيسى كان يكاتب القرمطى على يده .

(١) وزراء ص٣١٦

وجمع بينه وبين على بن عيسى حتى واجهه بذلك فقال له على بن عيسى : بهتنى وما خلق الله لما يقوله أصلا . وعاون أبو على ابن مقلة نصرا الحاجب فى هذه القصة الى ان كاد يتمّ المكروه على علىّ بن عيسى وهمّ المقتدر ان يضربه بالسوط على باب العامة بحضرة الفقهاء والقضاة وأصحاب الدواوين فاحتالت السيّدة واستكشفت الحال فيما ادّعى عليه فوقفت على بطلانه وقررت ذلك فى نفس ابنها وأزالت ما كان أمرَه به فيه

وأخذ أبو على ابن مقلة خطوط العُمال والضُمناء بنحو مائة الف دينار وبلغ أباعبد الله البريدى وهو بالاهواز تقلُّد ابى على ابن مقلة الوزارة وكان بينهُما مُودة فانفذ اليه من وقته سفاتج بثلاثمائة ألف دينار من حمله الباقى بالاهواز بعد ما كان حمله . وكان القاسم بن دينار وأحمد بن محمد بن رُستَم قد حملا الى على بن عيسى سفاتج بستمائة ألف درهم فوصلت بعد صرفه فقبضها ابن مقلة فمشى أمر أبى على ابن مقلة بهذه الاتّفاقات . (٣١٠) وكتب أبو على ابن مقلة كتاباً برفع كلّ الجنايات والمصادرات وسكّن من الناس لينبسطوا فى أعمالهم (١)

﴿ وفى هذه السنة وقعت حربٌ بين نازوك وهرون بن غريب الخال ﴾

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان السبب فى ذلك ان سُوّاس هرون بن غريب وسُواس نازوك تغايروا على غُلام أمرد ووقع الشرّ بينهم وأخذ نازوك سُوّاس هرون بن غريب وأودعهم حبس الجرائم بعد ان ضربهم . فصار أصحاب هرون بن غريب الى مجلس الشرطة ووثبوا على أبى الجود خليفة نازوك وانتزعوا

(١) وأمامن تقلد الدواوين وماقال فى حق الوزير أبو بكر الصولى فليراجع صلة عريب : ١٣٥

أصحابهم من يده وركب نازوك الى المقتدر وشكى اليه هذه الحال فلم يكن من المقتدر انكار رضيه نازوك فانصرف محفظا وجميع رجاله . وجمع هرون ابن غريب رجاله وباتا جميعاً مستعدين فلما أصبحوا زحف أصحاب نازوك الى دار هرون بن غريب وأغلق هرون بابه دونهم وخارج الباب جماعة من غلمان هرون وأصحابه فقتل منهم قوم وفتح بابُ هرون حينئذ وخرج أصحابه واستحكمت الحرب بينهم واشتدت فوجه نازوك الى أصحابه بمن صرفهم . ثم ركب (٣١١) الوزير أبو على ومعه مفلح الاسود لتوسط القصة فبدأ بابن الخال وأدى اليه رسالة المقتدر بالكف ثم صار الى نازوك فادى اليه مثل ذلك فسكنت القصة . واستوحش نازوك وأقام فى داره وفيها غلمانه وأصحابه ورجاله وظهر فى ساقه توثة وقلعها وجعلها سببا فى ترك الركوب وبعد ثلاثة ايام صار اليه هرون بن غريب بدراعة فاصطلحا وأقام نازوك فى داره وصار هرون بن غريب الى البستان النجمى فاقام فيه ليبعد عن نازوك وكثر الناس عليه وأرجفوا له بامرة الامراء . فاشتد ذلك على أسباب مونس المظفر وكتبوا به اليه وهو بالرقة فاسرع الشخوص منها على طريق الموصل الى بغداد ووصل اليها ولم ينحدر الى المقتدر ولا لقيه وصاعد اليه الامير أبو العباس والوزير أبو على فسلما عليه وانحدر نازوك

﴿ ظهور الوحشة بين مونس والمقتدر ﴾

وأقام هرون بن غريب فى دار السلطان منابذاً لمونس المظفر ودخل أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان من الجبل وصار الى مونس المظفر . وما زالت المراسلات تتردد بين مونس والمقتدر (٣١٢)

﴿ ودخلت سنة سبع عشر وثلثمائة ﴾

﴿ ذكر فتنة نازوك وأبى الهيجاء التى أدت الى خلع المقتدر وذكر قتلهما ورجوع المقتدر بالله الى الخلافة ﴾

لما كان يوم السبت لثمان خلون من المحرم خرج مونس المظفر الى باب الشماسية وخرج الجيش معه . وركب نازوك من داره فى غلمانه وأصحابه فى السلاح فلما وصل الى الجسر وجده مقطوعا فأقام بمكانه الى ان أصلح وعبر هو وأصحابه عليه وصاروا الى مونس وخرج أبو الهيجاء ابن حمدان اليه وسائر القوّاد ثم انتقلوا من باب الشماسية الى المصلى . وشحن المقتدر داره بهرون بن غريب وأحمد بن كيغلغ والحجرية والرجالة المصافية فلما كان آخر النهار انفضّ أكثر من كان فى دار السلطان وصاروا الى مونس وصرف مونس نحرير الصغير (١) عن الدينور وردها الى أبى الهيجاء مضافة الى أعماله

وراسل مونس المقتدر بان الجيش عاتبٌ منكرٌ للسرف فيما يصير الى الخدم والحرم من الاموال والضياع ولدخولهم فى الرأى والتدبير ويطالبون باخراجهم من الدار (٣١٣) وابعادهم وأخذ ما فى أيديهم فكتب المقتدر الى مونس رقعة نسختها : بسم الله الرحمن الرحيم : أمتعنى الله بك ولا أخلانى منك ولا أرانى سوء فيك . تأملت الحال التى خرج أولياؤنا وصنائعنا وشيعتنا اليها وتمسكوا بها وأقاموا عليها فوجدتهم لم يريدوا الا صيانة نفسى وولدى وإعزاز أمرى وملكي واجتلاب الخير والمنفعة من كل جهة وتطلبها بكل سبيل بارك الله عليهم وأحسن اليهم وأعانني على صالح ما أنويه فيهم . وأما أنت يابا الحسن المظفر لاخلوت منك فشيخى وكبيرى

---

(١) توفي في هذه السنة بالموصل وكان يتولى معونتها : صلة عريب ١٤٦

ومن لا أزول ولا أحول عن الميل اليه والتوفر عليه والتحقق به والايجاب له اعترض ما بيننا هذا الحادث ام لم يعترض وانتقض الامر الذي يجمعنا أم لم ينتقض وأرجوا الا تشك فى ذلك اذا صدقت نفسك وحاسبتها وأزلت الظنون السيئة عنها أدام الله حراستها والقوة بالله . والذى خاض لاصحابنا (١) فيه من أمر الخدم والحرم الذين يخرجون من الدار ويباعدون عنها وتسقط رسومهم فى الخدمة ويمنعون منها ويبرّؤن من نعمهم ويحال بينهم وبينها الى ان يفرجوا عما في أيديهم من المال (٣١٤) والضياع ويردّوها الى حقوقها قول اذا تبينوه حق تبيّنه وتصفحوه كنهَ تصفّحه علموا انه قول جافٍ والبغى عليّ فيه غير مستتر ولا خاف. ولا يثارى موافقتهم واتباعى مسرّتهم ما اجبتهم الى التيسر فى أمر هذه الطبقة خاصة فاتقدم بقبض بعض اقطاعاتهم وحظر تسويغاتهم وبسط ايغاراتهم واخراج من يجوز إخراجهُ من دارى ولا اطلق للباقين الدخولَ فى تدبيرى ورأيي وأوعز بمكاتبةِ العُمّال فى استيفاء حقّ بيت المال فى ضياعهم الصحيحة الملك دون ما يقال انه قد لابَسَهُ الريبُ والشك وانظرُ بنفسى فى أمر الخاصّة والعامّة وأبلغُ فى إنصافها والإحسان اليها الغاية . ولا اعتمد فى ذلك على وزير ولا سفير البتّة وانتصبُ لاثارة الاموال وجمعِها ووضعِها فى مواضعها وا ... ها من كلّ ما يثلمها وينتقضها واشمّرُ فى ذلك وأبلغ فى مناهضة الاعداء قُرباً وبُعداً . وهذا انما قعدتُ عنه اعتماداً عليكم وتفويضا اليكم وثقة بانكم شركائى وسُهمائى والمخصوصون بخير أيّامى وشرّها وحُلوها ومُرّها . ولو علمتُ انه يُجعل ذلك ذنباً لى وجُرماً يتجنّى به عليّ لكُنتُ أوّل شاخص الى

(١) لعله أصحابنا

كل [٣١٥] نعب ٍ واوّل مُبادرٍ نحوه من غير ابطاء عنه ولا ريثٍ . فأما انتم فمعظم نعمكم منّي وما كنت لاغور عليكم فى شىء سمحت به لكم ورأيته فى وقته وأراه الآن زهيداً فى جنب استحقاقكم وانا بتثميره اولى وبتوفيره احرى والله المطّلع على جميل معتقدى للجماعة فيها والشاهد على محبّتي لايصالها الى اقصى امانيها [١] ونازوك فلست ادرى من اىّ شىء عتب ولا لايّة حال استوحش واضطرب لانى لم آله على محاربة هرون بن غريب الخال ولم امنعه من الانتصار منه والاخذ بثاره عنده ولا امرت بمعاونة هرون عليه ولا قبضت يده عما كانت طويلة اليه منبسطة فيه متمكنة منه ولا غيرت له حالا ولا حزت له مالا ولا سمع منى ولا بلغه عنى ما يسوء موقعه وينفر منه والله يغفر لنا وله . وعبد الله بن حمدان فالذى احفظه صرفه عن الدينور وقد كان يتهيأ إعادته اليها ان كان راغباً فيها فيسعف بمسئلته وان يستدعى تعويضه من الأعمال ماهو اعظم خطراً من الدينور فلا نقصر عن ارادته وما عندى له ولنازوك وللعصاة كلها الا التجاوز والابقاء والاغضاء وقبل هذا وبعده فلى فى اعناقكم بيعة قد [٣١٦] وكّدتموها على انفسكم دفعةً بعد دفعةٍ ومن بايعنى فانما بايع الله ومن نكث انما نكث عهد الله ولى ايضا عليكم نعمٌ واياد وعندكم صنائع وعوارف آمل ان تعترفوا بها وتلتزموها ولا تكفروها تشكروها وان راجعتم الجميل وتلافيتم هذا الخطب الجليل وفرّقتم جموعكم ومزّقتموها وعدتم الى منازلكم واستوطنتموها واقبلتم على شؤونكم وتشاغلتم بها واجريتم فى الخدمة على عادتكم فلم تقصروا فيها كنتم بمنزلة من لم يبرح من موضعه ولم يأت بما يعود بتشعث محله وموقعه وكنت الذى تعرفونه

(١) وردت خلاصه هذا الكتاب فى صلة عريب ١٤٠

فى الثقة بكم والايثار لكم والسكون اليكم والاشتمال عليكم لكم بذلك عهد الله ان عهده كان مسئولا . وان ابيتم الا مكاشفة ومخالفة واثارة فتنة وتجديد محنة فقد وليتكم ما توليتم واغمدت سيفى منكم وتبرأت الى الله ان امدّ باعي الى احد منكم ولجأت فى نصري ومعونتى وكفايتى الى الله عزّ وجلّ . ولم اخرج من منزلى ولم اسلم الحق الذى جعله الله لى الا كما خرج عثمان بن عفان عن داره وكما سلم حقه لما خذله عامة ثقاته وانصاره وكان ذلك حجة فيما بين الله عز وجل وبينى ومعذرة وسببا (٣١٧) باذن الله لما أؤمّلهُ من الفوز فى الدنيا والآخرة . والله بصيرٌ بالعباد وللظالمين بالمرصاد وحسبى الله ونعم الوكيل .

ولما وصلت هذه الرقعة الى مونس ووقف نازوك وابو الهيجاء على ماتضمّنت عدلوا الى مكاتبته باخراج هرون بن غريب عن بغداد فأجابهم الى ذلك وتقلّد هرون الثغور الشاميّة والجزرية وخرج من يومه ومضى الى قطربلّ فأقام بها .

ولما كان يوم الاثنين لِعشر خلون من المحرّم دخل مونس المظفر والجيش بغداد وعدلوا عن دار السلطان كراهيةً لِمرّة الجند . وظهر عند الناس ظهوراً بيّناً وارجفوا ارجافاً قويًّا ان نازوك وأبا الهيجاء واقفا مونساً المظفر على الاستبدال به ونصب غيره فى الخلافة . فلمّا كان يوم الاربعاء لاثنى عشرة ليلة خلت من المحرّم خرج مونس الى باب الشمّاسيّة دفعةً ثانية وخرج معه أبو الهيجاء ونازوك وبُنَيّ بن نفيس وجميع القوّاد والجيش وزحفوا الى دار السلطان .

﴿ ذكر الخبر عن خلع المقتدر بالله وتقليد القاهر بالله الخلافة ﴾

لما زحف القوم بأسرهم الى دار السلطان هرب المظفر بن ياقوت وسائر الحجّاب والحشم (٣١٨) والخدم والوزير أبو على ابن مقلة منها ودخل مونس من باب الزاوية وحصل الجيش كله فى دار السلطان . فلما كان بعد عتمة بساعة أُخرج المقتدر ووالدتهُ وخالتهُ وخواصّ جواريه من الدار وأُصعد بهم الى دار مونس المظفر ودخل هرون بن غريب من قطربلّ سرًّا الى بغداد واستتر بها

ومضى أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان الى دار ابن طاهر ليحدر منها محمد بن المعتضد بالله فلم يفتح له كافور الموكَّل بحفظ الدار وطالبهُ بعلامة من مونس فلم تكن معه فانصرف . وأصعد ونازوك بعدان أخذ العلامة وطرح فى طريقه النار فى دار هرون بن غريب وأحدر محمد بن المعتضد ووصل الى دار السلطان فى الثلث الاخير من ليلة السبت للنصف من المحرّم وسُلم عليه بالخلافة وبايعهُ مونس والقُوّاد ولقب القاهر بالله .

وأخرج مونس على بن عيسى من الحبس فى دار السلطان وأطلقهُ الى منزله وأحضر أبا على ابن مقلة وقلّده وزارة القاهر بالله وقلّد نازوك الحجبة مضافة الى ما اليه من الشرطة بمدينة السلام وأضاف الى ما كان الى أبى الهيجاء من أعمال طريق خراسان وحلوان والدينور وطريق (٣١٩) سُرَّ من رأى وبُزُرْج سابور والراذانَيْن ودَقوقا وخانيجان [كذا] والموصل أعمال المعاون بهَمَذان ونهاوند والصَيْمَرة والسيروان وما سَبَذان ومهرجانقذق وارزن .

ووقع النهب فى دار السلطان ومضى بُنَيُّ بن نفيس الى تربة السيدة بالرصافة فوجد لها هناك ستمائة الف دينار فحملها الى دار السلطان .

وخلع المقتدر بالله من الخلافة يوم السبت النصف من المحرّم وأشهد على نفسه بذلك القضاة وسُلم الكتاب بذلك الى القاضى أبى عمر محمد بن يوسف .

﴿ ذكر حزم استعمل وانتفع به ﴾

فحدّث أبو الحسين ابن أبى عمر [1] ان أباه سلم الكتاب اليه بالخلع وقال له : يابُنَيّ احفظْهُ واسترْهُ ولا يراه أحدٌ من خلق الله عندك . (قال) فقلت له : وما الفائدة فى كتمانه وقد علم به الخلق ؟ (قال) فقال لى : وما الفائدة فى اظهاره ومن أين تعلم ما يكون ؟ قال : فامتثلت أمره . فلما أعيد المقتدر بالله الى الخلافة بعد يومين أخذ القاضى أبو عمر ذلك الكتاب فسلمه الى المقتدر بالله من يده الى يده وحلف له على انه (٣٢٠) ما رآه أحد من خلق الله عنده غيرى فحسن موقع ذلك من المقتدر جدًّا وشكرَه له وقلّده بعد مديدة قضاء القضاة (قال) فقال لى : يا بنيّ ماضرّنا كتمان الكتاب وستره شيئا

وانصرف الناس من دار السلطان يوم السبت ولما كان من غدٍ وهو يوم الاحد جلس القاهر بالله وحضر الوزير أبو على ابن مقلة ووصل اليه وأمره بالجلوس بين يديه وسكن النهب وكتب أبو على ابن مقلة بخبر تقليد القاهر بالله الخلافة كتاباً أنشأه الى الولاة فى النواحى . وأمر نازوك الرجالة المصافية بقلع خيمهم من دار السلطان وأقام رجّالته مكانهم فاضطربوا من ذلك ثم تقدّم الى خلفاء الحجاب والبوّابين الاّ يدخل الدار الاّ من كانت له

(١) هو عمر بن محمد بن يوسف بن يعقوب الازدى مالكي المذهب توفى سنة ٣٢٨ وفى كشف الظنون انه صنف كتاب الفرج بعد الشدة . وقال الحافظ الذهبي في تاريخ الاسلام : كان أبو عمر القاضي يقول : ما زلت مروعا من مسألة تجيئني من السلطان حتى نشأ أبو الحسين

مرتبة فاضطربت الحجرية من ذلك وتكلّموا وصار ذلك سبباً لردّ المقتدر الى الخلافة .

{ ذكر السبب فى ردّ المقتدر الى الخلافة } (١)

فلما كان يوم الاثنين السابع عشر من المحرّم بكّر الناس الى دار السلطان لانه يوم موكب ودولة جديدة فامتلأت الدهاليز والممرّات والرحاب وشاطىء دجلة (٢٢١) منهم وحضر الرجّالة المصافية بالسلاح يطالبون بالبيعة ورزق سنة ولم ينحدر مونس الى دار السلطان ذلك اليوم وأقام فى منزله . وارتفعت زعقات الرجّالة وسمعها نازوك وأشفق أن يجرى بين أصحابه وبينهم قتال فتقدّم الى غلمانه وأصحابه الاّ يعرضوا لهم . وزاد شغب الرجّالة وهجموا يريدون الصحن التسعينى فلم يمنعهم أحد لما كان نازوك تقدم به الى أصحابه ودخل منهم من كان على الشط من الروشن بالسلاح المشهور وقربت زعقاتهم من مجلس القاهر بالله وكان جالساً في رواق التسعينى وبين يديه أبو على ابن مقلة ونازوك وأبو الهيجاء فوجه بنازوك ليخاطبهم . وكان نازوك مخموراً كالسكران قد شرب طول ليلته فلما برز الى الروشن ونظر اليه الرجالة أسرعوا نحوه نخافهم لانهم شهروا السلاح عليه فولّى منهم وعدا . وأطمعهم فى نفسه وعدوا خلفه وانتهى به الهرب منهم الى باب كان هو سدّه أمس

(١) وفى صلة عريب ص ١٤١ ان في المحبوسين في دار الخلافة الذين أخرجهم مونس كما تقدم الحسين بن روح بن بحر أبا القاسم القينى المتوفى سنة ٣٢٦ . وقال في حقه الحافظ الذهبي انه كان وافر الحرمة مع أهل الشيعة فجرت له خطوب مع الوزير حامد ابن العباس وقبض عليه وسجن خمسة أعوام وأطلق لما خلعوا المقتدر من السجن . فلما أعيد الي الخلافة شاوروه فيه فقال : دعوه فبخطيئته جرى علينا ما جرى

ذلك اليوم بالآجر والجصّ ولم يمكنه النفوذ ووصلوا اليه وقتلوه وقد كانوا قتلوا قبله عجيبا وصاحوا : مقتدر يا منصور. فتهارب كل من فى الدار من الوزر والحجاب والحشم وسائر الطبقات حتى بقيت الدار خالية .

وصلب [٣٢٢] الرجّالة نازوك وعجيباً على خشب الستارة التى على شاطئ دجلة . [ثم صار الرجّالة الى] دار مونس يُطالبون بالمقتدر بالله وبادر الخدم فى دار السلطان فغلقوا أبوابها وكان جميعهم خدم المقتدر وحاشيته وصنائعه وأراد أبو الهيجاء أن يخرج من الدار فتعلّق به القاهر وقال : يا أبا الهيجاء تُسلمنى ؟ فدخلت أبا الهيجاء الحميّة والانفة فرجع معه وقال : والله لا اسلمتك وعاد فوجد الابواب مُغلقة فدخلا دار السلم وارتفعت ضجة وتكبير فقال فائق وجه القصعة لبعض الخدم الصغار الرسائلية : انظرْ ماهذه الضجة . فمضى وعاد وقال : قُتل أبو الهيجاء . فقال له: انظرْ ويلك ما تقول . فاعادَ ذلك ثلاثاً فقال : أبو الهيجاء هو ذا لنا ويلك . فقال الخادم : غلطت قُتل نازوك . فقال القاهر لوجه القصعة : افتح لى الباب لاخرج الى الشطّ . فقال : ان وراءه أبواباً كثيرة يتعذر منها الوصول الى الشطّ ولكن نفتحهُ على كلّ حالٍ . ففُتح فافضى بالقاهر المشى الى دَرَجة الدواليب المنصوبة على دجلة فوق موضع التاج فصعدها ويده فى يد أبى الهيجاء ابن حمدان وأشرفا على دجلة فرأيا الرجّالة فى السلاح من نهر المُعلّى مُنتظمين مُتراصّين الى التاج والى باب الخاصة لا يحصيهم [٣٢٣] العدد فنزل مُبادراً فقال له أبو الهيجاء : امضِ يامولاى فَوَتُربة حمدانَ لافارقتُكَ أو أُقتل دونك . ومضيا حتى دخلا الفردوس وخرجا من باب الفردوس الى الرحبة فلقيا غلاماً لمقبل الخادم راكباً فلما رآهُما ترجّل وقالا له : من أين جئتَ ؟ قال : من

باب النوبى . فنزع أبو الهيجاء سوادهُ ومنطقته ودفعها الى الغلام وقال له : اعطِني جُبتك . وكانت عليه جبة صوف مصرى فاعطاه اياها فلبسها وركب دابة الغلام وترك القاهر مع الخدم وقال : يا مولاى قف بمكانك حتى أعود اليك . فلم يطلْ أبو الهيجاء حتى عاد فقال له القاهر : ماوراءك ؟ فقال : صرتُ الى باب النوبى فلقينى جعفر البوّاب فقلتُ له : افتح الباب . فقال : لا يمكننى لأن وراءه من الرجّالة والجيش من لا يحصى لانه قد جئ برأس نازوك الى هاهُنا . ثم قال للقاهر : هذا أمر من السماء فقد بنا . ودخلا الفردوس فجالا فيه ثم خرجا الى القُرب من القلاّية ثم دخلا الصحن الحسنى الصغير ثم دخلا الى دار الاترجّة وخفّ من معهُما من الخدم وتأخّر هُناك فائق وجه القصعة وقال لمن وقف بوقوفه من الخدم : ادخُلوا اليهما فافرغوا من عدوّ مولاكم . فدخل نحو عشرة منهم بعضهم بقِسِى وبعضهم(٣٢٤) بدبابيس فلما رآهم أبو الهيجاء صاح بهم وجرّد سيفَهُ ونزع الجُبة الصوف التي كانت عليه فلفّها على يده وأسرع نحوهم فانجفلوا من بين يديه ودهشوا وسقط بعضهم فى البركة وغشيهم فرموه ضرورةً فرجع ودخل بيت ساج فى بُستان دار الأُترُجة فلما حصل فى البيت خرج من كان فى البركة من الخدم وصاروا الى قُرب البيت وأحسَّ بهم فخرج اليهم بسيفهِ فولّوا بين يديه الى جانب من الصحن وفتحوا باباً من زاوية هـذا الصحن فدخل منه خمارجويه(١) أحد أكابر الغلمان الحجرية ومعه قوس ونُشّاب ومعه غلامان أسودان بسيفَين ودرقتَين وأقبل على الخدم وقال لهم : أين هُو يا أصحابنا ؟ فقالوا : هو فى البيت الساج : فقال لهم : تحرشوا به حتى يخرُج . فشتموه فخرج كالجمل الهائج

(١) فى تاريخ الاسلام . خماجور

وقال : يآل تغلب أأقتلُ بين الحيطان ! أين الكميتُ أين الدهماء ? فرماهُ خمارجويه بسهم أصابَهُ تحت ثديه واتبعَهُ بسهم آخر فأصاب ترقوته ورماه بسهم ثالث وقد اضطرب فشكّ فخذيه .

قال بُشرى وهو الحاكى لهذه الصورة عن مشاهدة : فقد رأيتُ أبا الهيجاء وقد ضرب السهم الذى [٣٢٥] شك فخذيه فقطعَهُ وجذب السهم الذى أصابه تحت ثديه فانتزعه ورمى به ومضى نحو البيت فسقط قبل أن يصل اليه على وجهه فأسرع اليه أحد الأسودين فضرب يده اليُمنى فقطعها وفيها السيف وأخذ السيف وغشيَهُ الأسود الآخر فحزّ رأسه فأسرع بعض الخدم فانتزع الرأس من يد الأسود ومضى مُبادراً به

وكان الرجّالة لما انتهوا الى دار مونس وسمع زعقاتهم قال : ما الذى يريدون ? فقيل له : يريدون المقتدر بالله . فقال : سلموه اليهم . فلما قيل للمقتدر « امض معهم الى الدار حتى تعود الى أمرك » خاف ان يكون حيلة عليه فامتنع فحمل حملاً على رقاب الرجال من دار مونس الى الطيار ومن الطيار الى درجة الصحن التسعينى فحين وضع رجله فى الدار صار الى دار زيدان القهرمانة وقال : ما فعل أبو الهيجاء ? فقيل : هو فى دار الاترجة . فدعا بدواة فابطأ بها الغلمان ولم يزل يطلبها حتى جاءوه بها فكتب له أمانا بخطه ودفعها الى بعض الخدم وقال : ويلك بادر به لئلا تحدث عليه حادثة . فاتى الخادمُ الخادمَ الذى معه الرأس فعاد معه فلما رآه قال له : ويحك [٣٢٦] ما وراءك . قال : عمر الله أمير المؤمنين . فقال : ويلك من قتله ? فغمزهُ مفلح الاسود فقال : لا أدرى من قتله ولا يعرف قاتلهُ فان اخلاط الرجالة قاتلوه . قال : فانا لله . واقبل يكرّرها وقال : ما كان

يدخل الىّ فى هذه الايام وأنا فى دار مونس من يسليني ويظهر لى الغمّ حتى كانه بعض أهلى سواه هذا الى ماله ولاهله من الحقوق . وظهر فيه من الكآبة أمرٌ عظيمٌ

فبينما هو كذلك اذ ارتفعت ضجة فشغل عن أمر أبى الهيجاء وقال : ما هذا ؟ نجاءه خادمٌ يعدُوا وقال : محمد (يعنى القاهر بالله) وقد أُخذ وجىء به فاحضر القاهر بالله فأجلسه بين يديه واستدناه ثم جذبه اليه وقبّل جبينه وقال له : يا أخى أنت لاذنب لك وقد علمتُ انك قهرت . والقاهر بارك يقول : نفسى نفسى الله الله ياأمير المؤمنين . فلما كرر ذلك قال له : وحقّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجرى عليك سوء منى أبداً ولا وصل أحدٌ الى مكروهك وأنا حيٌّ ولا حرصنّ على انصرافك الى منزلك من دار ابن طاهر فى هذه الليلة فطِبْ نفساً ولا تجزع (١)

وأخرج رأس نازوك ورأس أبى الهيجاء وشهرا (٣٢٧) فى الشوارع ونودى عليهما « هذا جزاء من عصى مولاه وكفر نعمته » وسكن الهَيج وعاد أبو على ابن مقلة الى وزارته وكتب عن المقتدر بالله برجوع الخلافة اليه وتجديد البيعة له الى الولاة فى النواحى .

ولما تمكّن المقتدر من دار الخلافة وأقرّ أبا على ابن مقلة على وزارته أطلق للجند البيعة امّا للرجّالة فستّ نوائب وزيادة دينار لكلّ راجل وأمّا الفرسان فثلث رزق وزيادة ثلاثة دنانير لكلّ فارس ولمّا نفدت الاموال

(١) زاد صاحب التكملة : وحكى ان بدر بن الهيثم القاضى ركب لتهنئة رجوع الخلافة الى المقتدر بالله وقال لابن مقلة : بين ركبتى هذه وركبة ركبتها مائة سنة لانى ركبت لتعزية بوفاة المأمون سنة ٢١٧ مع أبى وقد ركبت اليوم للتهنئة بعود المقتدر سنة ٣١٧ . وتوفى بدر بعد أيام وسنه مائة واثنى عشرة سنة

فى ذلك أخرج مافى الخزائن من الكسوة وغيرها فباع ذلك . ثم أطلق لهم بها العُهَد بالاشرية على وكيل نصبَهُ المقتدر وهو على بن العباس النُوبَختى [١] وأشهد على نفسه بتوكيلهِ اياه فى البيع وشرط للمبتاعين فى كتب الأشرية ان يحملوا فى حقّ بيت المال فيما اشتروهُ على معاملة القطائع المشورة ثم بيع منهم بالصلة فضل مابين المعاملتين فى املاك الرعيّة وهو فضل ما بين الاستان والقطيعة ووقعت لهم الشهادة بذلك على علىّ بن العباس وحسبت عليهم الضياع والاملاك بأرخص الأثمان .

فحكى ثابت بن سنان انه حضر مجلس (٣٢٨) الوزير أبى على ابن مقلة ولم يكن له شغل غير التوقيع للجند ببيع الضياع وفضل مابين المعاملتين بالصلة ولا كان لاصحاب الدواوين عَمل غير إخراج العبر لما يباع وكان الناس مجتمعين عليه وهو يُوقّع اذ استؤذن لعلىّ بن عيسى عليه فاذن له فلمّا رآه قام له قياماً تاماً وأجلسهُ معه على دستِهِ وأقبل عليه وترك ما كان فيه . فلما سأله عن خبرهِ رأى الناس منكبّين عليه فقال له : يشتغل الوزير أيّده الله بشغلهِ. واقبل أبو على ابن مقلة على الناس يُوقّع لهم فلمحَ على بن عيسى خرجاً قد اخرج بعبرةِ ضياع جبريل والد بختيشوع فوجد الثمن بالاضافة الى ما اشتريت نزراً يسيراً فقال : لااله الاّ الله بلغ الامر الى هذا ؟ فترك ابن مقلة ما كان فى يده وأقبل عليه فقال : حدّثنى شيخنا أبو القاسم رحمه الله (يعنى عيسى بن داود) [٢] أن المتوكل على الله لمّا غضب على بختيشوع

(١) توفى سنة ٣٢٩ : ارشاد الاريب ٥ : ٢٢٩ (٢) أما داود فقد قال الصفدى في كتابه الوافي بالوفيات : داود بن الجراح بن مهاجر حسنبس بن صبار بخت بن شهريار أبو محمد الكاتب أصله من فارس كتب للمستعين وصنف كتاب التاريخ وأخبار الكتاب وكتاب الامم السالفة جامع كبير وكتاب رسائله وهو جد الوزير أبي الحسن على بن عيسى

المُتطبّب أنفذ الى داره لاحصاء ما في خزائنه فوجد في خزانة كسوته رقعةً فيها ثبتُ ما اشتراه من الضياع وهو بضعة عشر الاف الف درهم فقد آل أمرها الى ان تُباع بهذا القدر النزر. فعجبا جميعاً من ذلك وعاد ابن مقلة الى شُغله وقام علي بن عيسى لينصرف [٣٢٩] فقام له الوزير أبو علي كما قام لدخوله

وفي هذه السنة خلع على أبي علي ابن مقلة وكُنّي وكُتب الى جميع النواحي.

وفيها قلد أبو عُمر قضاء القضاة وكتب عهده.

وفيها اوقع القرمطي بالحاجّ في البيت الحرام بمكة وقتل أميرها

﴿ ذكر الخبر عن إيقاع القرمطي بالحاجّ وتخريبه مكة ﴾

كان منصور الديلمي بَذْرَقَ بالحاجّ في هذه السنة فسلموا في طريقهم فلمّا وصلوا الى مكة [١] وافاهم أبو طاهر الهجري الى مكة يوم التروية فقتل الحاجّ في المسجد الحرام وفي فِجاج مكة وفي البيت قتلاً ذريعاً. وقلع الحجر الاسود وقتل ابن محلب [٢] أمير مكة وعرّى البيت وقلع الباب واصعد رجلاً من أصحابه ليقلع المرزاب [٣] فتردّى الرجل على رأسه ومات وأخذ أموالَ الناس وطرح القتلى في بئر زمزم ودفن باقيهم في مَصارعهم في المسجد الحرام وغيره من غير ان يصلى عليهم وأخذ أسلاب أهل مكة وانصرف الى بلده وحمل معه الحجر الاسود

وكان للجراح بنون جماعة منهم داود وابراهيم ومحمد ومخلد وكتب منهم داود ومحمد لابراهيم بن العباس الصولي (وترجمته موجودة في ارشاد الاريب ١ : ٢٦٠) وكتب له الحسن بن مخلد بن الجراح : وتوفي داود سنة ٢٩١ (١) زاد صاحب كتاب العيون : وأميرها يومئذ محمد بن اسمعيل المعروف بابن محلب. نقل هذا عن تاريخ ابن الجزار الذي وردت ترجمته في ارشاد الاريب ١ : ٨١ (٢) وفي تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة هو : ابن محارب (٣) في صلة عريب ١٣٧ : الميزاب

(وفيها قلد ابنا رائق [1] شرطة بغداد مكان نازوك [2])

﴿ ودخلت سنة ثماني عشرة وثلثمائة [330] ﴾

وشغب الفرسان وتهددوا بأمور عظيمة فأحضر المقتدر قوادهم وخاطبهم بجميل ووعدهم باطلاق أرزاقهم في الشهر الجديد فانصرفوا وسكنوا . وشغب الرجالة فأطلقت أرزاقهم .

وفى شوال منها خلع المقتدر على الامير هرون ابنه وركب معه الوزير والجيش وكانت ولاية فارس وكرمان وسجستان ومكران اليه . وفى ذى القعدة منها خلع المقتدر على ابنه الامير أبى العباس وركب معه الوزير ومونس المظفر وجميع الجند وكان مرسوماً بولاية المغرب ومونس يخلفه عليه

وفيها صرف ابنا رائق عن الشرطة وقلدها أبو بكر محمد بن ياقوت

﴿ وفي هذه السنة كان هلاك الرجالة المصافية [3] ﴾

﴿ ذكر السبب فى هلاكهم ﴾

كان قد عظم الامر فى تسحب الرجالة المصافية وادلوا بأنهم كانوا السبب في ردّ المقتدر الى الخلافة بعد ماخلع وثقل مالهم واحتدت مطالبتهم وكثر شغبهم وزاد تعديهم وبلغ مالهم فى كلّ شهر من شهور الاهلة مائة وثلاثين الف دينار . فاتفق ان شغب الفرسان وطالبوا بأرزاقهم وناوشهم الرجالة فقتل منهم جماعة . واحتج [331] السلطان على الفرسان بأن المال

(١) وفي صلة عريب ص ١٦٠ هما ابراهيم ومحمد وكانا يلقبان بخديجة وأم الحسين

(٢) زاد صاحب التكملة : وفيها فتح هرون بن غريب شهرزور وطالبهم بخراج عشرين سنة عصوا فيها وصالحوه على سبعة وثلاثين الف دينار ومائتى الف درهم (٣) ليراجع صلة عريب ص ١٤٨

منصرفٌ الى الرجالة فحاربوهم حتى طردوهم من دار السلطان وركب محمد بن ياقوت فنادى فيهم الا يقيموا ببغداد وكان من وجد منهم بعد النداء قبض عليه وأودع حبس الجرائم . وهدمت دُور عرفاء الرجّالة وركب فى ذلك ابنُ ياقوت وجدّد النداء فيهم ثم ظفر بنفر منهم فضربوا وشهروا وقبضت أملاك الرجالة المصافية وهدمت دُورهم . ثم هاج السودان بباب عمّار فركب محمد بن ياقوت والقوّاد الحجرية فأوقعوا بهم وضربوا الصقع بالنار . وكانت لابى العلاء سعيد بن حمدان فيهم نكاية مشهورة وهربوا متفرّقين ثم اجتمع منهم جماعة من البيضان من رجّالة المصافية وغيرهم فكثر عددهم وانحدروا الى واسط ورأسوا على أنفسهم رجلا من الفرسان يعرف بنصر الساجى وطردوا عمّال السلطان بواسط . فانحدر اليهم مونس وأوقع بهم بواسط وقتلهم فلم يرتفع لهم راية بعد ذلك

﴿ وفيها قبض على الوزير أبى على ابن مقلة ﴾

﴿ ذكر السبب فى القبض عليه ﴾

كان المقتدر متّهماً لابن مقلة لممايلة (٣٣٢) مونس المظفر وكان مستوحشاً من مونس يظهر له الجميل وانحرف عنه ياقوت لميل مونس اليه . واتفق ان خرج مونس المظفر الى أوانا متنزهاً وانحدر أبو على ابن مقلة الى دار السلطان فتغنّم المقتدر بالله فيه غيبة مونس فقبض عليه . وكان محمد بن ياقوت معادياً له فلما قبض عليه أنفذ الى داره بالليل من أحرقها (١)

(١) أما هذه الدار فقد قال الحافظ الذهبي في ترجمة ابن مقلة سنة ٣٢٨. وروى الحسين ابن الحسن الواثقي وكان يخدم في دار ابن مقلة مع حاجبه انه ان فاكهة ابن مقلة لما ولى الوزارة الاولة كانت تشترى له في كل يوم جمعة بخمسمائة دينار وكان لابد له ان يشرب

وكان المقتدر قد عمل على ان يستوزر الحسين بن القاسم بن عبيد الله فرحل مونس من أوانا ودخل بغداد وراسل المقتدر بالله بكراهته للحسين ابن القاسم وسأله ردّ أبى على ابن مقلة فاغتاظ المقتدر وعزم على قتل ابن مقلة وكان السفير على بن عيسى فكان يداريه الى ان سكنه وقال : ما ذنب وزيرك فى شفاعة مونس له . ولم يزل به حتى انصرف عن رأيه . وكان المقتدر من محبته لان يستوزر الحسين بن القاسم استحضره وبيّته عنده وخلع عليه ووعده ان يَصل فى غد تلك الليلة بحضرة الناس ويخلع عليه الوزارة . فلمّا اتصل ذلك بمونس غلظ عليه ان يتفرّد المقتدر بهذا التدبير ولا يشاوره فيه وقد كان طعن عليه قديماً وقال : لا يصلح للوزارة . فتردّدت الرسائل بينه وبين (٣٣٣) المقتدر على لسان على بن عيسى فاستشار المقتدر على بن عيسى

بعد الصلاة من يوم الجمعة ويصطبح يوم السبت . وحكي انه رأى الشبكة التى كان أفرخ فيها ابن مقلة الطيور الغريبة قال : فعمد الى مربع عظيم فيه بستان عظيم عدة جربان شجر بلا نخل فقطع منه قطعة من زاوية كالشابورة فكان مقدار ذلك جريبين بشباك ابريسم وعمل في الحائط بيوتا تأوى اليها الطيور وتفرخ فيها . ثم أطلق فيها القمارى والدباسى والنوبيات والشحرور والزرياب والهزار والببغ والفواخت والطيور التى من أقاصى البلاد من المصوتة ومن المليحة الريش مما لا يكسر بعضه بعضا فتوالدت ووقع بعضها على بعض وتولدت بينها أجناس . ثم عمد الى باقى الصحن فطرح فيه الطيور التى لا تطير كالطواويس والحجل والبط وعمل منطقة أقفاص فيها فاخر الطيور وجعل من خلف البستان الغزلان والنعام والابل وحمر الوحش . ولكل صحن أبواب تفتح الى الصحن الآخر فيرى من مجلسه سائر ذلك

وذكر أيضا ان محمد بن عبد الملك الهمذانى قال في تاريخه ان أبا على بن مقلة حين شرع في بناء داره التى من جملتها البستان المعروف بالزاهر على دجلة جمع ستين منجما حتى اختاروا رقتاً لبنائه (قال) فأحرقت هذه الدار بعد ستة أشهر فلم يبق فيها جدار . وراجع أيضا صلة عريب ١٥٤

فأشار بردّ أبي على ابن مقلة موافقة لمونس وذلك بعد ان سأله ان يتقلّدها هو فامتنع فقال المقتدرُ : هـذا غير ممكن فاذكرْ سواهُ . فذكر سليمان بن الحسن وأشار به أو عبـد الرحمن بن عيسى فمال المقتدر الى سليمان لما كان قدّمه من الطعن على ابن مقلة وما ظهر من عداوته له فأمر باحضاره وانصرف الحسين بن القاسم من دار السلطان واستتر وكانت مدّة وزارة أبي على محمد ابن على بن مقلة سنتين وأربعة أشهر

﴿ ذكر ما جرى في أمر الوزارة بعد أبي على وتقلّد سليمان بن الحسن لها ﴾

أحضر سليمان بن الحسن يوم الأربعاء لاربع عشرة ليـلة بقيت من جمادى الأولى دار السلطان ولم يوصله المقتدرُ بالله اليه فى ذلك اليوم وعاد من غد وهو يوم الخميس فوصـل وخلع عليه وتقدّم المقتدر الى على بن عيسى بالإشراف على سائر الأمور من الأعمـال والدواوين ومُعاضدة سليمان والاّ يتراخى فى ذلك فصار يصل مع سليمان الى المقتدر ولا يقلّد سليمان أحداً ولا يصرفُهُ ولا يعمل شيئاً الاّ بموافقة على بن عيسى (٣٣٤)

﴿ وفيها قُبض على البريديين وصُودروا ﴾

﴿ ذكر الخبر عن ذلك ﴾

حكى أبو الفرج ابن أبي هشام قال : كان أبي يكتب لاحمد بن نصر القُشورى وكان أحمدُ يطمع أن يُجعل مكان أبيه نصر ويُستحجب قال : فبينما نحن بين يدى أحمـد بن نصر بالأهواز وكان يتولّى أعمال المعاون بها اذ ورد عليـه توقيع من المقتدر بالله بخطّه مع رُكابىّ يعرفه سراً يقول فيه : يا أحمد قد عرفتَ ذنبك الذى جنيتهُ وحرمت به نفسك رأيي وقد تيسرّ لك تلافيه بامتثال أمرى فيما أضمّنهُ توقيعى هذا . اقبض على البريديين الثلاثة

وحصّلهم في دارك واياك أن تفرج عنهم الا بتوقيع يَرد عليك بخطٍ كهذا الخط الذى فى هذا التوقيع وثِقْ منى بالعود لك اذا فعلتَ ذلك الى ما يرفع منك ويصلح حالك ويعيد منزلتك . قال : فاقرأنى أحمد بن نصر هذا التوقيع وسجد شكراً لله على ثقة المقتدر به وعبر فى الوقت الى دار ابى عبد الله وأنفذ حاجبَهُ أبا يعقوب الى دار أبي يوسف وأنفذ أحمد بن مقبل الى دار أبى الحسين فوجدوهم قد خرجوا قبل ركوبه بلحظة وركبوا طياراتهم . وكان الخبر قد سبق اليهم فاظهروا أنهم يريدون مسجد (٣٣٥) الرضا المتّصل بالشاذروان بالأهواز فاتبعهم وعرف أنهم ساروا الى البصرة فقامت قيامته من ذلك

وأنفذ أبا يعقوب والغلمان وراءهم فاتّفق ان عصفت الريح على البريديين فمنعتهم عن السير ولحقهم الطلبُ فأخذوا

وبذل أبو عبد الله لأبي يعقوب خمسين ألف دينار على أن يفرج عنهم فما أجابه ثم سأله ان يفرج عن أحد أخويه ويقبل منه عشرين ألف دينار فأبى وردّهم وحصلوا في دار أحمد بن نصر. ولم تمض خمسة أيام حتى ارتفعت ضجة فقال لى أحمد بن نصر : أخرج فأعرف ما سبب هذه الضجة قال : وكان سلّم اليهم داره الشطية واعتزل فى حجرة فخرجتُ مُبادراً فرآنى أبو عبد الله فقال : قُل له وبشّرهُ أن الفرج قد أتى وان هذا كتاب الوزير بالاطلاق وإقرارى وان انظر فى الاعمال. وأعطانى الكتاب وبادرتُ به الى أحمد بن نصر فقرأهُ وخرج اليه والى أخوَيه وقال : هذه نعمة يلزمنى فيها الشُكر والصدقة والوفاء بالنذر ولكن هذا خط أمير المؤمنين الىّ بما رسمَهُ وأريد خطّاً مثلَهُ بما ينقضهُ . فتغيرت وجوهُ الاخوة

من ذلك واضطربوا حتي ظهر على وجوههم ما فى قلوبهم ثم أخذوا فى مُداراته ومسئلته الرفق (٣٣٦)

فلما كان من الغد شغّب الرجّالة بالاهواز تعصبًا لهم وقالوا : لا بدّ من إطلاقهم. وحملوا السلاح وكان مع أحمد بن نصر طوائف من البصرية وعدّة كثيرة من السودان والغلمان الحجرية فجمعهم ثم حلف بالطلاق أنه ان هجم على داره أحدٌ منهم قتلهم وأخذ رؤس الثلاثة وحملها الى الخليفة وقال : هـذا كتاب مُزوَّر والا فلِمَ لا يقع تثبيت وانما ضرّبتُم عليَّ الرجّالة وراسلتموهم فى حمل السلاح وأخـذكم من منزلى لئلا يظهر ما زوّرتموه وتعجّلون الخروج والهرب. فلمارأوا المصدوقة اعتذروا ووضعوا جنوبهم له وراسلوا الرجّالة فى الانصراف بعد أن حلفوا أنهم يتبرّعوا بالتعصب لهم وأقاموا بمكانهم

ووافى بعـد عشرة أيام ابن موسى دانجو بتوقيع مثل ذلك التوقيع وذلك الخطّ فتسلمهم وحملهم وعلم أنهم كانوا زوّروا واحتالوا وتأكدت الوحشة بينهم وبين أحمـد بن نصر القشوري ولم يزالوا عليها حتى فرق بينهم الدهر

ولما ورد البريديون الحضرة نوظروا على المُصادرة فقال أبو زكريا يحيي بن سعيد السوسى وكان فى الوقت عـدواً لهم : بكرتُ الى أبي جعفر محمـد بن القاسم الكرخى وقلتُ له : الأهواز (٣٣٧) خِطـة القاسم أبيك وهى دارك ودار أخيـك وأنتم تتصرّفون فيهـا منـذ ستين سنة فلِم تركتموها لهؤلاء الفعلة الصنعة وهلّا سعيتَ على سحقهم وسحبهم حتى لا يبقى لهم جنـاح يطيرون به ؟ فقال : يا أبا زكريا ما الذى تقـدّره فى مصادرتهم التى تؤدّيهم الى هذه الحال ؟ فقلتُ : معظها ثلثمائة ألف دينار

يزهق الله به نفوسهم. فقال لى: يا أخ قم بنا حتى نعبر الى دار الوزير.(وكان يومئذٍ أبو القاسم سليمان بن الحسن) فخرجت معه فنزلنا الطيّار فلما وصلنا وتوسّطنا الدار وجدنا أبا القاسم الكلوذانى فى جانبٍ منها والبريديين بين يديه والكُتّاب فقال لى أبو جعفر : ترى أن نقضى حقّه ونُعرّج عليه ونعرف الصورة من أمرهم فنبنى ما نُخاطب الوزير به بحسبه؟ فقلتُ: صواب. فعدلنا الى أبى القاسم وجلسنا عنده فقال لأبى جعفر : قد فصلنا أمرَ أصحابنا وأنت وجهُ الحضرة وتاجُها وحرُّها وهم اخوتك وما أحقك بمعونتهم فقال: ان أيسر مايكون لهم أيّدهم الله مُشاركتهم فى المحنة فأماالمعونة فما أقنعُ من نفسى بها فعلى كم انفصلَ أمرُهم ؟ فقال : على تسعة الآف ألف درهم. قال أبو زكريا:[٣٣٨] فنظر الىّ أبو جعفر وقد بُهتَ. ونهضنا فقال : ياأبا زكريا هذا خلاف ما كان عندك . فقلتُ: هذا الأمر يُراد والله ما يملكون هذا المال فانى أعرف بمكاسبهم ولكن لأبى عبدالله نفس أبية وهمة علية فعرفت نفسه على سلطانهِ فأعطاه أكثر مما اطمع فيه ومما سعى به أعداؤه متربصاً بالأيام والأوقات ومتوقعاً الدوائر وان يسمع الخليفة التزامه هذا المال الجليل فيستكثر قدره ويرغب فى تجديد الصنيعة عنده وما كل أحدٍ يغرر هذا التغرير وما هذا آخر أمره وسيكون له شأن عظيم كفانا الله شرَّهُ . قال أبو زكريا : وعدلتُ منذ ذلك اليوم الى مداراته وخدمته واستصلاحه

وتقدّم المقتدر بالله الى سليمان بن الحسن وأبى الحسن على بن عيسى بمناظرة أبى على ابن مقلة فاختارا لذلك أحمد بن محمد بن صالح العكبرى وانفذه الى دار السلطان فناظرهُ ولم يزد على توبيخه وموافقته على قبيح

آثاره . فالتمس أبو علي ابن مقلة أن يكون المناظر له علي بن عيسى فاجتمع الوزير سليمان وعلي بن عيسى على مناظرته في دار الحجبة بحضرة ياقوت الحاجب فاغلظ له سليمان في الخطاب (٣٣٩) والتخطئة والاحتقار ونسبهُ الى التضريب بين السلطان وأوليائه الى أن قرّر على بن عيسى أمرهُ على مائتي ألف دينار على جمل يُعجّل منها النصف ويؤدّى الباقي في نجوم المصادرات وكانت تلك النجوم انما هي رسمٌ لا يطالب من يؤخذ خطه بها . فكتب مونس المظفر الي المقتدر يشفع لابن مقلة ويسئله ان يعفيه من المصادرة وأن يكون معتقلاً في يد مرشد الخادم فأجابه الى ذلك

(ودخلت سنة تسع عشرة وثلثمائة)

وفي هذه السنة استوحش مونس المظفر زيادة استيحاش .

﴿ ذكر السبب في استيحاش مونس وخروجه ﴾

كان محمد بن ياقوت منحرفاً عن سليمان ومائلاً الى الحسين بن القاسم ومونس المظفر وأسبابه يميلون الى سليمان لمكان على بن عيسى وثقتهم به وينحرفون عن الحسين بن القاسم وقوى أمرُ محمد بن ياقوت وقلّد مع الشرطة الحسبة واستضمّ رجالا وقويت بهم شوكتهُ فشقّ ذلك على مونس وسأل المقتدر صرفه عن (٣٤٠) الحسبة وتقليد ابن بطحاء (١) ففعل ذلك .

(١) وأما أبو اسحق ابراهيم بن البطحاء فقد وردت في تاج العروس (٦ : ٣٧٨) رواية من تاريخ الخطيب في ترجمة المتقي بالله : اجتمعت في أيامه اسحاقات وانسحقت خلافة بني العباس في زمانه وانهدمت قبة المنصور الخضراء التي كان بها فخرهم . وذلك انه كان يكنى أبا اسحق ووزيره القراريطي كان يكنى كذلك وكان قاضيه أبو اسحق الخرقي ومحتسبه أبو اسحق بن بطحاء وصاحب شرطته أبو اسحق بن أحمد بن أمير خراسان

وتقدّم مونس الى أصحابه بالاجتماع اليه فلما فعل ذلك جمع ياقوت وابنُهُ الرجال فى دار السلطان وفى دار محمد بن ياقوت . وقيل لمونس ان محمد بن ياقوت قد عمل على كبس داره بالليل وما فارقَهُ أصحابه حتى أخرجوه الى باب الشمّاسيّة وخرجوا معه . وصار اليه على بن عيسى فعرّفه خطأ هذا الرأى وأشار عليه بأن يعود الى داره فلم يقبل منه وأقام على أمره .

وطالب بصرف محمد بن ياقوت عن الحسبة والشرطة وياقوت عن الحجبة وابعادهما عن الحضرة فوجّه المقتدر قاضى القضاة أباعمر وابنَهُ الحسن وابن أبى الشوارب وجماعة من شيوخ الهاشميين أصحاب المراتب الى مونس برسالة يرفق فيها ويسئلهُ الرجوع الى داره . فقال قاضى القضاة : الوجه ان يكتب رُقعة بما حمّلناه من الرسالة نرجع اليها ونثنى الكلام على معانيها فانا جماعة والقول يختلف والنسيان غير مأمون . فقال الوزير : وما معنى هذا ؟ فقال على بن عيسى : هذا هو الصواب . وكُتب بذلك رُقعة .

وقعد الوزير وعلى بن عيسى فى دار السلطان ينتظران عودَ الجماعة فعادوا وذكروا انهم (٣٤١) لم يصلوا الى مونس وانهم اجلسوا فى الحديدى ورلسلهم مونس فى إعلامه بما وردوا فيه فذكروهُ له فصار اليهم كتابُهُ يخاطبونهم خطاباً جميلا عنه . فبينما هم كذلك اذ هجم الجيش على الحديدى فكادوا يغرقونهُ وقالوا : لا نرضى الاّ باخراج ياقوت وابنيه . وتكلموا بكلام قبيح فراح فى آخر النهار الوزير سليمان بن الحسن وعلى بن عيسى ومن

وكانت داره القديمة في دار اسحق بن ابراهيم المصعبي وكان الدار نفسها لاسحق بن كنداج ودفن في دار اسحق في تربته بالجانب الغربي

معهما من خدم الخاصّة الى باب الشمّاسيّة فشافهوا مونساً بالرسالة فلم يبعد (١) عليهم وخرجوا من عنده فقبض عليهم عند مغيب الشمس وحبسهم في الحديدى . فخرج ياقوت في تلك الليلة ونزل المدائن ومعه ابناه فلما كان من غد ذلك اليوم وعرفت المونسيّة ان ياقوتاً وابنيه قد خرجوا عن الحضرة أفرجوا عن الوزير والجماعة وانصرفوا الى منازلهم

وقلّد المقتدر ياقوتاً أعمال الخراج والمعاون بفارس وكرمان وكتب الى أبي طاهر محمد بن عبد الصمد بالانضمام اليه وانضم اليه وخاطبه بالاستاذيّة وقلّد المظفر بن ياقوت أصبهان وتقلّد ابنا رايق ابراهيم ومحمد مكان ياقوت وأقام ياقوت بشيراز مدّة . وكان على بن خلف (٣٤٢) بن طناب متضمناً أموال الضياع والخراج بها فتظافرا وتعاقدا فقطعا الحمل عن السلطان الى ان ملك على بن بُوَيه الديلمى فارس يوم السبت سنة ٣٢٢

وفيها دخلت قوافل الحاجّ من مكة سالمين مع مونس الورقانى فاستبشر الناس بتمام الحج وانفتاح الطريق وضربت له القبابُ ببغداد

وفيها قبض على الوزير سليمان بن الحسن (٢)

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان السبب فى ذلك ان سليمان أضاق اضاقة شديدة وكثرت عليه المطالبات وبلّح واتصلت الرقاع ممن يلتمس الوزارة بالسعاية فقبض على سليمان ابن الحسن وأبي القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذانى فشق (٣) من ذلك وجزع جزعاً عظيما وحملا الى دار السلطان . وكان المقتدر شديد الشهوة لتقليد

---

(١) لعلهم يعتد (٢) راجع صلة عريب ١٦١ (٣) لعله فشق عليه والاصل غير واضح ٣١٩

الحسين بن القاسم الوزارة فامتنع عليه مونس وأشار بتقليد الكلوذانى فاضطر المقتدر الى تقليده وكانت مدّة وزارة سليمان سنة واحدة وشهرين وأياماً

واستحضر المقتدر أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذانى من دار مونس يوم السبت لخمس بقين من رجب وخرج اليه (٣٤٣) مفلح برسالة المقتدر بأنه قد قلّده وزارته ودواوينه ولم يوصله اليه وتقدّم اليه بأن ينحدر اليه يوم الاثنين ليخلع عليه . فخاف الكلوذانى من حيلة تتم للحسين بن القاسم فى تقلّده الوزارة لانه بلغهُ ان الحسين قد جدّ بعد القبض على سليمان وراسل مونساً المظفر وقال : لا يؤمن ان يحتجّ الخليفة فى تأخر الخلع على الكلوذانى بأنه لم تعدّ له الخلع . وأشار بأن يوجّه مونس بخلع من عنده الى دار السلطان ليخلعها عليه فعمل مونس ذلك وخلع المقتدر على أبى القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذانى يوم الاثنين وخاطبهُ بتقليدهِ الوزارة والدواوين وتقدّم اليه بأن يقلّد الحسين بن القاسم ديوانا جليلا ليظهر ويزول عنه الاراجيف بالوزارة . ووصل على بن عيسى بوصول الكلوذانى فأمره المقتدر بحضرة الكلوذانى بأن يجرى على عادتهِ فى الاشراف على الامور والحضور معه وعرّفه انه قد أفردهُ بالنظر في المظالم دون الكلوذانى فركب الكلوذانى فى الخلع من دار السلطان الى داره فأخذ خط سليمان بن الحسن بمائتى الف دينار

وقدم أبو الفتح الفضل بن جعفر (٣٤٤) من الشام وأبو جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله من نواحى جند قنسرين والعواصم وكان أبو الفتح منصرفاً الى ناحية قومس فأشار مونس بتقليده ديوان السواد فقلّده الكلوذانى مكرها وانقطعت بتقليدهِ موادّ كانت تصل الى الكلوذانى

وأبى الفياض من أرزاق قوم لا يحضرون وتسبيبات باسماء قوم لم يخلقوا وما كان يسبب للغلمان والوكلاء فى الدار والحاشية برسم الفقهاء والكتّاب وما كان يستطلق لهم من الورق والقراطيس ويبتاع ببعضه ما يحتاج اليه وأشياء تشبهُ هذه ولم تنبسط يد الكاوذانى على قوم لعناية مونس المظفر بهم.

وكان أبو بكر ابن قرابة متحققا بمفلح الاسود فأوصلهُ مفلح الى المقتدر وجعلهُ واسطة للمرافق التي أخلق بها الخلافة. وكان ابن قرابة ذكر له ان الوزراء كانوا يرتفقون بها وان الضمناء قد بذلوا ان يرفقوا به الخليفة ليصرفه فى مُهمّ نفقاته لشدّة الاضاقة. وكان ابن قرابة يظهر للمقتدر ولمفلح الاسود انه يمشي أمر الوزارة وان الوزراء لا يتمُّ أمرهم من دونه وكان يلزم دار الكاوذانى ويقرضه عن (٣٤٥) بنى البريدى وغيرهم بربح درهم فى كلّ دينار فاقرضهُ مائتي ألف دينار مشى بها أمرُ الكاوذانى وعمال المصادرات

وفيها ورد الخبر بوقعة كانت بين هرون بن غريب وبين مرداويج بنواحى همذان وان هرون انهزم وملك مرداويج الجبل بأسره الى حلوان. ونزل هرون بدير العاقول

وفيها قصد لشكرى الديلمى أصبهان وحاربهُ أحمد بن كيغلغ فانهزم أحمد وملكَ لشكرى اصبهان وهذا لشكرى من أصحاب أسفار بن شيرويه فلما قصد هرون بن غريب ابن الخال أسفار استأمن اليه لشكرى ثم لما انهزم ابن الخال انهزم لشكرى بانهزامه الى قنسرين فلما تأهّب ابن الخال ثانياً وجُهزت اليه العساكرُ من بغداد لحرب مرداويج أنفذ لشكرى الى نهاوند من الدينور مع جماعة من الغلمان لحمل مالٍ اليه ورسم أن يحمل المال

الى همذان ويقيم بها حتى يلحقه هناك فلما صار لشكرى الى نهاوند رأى يسار أهلها وكثرة أموالها وطمع فيهم وصادرهم على نحو ثلاثة آلاف ألف درهم واستخرجها فى مدة أسبوع وأثبت جنداً ثم خرج الى الكرج فعمل مثل ذلك (٣٤٦) واتصل الخبر بابن الخال فطلبه فرحل من بين يديه وسار حتى وقع الى اصبهان والوالى عليها أبو العباس أحمد بن كيغلغ

﴿ ذكر اتفاق حسن لأحمد بن كيغلغ بعد هزيمته ودخول ﴾
﴿ أصحاب لشكرى أصبهان ﴾

حكى أبو الحسن المافروخى أنه كان باصبهان فى الوقت وان أحمد بن كيغلغ انهزم أقبح هزيمة ثم لجأ الى بعض القرى فى ثلاثين نفساً معه وراء حصنها . ودخل أصحاب لشكرى اصبهان ونزلوا فى الدور والخانات والحمامات وتأخر لشكري بنفسه عن العسكر ثم سار قليلاً ونزل عن دابته لإهراق ماء فرأى كوكبة أنكرها وقال : ما هذه ؟ فقيل : شرذمة من الكيغلغية . فركب فى الوقت يريدها فلما قرب منها أسرع أحمد بن كيغلغ اليه بعد أن علم أنه هو فتناوشا وكاد لشكرى يستأسره فخرج أهل تلك القرية فزعقوا به فضعفت نفس لشكرى وتقارب هو وأحمد فضربه أحمد بسيفه ضربة قد المغفر والخوذة ونزل السيف فى رأسه فقتله وخر لشكرى ساقطاً فنزل أحمد اليه وحز رأسه وعرف أصحابه الخبر فطاروا هاربين (٣٤٧) وكان فتحاً طريفاً واتفاقا عجيباً وكانت سن أحمد بن كيغلغ يومئذ تجاوز سبعين سنة .

وفيها صرف الكلوذانى عن الوزارة وقلدها الحسين بن القاسم

﴿ ذكر السبب فى تقلد الحسين بن القاسم الوزارة وما تم له من الحيلة فيها ﴾

كان أبو القاسم ابن زنجي يحكي في توصُّل الحسين بن القاسم الى الوزارة خبراً طريفاً ويقول : كان أبو على الحسين بن القاسم يُعرف بأبي الجمال وكان لى صديقاً يسكن اليَّ ويستدعيني الى الموضع الذى كان مُستتراً فيه ويشاورنى فالزمني بذلك حقاً وحُرمة فاجتهدتُ فى السعى له والتوصُّل بكلِّ سبب وحيلة الى أن تقلَّد الوزارة . فكان من أنجع ما عملتُهُ أن رجلا بمدينة السلام يُعرف بالدانيالى كان يلزمنى ويبيت عندى ويخرج اليَّ بسرِّه ويحدثني أنه يظهر كتباً ينسبها الى دانيال بخط قديم ويودع تلك الكتب أسماء قوم من أرباب الدولة على حروف مُقطَّعة اذا جُمعت فُهمت واستوى له بذلك جاه وقامت له به سوقٌ . ووصلت اليه جُملة من القاضى أبى عُمر وابنه أبى الحسين ووجوه الدولة وغلب على مفلح واختص به(٣٤٨) لأنه عرّفَهُ أنه وجد فى الكتب أنه من ولد جعفر بن أبى طالب فجاز ذلك عليه ووصل اليه منه برٌّ كثير . فانفتح لى ان سألتُهُ إثبات فصل فى كتُب يكتُبها بشرح ما اسئلُهُ فأجابني الى ذلك فوصفتُ له الحسين بن القاسم واقتصرتُ من وصفه على ذكر قامته وآثار الجدَرى فى وجهه والعلامة التي فى شفته العليا وخفة الشعر هُناك وانه ان وزر للثانى عشر من خلفاء بنى العباس استقامت أموره كلها وعَلا على أعدائه وانفتحت البلاد على يده وعمرت الدنيا فى أيامه . ودفعت النسخة الى الدانيالى وواقفني على عمل دفتر يذكر فيها أشياء ويجعل هذا الباب فى تضاعيفها فسألتُهُ تقديم ذلك ولم أزل أطالبهُ حتى أعلمني أنه لا يستوي على ما يريد حتى لا يشك فى قِدَمه وعتقه فى أقلّ من عشرين يوماً وانه يحتاج أن يجعلهُ فى التبن أياما ثم يجعله فى الخُفّ ويمشى فيه أياماً وانه يصفرّ ويعتق . فلما بلغ المبلغ الذي

قدّر صار اليّ وهو معه وأرانيه فوقفتُ على الفصل ورأيتُ دفتراً لولا ما عرفتهُ من الأصل فيه لحلفتُ على أنه قديم (٣٤٩) لا شك فيه . ومضى بذلك الى مفلح فقرأه عليه في جملة أشياء قرأها فقال له مفلح : أعِد عليّ هذا الفصل . فأعاده ومضى مفلح الى المقتدر بالله فذكر له ذلك فطلب لدفتر منه فأحضرهُ اياه فقال له : منَ تعرف بهذه الصفة ؟ وأقبل المقتدر يكرّرها فذكر مفلح أنه لا يعرف أحداً بها وحرص المقتدر على أن يعرف انساناً يوافق هذه الصفة صفته فقال مفلح : لستُ أعرفُ بهذه الصفة الاّ الحسين بن القاسم الذى يقال له أبو الجمال . فقال له المقتدر : ان جاءك صاحبٌ له برقعة فخذها منه وان حملك رسالة فمرّ فيها واكتمْ ما يجرى فى أمره ولا تعلم أحداً به . وخرج مفلح الى الدانيالى فقال له : هل تعرف أحداً بهذه الصفة ؟ فأنكر ان يعرف ذلك وقال : انما قرأتُ ما وجدتهُ فى كتب دانيال ولا علم لى بغير ذلك .

وانصرف اليّ فحدثنى بهذا الحديث فقمتُ من فورى الى الحسين بن القاسم فاعدتهُ عليه فسر به غاية السرور وابتهج نهاية الابتهاج وظهر فى وجهه استبشارٌ عظيم وقال لى : اعلم ان أبا بشر الكاتب (٣٥٠) كان أمس عند مفلح برسالة لى اليه فانصرف كاسف البال ظاهر الانخزال مغموما بما شاهدهُ من اعراضه عنه فغمني ذلك . فقلتُ : الآن يتبين لنا صدقُ الدانيالى من كذبه ابعثْ بأبى بشر فى غد الى مفلح برسالة منك فانه سيتبين له فيما يعاملهُ به صحة ما حكاهُ من بطلانه . فدعا أبا بشر النصرانى كاتبه وحمّله اليه رسالة ووكّد عليه فى البكور اليه فلما كان من غد آخر النهار مضيت اليه اتعرّفُ خبره وما جرى فدعا أبا بشر وقال له : اعِد عليه خبرك . فأعلمني

انه دخل اليه وفى مجلسه جماعة فرفعهُ عليهم فاجلسه الى جانبه وأقبل عليه يحدثه ثم استدناهُ وسأله سرًّا عن خبر الحسين بن القاسم واستمع رسالته وقال « تقرأ عليه سلامى وتعرّفه تكفُّلى بأمره وقيامى به » وكلاما فى هذا المعنى وان ينفذ اليه رُقعة ليوصلها وينوب معه. قال لى أبو بشر : وانصرفت وأنا فى نهاية قوة النفس والثقة باللّه عزّ وجل وبتمام ما يسفر فيه. فاعلمتُ الحسين ان الرجل قد صدق فيما ذكره وقد بان لنا أثرهُ.

قال : [٣٥١] ثم ان الدانيالى طالبنى بالمكافأة فطيبتُ نفسهُ واستمهلته الى ان تقلّد الحسين الوزارة فاذكرته حق الرجل فقلّده الحسبة ببغداد وأجرى له مائة دينار فى كل شهر واختصّ به وكان يحضر مجلسهُ فيجلسه الى جانبُ مسورَته ثم مضت أيّام فقال : لا يقنعنى ما أجرى لى. وسأل زيادة فكلّمتُ الحسين بن القاسم فى أمره فأجرى له مائة دينار أخرى تسبب برسم الفقهاء. وكان ما ذكرتهُ من حديث الدانيالى من أوكد الاسباب فى تقليد الحسين الوزارة مع كثرة الكارهين له والمعارضين فى أمره.

وانضاف الى هذا الخبر الذى أخبر به أبو القاسم ابن زنجى ان الكلوذانى عمل عملاً لما يحتاج اليه من مُهمّ النفقات وأخذ خطّ صاحبى ديوان الجيش والنفقات باعمال أُخر مفردة عملوها لما يحتاج اليه بزيادة مائتى الف دينار على ما عمل هو حتى تبين للمقتدر بالله وقوع الاحتياط منه فيما عمل واقتصر عليه فكان العجز سبعمائة الف دينار وعرض ذلك على المقتدر وقال له : ليس لى معوّل الاّ على ما يطلقه أمير المؤمنين [٣٥٢] لا نفقهُ. فعظم ذلك على المقتدر فلما بلغ الحسين بن القاسم خبر العمل الذى عملهُ الكلوذانى كتب رُقعةً الى المقتدر يضمن فيها القيام بجميع النفقات من غير

ان يطلب منه شيئا وانه يستخرج سوى ذلك الف الف دينار يكون فى بيت مال الخاصة . فانفذ المقتدر رُقعته الى الكلوذانى وقال : هـذه رُقعة فلان ولستُ اسومك الاستظهار بالمال وما أريد منك الا القيام بالنفقات فقط . فقال الكلوذانى : قد يجوز ان يتمّ لهذا الرجل مالم يتمّ لى . وسأله تقليد من ضمن هذا الضمان فاعفاه من الامر . فلماً وقف المقتدر على تبلح الكلوذانى وحصل في نفسهِ مابذله الحسين بن القاسم عمل على ان يستوزرهُ وعلم شدة كراهية مونس المظفر لذلك فراسلهُ على يد مفلح بأن يجتهـد في إصلاح اعدائه . فابتـدأ الحسين ببنى رائق فـكان يمضى بنفسـه الى كاتبهم ابراهيم النصرانى ويضمن لهم الضمانات حتى صـلحوا له ثم فعـل ذلك بأبى نصر الوليد بن جابر كاتب شفيع ثم فعل مثله باصطفن بن يعقوب كاتب مونس وقال له : ان تقلّدتُ الوزارة فانتَ قلّدتنيها . فأشار عليه بملازمة (٣٥٣) أبى على يحيى بن عبد الله الطبرى كاتب يلبق ففعل ذلك وكان يلبق قد سمع انه متّهم فى دينه شريرٌ فجمع أبو على الطبرى بينه وبين يلبق حتى حلف له الحسين بكلّ يمين يحلف مسلم ومعاهدٌ انه مكذوبٌ عليه فى كلّ ما يطعن به عليـه فى ديانتهِ أوّلا ثم فى عداوتهِ لمونس وخاصتهِ وأصحابه لا ينوى لاحد من الناس سوءاً ولا يأخذ الاموال الا من بقايا صحيحة على تجار ملاءٍ كسروا مال السلطانِ من أثمان الغلاّت ومن ضُمناء قد ربحوا ربحاً عظيما . وضمن الحسين ليلبق ضياعا جليلة كذلك لـكاتبـه فسعى له يلبق وسأل مونساً فى أمرهِ وسـأل مونس المقتـدر فتقرّرت الوزارة له وبلغ ذلك الـكلوذانى فواصل الاستعفاء .

واتفق ان دخـل خمسمائة فارس كانوا مقيمين بالجبل فى ماه الـكوفة

وحلوان وهـذه نواح لم يتغلب عليها مرداويج وكانت أرزاقهم قد تأخّرت فطالبوا الكلوذاني وأمرهم الكلوذاني بالرجوع لينفق فيهم هُناك فلم يسمعوا ورجمود بالآجُرّ وهو مُنصرف في طيّاره . فجمل ذلك حجة وأغلق بابَهُ وحلف على انه لا ينظر في أَعمال (٣٥٤) الوزارة فكانت مدّة وزارته شهرين وثلاثة أيام .

وكتب المقتدر الى الحسين بن القاسم توقيعاً بتقليد الوزارة وركب اليه وجوه الكتاب والعمال والقوّاد وبلغ ذلك أبا الفتح الفضل بن جعفر فصار اليه مع قاضي القضاه أبي عمر محمد بن يوسف وابنه والقاضى ابن أبي الشوارب (١) وكتب عن المقتدر بخبر تقليده الوزارة الى خراسان وجميع النواحي والأطراف وكان تقلده للوزارة يوم الجمعة لِليلتين بقيتا من شهر رمضان . فعدل عن الجلوس لِلتهنئة وتشاغل بالنظر في أمر المال وما يحتاج اليه في نفقة العيد ولزمه الفضل بن جعفر وهشام بن عبد الله لانهما كانا يتوليان ديوان المشرق وزمامَهُ وديوان بيت المال وأخذ خطوط عدة من العُمّال والضُمناء بسبعين ألف دينار . وصار اليه علي بن عيسى آخر النهار فهنأهُ وقد كان الحسين شرط لنفسهِ الا ينظرُ علي بن عيسى في شيء من الامور ولا يجلس للمَظالم فأجيب الى ذلك

وتبسط كاتب بني رائق وكلّ منَ كان سعى له في الوزارة في طلب الأموال حتى قبضوا علي شذاةٍ وردت من الأهواز (٣٥٥) فيها مال الأهواز واصبهان وفارس فكتب الحسين الوزير الى المقتدر يشكو هذه

---

(١) هو أبو محمد الحسن بن عبد الله بن أبي الشوارب كذا في تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٢٢ وفي صلة عريب ص ١٣٩ هو الحسين بن عبد الله

الحال فلم يُنكِر كلّ الإنكار فوقع الاتّفاق بين الحسين وبين ابنى رائق على أن يأخذوا من المال النصفَ ويفرجوا عن الباقي ففعلوا ذلك

وكانت دِمنَة جارية المقتدر حظيّةً عنده وكانت تُوصِل رِقاع الحسين الى مولاها وتقوم بأمره فحمل اليها جملة عظيمة من المال وبعث الى ابنها وهو الأمير أبو أحمد اسحق أيضاً جملة (١) واستأذن المقتدر أن يستكتب له ابنَهُ القاسم بن الحسين فأذن له فى ذلك وضمن لِدِمنَة أن تحمل الى ابنها فى كلّ يوم مائة دينار وتدفَعُ عن صرفِهِ

واختصّ به بنو البريدى وأبو بكر ابن قرابة وقدّم له جُملة من المال عن الضُمناء بربح درهم فى كلّ دينار على رسمه . واختصّ به من القوّاد جعفر بن ورقاء وأبو عبد الله محمد بن خلف النيرمانى وقلّدهُ أعمال الحرب والخراج والضياع بحلوان ومرج القلعة وماه الكوفة والبصرة القباء والسيف والمنقلة وتسمى بالأمارة وخوطب بها وضمن أن يجمع الرجال ويفتح أعمال كُوَر (٣٥٦) المشرق وينتزعها من يد مرداويج وكان قد احتجن أموال السلطان من بقايا ضمان كانت عليه فى أيام سليمان بن الحسن لأعمال الضياع والخراج الخاصّة والعامة وكانت جملة عظيمة . وكان تقلد كرمان فى بعض الأوقات واستخرج من مالها شيئاً كثيراً فحملها وانصرف فكتب صارفُهُ أنه ما أنفق منها درهماً واحداً واتفقت له أشياء تجرى هذا المجرى. وتجرّد الحسين بن القاسم لاخراج على بن عيسى وأخيه عبد الرحمن الى مصر والشام فراسل المقتدر على بن عيسى فى ذلك ودفع عنه مونس

(١) قال صاحب التكملة انه كان يخدمها ويخدم ابنها في كل يوم بمائة دينار . وابنها هو والد الخليفة القادر بالله

المُظفّر وقال: هـذا شيخٌ يُرجَع الى رأيه ويُعتضد بمكانه . الى أن تقرّر أمرُه على أن يخرج الى الصافية فخرجَ (١)

وابتدأ مونس في الاستيحاش والتنكر في يوم السبت لثلاث خلون من ذى الحجّة

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان السبب في ذلك ما بلغه من اجتماع الوزير الحسين بن القاسم مع جماعةٍ من القوّاد على التدبير عليه . وبلغ الحسين تنكّر مونس له وأنه عزم على كبسه بجماعةٍ من خواصه في الليل للقبض عليه (٣٥١) فتنقل في مدّة عشرة أيام في نحو عشرة مواضع وكان لا يُعرَف له دارٌ ولا موضع يلقاهُ فيه أحد وكان لا تلقاه أصحاب الدواوين الا اذا طلبهم ثم ختم الأمر بأن أقام في دار الخليفة .وراسل مونس المظفر المقتدر بالله في صرف الحسين بن القاسم عن الوزارة فأجابه الى صرفه والتقدّم اليه بلزوم منزله فلم يقنع مونس بذلك وطالب بالقبض عليه وتفيه الى عُمان فامتنع المقتدر من ذلك وترددت بينهما فيه رسائل . وأوقع الحسين بن القاسم للمقتدر أن مونساً قد عمل على أخذ الأمير أبي العباس من داره بالمُخرِّم والخروج به الى مصر والشام ليعقد له الأمر في الخلافة هُناك وأشار بردّ الأمير أبي العباس الى داره من دار الخلافة ففعل المقتدر ذلك . ووقف الامير أبو العباس على ما فعلَهُ الحسين ابن القاسم فحقده عليه في نفسه الى أن أفضت اليه الخلافة فانزل به من المكروه ما سنشرحهُ في موضعه ان شاء الله

وكتب الحسين بن القاسم الى هرون بن غريب وهو بدير العاقول

(١) وفي صلة عريب ص ١٦٥ انه أخرج الي درقنا

بعد هزيمته من بين يدى مرداويج بالمُبادرة الى الحضرة فزادت وحشة مونس بهذه الاحوال وصحّ عنده أن الحسين بن القاسم (٣٥٨) فى تدبير عليه نخرج من داره لخمس خلون من المحرّم وجلس فى حديدى وامتدّ الى باب الشماسية وخرج أكثر رجاله وضربوا مضاربهم هُنَاك . وكتب مونس الى المقتدر بأن مفلحاً الاسود مُطابق للحسين بن القاسم فى التدبير عليه وان نفسه لا تسكن الا بانفاذ مفلح اليه ليُقلّدهُ اجلّ الاعمال ويخرج فكتب المقتدر بأن مفلحاً خادمٌ يثق به فى خدمته وانه ليس ممّن يُدخل نفسهُ فيما ظنّهُ به . وبلغ مونساً أن الحسين قد جمع الرجال والغلمان الحجريّة فى دار السلطان وانه قد ابتدأ بالنفقة فيهم وان هرون بن غريب قد قرُب من بغداد فأظهر الغضب وسار الى الموصل . ووجّه بُشرى خادمه ليؤدى رسالة الى المقتدر فلما حصل بُشرى فى دار السلطان بحضرة الحسين ابن القاسم قال له الحسين : هات الرُقعة التى معك . فقال له : ليس معى رُقعة وانما معى رسالة . قال : فتذكرها . فقال : قد أمرتُ الا أذكرها الا للخليفة . فوجّه الحسين الى المقتدر بالله وعرّفهُ ذلك فوجّه المقتدر الى بُشرى يأمره أن يؤدى الرسالة الى الحسين فقال بشرى : حتى أمضى واستأذن صاحبى (٣٥٩) فى ذلك واعود . فشتمهُ الحسين وشتم صاحبهُ وأمر به فقُبض عليه وضربه بالمقارع وقال : لا أرفع عنك الضرب أو تكتب خطك بثلاثمائة ألف دينار . فكتب وأمر به الى الحبس ثم وجه للوقت الى داره وقبض على أمرأته وصادرها وحمل ما فيها . ولما بلغ مونساً ما جرى على خادمه بشرى امتدّ واصعد ومعه من كان برسمه من قُوّاده وأصحابه وكتب الحسين بن القاسم الى من كان معه من القُوّاد والغلمان

بالانصراف عنه والمصير الى باب السلطان فانصرف عنه جماعة منهم [1] ومضى مونس في خواصه وغلمانه مسرعاً الى الموصل . ووقع الحسين بقبض أملاك مونس وضياعه وضياع أسبابه وأفردلها ديواناً سماه ديوان المخالفين وردّهُ الى محمد بن جني

وزاد محلّ الحسين بن القاسم عند المقتدر وأنفذ اليه طعاماً من بين يديه وأمر بأن يكنّى ويلقّب عميد الدولة وان يضرب لقبهُ على الدنانير والدراهم ففعل ذلك وخلع عليه يوم الاثنين لاربع بقين من المحرّم وانشأ في ذلك كتابا نفذ الي جميع الاعمال والاطراف . وصرف قوما وقلّد قوماً فكان فيمن قلّد (٣٦٠) أبو يوسف يعقوب بن محمد البريدى وذلك بمسئلته فقلّده أعمال البصرة من الخراج والضياع والمراكب وسائر وجوه الجبايات بها فضمنه ذلك بمقدار نفقات البصرة وفضل له بعده ثلاثون الف دينار ووقّع بتسبيبها على مال الاهواز . فلمّا وقف أبو الفتح الفضل بن جعفر على ذلك استعظم الايفى ارتفاع البصرة بنفقاتها حتى يحتاج الى ان يسبب على غيرها وتقدم باخراج الجماعات والحسبانات اليه وتقدّم الى كلّ واحد من أصحاب المجالس ان يخرج اليه ماعنده من ارتفاع البصرة لثلاث سنين وأخرجت الجماعات اليه وهو ينظر فيها وفى أعمال كُتّاب المجالس ويضيف من عمل الى عمل ويعمل بيده من صلاة الغداة الى بعد العتمة الى ان انتظم العملُ على ما أراد . ثم احضر أبا يوسف البريدى وواقفه عليه ولم يتهيأله انكارشىء مما أخرجه فاعطاه خطّه بالقيام بجميع ما يجب للاولياء وان يثبت لحفظ

(١) وفي صلة عريب ص ١٦٧ كان ممن رجع عنه أبو دلف القاسم بن دلف ومحمد بن القاسم بن سيا

السور الف رجل زيادة على رسم من يحفظه ومن ينضم اليه وسائر النفقات الراتبة ويحمل اليه بعد ذلك كله ستين الف دينار الى بيت المال (٣٦١) بالحضرة. فصار الفضل بن جعفر بالخط الى الوزير الحسين بن القاسم متبجحا به وعرضه عليه وعرّفه ما جرى بينه وبين ابن البريدى حتى تقرّر على ما كتب به خطُّهُ .

فلم يقع ذلك من الحسين بن القاسم الموقع الذى قدّره الفضلُ وتبين منه تكرّه له وظنّ انه كالتوبيخ والتقريع وكالزيادة على عمله فلما تبين الفضلُ الصورةَ راسل المقتدر بما فعله فوقع ذلك عنده احسن موقع وشاع ماعمله فى الدواوين وتناقلته الرؤساء والكتّاب بينهم . واتصل ذلك بالحسين فغلظ عليه وأراد ان يضع منه فواقف ابن جبير على مهاترته فى المجلس والغضّ منه ففعل ابن جبير ذلك حتى تكلّم بما لم تجر العادة بمثله والحسين ممسكٌ عن الجميع لا يكفّ أحدهما عن الآخر فلما تبين أبو الفتح ذلك وعرف الغرض نهض عن المجلس وقال : ليس المكلم لى أنت بل المكلم غيرك . فلما ولى خارجا عرفَ الحسين الخطأ فيما جرى فقال لابى عبد الله زنجى : ان أبا الفتح صديقك وهو يطيعك وما أحبّ ان نخرج على هذه الجملة فأحبّ ان تلحقه وترضيه وتردّه . فبادر اليه أبو عبد الله وما زال يرفق به حتى (٣٦٢) ردّه واعتذر اليه الحسين من خطاب ابن جبير له . وانصرف وهو مستوحش واستتر عند أبى بكر ابن قرابة وبقى ديوانه شاغراً الى ان يئس الحسين من ظهوره فقلّد أبا القاسم الكلوذانى الديوان ولم يزل أبو الفتح يسعى له فى طلب الوزارة حتى تمّ له كما سنذكرُهُ .

ولما لم[1] يعد مونس الى بغداد وجّه الحسين الى ابن مقلة فصادره وكان معتقلا فاعطى خطّهُ بمائتى الف دينار وأنفذ الى على بن عيسى وهو بالصافية يستحضره وأطمع المقتدر من جهته فى مائتى الف دينار فلمّا وصل الرسول الى الصافية وجد بها هرون بن غريب وكان هرون شديد العناية بعلى بن عيسى فمنعه من حمله وقال : انا اخاطب أمير المؤمنين فى أمره. فلمّا وقف الحسين على عناية هرون بعلي بن عيسى أمسك عنه .

ولمّا وصل هرون بن غريب الى دار السلطان وصل اليه في خلوة وانصرف الى داره فقصدهُ الوزير وابنا رائق ومحمد بن ياقوت ومفلح وشفيع وعظم أمره. فخاطب المقتدر فى أمر على بن عيسى فأعفاه من المصادرة وخاطبه فى أمر أبى على ابن مقلة فحط من مُصادرته خمسين ألف دينار وأمر بحمله اليه . ثم لم يستصوب ذلك (٣٦٣) وخاف ان يكاتب مونسا أو يُراسله فسأل ابنُ مقلة هرونَ ان يُعاود الخطاب فى بابه ويستحلفه بايمان مغلظة الاّ يكاتب ولا يراسل مونسا ولا أحدا من أسبابه ففعل ذلك وحُمل اليه قال : فحدّثنا أبو على ابن مقلة فى وزارته لِلراضى انه أخذ فى استماحة الناس وأدى المال كلّه بما وصل اليه من المال من الجهات وفضل له عشرون ألف دينار وانه اشترى بها ضياعا باسم عبد الله بن على النفّرى[2] ووقفها على الطالبين .

وكتب الحسين الى ياقوت بالقبض على الخصيبي وحمله وكان بشيراز فبادر خليفة على بن محمد بن روح بالخبر اليه فخرج من يومه من شيراز مستتراً حتى وافى بغداد واستتر عند أبى بكر ابن قرابة وكان الفضل بن

(١) بالاصل ولما يعد (٢) وفى التكملة «المقرى»

جعفر مستترا عنده أيضا فلم يعلم أحدهما خبر صاحبه وقدم محمد بن ياقوت من الاهواز . وقُبض على محمد بن المعتضد بالله وعلى أبي أحمد ابن المكتفى بالله وحدرا الى دار السلطان واعتقلا فيها ولم تقصر السيّدة في التوسعة على محمد بن المعتضد وفي اكرامه وأهدت اليه عدّة من الجوارى .

وابتدأ أمر الحسين الوزير بالاضطراب (٣٦٤)

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

اشتدت الاضاقة فباع الحسين من الضياع نحو خمسمائة ألف دينار واستسلف من مال سنة ٣٢٠ شطره قبل افتتاحها بشهور ولم يبق له وجه حيلة لتمام نفقات سنة ٣١٩ الخراجية . وعرف هرون بن غريب ذلك فصدق المقتدر عنه فعزم على تقليد الخصيبي الوزارة وكتب له أمانا فظهر فخوطب في تقلد الوزارة فذكر انه لم يبق للسلطان في النواحى من مال سنة ١٩ شيء وقد بقي منها نحو ثلاثة أشهر وان الحسين قد استسلف من مال سنة ٢٠ قطعةً وافرةً وانه لايغرّ السلطان من نفسه . فاشار عليه هرون ان يتقلّد أزمّة الدواوين من قبل المقتدر وتكون دواوين الاصول في يد الحسين ليضبط الاموال مُستأنفا فرضى الحسين بذلك وتقلّد الخصيبي دواوين الازمّة وأجرى عليه وعلى كُتّابه الفى وسبعمائة دينار في كل شهر وخلع المقتدر على الحسين ليزول عنه الارجاف

ثم ان الحسين بن القاسم عمل أعمالا أخذ فيها (٣٦٥) خطوط أصحاب الدواوين الاصول والازمّة بصحّتها وفيها ارتفاع الاموال من النواحى وما يُرجى حصولُهُ منها . وقدّر النفقات تقديراً مُتقاربا للارتفاع فسكن بذلك قلب المقتدر فسلّم المقتدر ذلك العمل الى الخصيبي وأمره بتتبّعه فوجد

الخصيبي الحسين بن القاسم قد احتال بان أضاف الى ما يقدّر حصوله من النواحي أموال نواحٍ قد خرجت عن يد السلطان بتغلُّب من تغلّب عليها مثل الديلم على أعمال الرى والجبل ومونس على أعمال الموصل وديار ربيعة وما لم يُحمَل من ديار مُضَر ومن مصر والشام منذ أربع سنين وذلك جملة عظيمة وأسقط من النفقات الزيادات التى زادها هو للجند والحاشية وغيرهم ولم يُسقط من الاموال التى يقدّر حصولها من النواحى ارتفاع ماباع من الضياع فعمل الخصيبى عملاً عرضهُ على المقتدر فامر المقتدر ان يواقف عليه الوزير فاجتمع الكُتّاب وأمره المقتدر بمُناظرتهم . فلما خاطبوه أخذ فى التشنيع عليهم وانهم سعوا به وقال : فى أى شيء غالطتُ السلطان ؟ أليس هذه خطوط الضمناء ؟ فقالوا : معاذالله ان يقول [٣٦٦] أحد فى الوزير ذلك ولكن العمل أخرج بما اضطرّ الوزير أيّده الله الى التسبيب به على مال سنة ٣٢٠ من الاموال المستحقة فى سنة ١٩ وقد رفع الضمناء الى ديوان الزمام أعمالاً لما أطلقوه من مال سنة ٢٠ وما كانوا ضمنوا اطلاقهُ من مال هذه التسبيبات عند ادراك الغلات ولهذا احضرنا . فقال الحسين : أفتعلم كم مبلغه ؟ فقال: نعم . وأحضر عملا كان عملهُ بمبلغ ذلك فوجد ان الذى سُبِّب على مال السواد والاهواز وفارس لسنة ٣٢٠ قبل افتتاحها بشهور أربعون ألف ألف درهم وان الذى يبقى الى آخر سنة ٢٠ على الضمناء الى افتتاح سنة ٣٢١ عشرون ألف ألف درهم . وقد كان قيل فى العمل ان هذا ما لم يجر به فى قديم الدهر ولاحديثه رسمٌ بمثله .

فلما وقف الحسين على ذلك استعظمه وأراد ان يقطع المجلس بالمشاغبة وقال : يكتّب فى الاعمال التى عملت ما لم يعملهُ أحد من الوزراء قط ثم

يُعرض عليّ . فقال هشام : هذا غلط كتب على سبيل السهو وليس مما يزيد في المال ولا ينقص منه . وضُرب على تلك الحكاية وقال : انما احضرنا لننظر في أمر المال (٣٦٧) ونصدق الوزير عنه. فعدل الى الخصيبي يُهاتره فترك الحجة فنهض الخصيبي عن المجلس لما ظهرت الحجّة على الحسين وصار مع الضمناء ومع أبي جعفر ابن شيرزاد الى هرون بن غريب فشرحوا له ما جرى . وأعيد المجلس كهيئته الى المقتدر ثم شافَه الخصيبي بمثله الحسين بحضرة المقتدر فانحلّ أمر الحسين وقُبض عليه فكانت وزارته سبعة أشهر

{ وزارة أبي الفتح الفضل بن جعفر }(١)

واستوزر أبو الفتح الفضل بن جعفر وخلع عليه يوم الاثنين لليلتين بقيتا في شهر ربيع الآخر فركب في الخلع وركب معه القوّاد وخواصّ المقتدر . وسلم المقتدر الحسين بن القاسم الى الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر فاجمل عشرته وقرر أمره على أربعين ألف دينار فلما أدّاها استأذن الوزير أبو الفتح المقتدر في تقليده الاشراف على مصر والشام فأذن له في ذلك . ثم ظهر انه أراد ان ينقُب الموضع الذي كان فيه وقال الخصيبي : هذا رجل في جنبِه للسلطان مالٌ عظيمٌ وليس يصلح ان يخرج وان يدبر شيأ من الاعمال . فتأخر أمره وصودر أيضا ثم تسلمه الوزير فبقي عنده مدة ثم أبعده الى البصرة وأقام له في كل شهر خمسة آلاف درهم

وفي هذه السنة حضر من ناظر عن مرداويج بن زيار والتمس (٣٦٨) ان يُقاطَع عن الاعمال التي غلب عليها من أعمال المشرق وتكفل هرون بن غريب بامره فقرّرهُ على ان يسلم الى السلطان أعمال ماه الكوفة وهمذان

(١) هذه الترجمة زدناها

ويُقلّد باقي الاعمال ويحمل عنها مالا وكُتب له العهد وأنفذ اليه اللواء ومعه خِلعٌ

ثم ان المقتدر همّ بتقليد أبي على ابن مقلة الوزارة وبلغ ذلك هرون بن غريب فكره ذلك لِمَيل أبي على الى مونس فاجتمع مع الوزير أبي الفتح وألزما . أبا عبد الله البريدى مائة الف دينار وسلّم ابنُ مقلة اليه فمشى أمر الوزير أبي الفتح وحمل ابن مقلة الى شيراز مع رشيق الايسر

وفيها مات أبو عمر القاضى فاغرى أبو بكر ابن قرابة بورثته أغراء شديداً وقال لِلمقتدر : ينبغى لابنه أن يحمل مائة ألف دينار فانه من ورائها والا حضَرَ من يتقلّد قضاء القُضاة ويُوفِّر هذا المال من جهته . فرسم المقتدر لِهرون بن الخال أن ينفذ كاتبه ولِلوزير أن يضمّ اليه ثقتهُ حتى يصيرا مع ابن قرابة الى أبي الحسين ابن أبي عُمر ويخاطبه بحضرتهما . فمضى أبو بكر ابن قرابة ومعه أبو جعفر ابن شيرزاد وأبو على أحمد بن نصر البازيار فلمّا حصلوا عند أبي الحسين القاضى وجدوا عنده عالمًا من الناس مُعزّين له فعزّوه وجلسوا وأمسكوا (٣٦٩) كما يحسُن أن يعمل فى المصائب فقال ابن قرابة : ما لهذا حضرنا قُم يا أبا الحسين معنا حتى نخلو . فنهض واستوفى عليه ابنُ قرابة استيفاء شديداً فقال أبو الحسين : ان نعمتى ونعمة والدى من أمير المؤمنين المقتدر ولستُ ادخر دونه شيئاً . وسأل أن يمهل يومهُ حتى يُحصّل أمرَهُ ويبكر فيصدقُ عنه وكان شهر رمضان فلمّا جنّه الليل قصد أبا بكر ابن قرابة وقت الافطار فاستأذن عليه ودخل والمائدة بين يديه فدعاه الى الافطار فغسل يده وسمّى وأكل ومصيبتهُ طرية وانها

ليومه ولكنه ليستكفي شرَّهُ [١] فلما انقضى الافطار قال له : يا سيدى قد جئتك مُستسلماً اليك فدبّرني بما تراه . فقال له : قم فامض بسلام وما بك حاجة الى أن توصيني ولا تفكر في أمرك فاني أفصلُهُ وأعملُ فيه مايرضيك . وكان على مائدة أبي بكر ابن قرابة أبو عبد الله وأبو يوسف أبنا البريدى فلمّا فرغوا من الاكل قرُب البريديان من القاضى أبي الحسين كالمتوجعين له ووصفا مُشاركتهما اياه واستصوبا قصدَهُ أبا بكر وإفطارَهُ معه وقالا له : أنت مقبل . وعرض عليه أبو يوسف ثلاثة آلاف دينار وقال : ان احتجت اليها فخُذها وافتد نفسك وان أوجبَت الصورة أن تستتر [٣٧٠] فانفقها في استتارك فلم ينفد حتى يأتيك الفرج. ولم يحتج أبو الحسين الى الاستتار وتعطف عليه المقتدر بالله وعاونه البريديون واخوانه أحسن مُعاونةٍ فقلّدهُ قضاء القضاة فقويت نفسه ومشى أمرُهُ

ثم ان المقتدر وصف لابن قرابة الاضاقة فقال له: يا أمير المؤمنين لِمَ لا يُعاونك هرون بن الخال وعنده آزاج مملوة مالا . فاعاد المقتدر ذلك على ابن الخال فقال . يا أمير المؤمنين ان كنتُ أملكُ ما قال فلستُ أبخلُ عليك به لانى أسلمُ بسلامتك وفي جيشك أنفقُهُ واليك مَعادهُ وابن قرابة معه من المال مالا يحتاج أبداً اليه وأنا استخرجُ لك منه خمسمائة ألف دينار وليس بينه وبين أمير المؤمنين الذي يجمعني واياه فلم يُترك عليه وأنا أوديها من مالِه اليك . فقال له : اذهب فتسلمه . فقبض عليه وجرى عليه من المكروه ما اشفى به على التلف حتى قتل المقتدر بالله فتخلص ولا عجب من أمر الله .

(١) وفي التكملة: فأكل قاصداً لاستكفاء شره .

وكان قد وقع الوزير أبو الفتح بأن يُعمل لابن قرابة عمل بما صار اليه من الربح فى الاموال التى قدّمها عن الضُمناء وبقايا مُصادرته فى أيام عبد الله الخاقانى وما يجب عليه من الفضل فيما ابتاعَهُ من الضياع فأخرج عليه من هذه الجهات (٣٧١) ألف الف دينار فصح له من هذه الجملة تسعون ألف دينار . ثم شغل الوزير وهرون بورود الخبر عليهما بانحدار مونس من الموصل وكان هرون قيّده وسلّمه الى حاجبه وعدّة من غلمانه ليخرجوه الى واسط فقتل المقتدر فى ذلك اليوم فهرب من كان مُوكلا به وبقى معه غلامان كان هو اشتراهُما لابن الخال فعُنيا به وصارا معه الى فُرضة جعفر وأدخلا الى مسجدٍ وأحضرا حداداً وحلاّ قيوده وأطلقاه فمشي الى منزله بسويقة غالب ووهب لهُما خمسمائة دينار

وحكى ثابت بن سنان [1] فى كتابه أن اباه سنان بن ثابت كانت بينه وبين أبى بكر ابن قرابة مودّة . فصرنا اليه لنُهنئه بخلاصه فقال لوالدى : يا أبا سعيد قد اجتمع لى فيك المحبة والعقل وجودة الرأى وأريد أن أستشيرك فى أمرى . فقال له أبى: قل فانى امحضك النصيحة . فقال : أنت تعلم انى كنت فى بحارمن التخليط وكانت علىّ تبعاتٌ فيما كنتُ أُدخلُ فيه واُقدّمهُ من مالى عن الضمناء لم يكن على أحد مثلها وقد غسلت هذه النكبة وما اديتُ فيها من المصادرة دون ما كنتُ فيه وقدحصل لى الآن ما يرتفع منه عشرون الف دينار خالصة وحصل لى من البساتين (٣٧٢) والمستغلات بعد ذلك ماليس لاحد مثلهُ ولى من الفرش والآلات والبلور والمخروط والصينى والجوهر والطيب والكسوة ما ليس لاحد مثلهُ ومن

(١) ترجمته موجودة فى ارشاد الاريب ٢ : ٣٩٧

الرقيق والخدم الروقة والغلمان والكراع ما ليس لاحد مثله ولى بعد ذلك كله ثلثمائة ألف دينار صامت لا احتاج اليها . وبيني وبين هذا الوزير (يعني أبا على ابن مقلة وقد كان القاهر استوزره وهو بفارس) مودة وكيدة فهل ترى لى اذا قدم ان اقتصر على لقائه فى الاوقات لعمارة الحال بيني وبينه ولا أداخله ولا اعاود ما كنت فيه أو اعاود وارجع الى التخليط ؟ فقال له والدي : ما رأيت أعجب من هذه المشاورة وانما يشاور فى المشكل من الامر فأما الواضح فيستغني فيه عن الرأى . انظر أعزك الله فان كان ذلك التخليط أمر لك ما تحب فارجع اليه وان كان انما أمر ما تكره وعرضك لزوال المهجة وزوال النعمة فلا تعاوده . ومع هذا فان الانسان انما يكدّ ويكدح ويتعرّض للمكاره ليحصل له بعض ما حصل لك فاحمد الله وتمتع بالنعمة وقد حصل لك من الجاه ما يحرسها واربح الصيانة وحسن العافية . فسمع ذلك كله [و] قال : قد علمت والله انك قد نصحت وبالغت ولكن لى نفساً مشؤمة لا تصبر (٣٧٣) وسأعاود ما كنت فيه . فقال له والدي : خار الله لك . وانصرفنا فقال لى والدي : يابنيّ ما رأيت قط اجهل من هذا الرجل ولا يموت مثله الا مقتولاً أو فقيراً بأسوأ حال .

فكان الامر على ما قدّر وادّاه التخليط الى ان قبض عليه القاهر فازال نعمته وقبض أملاكه وهدمت داره وأراد قتله حتى زال أمر القاهر ثم عاد أيضاً الى التخليط ومضى الى البريديين لما خالفوا السلطان ثم مضى الى أبى الحسين أحمد بن بويه لما غلب على الاهواز ثم وقع أسيراً لما انصرف الامير أبو الحسين من نهر ديالى وصودر حتى لم يبق له بقية واضطر الى ان يخدم ناصر الدولة أبا محمد ابن حمدان برزق مائة دينار فى كل شهر فكثرت

فى عينه وكان ينفق مثلها كلّ يوم ومات بالموصل ونعوذ بالله من الجهل والادبار

﴿ ودخلت سنة عشرين وثلثمائة ﴾

﴿ فيها انحدر مونس من الموصل الى بغداد وقتل المقتدر بالله ﴾

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان السبب فى ذلك ما ذكرناه من استيحاش مونس فلما تمّ له الانصراف الى الموصل كتب الحسين بن القاسم الى داود وسعيد ابنى[(٣٧٤)] حمدان والحسن بن عبد الله بن حمدان بمحاربة مونس ودفعه عن الموصل فانه عاص . وكان مونس يكتب فى طريقه الى رؤساء العرب فى ديار ربيعة بأن السلطان أنفذه لمحاربة بنى حمدان يريد بذلك ان يقعدهم عنهم[(١)] فامتنع داود من لقاء مونس لاحسانه اليه فانه كان عظيما جدًّا فما زال أهله به حتى فثؤوا رأيه وقالوا له : نحن بعد ما غسلنا قبيح ما عمله الحسين بن حمدان ثم ماعمله أبو الهيجاء بالامس نريد ان نعملَ لنا حديثاً ثالثا . وما زالوا به حتى استجاب على تكرّهٍ شديدٍ وقال : ياقوم بأىّ وجه القى مونساً مع احسانه العظيم الىّ ؟ وكان يعدّ دهائم يقول : والله ما آمن ان يجيئنى سهمٌ عائرٌ فيقع فى هذا الموضع منى (يعنى حلقه) فيقتلنى . (قال) فوالله ماهو الا ان لقيه مونس حتى أتاه السهم العائر فوقع فى موضع أصبعه فذبحه ولم يقتل غيره .

وكان بنو حمدان فى ثلاثين ألفاً ومونس فى ثمانمائة رجل فانهزموا وقتل داود وكان مونس اذا قيل له : قد أقبل داود لمحاربتك . يعجب ويقول : ياقوم يلقانى داود وفى حجرى طُهّر ولى عليه من الحق ماليس لوالده . فلما ملك

(١) وأما ما جرى بين مونس وبنى حمدان فليراجع صلة عريب ص ١٦٩ وفيها قصة الواقعة رواها الفرغانى يعنى أبو محمد عبد الله بن أحمد فى تاريخه المواصلة بتاريخ الطبرى

مونس أموال بني حمدان وغلاّتهم وضياعهم (٣٧٥) واستولى على أعمال الموصل خرج اليه الناس من الاولياء ارسالا وكثروا عنده فحملوه على الخروج من الموصل وقصد بغداد وكان أقام بالموصل تسعة أشهر . فانحدر مونس وبلغ الجندَ بالحضرة ذلك فشغبوا وطالبوا بالرزق فأطلق المقتدر المال وجلس في الجوسق وأنفق فيهم وأخرج مضرباً له يسمى مضرب الدم الى باب الشمّاسيّة . ووافى مونس وأصحابه الى باب الشمّاسية (١) وكان المقتدر قد وجّه أبا العلاء سعيد بن حمدان وصافياً البصري في خيل الى سر من رأى ثم أنفذ أبا بكر محمد بن ياقوت في الفي فارس ومعه الغلمان الحجرية [الى المعشوق] . ثم أنفذ مونساً الورقاني على سبيل الطلائع فلمّا قرب مونس أقبلوا راجعون حتى اجتمعت الجماعة بعكبرا فلما قرب مونس من عكبرا انكفأت الجماعة مع محمد بن ياقوت الى البردان فلما نزل مونس عكبرا انكفأت الجماعة الى باب الشمّاسية فمسكروا هناك واضطرب الامور وتقاعد الضمناء والعمال بحمل الاموال . واجتهد المقتدر بهرون ان يشخص الى حرب مونس فتقاعد واحتجّ بان معظم أصحابه ممن انضمّ اليه من رجال مونس أو ممن كان معه في وقت محاربته مرداويج (٣٧٦) في المشرق أو من استأمن اليه من عسكر الديلم وقد عرف محاربتهم وانهم ينهزمون ولا يثبتون للحرب وايس يثق باحد منهم لانه يعلم انهم يستأمنون ويسلمونهُ ودافع بالخروج الى ان صار أصحاب مونس بباب الشمّاسية بازاء عسكر محمد ابن ياقوت . فجاء محمد بن ياقوت الى الوزير الفضل بن جعفر فانحدر الى

(١) وفي صلة عريب ص ١٧٥ : كتب مونس الى المقتدر كتباً سرّ بها المقتدر ولكن راجعه القوّاد عن رأيه فيه

المقتدر ومعهما ابنا رائق ومفلح فشرح محمد بن ياقوت الصورة وقال له : ان الرجال لايقاتلون الاّ بالمال وان أخرج استغني عن القتال واستأمن أكثر رجال مونس ودفعت الضرورة مونساً الى الهرب أو الاستتار . وقال له : ان الوزير أطاق مالا لم يعمّ . وسألوه ان يحتال مائتى ألف دينار من جهته وجهة والدته ليصرف فى المهمّ فعرّفه انه لم يبق له ولا للسيدة حيلة فى مال يطاق وتقدّم الشذاآت والطيارات لينحدر هو وحرمه الى واسط ويسلم البلد الى مونس ويكتب من واسط الى من بالبصرة والاهواز وفارس يستنجدهم ويستحضرهم لقتال مونس ودفعه . فقال له محمد بن ياقوت : اتق الله يا أمير المؤمنين فى جماعة غلمانك وخدمك ولا تسلم بغداد بغير حرب . وجعل يفثأه عن رأيه [٣٧٧] ويشير بان يخرج بنفسه الى المعسكر حتى يراه الناس ويقاتلون وقال له : ان رآك رجال مونس أحجموا عن محاربتك . فقال له المقتدر : أنت والله رسول ابليس ، ثم أمر هرون على لسان الوزير الفضل ابن جعفر ان يخرج ووبخه فمضى اليه ووافقه على ان يخرج يوم الاربعاء لثلاث بقين من شوّال الى دار السلطان . وركب المقتدر وهم معه وعليه البردة التى توارثها الخلفاء وبيده القضيب وبين يديه الامير أبو على ابن المقتدر والانصار ومعهم المصاحف المنشورة والقرّاء يقرؤون القرآن وحوله جميع الحجرية رجالة بالسلاح وخلفه جميع القوّاد مع الوزير . واشتق بغداد الى الشمّاسيّة وكثر دعاء الناس له جدّا وسار فى الشارع الاعظم الى المعسكر . فلما وصل اليه أشير عليه ان يقوم الى موضع عال بعيد عن موضع الحرب واشتدّت الحرب بين أصحاب مونس وأصحاب المقتدر بالله وكان مونس مقيما بالراشديّة لم يحضر الحرب وثبت محمد بن ياقوت وهرون بن

غريب واشتبكت الحرب . وصار أبو العلاء سعيد بن حمدان الى المقتدر بالله برسالة هرون بن غريب ومحمد بن ياقوت بأن يحضر الحرب وقال له : ان (٣٧٨) رآك أصحاب مونس استأمنوا . فلم يبرح من موضعه ومضى أبو العلاء ووافاه صافي البصرى فقال له مثل هذا القول فلم يسمع منه ثم حضر محمد بن أحمد القراريطى كاتب محمد بن ياقوت فاستدعى الوصول الى المقتدر بالله فأوصل اليه وهو واقفٌ على ظهر دابته فقبل الارض وقال له : يا أمير المؤمنين القوّاد وعبدك محمد بن ياقوت يقول « يا مولانا أمير المؤمنين الله الله سر بنفسك الى الموضع فان الناس اذا رأوك انفلوا » فلم يبرح وبقى واقفاً على دابته وخلفه الوزير أبو الفتح ومفلح الاسود وجماعة من الغلمان الخاصّة . فهم على تلك الحال اذ وافت رسالة القوّاد المحاربين فتقدم بعضها بأن ينادى بين يديه « من جاء بأسير فله عشرة دنانير ومن جاء برأس فله خمسة دنانير » فنودى بذلك . ثم جاءته رقعة فسلمت اليه فقرأها ثم استدعى مفلحاً والقراريطي فسارّهما ثم استدعى الوزير فسارّهُ وأجابه بشئ ماسمع به ثم وردت رقعة أخرى فقرأها ثم وافته الرسائل علانية من القواد تؤدى اليه ويسمع الناس ان الرجال فى الحرب يقولون « نريد ان نرى مولانا حتى نرمى بأنفسنا على هؤلاء الكلاب » ولم يزل (٣٧٩) القراريطى وغيره يسهلون عليه ويسئلونه المسير حتى سار مع مفلح ومن بقي معه . وتخلف الفضل بن جعفر عنه وسار نحو الشطّ وانكشف أصحاب المقتدر وانهزموا من قبل ان يصل المقتدر الى موضع المعركة وكان آخر من ثبت وحارب حرباً شديدا محمد بن ياقوت واستؤسر أحمد بن كيغلغ وجماعة من القوّاد .

واتى على بن يلبق المقتدر وهو فى الطريق لم يصل الى المعركة فى

صحراء منبسطة فلما وقعت عينه عليه ترجل وعليه سلاحه وقال : مولاى أمير المؤمنين . وقبل الارض ثم قبل رُكبته . ووافى البربر من أصحاب مونس فاحاطوا بالمقتدر وضربَهُ رجل منهم من خلفه ضربة سقط منها الى الارض وقال : ويحكم أنا الخليفة . فقال البربرى : اياك اطلب . وأضجعه فذبحه بالسيف (١) وكان معه رجل من خلفاء الحجاب طرح نفسه عليه فذبح أيضاً ووقع رأس المقتدر على سيف ثم على خشبة وسلب ثيابه حتى سراويله وتُرك مكشوف العورة الى أن مر به رجل من الأكرة فستر عورته بحشيش ثم حفر له فى الموضع ودُفن حتى عفا أثرهُ (٢) (٣٨٠)

ونزل يلبق وعلى ابنه فى المضارب وأنفذ للوقت الى دار السلطان من يحفظها وانحدر مونس من الراشدية الى الشماسية فبات بها ومضى عبد الواحد بن المقتدر ومفلح وهرون بن غريب ومحمد بن ياقوت وابنا رائق على الظهر الى المدائن . فكان ما فعلَهُ مونس من ضربه وجه المقتدر بالسيف وقتله اياه ودخوله بغداد على تلك السبيل سبباً لجرأة الأعداء وطمعهم فيما لم تكن أنفسهم تحدثهم به من الغلبة على الحضرة وانخرقت الهيبة وضعف أمر الخلافة مذ ذلك وتفاقم حتى انتهى الى مانشرحه فيما بعد ان شاء الله.

(١) وفي تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي رواية عن الصولى : قتل المقتدر البربرى وقيل كان غلاماً ليلبق وكان بطلا شجاعا تعجب الناس منه يومئذ مما فعل من صناعات الفروسية من اللعب بالرمح والسيف . ثم حمل على المقتدر وضربه بحربة أخرجها من ظهره فصاح الناس عليه فساق نحو دار الخلافة ليخرج القاهر فصادفه حمل شوك فزحمه وهو يسوق حمل الشوك الى قنار الحمام فعلقه كلاب وجرح الفرس في مشواره من تحته فمات فخطه الناس وأحرقوه بالحمل الشوك . (٢) وفي تاريخ الاسلام : ذكر المسبحي أن العامة لم تزل تصلي على مصرع المقتدر وبني فى ذلك المكان مسجد

وحكى ثابت حكاية فى تبذير المقتدر للاموال ما رأيت ان أثبته مشروحاً لئلا يغترّ أحدٌ من الملوك ومدبّرى أمر المملكة بكثرة الاموال فيترك تثميره ويعدل عن التعب به الى الراحة اليسيرة فانه حينئذٍ يبتدر ولا يلحق . ويكون مثله مثل البثق الذى ينفجر بمقدار سَعة الدرهم ثم يتسع فلا يضبط .

قال صاحب الكتاب : ولقد وعظتُ انا بذلك بعض مدبّرى الملك فأكثرتُ عليه فتبسم تبسم المدلّ بكثرة الذخائر والاموال (٣٨١) فما أتت عليه سنتان حتى رأيته فى موضع الرحمة حيث لا ينفعه الرحمة . وسأشرح خبره وحالهُ اذا انتهيتُ اليه بمشيئة الله .

فأما المقتدر فانه أتلف نيفاً وسبعين الف الف دينار سوى ما أنفقه فى موضعه وأخرجهُ فى وجوهه وهذا أكثر مما جمعه الرشيد وخلفه ولم يكن فى ولد العباس من جمع أكثر مما جمعه الرشيد فان القاسم بن عبيد الله قال للمعتضد وقد سأله عن مقدار ما خلفه واحدٌ واحدٌ من ولد العباس من المال انه لم يكن فيهم من خلّف أكثر مما خلّفه هرون الرشيد فانه خلّف فى بيت المال ثمانية وأربعين الف الف دينار . وهذه نسخة لما أثبته بعض كتاب أبى الحسن ابن الفرات لما وزّره المقتدر بالله ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ الذى كان فى بيت مال الخاصّة لما تقلّد المقتدر الخلافة : أربعة عشر الف الف دينار . وافتتح أبو الحسن ابن الفرات أعمال فارس وكرمان سنة ٢٩٩ فارتفع من مال الخراج والضياع العامة والمعروف بالامراء فى كلّ سنة : ثلاثة وعشرون الف الف درهم وثمانمائة الف درهم . منها من مال فارس : ثمانية عشر الف الف درهم . ومن مال كرمان : خمسة آلاف الف درهم (٣٨٢) يكون ذلك

في مدّة احدى وعشرين سنة آخرها سنة ٣٢٠ الخراجية بعد وضع ثمانمائة الف درهم كانت تنكسر في كلّ سنة من مال البقايا : أربعمائة الف الف درهم وثلاثة وثمانين الف درهم. واذا وضع من ذلك ما كان يحمله من يتغلب على فارس وكرمان الى بيت مال العامة بالحضرة وهو نحو أربعة آلاف الف في السنة ومبلغه في هذه السنين : ثلاثة وثمانين الف الف درهم . كان الباقى بعد ذلك أربعمائة الف الف درهم قيمتها ثمانية وعشرون الف الف دينار

ومن أموال مصر والشام في هذه السنين زيادة على ما كان يحمل منها في أيّام المعتضد : ثلاثة آلاف الف وستمائة الف دينار

وأخذ المقتدر من أموال على بن محمد بن الفرات في مصادرته ومصادرات كتّابه وأسبابه : أربعة آلاف الف وأربعمائة الف دينار. منها في الدفعة الأولى : الفى الف وثلاثمائة الف دينار. وفي الدفعة الثانية : الف الف ومائة الف دينار . وفي الثالثة مع ما أخذ من زوجة المحسن دولة : تسعمائة الف دينار . وما حصل من ارتفاع ضياع ابن الفرات الملك سوى الاقطاع والايغار في مدّة سبع عشرة سنة مع ما انصرف في ذلك من المبيع والمقطع والموغر للحاشية حسابا (٣٨٣) في السنة : مائتي وخمسين الف دينار . أربعة آلاف الف ومائتى وخمسون ألف دينار .

وما صحّ مما أخذ لابى عبد الله الجصاص الجوهرى دون ما كان يذكره وهو يتكثر به من العين : الفى الف دينار

وما حصل من ضياع العباس بن الحسن بعد قتله في مدّة أربع وعشرين سنة حسابا في السنة : مائه وعشرين الف دينار . الفى الف وثمانمائة الف دينار .

وما أخذ من أموال حامد بن العباس وأسبابه ومع ما يرتفع من ضياعه الى ان ردّت على ولده الفى الف ومائتى ألف دينار .

وما أخذ من أموال الحسين بن أحمد ومحمد بن على المادرائيين فى أيام وزارة أبى على الخاقانى ووزارات ابن الفرات الثلاث وأيام أبى القاسم الخاقانى وأبى العباس الخصيبى وأبى الحسن على بن عيسى الثانية وأبى على ابن مقلة: الف الف وثلاثمائة الف دينار .

وما أخذ من أموال على بن عيسى وابن الحوارى وسائر الكتاب ووجوه العمال المصادرين: الفى الف دينار.

وما أخذ من تركة الراسبى: خمسمائة الف دينار .

وما اخذ من تركة ابراهيم المسمعى :ثلاثمائة الف دينار

وما حصل من ثمن المبيع فى أيام الوزراء وازداده الفضل بن جعفر: ثلاثة آلاف الف دينار

وما حصل من أموال أمّ موسى (٣٨٤) وأخيها واختها وأسبابها: الفى الف دينار

فصار الجميع من العين : ثمانية وستين الف الف وأربعمائة وثلاثين الف دينار. وضع من ذلك لارتفاع ما خرج من المبيع منذ سنة ٣١٧ الى آخر سنة ٣٢٠ حسابا فى السنة على التقريب : تسعمائة الف دينار. ثلاثة آلاف الف وستمائة الف دينار

الباقى بعد ذلك مما حصل فى خزانة المقتدر زائداً على ما كان يحمل الى بيت مال الخاصة فى أيام المعتضد والمكتفى من أموال الضياع والخراج بالسواد والأهواز والمشرق والمغرب: أربعة وستين ألف ألف وثمانمائة

وثلاثين ألف دينار. وقد كان كل واحد من المعتضد والمكتفى يستفضل فى كلّ سنةٍ من سني خلافته من أموال النواحى بعد الذى يُصرف فى أعطيات الرجال والغلمان والخدم والحشم وجميع النفقات الحادثة معما كان يحصّلهُ فى بيت مال الخاصة: ألف ألف دينار.

وكان سبيل المقتدر ان استفضل مثلها فيكون مبلغهُ في خمسة وعشرين سنة: خمسة وعشرين ألف ألف دينار. فيكون جملة ما يجب أن يحضر فى بيت مال الخاصة للمقتدر بالله فى هذه السنين الى آخر سنة عشرين: (٣٨٥) تسعة وثمانين ألف ألف دينار وثمانمائة ألف وثلاثين ألف دينار. خرج من ذلك ما ليس يجرى مجرى التبذير وهو ما أُطلق فى البيعة ثلاث دفعات وما أُنفق على فتح فارس وكرمان: بضعة عشر ألف ألف دينار. وبقى بعد ذلك ما بُذر وأُتلف نيّف وسبعون ألف ألف دينار

وكانت مدة وزارة أبي الفتح الفضل بن جعفر للمقتدر خمسة أشهر وتسعة وعشرين يوماً

خلافة القاهر بالله ابي منصور

﴿ محمد بن المعتضد سنة عشرين وثلثمائة ﴾

لما قُتل المقتدر بالله وحمل رأسه الى بين يدى مونس بكى وقال: قتلتموه والله لنقتلنّ كلنا فأقلُّ مايكون أن تظهروا بأن ذلك جرى بغير قصدٍ منكم ولا أمر به وأن تنصبوا فى الخلافة ابنَهُ أبا العباس فانه تربيتى واذا جلس فى الخلافة سمحت نفس جدّته والدة المقتدر واخوته وغلمان

أبيه باخراج المال . فعارض هـذا الرأى أبو يعقوب اسحق بن اسمعيل النوبختى لحسنه وما سبق له فى حكم الله تعالى وقال : بعد الكد استرحنا من له والدة وخالة وخدم فنعود الى تلك الحالة ! وما زال بمونس (٣٨٦) وأسبابه حتى فثأ رأيهم عن أبى العباس وعدل به الى محمد بن المعتضد بالله ليتم المقدار من جرى قتله على يده . وحضر فائق وجه القصعة الحرمي فذكر لمونس ان والدة المقتدر لما بلغها قتل ابنها أرادت الهرب وأنه وكل بها وتوثق منها وذكر ان محمد بن المعتضد ومحمد بن المكتفى معتقلان فى يده فوجه به مونس وأمره باحضارهما وأصعد بهما الى دار مونس بعد ان أطلق بشرى خادمه .

وابتدأ مونس بخطاب محمد بن المكتفى فامتنع من قبول الامر وقال : عمى أحق به . فخاطب حينئذ محمد بن المعتضد فاستجاب واستحلف لمونس المظفر وليلبق ولعلى ابنه وليحيى بن عبد الله الطبرى كاتب يلبق . فلما توثقوا منه بالايمان والعهود بايعوه وبايعه من حضر من القضاة والقواد ولقب القاهر بالله وكان ذلك سحر يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال . وأشار مونس بأن يستوزر له على بن عيسى ووصف سلامته واستقامة أموره ومذهبه ودينه فقال يلبق وابنه : الحال الحاضرة لا تحمل أخلاق على بن عيسى وانه يحتاج الى من هو أسمح منه وأوسع أخلاقاً . فأشار بأبى على ابن (٣٨٧) مقلة وبأن يستخلف له الى أن يقدم من فارس أبو القاسم الكلوذانى فأمضى مونس ذلك وكتب الى أبى على ابن مقلة بالاسراع والى ياقوت بحمله وتعجيله

وانحدر القاهر الى دار الخلافة وصعد الدرجة وانحدر مونس وأسبابه الى دورهم وصرف محمد بن المكتفى الى داره فى دار ابن طاهر واستحجب القاهر بالله على بن يلبق واستكتب على بن يلبق أبا على الحسن بن هرون .

ووجه مونس المظفّر فاستقدم على بن عيسى من الصافية فراسله القاهر على يد الحسن بن هرون واستدعاه فلقى مونسا ثم انحدر الى القاهر فوصل اليه وخاطبه بجميل وذلك قبل ورود ابن مقلة. واستحضر مونس أبا القاسم الكلوذانى وانحدر معه الى دار السلطان وأوصله الى القاهر فعرّفه انه قد استوزر أبا على ابن مقلة واستخلفه له الى أن يقدم وأمره أن ينتقل الى دار مفلح ليقرُب عليه اذا طلبه ففعل ولقيه أصحاب الدواوين وهنؤوه وأمرونهى.

وتشاغل القاهر بالبحث عمن استتر من أولاد المقتدر وحُرمه وبمناظرة والدته وكانت فى علة عظيمة من فساد مزاج وابتداء [٣٨٨] استسقاء ولما وقفت على ما لحق ابنها من القتل وانه لم يدفن جزعت جزعاً شديداً ولطمت رأسها ووجهها وامتنعت من المطعم والمشرب حتى كادت تتلف ورفق بها رفقا كثيرا الى أن اغتدت بيسير من الخبز والملح وشربت الماء. ثم دعاها القاهر فقررها بالرفق مرة وبالتهديد مرّة فحلفت له على انه لامال لها ولا جوهر الا صناديق فيها صياغات وثياب وفرش وطيب وان هذه الصناديق في دار تتصل بالدار التى كانت تسكنها من دار السلطان ووقفته على تلك الدار وتلك الصناديق وقالت: لوكانت [١] عندي مال لما سلمتُ ولدى للقتل. فضربها حينئذ بيده وعلقها [٢] بفرد رجل وأسرف فى ضربها على المواضع الغامضة من بدنها ولم يرع لها احسانها وقتَ اعتقال المقتدر اياه ولما أوقع بها المكروه لم يجد زيادة على ما اعترفت به طوعا. فلما كان مستهل ذي القعدة حضر يلبق وعلى ابنهُ ومعهما أبو القاسم الكلوذانى دار السلطان فأوصلهم الى حضرته فطالبوهُ بحمل مال الى مونس المظفّر لِيُنفق فى صِلة البيعة

(١) كذا بالاصل ولعله حكاية كلامها (٢) فى التكملة: بحبل البرادة

فحدثهم بما فعله بوالدة المقتدر [٣٨٩] وانه ضربها بيده مائة مقرعة ضرب التقرير على المواضع الغامضة من بدنها فما أقرت بدرهم واحد غير ما كانت أقرت به عفوا وقال لهم : هي بين أيديكم . ثم أدخلهم الى الدار التى فيها الصناديق فاذا فيها ثياب وشي وديباج رومي وتستري مثقلة بالذهب وفرش ادمى وخز رقم وديباج وصناديق فيها ثياب فاخرة وصياغات يسيرة ذهب وصياغات كثيرة فضة وطيب كثير من عود هندي وعنبر ومسك وكافور وتماثيل كافور قيمة ذلك نحو مائة وثلاثين الف دينار وقيمة التماثيل نحو ثلثمائة الف درهم فتسلم أكثر ذلك مونس المظفر ليباع فتركوا بعضه ليخدم به القاهر .

وصودر جميع أسباب المقتدر وظهر الفضل بن جعفر فعنى به مونس ويلبق وابنه وخاطبوا فيه القاهر فقال : هذا كان وزير المقتدر ولا بد من مصادرته . فبذل عشرين ألف دينار عاجلة فقال مونس : أنا أزن هذا المال عنه فانه ثقة عفيف كاتب دين . ورسم أن يقلد ديوان الضياع المقبوضة عن والدة المقتدر وديوان أولاد المقتدر وما قبض عنهم وعن سائر الاسباب وأكرم كل اكرام وصار الى [٣٩٠] الكلوذاني فقام له لما حضر ولما انصرف ووقع له القاهر بجميع تلك الدواوين التى ذكرتها فتسلم الدواوين ولم يؤثر فيها شيئاً لانه لم يستحسن وكان بالامس وزير المقتدر أن يتقلد اليوم ديوان المقبوضات عن والدته وأولاده وأسبابه فاستحضر الكلوذاني هشاما وقلده ذلك أزمة وقلد أبا محمد المادرائي ديوان الاصول فكانت مدة ولاية الفضل هذه الدواوين سبعة عشر يوما

وكانت مصادرة أبي بكر ابن ياقوت قد اشتهرت وانه لم يؤد منها الا تسعين ألف دينار فطونب بتمامها . وأخرج القاهر والدة المقتدر لتشهد على

نفسها القضاة والعدول بأنها قد حلت وقوفها ووكلت فى بيعها على بن العباس النوبختى[١] ونوظرت على ذلك فامتنعت منه وذكرت انها وقفته على مكة والثغور على الضعفاء والمساكين ولا أستحل حلها «فأما أملاكى الطلق فقد وكلت على بن العباس فى بيعها» فنهض القاضى عمر بن محمد والشهود الى حضرة القاهر فاشهدهم على نفسه بأنه قد حل وقوفها ووكل فى بيعها على بن العباس النوبختى وفى بيع سوى ذلك من الضياع الخاصة والفراتية والعباسية (٣٩١) والمستحدثة والمرتجعة وما يجرى مجراها في سائر النواحى ووكل أبا طالب النوبختى واسحاق بن اسماعيل وأبا الفرج جلخت في بيع المستغلات بالحضرة المقبوضة وما أمكنهم بيعه من فضل مابين المعاملتين. ورأى أسباب مونس انه لايتم البيع الا بأن يبتدئوا بالشراء منهم فابتاعوا أشياء بنحو خمسمائة ألف دينار

وقدم أبو على ابن مقلة من شيراز فى يوم النحر وكان كتب الى القاهر بالله ويسأله أن يجلس له في الليل لانه كان اختار لنفسه أن يلقاه بطالع الجدى وفيه احد السعدين والآخر فى وسط السماء فوصل فى الوقت الذى قدره وصادف القاهر ينتظره فلقيه وخرج من عنده وقد أعدت له دار هرون بن المقتدر وفرشت فدخلها ووقّع فيها بتقليد قوم وخلع عليه من الغد خلع الوزارة وصار الى دار مونس المظفر فسلم عليه وانصرف الى داره. وحضر الناس للتهنئة وراح اليه فى آخر النهار على بن عيسى فلم يقم له واستقبح الناس له

(١) مات في سنة ٣٢٤ وقد قارب ثمانين سنة وكان حسن الادب والشعر وكان ابنه الحسين يكتب لابن رائق ويدبر أمره : كذا فى الاوراق لابي بكر الصولى وترجمته موجودة في ارشاد الاريب ٥ : ٢٢٩

ذلك وصار اليه أبو بكر ابن قرابة ووفى بوعده فى مداخلتـه اياه والعود الى التخليط كما كنا شرحناه من أمره (١)

ودخلت سنة احدى وعشرين وثلثمائة (٣٩٢)

كان أبو على ابن مقلة عاتباً على الكلوذانى وذلك انه لم يعرف خبر احد من اخوته وولده وحرمه وأسبابه بعد تقليده خلافته ولا صار الى داره ولا قلد أحدا من أسبابه شيئاً من الاعمال ولا تفقد حرمه وولده بشيء واعظم من هذا كله ان أبا عبد الله ابن ثوابة استأذن أبا القاسم الكلوذانى فى وقت خلافتـه أبا على فى ذكر كنيته على الكتب النافذة الى العمال فلم يأذن له . فقبض على الكلوذانى وأسبابه وكان هذا أول ما وبخه به وأخذ خطه بمائتى ألف دينار ونقله مع كاتبه وأسبابه الى أبى بكر ابن قرابة ثم قبض على جماعة من العمال وكتاب الدواوين وقبض على اسحاق بن اسماعيل النوبختي وعلى بنى البريدى وضمن أعمالهم محمد بن خلف النيرمانى بما كانت عليهم وزيادة ثلاثمائة ألف دينار وضمن أيضاً أن يصادرهم على ستمائة ألف دينار وتسلمهم وحملهم الى داره وجميع ذلك بتوسط ابن قرابة فاعتقلهم محمد بن خلف فى داره وفرق بينهم . وجمع أبو على ابن مقلة لمحمد بن خلف مع هذه الاعمال أعمال المعاون نخاف اسحاق بن اسماعيل وبنو البريدى على أنفسهم لما يعرفونه من شدة اقدام محمد بن خلف وتهوره فأما أبو عبد الله البريدي (٣٩٣) فانه دارى محمد بن خلف ورفق به وأوهمه انه يعمل من قبله ويقوم بمال النواحى

---

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وظهر شفيع المقتدرى بأمان وقرر عليه خمسون ألف دينار وكان مملوكا لمونس فحلف أن لابد من بيعه فنودي عليه فبلغ ثمنه سبعين (ألف) دينار فابتاعه الكلوذاني باسم القاهر وشهد الشهود في العهد

وبالزيادة التي بذلها وأن يطيعه في المال كله ويعمل بما يأمره فيه ولا يخالفه فرفعه من بين الجماعة وأوقع بأخويه وعلق عليهما الجرار المملوءة ودهقهما فلم يدعنا بشيء وضيق على اسحاق بن اسماعيل ولم يوقع به مكروها

وكانت بين أبي جعفر ابن شيرزاد وبين اسحاق بن اسماعيل مودة وكيدة فخاطب أبو جعفر الوزير أبا علي في لقاء اسحاق وقال : احتاج أن أواقفه على ما سبب لصاحبي هرون بن غريب عليه في أيام المقتدر وما أطلقه حتى لا يحيل عليّ بما لم يطلقه . فوجه معه بحاجب من حجاب الوزارة فأوصله الى اسحاق فلما وقعت عين اسحاق عليه قال له : ياسيدى الله الله في أمرى بادر الى الاستاذ المظفر ولا تفارقه حتى يخلصنى من يد هذا المجنون . فمضى أبو جعفر الى مونس ولم يزل يسئله حتى دعا يلبق وأمره أن يمضي الى أبي علي ابن مقلة ويخاطبه في أمره فان أطلقه والا انتزعه من يد محمد بن خلف وحمله اليه . فمضى يلبق الى ابن مقلة فخاطبه فلم يجد ابن مقلة بدا من الاستجابة لتقريب أمر اسحق

فحكى أبو الفرج ابن أبي هشام عن أبي سعيد ابن قديدة أن السبب فيما لحقهم عتبُ أبي بكر ابن قرابة (٣٩٤) عليهم لتأخيرهم مالا كان له عليهم وهو الذى قدّمه عنهم فتقاعدوا عن الوفاء له فعاهد محمد بن خلف يوم تضمُّنهم من أبي علي ابن مقلة بستمائة الف دينار على أن يستوفي له من جماعتهم ماقدّمه عنهم ويردّه عليه فلما حصلوا في يد محمد بن خلف استخرج من أبي عبد الله وأخويه عشرين الف دينار وأنفذ قبضَ بعض الصيارف بدرب عون الى أبي بكر ابن قرابة بها وجعل ذلك من دينه عليهم وجدّ بهم . واستسلم له أبو يوسف وأبو الحسين ولحقهما منه مكاره عظيمة وأطمعهُ أبو عبد الله اطماعاً

لم يصح ورفق به. فلما كان في اليوم الثالث ركب محمد بن خلف الى أبي علي ابن مقلة فقال له أبو علي : يا أبا عبدالله غررتنا والقوم في يدك فنفذت مخارقهم عليك وذهبت بربحك . فخجل محمد واغتاظ وقال : قد حملت من جهتهم عشرين الف دينار وانما ضمنت المال في مدة ثلاثة أشهر فأي عتب للوزير عليّ حتى يخاطبني بهذا الخطاب البشع ! فقال الوزير : ماسمعت بهذا الا منك فالى من سلمت المال ؟ قال : الى ابن قرابة . فدعا بابن قرابة وهنأ له عما ذكر محمد بن خلف فقال : انفذ أيها الوزير هذا الخط ووالله ما قبضت ما له من الصيرفي وزعم انه من دين لي عليهم ولو قال انه من الحمل لأنهيت[٣٩٥] حاله في الوقت واذ قد بدا له فها هي الرقعة بارك الله له فيها . وسلمها الى محمد بن خلف فقال محمد : لا والله ما جعلتها من دينك وكيف يجوز أن أقدم مالك على مال السلطان ؟ فاستوحش كل واحد منهما من صاحبه وبلغ أبا عبد الله البريدي خبر المجلس فسرّى عنه واجتهد في أن يكتب رقعة الى ابن قرابة يسئله فيها المصير اليه فلم يجد دواة ولا من يحملها واتفق ان أنفذ أبو سعيد ابن قديدة غلامه أحمد ليشاهد حاله فاستأمن اليه أبو عبد الله ورغّبه في الاصطناع والاحسان ووعده أن يغنيه اذا أوصل رقعة له الى ابن قرابة فاستجاب له الغلام واحتال له في جوفة جعل فيها كرسفا وأحضره قلما صغيرا وقطعة من كاغد فكاتب أبا بكر ابن قرابة وحلف له انه ان أخذه اليه وقاه ماله عن آخره وخدمه أحسن خدمة . فبكر أبو بكر ابن قرابة الى محمد بن خلف وأظهر له انه قد قصده لمعاتبته حتى استوفى المفاوضة معه ثم قال له : أخرج ابن البريدي اليّ فانه يستقيم الى كلامي حتى أقرر مصادرته وأعرف ما عنده[٣٩٦] في ديني . فاخرج اليه أبا عبد الله فقال أبو عبد الله :

أول اقبالى ان قلت لمحمد بن خلف « لم يبق من السحر الا السرار فيتفضل الامير ويخلى لنا مجلسنا » فنهض محمد بن خلف من مجلسه وسلمه الى برفاعته وقال : أنا داخل الى دار الحرم . فتخاطبنا وجلست مجلسه وقعدت مقعده فتفاءلتُ وقلتُ « هذا مجلس كان لى فانتقل اليه وقد عاد الىّ » فاستصلحتُ أبا بكر ابن قرابة ووعدنى بتخليصى ووفى ومضى ففصل أمرنا وضمن الوفاء عنا. فلما كان فى اليوم الثانى رضى عنا أبو على ابن مقلة واستدعانى واخوتى فدعانا محمد بن خلف وسكّن بنا وأنفذنا اليه فلما أردتُ الخروج قلتُ لمحمد ابن خلف : أيها الامير أبو يعقوب اسحق بن اسمعيل خادمك ومونس يعتنى به وسينفذ الساعة من يأخذه فدعنى حتى أستصلحه لك وأعقد بينك وبينه عهدا ويميناً . فقال : افعل . فخلوت باسحق بن اسمعيل وقلتُ له : قد سخرتُ من هذا النفس وأنا منصرف فعاقِدهُ واحلف له ثم قل له « بيننا الآن عهد ولا بد من صدقك ابنُ مقلة يبغضك ويتهمك بأنك تطلب الوزارة وانما أراد أن يستنفر لك الاعداء ويأخذ أموالنا بيدك ثم يحملنا على أن نتضمنك وقد ضمنك أبو عبد الله البريدى (٣٩٧) بثلثمائة الف دينار وحدثنى بهذا فلا تركب أياماً فان كان الوزير سأل عنك فقد حماك منه الخليفة وان طلبك فانما يريد أن يسلمك اليه » ثم انعطفتُ الى محمد بن خلف وقلتُ : قد فرغتُ من القصة والرجل يخدم الاميرَ كما يريد . وخرجنا فأعاد عليه اسحق ما سمعه منى فانصرف قبل العصر بعدى

فلما جلس محمد بن خلف فى منزله ولم يركب الى أبى على ابن مقلة مضى أبو عبد الله البريدى الى ابن مقلة وقال له : قد عرفتُ من دار محمد انه يطلب

الوزارة وأن رسله منبثُّون الى أسباب مونس والى القاهر فلا تدعه يقيم فى البلد . وكان ابن مقلة جباناً فطلبه وكان ذلك القول الاول قد تقدم الى محمد ابن خلف فوثب بخدم ابن مقلة وغلمانه وحاجبه وضربهم وحصّلهم فى بيت وقفل الباب عليهم وتسوّر السطوح وهرب فلم يظهر الا فى وزارة أبى جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله للقاهر بالله . وكان أبو عبد الله البريدى مقيما بالاهواز وعرف محمد بن خلف من بعد ان الحيلة تمت عليه فقال لمن بلّغ أبا عبد الله البريدى : ظننت بك ظنا جميلا ولم أعلم انك فى الحيلة علىّ وكنت قد صدقت عنك فلم أقبل . (٣٩٨) فقال أبو عبد الله البريدى لابى على الكاتب : اكتب الى فائق الغلام أن يقول لمحمد بن خلف : هذه الحيلة يجوز أن تخفى عليك فقد خفى مثلها على من هو اكبر منك ولكن أعظم من ذلك انه كان لنا من الموضع الذى حبسنا فيه طرق الى دور حرمك وذهبت عليك ولم تعرفها فاحترس منها في المستأنف .

وتوسط أبو بكر ابن قرابة أمور الجماعة وفصلها مع ابن مقلة فوقع ابن مقلة باعادة ابنى البريديين الى أعمالهم فاستقامت أمورهم . ولما بطل ضمان محمد بن خلف ما كان ضمنه من ضمانات البريديين واسحق بن اسمعيل صُرف أيضاً عن أعمال المعاون فى هذه النواحى وطلبه ابن مقلة (وكان من وثوبه برسله وحاجبه واستتاره ماذكرناه) ووجه ابن مقلة الى دار محمد بن خلف ثم فتح الباب عن خدمه وغلمانه وحاجبه وانصرفوا .

وكان أبو على ابن مقلة يعادى أبا الخطاب ابن أبى العباس ابن الفرات ولم يكن يجد الى القبض عليه طريقاً ديوانيا لانه كان ترك التصرف عشرين سنة ولزم منزله وقنع بدخل ضيعته وكان سبب عداوة أبى على له انه كان

استسعفه أيام نكبته فاعتذر بالاضاقة ولم يسعفه.[٣٩٩] ثم ان أبا الخطاب طهر أولاده فتجمل كما يتجمل مثله ودعا أولاد أبي علي بن مقلة فشاهدوا مروءة تامة وآلات جليلة وصياغات كثيرة وكان بعضها عارية فانصرفوا وحدثوا أباهم الحديث وعظموا وكثروا وصار أبو الخطاب ابن أبي العباس ابن الفرات الى الوزير أبي علي ابن مقلة في رسمه يوم الموكب للسلام عليه فقبض عليه. فحكى أبو الفرج ابن أبي هشام ان أبا زكريا يحيى بن أبي سعيد السوسي حدثه انه كان حاضرا حين قبض على أبي الخطاب وان الوزير أبا علي أنفذ اليه وسائط وانه كان فيهم وطالب بثلثمائة الف دينار وان أبا الخطاب قال: بماذا يتعلق الوزير علي وقد تركت التصرف منذ عشرين سنة ولما تصرفت كنت عفيفاً سليما ما آذيت أحدا ولي على الوزير حقوق وليس يحسن به أن يتناساها مع اشتهاره بالكرم ويقبح بي أن أهجنه بخطوط له عندي قبل هذه الحال الغالية فقولوا له «أيها الوزير أبو علي ذكرتك بما لو طالبتك برعايتها أو بالمجازاة على ما أسلفتك في أوقات انحراف الزمان عنك أو سألتك ولاية أو اماحة او احسانا في معاملة في ضيعة أو ارفاد[٤٠٠] وهل من الجميل الا اجد عندك اذا رفهتك من هذا كله سلامة في نفسي فيما قد ركبته مني مما اذا صدقت نفسك خفت العقوبة من الله عز وجل ثم قبح الاحدوثة من الناس اما ما ظننته عندي فما الامر كما وقع لك لان هذا المال ان كان موروثا عن ابي رحمه الله فلست وارثه وحدي ولو كان لاقتسمناه ونحن عدة فلم يكن بد من ان يشيع ويعرف خبره وان ظننته من كسبي فتصرفي وما وصل الى منه معروف وما خفيت عنك نزارته ومن بحضرتك من اصحاب الدواوين يشهدون لي باني ماحظيت ببعض مروتي وان ظننته

من استغلال فما استغله مقسوم بين الورثة وان رجعت اليهم بالمسئلة لم تجد ما يخصني في زمان تصرفي الا بعض ما انصرف الى مؤنتي ومروءتي . وقد خاف الوزراء والاكابر أولادا مثلي في كفايتي ودوني فتعرضوا للمواقف واستشرفوا لرتب وراسلوا وروسلوا فهل رأيتني الا في طريق التسلم وراضيا بامتداد ستر الله تعالى والزهد في هذه الدنيا ؟ فأى شيء تقول لله تبارك اسمه ثم لعباده اذا أسأت الي ؟ فلما أعيد هذا الكلام على ابن مقلة من غير جهتنا (فانه كان [٤٠١] انفذ من يتسمع) خجل وتبلد وتحير ثم قال : هذا يدلّ علي بالفراتيّة وأمير المؤمنين ليس يمكنني من رعاية حقوق أمثاله وأنا أنفذه الى الخصيبي فانه أعرف بدوائه . فقمنا وجئت الى الخصيبي فحدثته بما جرى في المجلس وقلت له : أعيذك بالله أن تنتصب للتشرر على الناس وأن يقال ان النعم تزال بك وأنت وزير ابن وزير وقد رفع الله قدرك من ذلك وأجلك بصناعتك وعفافك وأبوتك . فقال : أحسن الله جزاءك ستعلم اني أرده اليه بعد ان أعزر باليسير اليه .

ثم ان أبا علي ابن مقلة استدعى الخصيبي وسامه اليه بعد ان اضطره الى كتب خطه بثلثمائة الف دينار يصححها في مدة عشرين يوماً فاحضر له الخصيبي صاحب الشرطة وجرّده وضربه عشر درر وخلع تخليعاً يسيراً ثم ضربه بالمقارع فأقام على انه لا مال له وان ضياعه قد وقفها ولا يمكنه بيعها فاستعفى الخصيبي منه وردّه الى دار ابن مقلة فحبسه . ثم سلمه الى المعروف بابن الجعفري النقيب واحضر له غلاماً من غلمان القاهر وذكر له انه قد أمر بضرب عنقه ان لم يودّ صدراً من المال فما زال يعللهم الى آخر الوقت ولم يودّ [٤٠٢] شيئا . فلما حضر الوقت احضره السيف وشدّ رأسه وعينيه

فقال له أبو الخطاب : وجهني رحمك الله الى القبلة . فوجهه ثم قال له : برفق . وتشاهد فبادر بالخبر ابن الجعفري الى ابن مقلة فقال ابن مقلة : لا يجوز ان يكون بعد هذا شيء. وقال مونس المظفر لابن مقلة : أيّ طريق على رجل لم يعمل عملاً منذ آخر سنة ٢٩٩ ؟ فأخذه ابن مقلة وسلمه الى حاجبه وأمره ان يعتقله فأقام فيه يومين وحضر أبو يوسف البريدى فشكا اليه ابن مقلة ما أقام عليه أبو الخطاب من التجلد ووسّطه بينه وبينه فصار اليه أبو يوسف وقرّر أمرَهُ على عشرة آلاف دينار خلف أبو الخطاب الا يودّى منها درهماً ولو قتل أو يطلق الى منزله فوجه اليه ابن مقلة بخلعة من ثيابه وحمله على دابة بمركب واستدعاهُ ووثب اليه حتى كاد ان يقوم له ثم قال له : كثر على الخليفة في أمرك وعزيز عليّ ما لحقك فامض مصاحباً الى منزلك. فانصرف وادّى المال في مدّة عشرة أيام وأطلق ضياعهُ وأملاكهُ (١)

وأحضر ابن مقلة اسحق بن اسمعيل وأخذ خطهُ بأن يحمل (٤٠٣) في كلّ شهر من شهور الاهلة مثل ما كان يحمله الى المقتدر بالله لخريطته على سبيل المرفق وهو الفا دينار وأخذ خطّ أبي عبد الله البريدى بحمل ثلاثة آلاف دينار في كلّ شهر على هذه السبيل وخط أبي يوسف وأبي الحسين أخويه بألف وخمسمائة دينار في كلّ شهر

﴿ذكر ما جرى في أمر الذين هربوا من قوّاد المقتدر وما آل أمرهم اليه﴾

كتب هرون بن غريب الى أبي جعفر محمد بن يحيي بن شيرزاد من واسط بأن يقطع أمره على مصادرة ثلثمائة الف دينار على ان يطلق له ضياعه

(١) وفي تاريخ الاسلام انه في سنة ٣٣٨ توفي العباس بن أحمد بن محمد بن الفرات أبو الخطاب والد المحدث أبي الحسن وكان صدراً نبيلا أريد على الوزارة فامتنع تديناً .

الملكُ في سائر النواحي ومستغلاته دون الاجارات والوقوف التي كانت في يده وعلى ان يودّي حقوق بيت المال على الرسوم القديمة ويرتجع اقطاعاته وعُنِي به مونس المظفر وأسبابه وكتب له القاهر أماناً وقبلت مصادرته التي بذلها وقلد أعمال المعاون بماه الكوفة وما سبذان ومهرجا نقذق .

وخرج عبد الواحد بن المقتدر ومحمد بن ياقوت الباهلي وابنا رائق وسرور ومفلح من واسط مفارقين [٤٠٤] لهرون بن غريب من واسط الى السوس وجنديسابور فأفسدوا أمر الأعمال هناك وعاثوا وخرّبوا ومدّوا أيديهم الى التنّاء والتجار ثم خرجوا على الظهر الى سوق الاهواز فلما طال مقامهم بالاهواز شخص يلبق والجيش معه نحوهم فلقيه هرون بن غريب بجرجرايا ثم نفذ لحرب القوم

فأما ما حكاهُ أبو الفرج ابن أبي هشام عن مشاهدةٍ وعِيان فانه قال : ان الهاربين من قوّاد المقتدر مع عبد الواحد ابنه دخلوا سوق الاهواز من طريق الطيب وما دخلوا السوس ولا جنديسابور واستبدّ محمد بن ياقوت بالامور على ابني رائق والجماعة . وقلد أبا اسحق القراريطي كتابة النظر فاستخرجَ وأمر ونهى وكانت الاموال تنصبّ الى ابن ياقوت ويعطى منها ابنا رائق وغيرهما ما يريد فتغيرت له القلوب واعتقدوا الخلاف عليه

وتحقق أبو عبد الله البريدى بأبي على ابن مقلة وكانت الكتب ترد عليه من الاهواز بجميع ما يجرى فأشار بأن يتلاحق أمرهم وقال: ان القوم متخاذلون وابن يافوت مستبدٌّ عليهم وقلوبهم شتى وان ابنى رائق صديقاهُ فان أخرج اليهم جيشٌ [٤٠٥] اختلفت كلمتهم وان تركوا قويت شوكتهم بأموال الاهواز وعقدوا لعبد الواحد الخلافة وطلبوا الحضرة. فأنفذ أبو علي ابن

مقلة أبا عبد الله البريدى الى مونس حتى شافهه بذلك كله فقال مونس : قد ترى الحيرة فى مال البيعة وقد استحق الناس رزقة لان الحادثة بالمقتدر منذ ثلاثة أشهر فمن أين المال ؟ فقال أبو عبد الله البريدى : أنا أضمنه ويسبب علىّ وأقدّم بالحضرة ثلاثين ألف دينار وأصحح بالسوس خمسين الف دينار وبتستر عشرين ألف دينار والباقى بالاهواز . وأحضر صاحب ديوان الجيش وعمل جريدة لمن تجرّد مع يلبق واجمل مالهم فبلغ مائتى وخمسين الف دينار فحمل أبو عبدالله الثلاثين الالف الدينار التى ضمن تعجيلها بالحضرة وخوطب القوّاد وتكاثرت العساكر مع يلبق وأبوعبدالله البريدى معه. وخرج بدر الخرشنى فى الماء وكوتب أحمد بن نصر القشورى وكان يتقلد البصرة ان يسير معه فلما تحصلت الجيوش بواسط تغيرت القلوب على محمد بن ياقوت وتبين ذلك فقال للجماعة : أنا واحدٌ منكم ولستُ أخالفكم فى رأى ولكن الوجه أن نجتمع بتستر (٤٠٦) فانها حصينة منيعة وندبر أمرنا بما يوفق الله عزّ وجلّ له ولا نحارب . ووافقهم على مال يعطيهم وساروا للوقت الى عسكر مكرم وأفرجوا عن قصبة الاهواز فعمل القراريطى بها مالا يعمله الدمستق وفتح الدكاكين بالليل وبعث اليها البغال وحمل منها أمتعة التجار وصادر الاسود والابيض ولما ورد الخبر بنزول يلبق السوس نفذت الجماعة الى تستر وورد البريدي وسلك طريق القراريطى وزاد ومازال يحتال حتى وفّى الخمسين الالف الدينار ثم وافى يلبق والجيوش جسر تستر فوجده مقطوعا وحال بينه وبين تستر دُجيل .

فحكى عن أبى عبد الله البريدى بعد ذلك انه قال : هممتُ بالتغلب ووضعتُ فى نفسى الامرة وتدبير الرجال منذ ذلك لمّا رأيتُ انحلال يلبق

وسقوط ابن الطبرى كاتبه لاني رأيتهما متخلفين ساقطين . وكان الشارد قد طار وضجّ يلبق واضطرب رجالهُ فهمّ بالانصراف فثبته أبو عبد الله البريدى وما زال يتردّد الى القوّاد ويهزّهم ويهاديهم ويسكنهم ويكاتب ابنى رائق بالمودة ويشير عليهما بمفارقة ابن ياقوت ويذكر لهما سوء اخلاقه وشدة عجبه وتطاوله (٤٠٧) عليهما حتى استجابا الى تقلد البصرة والانصراف عن تستر . فما عرف ابن ياقوت الخبر حتى ضربا بالبوق بكرةً ورحلا فلم يكن له بهما يدان لانه لو كاشفهما لعبر العسكر الذى بازائه اليه وقتل أو أسر

ولما توجه ابنا رائق الى البصرة استأذن مفلح وسرور فى العبور بعبد الواحد الى يلبق وقالوا لمحمد بن ياقوت : قد ضعفت نفوسنا وأنت معتصم برجالك ونحن فلا عدة لنا ولأصحابنا الا غلماننا. فردّ الاختيار اليهم كاتبوا وتوثقوا لنفوسهم من يلبق وعبروا اليه وتحير محمد بن ياقوت فراسل يلبق فى أن يحلف بسلامة نيته اذا لقيه ليعبر اليه ويفاوضه ويعود الى معسكره فأجابه وحلف له على ذلك وعبر اليه محمد بن ياقوت بدرّاعة بيضاء وعمامة وجمشك فى رجله ومعه غلام واحد وقت العصر فقام له يلبق وتفردا وتطاولا حديثاً ما عرف فى الوقت . واشتعلت النيران فى ثياب البريدى وتردّد دفعات الى ابن الطبرى يشير بالقبض على ابن ياقوت وراسل ابن الطبرى يلبق بذلك وقال له : البريدى خليفة الوزير وثقة الاستاذ مونس يشير بذلك ولست أقول أنا شيئا . فقال يلبق : ما كنت بالذى أخفر أمانتى (٤٠٨) وأحنث فى يمينى ولو ذهبت نفسى . وحضر وقت الصلوة فقام محمد بن ياقوت تحت الفازة فى موضع فسح فأذن وأقام وتقدم للصلوة يلبق واكثر العسكر وراءه ولما استتم المكتوبة انثنى الى يلبق معانقاً له فقام اليه وودع كل

واحد منهما صاحبه وعاد محمد بن ياقوت الى عسكره . وظهر السر وكان تعاتبهما أولا ثم تحالفا وامافدا واصطلحا على أن يسيرا الى الحضرة بشروط الامان على أن يكون بينهما فى المسير منزل فنزل

ورحل محمد بن ياقوت بعد ثلاثة أيام من تستر الى عسكر مكرم ودخل يلبق تستر فعمل بها البريدى أعظم مما عمل القراريطى بكثير لان الناس توقوا منه فلما رأوا اصحاب السلطان أنسوا . فأتى البريدى عليهم وكبس اليهود وهم معظم التجار وتجاوز كل قبيح ووفى بالمائة الالف الدينار وسار يلبق الى الاهواز وأهلها هاربون من محمد بن ياقوت فسلموا لانهم مضوا الى البصرة. وابتلى البريدى أهل عسكر مكرم وتستر فأيسر ما عمل ان ركب الى دور الصيارف فأخذ ما وجد من الاموال لهم ولمن يضاربهم وخسف بالسواد حتى صحح ليلبق مائتى الف دينار (٤٠٩) وبقيت على البريدى خمسون الف دينار وعنى به ابن الطبرى لان البريدى خدمه خدمة تامة حتى انه كان يحضر أبواب البيع فى البلدان ويجلس على غاشيته ينتظر خروجه فاذا خرج سأله أن يعطيه برشائه فاذا اعطاه قبله وجعله فى كمه واشهد له بضياع ارتفاعها عشرة آلاف دينار فكان ذلك سبب عناية ابن الطبرى به . وخاطب له يلبق وقال له : أبو عبد الله ثقة ونجعل هذه الخمسين الالف الدينار فيما يخص الأمير (وكان مالهُ فى الجملة) وقد خدم وبيّض وجه الأمير فيما خدم ودبر وبدّد شمل هولاء وانه لأحقُّ بمجلس أبى على ابن مقلة منه وأنفذ فى التدبير والامور . فأجابهُ يلبق الى ما سأل وخلف غلاماً عند البريدى يقال له ايتاخ

ورحل ابن ياقوت الى شابرزان وتبعهُ يلبق ودخلوا مدينة السلام. وأطلقت أملاكُ ابني رائق ومحمد بن ياقوت ومُفلح وسرور دون اقطاعاتهم وأطلق لعبد الواحد بعض أملاكه القديمة وأعفى هو ووالدته من المصادرة وعادت يد ابن البريدى الى عمالة الاهواز واستقامت الامور. وخلع القاهر على يلبق وطوّقه وسوّرَهُ (٤١٠) بطوقين وسوارَين مرصّعَين بالجوهر

وخرج أمر القاهر ببيع دار المخرّم التي كانت برسم الوزارة وكانت قديماً لسليمان بن وهب فقطعت وبيعت من جماعةٍ من الناس بمال عظيم لان ذرعها يشتمل على أكثر من ثلثمائة الف ذراع وصرف ثمنها فى مال الصلة لبيعة القاهر بالله

وورد الخبر بموت تكين الخاصة بمصر (١) فاشار الوزير أبو على ابن مقلة بانفاذ على بن عيسى اليها للاشراف عليها فابتدأ بالاستعداد للخروج ثم صار الى أبي على ابن مقلة فى بعض المشايا وصادفهُ خالياً فعرّفهُ كبر سنهِ وضعف حركتهِ ونقصان قوّتهِ وانه لايستشفع اليه بغير كرمه ولا يوسط بينه وبينه أحدا غيره وحلف على موالاتهِ ايماناً أكّدها وسأله اعفاءهُ من الشخوص وتذلل له وانكبّ على يده ليُقبلها فمنعه من ذلك وخاطبه بمعرفته بحقهِ وعلهِ بمكانه فاعفاه من الشخوص فانصرف على بن عيسى شاكراً. وورد كتاب محمد بن تكين يخطب مكان أبيه فاجيب الى ذلك وحُمل اليه الخلع والعهد.

وكتب القاهر رُقعةً بخطه الى أبي على ابن مقلة بالتكنية وزيادة فى التشريف والرتبة وأمره (٤١١) ان يكتب بذلك الى الامصار والاعمال كلها ففعل ذلك ثم حمل اليه خلعةً بعد خلعة للمنادمة وحمل اليه صينية فضة مذهبة

(١) ليراجع كتاب الولاة لابي عمر الكندى ص ٢٨١

فيها ند وعنبر وغالية ومسك وصينية أخرى فيها رَطلية بلور فيها شراب مطبوخ عتيق وقدح بلور وكوز ومغسل فضة .

وشغب الجند بمصر على محمد بن تكين فقاتلهم وهزموه

وفى هذه السنة استوحش مونس المُظفر و يلبق وعليّ ابنه والوزير أبو على ابن مقلة من القاهر بالله فضيّقوا عليه وعلى أسبابه

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان السبب فى ذلك انحراف الوزير أبى على ابن مقلة عن محمد بن ياقوت فسكّن فى قلب مونس المُظفّر ويلبق وعلى ابنه انه فى تدبير عليهم مع القاهر بالله وان عيسى المتطبب يترسل للقاهر اليه فوجه مونس بعلى بن يلبق الى دار السلطان وسأل عن عيسى فعُرّف انه بحضرة القاهر فهجم عليه غلمان على ابن يلبق فوجدوه واقفا بحضرة القاهر فقبضوا عليه وأخرجوهُ اليه فنفاه من وقته الى الموصل . واجتمع رأى مونس ويلبق وابنه والوزير أبى علىّ على الايقاع بمحمد بن ياقوت والنداء فى أصحابه[٤١٣] الا يقيموا ببغداد .

فلما كان يوم الاربعاء لليلة خلت من جمادى الآخرة خرج على بن يلبق فى الجيش ومعه طريف السُبكرى للايقاع بمحمد بن ياقوت وبلغ محمد ابن ياقوت ذلك فانكشف من معسكره من ميدان الاشنان وطلبهُ على بن يلبق فلم يقف على خبره وذلك انه دخل الى بغداد واستتر بها وتفرق رجالهُ وانصرف على بن يلبق من فوره الى دار السلطان وأوقع التشدّد على القاهر ووكل بالدار أحمد بن زيرك وأمره ان يفتش كل مَن يدخل ويخرج من الرجال والنساء والخدم ويفتش كل ما يدخل الى القاهر ففعل أحمد بن زيرك ما أمره به حتى بلغ الامر به أن فتش لبناً حُمل الى القاهر وأدخل يده فيه لئلا

يكون فيه رقعة . ونقل على بن يلبق المحبوسين فى دار السلطان الى داره من والدة المقتدر وغيرها ومُنع القاهر أرزاق حشمهِ وأكثر ما كان يقام له وطالب على بن يلبق القاهر ان يسلم اليه ما بقي عنده من الفرش وأمتعة والدة المقتدر وابن الخال فسلَّم ذلك اليه وبيع وحُصّل ثمنه فى بيت المال وأطلق للجند . وباع أبو على ابن مقلة من الضياع وأملاك السلطان لتمام (٤١٣) الصلة للبيعة بالفى ألف وأربعمائة الف دينار مع ما باعهُ الكلوذانى أيام خلافته اياه قبل قدومه من شيراز . ومكثت والدة المقتدر عند والدة على بن يلبق مكرمةً مرفّهةً مدّة عشرة أيام وماتت لستّ خلون من جمادى الآخرة لزيادة العلة عليها ولما جرى عليها من مكاره القاهر فحملت الى تُربتها بالرصافة ودفنت فيها .

وفيها هم على بن يلبق والحسن بن هرون كاتبه بلعن معاوية بن أبى سفيان على المنابر فاضطربت العامة من ذلك وتقدم على بن يلبق بالقبض على البربهارى (١) رئيس الحنبلية فنذر به وهرب وقبض على جماعة من كبار

(١) هو الحسن بن على بن خلف أبو محمد البربهارى الفقيه العابد شيخ الحنابلة بالعراق ومات سنة ٣٢٩ كذا فى تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي وفى ترجمته انه كان شديداً على المبتدعة له صيت عند السلطان وجلالة وكان عارفاً بالمذهب أصولا وفروعا وصحب سهل بن عبد الله التستري وانه لما قبض على أصحابه استتر هو وأعاده الله الى حشمته وزادت . ثم لم تزل المبتدعة يوحشون قلب الراضى بالله عليه (وهذا في سنة ٣٢٣ كما سيأتي ذكره) فاختفى البربهاري الى ان توفى مستتراً ودفن في دار أخت توزون مختفياً . فقيل انه لما كفن وعنده الخادم صلى عليه وحده فنظرت من الروشن ست الخادم فرأت البيت ملآن رجالا بثياب بيض يصلون عليه فخافت وطلبت الخادم تهدده كيف أذن للناس فحلف ان الباب لم يفتح . ويقال انه تنزه عن ميراث أبيه لم يأخذه وكان سبعين ألفاً .

أصحابه وجُعلوا فى زورق مطبق وأحدروا الى البصرة

وفيها نفذت حيلة القاهر على مونس المظفر وانعكس ما دبره الوزير أبو على ابن مقلة من القبض على القاهر حتى قبض على مونس ويلبق وابنه وهرب أبو على بن مقلة والحسن بن هرون

﴿ ذكر انعكاس هذا التدبير ﴾

لما ضيّق على بن يلبق على القاهر وعومل بما ذكرناه أخذ القاهر فى الحيلة على مونس وأصحابه وبابنه فساد نيّة طريف السبكرى وبشرى ليلبق وابنه (٤١٤) ومنافستهما اياهما على مراتبهما الجليلة ثم علم أن مونسا ويلبق أكثر اعتمادهما انما هو على الساجيّة وكانا وعداهم بالموصل اذا دخلا بغداد أن يجلاهم برسم الحجرية وانهما ماوفيا لهم بذلك وان نيّاتهم متغيرة لهما. فراسل القاهر الساجية وهزّ بهم على مونس ويلبق وضمن لهما أن ينقلهم الى رسم الحجرية (وكان الساجية يقبضون في كل ستين يوماً برسم المماليك والحجرية يقبضون فى كل خمسين يوماً) وان يلحقهم فى النزل والعلوفة بالحجرية .

وكان بين اختيار القهرمانة وبين أبى جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله معرفة قديمة وبينها وبين والدته مخالطة فأشارت على القاهر بمكاتبته وأن يعده بوزارته ليعاونه على التدبير على مونس وأصحابه وأشارت على محمد بن القاسم بأن يكاتب القاهر ويصدقه عن تدبير أبى على بن مقلة وابن يلبق عليه. وكانت اختيار هذه تخرج من دار السلطان الى دار القاهر القديمة التى فى دار ابن طاهر وتظهر أن خروجها فى حوائج حرم القاهر وولده فاذا كان بالليل صارت الى محمد بن القاسم ولقيته . وبلغ أبا على ابن مقلة أن القاهر قد جدّ فى التدبير عليه وعلى مونس ويلبق وابنه (٤١٥) والحسن بن هرون وحملهم على

الجد والمبادرة الى خلعه من الخلافة واتفق رأيهم على تقليدها أبا أحمد ابن
المكتفي بالله ووافقوا شاذ مروز حماة ابراهيم بن خفيف صاحب ديوان
النفقات وكانت متحققة بابي أحمد على ما دبروه وعقدوا الامر سرًّا لابي أحمد
ابن المكتفي بالله وحلف له يلبق وابنه وأبو على ابن مقلة والحسن بن
هرون ثم كشفوا ما فعلوه لمونس فقال لهم مونس : لست أشكّ فى شر
القاهر وقد أسرفتم فى الاستهانة به وأخطأتم في تقليده الامر فلا تعجلوا
الآن وترفقوا حتى تؤنسوه ويأنس وينبسط اليكم ثم حينئذ تقبضون عليه.
فقال على بن يلبق والحسن بن هرون : الحجبة الينا والدار فى أيدينا وما نحتاج
ان نستعين باحد في القبض عليه لانه بمنزلة طائر فى قفص. وعملوا على معاجلته
فاتفق ان ركب يلبق الى الميدان فصدمه خادم له فسقط واعتلّ ولزم
منزله وتمكن على بن يلبق من متابعة ابن مقلة وحسنوا الامر عند مونس
وهوّنوه عليه وعلى يلبق حتى أذنا فيه . فلما كان يوم السبت سلخ رجب
انصرف أبو على ابن مقلة من دار السلطان واجتمع اليه كتابه وأخوه ومن
جرى عادته بمواكلته (٤١٦) وفيهم أبو بكر ابن قرابة فلما فرغ من طعامه
التفت الى أبي بكر ابن قرابة فقال له : قد وافى صديقك القرمطى الى
الكوفة فى ثلاثة آلاف راحلة ومعه صاحبه فلان ودخل الكوفة ونادى
بانه قد آمن الرعية سوى أصحاب المعروف بمحمد المتلقّب بالقاهر . فقال ابن
قرابة : أيها الوزير هذا باطل لان ابن بسر الكوفى جارى واليوم كان عندى
وقد وقعت عليه أطيارٌ باخبار السلامة . فقال أبو على: سبحان الله أنت وابن
بسر أعرف من صاحب المعونة بالكوفة وقد سقط من عنده طائرٌ على أبى
الحسن ابن يلبق وقد جاءنى سعيد بن حمدان ومعه رجل من الاعراب قدقتل

نفسه وقطع عدّة من الافراس نخبر عن معاينة ومشاهدة . وكان ابن مقلة قد واطأ سعيد بن حمدان على ذلك . ثم دعا بالدواة وثلث قرطاس وكتب بخطه الى القاهر رُقعة يقول فيها : ان القرمطي الهجري المعروف بابي طاهر قد وافى الكوفة فى ثلاثة آلاف راحلة فنزلها وسقط علىّ من عامل الخراج وعلى علىّ بن يلبق من عامل المعونة طائران بكتابين بتاريخ يومنا هذا بنزوله ونزول أصحابه بها وانى أنا ويلبق سترنا ذلك عن القوّاد (٤١٧) والجند وخواص الدولة لئلا يذيع الخبر وتضعف قلوب الاولياء وقد اتفقتُ مع مونس على اخراج على بن يلبق مع أكثر قوّاده وقوّاد أبيه الى نواحى الكوفة ليدفع القرمطى عن الرحيل منها الى بغداد وهو يخرج فى سحر غد ماراً الى صرصر من حيث لا يضرب بباب بغداد مضرباً حتى يلحق به الرجال وقد وجه النقباء فى عشية يومنا وقد وافقت علىّ بن يلبق على الرواح الى دار مولانا أمير المؤمنين ليصل اليه ويودّعهُ وعملتُ على التأخر لئلا يشيع الخبر بحضورى فى غير وقت حضور مثلى الدار ويفسد التدبير فى خروج على بن يلبق بكرة غد وأنهيت ذلك الى أمير المؤمنين ليقف عليه ويسكن الى ما دبرتهُ وينعم بايصال علىّ بن يلبق اذا حضر العشية ان شاء الله . وأنفذ الرقعة ونام فكتب القاهر فى جوابها : وانه استصوب فعلهُ وبانه يوصل ابن يلبق اذا حضر . ولما انتبه ابن مقلة من النوم لم ينتظر ورود جواب رقعته الى القاهر وأعاد اليه رُقعةً ثانيةً بمثل ما كتب به فلما وصلت الثانية الى القاهر ولم تكن الحالُ تقتضيها لنفوذ جوابه عن الاولى استراب وخاف ان تكون حيلة عليه . ثم نم اليه (٤١٨) الخبر من جهة طريف السبكرى بما عمل عليه على بن يلبق من القبض عليه اذا أوصله اليه فاخذ القاهر حذرَهُ وراسل

الساجية بالحضور وعرّفهم ان علي بن يلبق يحضر لحيلة يوقعها فحضروا متفرّقين . فلما كان بعد العصر حضر على بن يلبق وفى رأسه نبيذ ومعه عدد يسير من غلمانه بسلاح خفيف فى طياره وأنفذ جماعة من غلمانه بسلاح الى دار السلطان وصعد من طيّاره فى الروشن وراسل القاهر يسألهُ ايصاله اليه فدافعه القاهر الى أن حضر الساجيةّ كلهم بالسلاح . فبرزوا اليه وشتموهُ وعملوا على القبض عليه وحامى عنه غلمانه وحاجبهُ ابن خندقوقي وحالوا بينه وبينهم ونادى بهم وطرح نفسه من الروشن الى الطيّارة وعبر واستتر من ليلته . وبلغ ابن مقلة الخبر فاستتر من ليلته واستتر الحسن بن هرون وأبو بكر ابن قرابة وانحدر يلبق الى دار السلطان وانحدر بانحداره جميع من حضر دار مونس من القوّاد. وقدّر يلبق انه يمسح القاهر ويعتذر لابنه فلما حصل فى الدار قبض عليه وحبس وقبض على أحمد بن زيرك وعلى بن الاعور صاحب الشرطة وحصل الجيش (٤١٩) كله فى دار السلطان .

فراسل حينئذ القاهر مونسا وسأله الانحدار اليه ليشاوره فيما يعمل وقال له : أنت عندى كالوالد وما أحبُّ ان أعمل شيئاً ولا أمضى عزما الا عن رأيك فاعتذر مونس بثقل الحركة عليه وألحّ القاهر فى طلبه وسأله الحمل على نفسه فاستقبح له طريف السبكرى التأخر وحملهُ على الانحدار فلما حصل فى الدار قبض عليه وحبس

﴿ وزارة أبي جعفر محمد بن القاسم ﴾ (١)

فكانت وزارة على ابن مقلة للقاهر تسعة أشهر وثلاثة أيام ووجه القاهر الى أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله فاستحضره يوم الاحد

(١) هذه الترجمة زدناها

مستهل شعبان فلقيه وقلده وزارته ودواوينه وخلع عليه من غد وهو يوم الاثنين خلع الوزارة ووجّه القاهر من يومه بمن استقدم عيسى المتطبب من الموصل وطرحت النار فى دار أبى على ابن مقلة بباب البستان وأحرقت ووقع النهب ببغداد . وظهر محمد بن ياقوت وصار الى دار السلطان وخدم فى الحجبة يومه ذاك ثم وقف على كراهية طريف السبكرى والساجيّة والحجريّة اياه فاحتال الى ان تمّ له الهرب واستتر وانحدر الى أبيه وهو بفارس (٤٢٠) فلم يتجاوز كورة ارّجان ولا لقى أباهُ . وكان جاس فى الماء بزىّ أصحاب المحابر [1] وركب البحر ووافى مهروبان وجاء ليلا الى ارّجان فنزل على أبى العباس ابن دينار . وحمل اليه أبوه مالاً وكسوة ودوابّ وكانت له على فارس تسبيبات فاستوفاها ولحق به رجالهُ وكاتبهُ القاهر بما يسكّنهُ منه وأعلمه انه عجل على نفسه واستوحش وقلده المعاون بكور الاهواز فاقام بارّجان حتى اعتل وكان يفسد مزاجه ثم انتقل الى رامهرمز . وكان القاهر قد كاتب مرداويج بالافراج عن أصبهان ليقلده الرىّ والجبل ويصير فى جملة الاولياء ويزول عنه العصيان فاتم له . وكاتب وشمكير بالانصراف عن أصبهان فانصرف وبقيت شاغرة سبعة عشر يوما خالية من مدبر وكاتب القاهر محمد ابن ياقوت بتقليده أصبهان وأمره ان يسير اليها وكان ذلك بعقب هزيمة المظفر بن ياقوت وبعد انصراف على بن بويه من أصبهان . فاخذ محمد بن ياقوت فى التأهب فبقى هو كذلك اذ ورد عليه الخبر بخلع القاهر فانتكث أمرهُ.

ولما استتر على بن يلبق وهرب محمد بن ياقوت استحجب القاهر

(١) وفى التكملة : بزى الصوفية

سلامة الطولونى وطلب المستترين وقلّد أبا العباس أحمد بن [٤٢١] خاقان الشرطة ببغداد وطلب أبا أحمد ابن المكتفى فوجده مستترا فى دار عبد الله بن الفتح فقبض عليه وتقدّم القاهر بان يقام فى فتح باب ويسدّ عليه بالجص والآجرّ وهو حيّ ففعل [١] وأمر بنهب دور بني مقلة ودار الحسن بن هرون ودار أبي بكر ابن قرابة . ووُجد على بن يلبق مستترا بقُرب باب المقبرة وكبس وأخذ من تنور كان دخله لما أحس بالكاس وأطبق على نفسه بغطاء التنور وقد كان خفى أمره وخرج من كان يفتش عنه حين لم يجده فاتفق ان تأخر بعض الرجالة لطلب شئ يأخذه من الدار فانتهى الى التنور وطلب فيه خبزا يابسا فلما كشفه وجد على بن يلبق فصاح حتى رجع القوم وأخذوه وحملوه الى دار السلطان . وضرب بحضرة القاهر ضربا مبرحا فاقر بعشرة آلاف دينار فوجدت وصُحّحت فى بيت المال ثم أعيد الضرب عليه فلم يوجد له غيرها وحبس

وكان الحسين بن القاسم بن عبيد الله مستترا فراسله أخوه الوزير محمد ابن القاسم بن عبيد الله وسأله ان يظهر ويعينه حتى يقلده ديوان السواد وديوان الجيش وديوان النفقات ويستخلف له الكلواذى وابراهيم بن خفيف وعثمان بن سعيد [٤٢٢] وحلف له بحضرة السفير الذى كان بينهما بالله العظيم وبسائر ايمان البيعة بعتق مماليكه وبطلاق نسائه على صحة ضميره له

---

(١) وفى تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٢١: قال ثابت بن سنان : قبض المقتدر على أبي أحمد بن المكتفي واعتقله لانه بلغه أن جماعة سعوا في خلافته. وذكر أيضاً عن الصولى أن القاهر ضربه ضرباً مبرحاً يقرره على المال فما دفع اليه شيئاً ثم أمر به فلف في بساط الى أن مات رحمه الله

وبان باطنه له مثل ظاهره فيما بذلهُ له وكتب له بذلك رقعة بخطه أشهد فيها الله على نفسه وتسلم ذلك السفيرُ وحمله الى الحسين فاعاد عليه ما جرى ولم يزل محمد يتوقع أخاه الى آخر النهار . فحكى ابن أخيه القاسم بن الحسين ان عمّه الوزير أبا جعفر صار فى الليلة الى الحسين أخيه وليس معه غلام فخاطبه فى الظهور وسأله معاونته بنفسه وأعاد عليه تلك الايمان حتى وعده بالرواح اليه وعرف الحسين أصحابهُ فاجتمعوا بالعشى له وركبوا بركوبه وصار الى أخيه وكان الوزير أخوه قد أعدّ له زورقا مطبقا فلما حصل عنده أمر بتحصيله فى الزورق . فوقفت والدتهُ على خبره فجاءت حتى وقفت له على شاطئ دجلة فى الموضع الذى ينزل منه الى طياره وهناك خلق من الناس فاستغاثت اليه وكشفت شعرها بين يديه وأظهرت ثديها وحلّفته بكل حق لها عليه ان يطلق ابنها فلم يلتفت اليها ولا يفكر فيها وجلس فى طيّاره وانحدر الى دار السلطان فلم يبق أحد ممن حضر (٤٢٣) الا استقبح فعله ودعا عليه وذهب فحكى للقاهر انه انما طلب أخاه الحسين ونفاه الى الرقة لما كان يعتقد من مذهب ابن أبى العزاقر وانه خاف منه على الدولة . فوكل القاهر بدور بني بسطام لما كان يذكر عنهما فى اعتقادهما لدين ابن أبى العزاقر

﴿ ذكر مقتل مونس ويلبق وعلىّ ابنه ﴾

اضطرب حال مونس ويلبق وشغبوا وشغب معهم سائر الجيش وخرجوا الى الصحراء ثم قصدوا دار الوزير أبى جعفر محمد بن القاسم وأحرقوا روشنه ونادوا بذكر مونس فكان ذلك سبب القتل لمونس . ودخل القاهر الى الموضع الذي كان فيه مونس ويلبق وابنه معتقلين فذُبح على بن يلبق بحضرته ووجه برأسه الى أبيه فلما رآه جزع وبكي بكاء عظيما

ثم ذبح يلبق ووجه برأسه ورأس أبيه الى مونس فلما رآهما لعن قاتلهما فأمر به فجرّ برجله الى البالوعة وذُبح كما يذبح الشاة والقاهر يراه . وأخرجت الرؤس الثلاثة فى ثلاث طسات الى الميدان حتى شاهدها الناس وطيف برأس على بن يلبق فى جانبي بغداد ثم رُدّ الى دار السلطان وجُعل مع سائر الرؤس فى خزانة الرؤس (٤٢٤) على الرسم (١)

قال ثابت : فحدثنا سلامة الطولونى الحاجب انه لما أخرجَ اليه رأس مونس ليصلحه فرّغ الدماغ منه ووزنه فكان ستة أرطال وسمعت انا ذلك من الجُفني وكان حاضرهُ

ومما جرى في ذلك انه كبس جماعة من الفرسان والرجالة أبا بكر ابن نباتة العدلَ الدقاق فى درب الريحان وأظهروا أن السلطان وجّهَ بهم لطلب الحسن بن هرون وأخذوا من منزله ثلاثين ألف دينار وطرحوا منديلا على رأس واحد منهم وأخرجوه وأظهروا انه الحسن بن هرون فركب أحمد بن خاقان فى طلب القوم فظفر بواحد منهم وقرّره فاقرّ على جماعة ظفر ببعضهم ووجد اليسير من المال وقتل من وُجد من هؤلاء الكباسين.

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام . ثم ذبح يمن وابن زيرك ثم أطلقت أرزاق الجند فسكنوا واستقامت الامور للقاهر وعظم في القلوب وزيد في القابه « المنتقم من أعداء دين الله » ونقش ذلك على السكة . ثم أحضر عيسي المتطبب من الموصل وأمر أن لا يركب في طيار سوى الوزير والحاجب والقاضى وعيسي المتطبب . وقال أبو بكر الصولى في كتاب الاوراق : حدثنى الراضى قال: لما قتل القاهر مونساً ويلبق وابن يلبق أنفذ رؤسهم الىّ مع الخدم يتهددنى بذلك وأنا فى حبسه لانى كنت فى حجر مونس ففطنت لما أراد وقلت «ليس الا مغالطته» فسجدت شكراً لله وأظهرت للخدم من السرور ماحملهم على ان جعلوا التهدد بشارة وجعلت أشكره وأدعوله فرجعوا بذلك

وفيها خرج أمر القاهر بتحريم القيان والخمر وسائر الانبذة وقبض على من عرف بالغناء من الرجال والمخانيث والجوارى المغنيات فنفى بعضهم الى البصرة وبعضهم الى الكوفة وبيع الجوارى على انهن سواذج (١) وكان القاهر مع ذلك مولعا بشرب الخمر ولا يكاد يصحو من السكر ويسمع الغناء ويختار من جواري القيان من يريد

وسعى بأبي عبد الله ابن مقلة (٢) (٤٢٥) فوجد وقبض عليه ووجد عنده خطوط أخيه أبي علي في رقاع فحمل الى دار الوزير أبي جعفر فسأله عمن كان يوصل اليه الرقاع فذكر ان أبا عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى (٣) كان ينفذها اليه فقبض عليه وعلى أخيه وسئلا عما يعرفان من خبر أبي علي بن مقلة فحلفا انهما لا يعرفان له خبراً منذ استتر وعرّف القاهر انهما من قواد السلطان وسُهل أمرهما فأطلقا ولم يستترا وكانا يركبان في أيام المواكب الى دار السلطان .

---

(١) ساذجة غير بالغة : كذا في لسان العرب ٣ : ١٢١ (٢) وردت ترجمته في كتاب ارشاد الاريب ٣ : ١٥٠ (٣) هو مذكور في كتاب الفهرست ص ١٢٧ وفيه انه صنف كتاب الوزراء ذكره هلال الصابي في كتاب الوزراء ص ٢ ونقل منه أبو علي التنوخي في الفرج بعد الشدة ١ : ١٠٨ وتوجد نسخة كتاب الجهشيارى في كتبخانة وين وقال في حقه أبو بكر الصولي في كتاب الاوراق (في سنة ٣٢٤ في وزارة أبي جعفر الكرخي) : وقبض على أبي عبد الله ابن عبدوس وصودر على مائتى الف دينار فتكلم سعيد بن عمرو في خطيئه والوزير يخالفه حتي شرق الامر بينهما فكان ذلك سبب زوال الكرخي وقال أيضاً انه في سنة ٣٢٦ هجم الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات بعقب خروجه الى الشام على أبي عبد الله ابن عبدوس وطواب بمال عظيم ثم تقرر أمره على خمسة عشر الف دينار وأخذت منه بالوف منها جارية حسنة كانت له وترك له من أجلها الباقي

وقبض الوزير أبو جعفر على أبي جعفر محمد بن شيرزاد واحتج عليه بأنه قد تقلد أعمالا جليلة وابتاع من المبيع ضياعا كثيرة وان ارتفاعه قد بلغ الف الف درهم في السنة فتوسط بينه وبينه اسحاق بن اسماعيل وأخذ خطه بعشرين الف دينار وأطلق الى منزله من يومه

﴿ ذكر السبب في تقليد أبي العباس الخصيبي الوزارة ﴾

كان بنو البريدى بعد استتار ابن مقلة والجماعة استتروا فقلد الوزير مكانهم على أعمالهم أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي فتوسط اسحاق بن اسماعيل أمرهم فأخذ لهم (٤٢٦) امانًا من الوزير حتى ظهروا: ثم أشار اسحاق على الوزير أبي جعفر بان يخاطب القاهر في أمر بني البريدى ويعرفه أن الوجه ردهم الى ضمانهم بالبصرة والاهواز فقبل الوزير مشورته وخاطب الخليفة وعرفه انه ذامٌّ لمحمد بن القاسم الكرخي لتقصيره في أمر استخراج الاموال وحملها وان البريديين أقوم بذلك وأطمعه في أن يزداد عليهم في مقدار مال الضمان فوعده القاهر وقال: حتي أنظر في ذلك . واستدعى القاهر عيسى المتطبب وأعاد عليه ما جرى وكان عيسى كارها للوزير محمد بن القاسم لانه لم يكن له مدخل في تقليده الوزارة لغيبته بالموصل فطعن على هذا الرأى وعلى الوزير أبي جعفر وأشار بتقليد الخصيبي الوزارة فأمره القاهر بلقاء الخصيبي ومسئلته عما عنده في أمر البريديين وغيرهم فصار اليه وتقرر الامر معه وضمن استخراج أموال جليلة

وكتب الى القاهر على يد عيسى انه متي ظهر انه تقلد الوزارة استتر من عنده الاموال التي وعد باستخراجها وان الوجه أن يتقدم الى الوزير بالقبض على جماعة سماهم على مهل فاذا قبض عليهم وجه القاهر فحملهم الى داره وانتزعهم

من يد الوزير فتركهم معتقلين أياما ثم قبض على الوزير محمد بن القاسم . ففعل القاهر ذلك (٤٢٧) وتقدم الى سابور الخادم بالمصير الى دار الوزير والقبض على بني البريدى واسحاق بن اسماعيل فوجه سابور بثقة له الى دار الوزير لينظر هل يجدُ فيها بني البريدى واسحاق بن اسماعيل فيرجع اليه بالخبر. وكان بنو البريدي قد نصبوا أصحاب أخبار على سابور وسلامة وأصحاب القاهر فبلغهم ما تقدم به سابور الى الرجل الذى وجه به يتعرف أخبارهم فاستتروا . وكان سابور قد قال لثقاته : ان الخليفة امرني بتفتيش دار اسحاق لانه قد بلغه أن جواريه قد سترن جماعة من جوارى القيان . وأمرهم أن يستعدوا للركوب معه فبلغ الخبر اسحاق من وقته ولم يقع له ان ذلك لمكروه يراد به فقال لجواريه . ان صار اليكم سابور بطلب المغنيات فلا تمنعوه ودعوه يفتش . وانحدر هو الى دار الوزير وصار سابور الى دار الوزير أبى جعفر فوجد اسحاق بحضرته فقبض عليه وحمله الى دار السجان

ووجه القاهر بمن كبس دُور البريديين فلم يوجدوا وكبست دُور اسحق في النوبختية وعلى شاطئ دجلة ونهارب حرمه وولده وسلموا وقبض على أحمد بن على الكوفى كاتبه . واستحضر القاهر على بن عيسى وعرّفه انه ليس (٤٢٨) لوزيره نظرٌ فى أعمال واسط وسقي الفرات وكانت فى ضمان اسحق وقلده هذه الاعمال واعتمد فى تدبير المعاون فيها عليه ووقع له بخطه فتقلده على بن عيسى

وورد الخبر بموت أبى على أحمد بن محمد بن رستم باصبهان (١) وان المظفر

(١) وفي ارشاد الاريب ٦ :٤٢١ انه رتب مكانه أبو مسلم بن بحر (المتقدم ذكره ص٦٠) فعزل هو بدخول على بن بويه أصبهان بعد هزيمته المظفر بن ياقوت (سيأتى ذكرها)

ابن ياقوت مدّ يده الى ماله ودوابه لخازها لنفسه وكان المظفر اليه أعمال المعاون باصبهان فتنكر القاهر له ولابيه ولاخيه . وسُعى بأبى يوسف البريدي فكبس عليه واخذ وحمل الى دار الوزير محمد بن القاسم فأجمل عشرته وكتب القاهر الى الوزير بأن يقرّر معه مصادرته ومصادرة أخويه فأحضره الوزير وخاطبه وسامَهُ ان يقرّر الامر معه فى مصادرتهم فقال له أبو يوسف : اذا وثقنا بأن الامر لك وانك مقرّ على الوزارة قررنا الامر معك فاما ونحن نتحقق ان الوزارة لغيرك فلا يجوز فصل الامر معك. فلما كان يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة انكسف القمر وقبض القاهر على الوزير محمدبن القاسم أنفذ اليه سابور الخادم فأخذه وأخذ من وجد فى داره وفيهم أبو يوسف البريدى وغيره فنقلهم الى دار السلطان فكانت (٤٢٩) مدّة وزارة أبى جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان للقاهر ثلاثة أشهر واثنى عشر يوماً.

ووجه القاهر الى اسحق بن على القنّائى وأحضره وأحضر معه عبد الوهاب بن عبد الله الخاقانى على ان يقلّد أحدهما الوزارة والاخر الدواوين فلما حضرا قبّل القوّاد أيديهما وجلس بين أيديهما سلامة الحاجب فلم يلبث ان خرجت رسالة القاهر بالقبض عليهما وإدخالهما الحبوس الغامضة . ثم وجّه القاهر الى سليمان بن الحسن واستحضره للوزارة وحضر فى طيّاره وتلقاه القوّاد والناس وقبّلوا يده وجلس الاستاذون بين يديه فى دارالسلطان ووجّه القاهر من قبض عليه وأدخله الحبوس الغامضة . ووجه الى الفضل ابن جعفر للوزارة وقد ظهر ما عمله بالخاقاني وبسليمان فاستتر الفضل ولم يتقرّر الوزارة لاحدٍ فى ذلك اليوم .

فلما كان من الغد تقدّم القاهر الى عيسى المتطبب ان يحضر الخصيبي يوم الخميس ويأمره بالتأهُّب للوزارة وان يحضر بسوادٍ وسيف ومنطقة فراسله عيسى بذلك فحضر كما رُسم له وخلع عليه خلع الوزارة وركب فيها الى داره ولقيه الناس فهنئوه (٤٣٠) ونظر فى الدواوين وقلّدها من استصلحهُ. ونصب ديواناً للمبيع واحضر الناس وناظرهم والزمهم لفضل مابين المعاملتين خمسين ألف دينار وكتب لهم شروطا ووقع لهم فيها بالامضاء وصادر الناس وقبض على خلق.

وتوسط عيسى وسلامة الحاجب أمر البريديين بعد مكاره عظيمة لحقت أبا يوسف على اثنى عشر ألف ألف درهم وكتبت الامانات لاحمد وعليّ ابنى البريدى بخطّ الخليفة والوزير واشهدا القضاة والعدول فيها على أنفسهما فظهرا. فحكى أبو زكريا السوسى وأبو سعيد بن قديدة انأبا عبد الله البريدى حضر عند أبى العباس الخصيبي بطيلسان وعمامةٍ وخفّ وهما معه فاستخلاهُ المجلس فاخلاهُ له فعاتبه عتاباً طويلاً وذكّرهُ بحقوق كثيرة وضروب من الخدمة خدمهُ بها فى أوقات مختلفة عند نكبات كانت للخصيبي وقال له فى آخر كلامهِ : انما اعددتك بجميع هذا للدنيا لا للآخرة وأنت معذور فى أمر المال لانك تزعم انه بأمر الخليفة وطاعتهُ واجبة وفى ضربك أبا يوسف لانه تماتن عليك لِمَ ذكرتَ أمّ أبى يوسف وهى أمّى ولِمَ استحسنتَ قذفها اما استحققتُ عليك بجميع (٤٣١) حقوقى هذه ان تصونها عن الذكر بالقبيح لاجلى ؟ فخجل الخصيبي وقال : صدقتَ كان يجب ان أفعلَ ذلك ولكن لم أضبط نفسى عند الغيظ وأنا معتذر اليك ودع

ما مضى الخليفة مقيمٌ على انه لا بدّ من الف الف دينار وقد وصفتك لأمير المؤمنين وقلتُ « أبو يوسف حرجُ الصدر وأبو عبد الله أخوه رَحْب الصدر ولا يخالف أمير المؤمنين » ولولا ذلك لنقل أبا يوسف اليه ولما امتنتُ عليه فأحبُّ ان تكفيني امرَكما فحسبي حيائي مما مضى واكتبْ خطك بزيادة الفي الف درهم . فقال أبو عبد الله : لقد أغنيتني أيها الوزير وما قصّرتَ وأحسنتَ العذر والتلافي . فقال له : بحياتي لما كتبت . فقال : أكتبْ وأنا آمن أيّها الوزير مما أقول والله ما املك ولا اخواني هذا المال فان عطف الله قلب الخليفة وقلبك علينا تصرّفنا وادّينا وان حرمنا ذلك استدفعنا القتل الى مدّة فان الله قد أجرى عادتنا بالكفاية ونحن نرجو تفضلهُ . فقال الخصيبي ولم يكن فى المجلس الاّ أبو زكريا وابن قديدة مستخرجُ الخصيبي : يا أبا عبد الله قد قسمت ووفيت الرأى . . . . (١)
وضحك وأخذ خطهُ بألفي الف درهم زيادة وانصرف . (٤٣٢)

وكان أبو عبد الله البريدى قد تحقق بأبي بكر محمد بن رائق وتناهى أبو بكر فى إكرامهِ ووافقه أبو بكر على ان يتنجز تسبيباتهِ وتسبيبات رجاله على الاهواز ويخرج اليها ويتغلب عليها . وشخص هو عن البصرة لئلا يتمّ هذا الرأى بمقامهِ عنده فينسب اليه فلما وافى واسطا وجد بها أبا الحسن على ابن عيسى وقد عمرَ واسطا فعقدَها عليه القاهرُ (لانه كان من قِبله لا من قبل الوزير) بثلاثة عشر الف الف درهم . واشهد على أبي عبد الله البريدى بالضمان واستخلف أبو عبد الله أبا الحسن محمد بن حمد بن حمدون الواسطى وأقام مدّة خمسين يوماً بالنعمانية ينظر فى أعمال الموفقى ثم مضى الى بغداد

(١) بياض في الاصل

وركب يوماً هو وأخوه الى سوق الثلاثاء ينتظرون خروج الخصيبي فراسله عيسى المتطبّب بأن القاهر قد عزم على القبض عليهم فانحطّوا عن دوابّهم وغيّروا زيّهم واستتروا فما ظهروا حتى خلع القاهر من الخلافة وتقلّدها الراضي بالله

وفي يوم الاثنين لاربع خلون من ذى الحجّة من هذه السنة ورد كتاب على بن خلف بن طناب الى الخصيبي يذكر فيه مصير رجل من وجوه قوّاد الديلم الذين كانوا مع مرداويج الى نواحى ارّجان يقال له على بن بُوَيه (٤٣٣) وان هذا الرجل كان ضامناً لنواحى ماء البصرة فانكسر عليه مالٌ لمرداويج ففزع منه وعصى عليه وصار فى أربعمائة من الديلم الى ارّجان وتغلّب عليها .

﴿ ذكر السبب فى ظهور على بن بويه والاتفاقات التى اتفقت له حتى ملك ما ملك ﴾

كان أبو الحسن علي بن بويه وأخوه أبو على الحسن بن بويه من قوّاد ما كان بن كاكي ولم يزل الحال بين ما كان وبين مرداويج جميلا منذ اتفقا على قصد اسفار بن شيرويه وانصرافه عن قلعة سميران بالطرم . وكانا يتهاديان ويتلاطفان الى ان قتل مرداويج أسفار كما كتبنا أخبارهما فيما تقدم وملك نواحي الري والجبل واستعلى أمره وقوى بالمال والرجال . وقصد ما كان نواحى آمل وطبرستان فملكها وامتدّ الى نيسابور عند انصراف نصر بن أحمد صاحب خراسان عنها واشتغاله باخويه الخارجين عليه فلما فرغ من استصلاح خراسان عاد الى نيسابور وراسل ما كان يسأله ان يعود الى مكانه وان يفرج عن نيسابور ويلطف له ويستبقى الحالَ بينهما ففعل ما كان ذلك وعاد الى جرجان وطبرستان

وابتدأت الحال[1] تنقدح بينه وبين مرداويج على طريق التحاسد والتباغى فاستدعى (٤٣٤) مرداويج خلفاءه بالجبل وأصبهان وسائر نواحيه وجميع جيوشه وسار الى ما كان فثبت له ما كان واستظهر عليه مرداويج وهزمه وملك طبرستان ورتب فيها بلقسم بن بالحسن[2] وكان اسفهسلاره ومدبر جيشه وكان رجلا نجدا جيد الرأى فى الحرب . ثم مضى الى جرجان وكان فيها من قبل ما كان شيرزيل بن سلاّر وباعلى بن تركى فهربا جميعا وملكها مرداويج ورتب فيها سرخاب بن بلوس على خلافة بلقسم بن بالحسن لان سرخاب خال ولد بلقسم لجمع لبلقسم جرجان وطبرستان وعاد الى أصبهان ظافراً غانماً . ثم قصد ما كان أبا الفضل الثائر[3] مستنجداً له فاكرمه وعظمه ثم سار معه بنفسه الى طبرستان وبها بلقسم بن بالحسن وكان مستعداً لهما فبرز اليهما وتحاربوا فانهزم الثائر وما كان جميعاً . فأما الثائر فعاد الى بلده بالديلم وأما ما كان فامتد على طريق الساحل مفلولاً ضعيفاً حتى ورد جرجان ثم منها الى نيسابور قاصداً بها أبا على أحمد بن محمد بن محتاج صاحب جيش خراسان فدخل فى طاعته واستنجده . وأقام بلقسم بن بالحسن بجرجان الى ان بلغه مسير أبى على أحمد بن محمد بن محتاج اليه مع ما كان فكتب الى مرداويج يستمده (٤٣٥) فامدّه بأكثر عسكره ووجوه أصحابه وبالغ فى تقويته

(١) لعله النار (٢) كذا بالاصل وفي كتاب العيون : أبو القاسم بن أبي الحسن

(٣) هو أبو الفضل جعفر بن محمد الثائر بن أبى عبد الله الحسين الشاعر المحدث بن أبى الحسن على العسكرى بن الحسن بن على الاصغر بن عمر الاشرف العلوى الحسينى والحسين المحدث هو أخ لابي محمد الحسن الناصر الكبير الاطروش امام الزيدية وملك الديلم المتوفي سنة ٣٠٤ وكان وفاة جعفر بن محمد الثائر في سنة ٣٤٥ كذا فى كتاب عمدة الطالب لاحمد بن على بن عتبة : لكنؤ ص ٣٠١

ووافى ابن محتاج وما كان فبرز اليهما وواقعهما فظهر عليهما وهزمهما فانصرفا الى نيسابور . ثم كرّ ما كان كرةً أخرى على نواحي الدامغان طامعاً فى ان يستولى عليها وكان فيها من قبل مرداويج الجيش بن اوميذوار فسار اليه بلقسم بن بالحسن حتى اجتمعا على دفع ما كان فانهزم ثانياً ويئس من هذه الأعمال فانفذه صاحب خراسان الى كرمان وقلّده اياها وكان بها أبو على محمد بن اليأس بن اليسع وواقعهُ وهزم أبا على وملك كرمان على طاعة صاحب خراسان .

فأما أبو الحسن على بن بويه وأخوه أبو على الحسن فانهما عند هزيمة ما كان الاولى وضعفه انحازا الى مرداويج بعد ان استأذناه وقالا : ان الاصلح لك مفارقتنا اياك لتخفّ عنك مؤونتنا ويقع كلّنا على غيرك فاذا تمكنتَ عاودناك . فأذن لهما واقتدى بعلى بن بويه جماعة من القوّاد لما صار على بن بويه وأخوه أبو على الى مرداويج فقبلهما وأكرمهما وخلع عليهما وقلّد كل واحد من قوّاد ما كان ناحية من نواحي الجبل أما على بن بويه فانه قلّده الكرج وأما الاشكرى بن مردى فانه ردّهُ الى عمله وكان متقلّدا دیناوند وأما (٤٣٦) سليمان بن سركلة فانه قلّدهُ همذان وكذلك سائر القوّاد

﴿ ذكر سبب تمّ به لعلي بن بويه ولايتهُ وصُرف الباقون ﴾
﴿ بأجمعهم قبل وُصولهم الى أعمالهم ﴾

كان السبب فى ارتفاع على بن بويه وبلوغه مابلغ سماحة كثيرة كانت فى طبعه وسعة صدره . واقترن بهذا الخلق الشريف خلق آخر اشرف منه وهى شجاعة تامّة كانت له واتصل بجميع ذلك اتفاقات محمودة ومولد سعيد . فمن ذلك انه لما قلّد الكرج وقلّد الجماعة المستأمنة معه النواحي التي ذكرناها

وكتبت لهم العهود ووردوا الريّ وبها وشمكير وأبو عبد الله الحسين بن محمد الملقب بالعميد (وهو والد أبي الفضل ابن العميد وزير ركن الدولة) وكان ناظراً في الامور بالريّ فعُرضت عليه بغلة حسنة كانت لعلي بن بويه أراد بيعها والاستعانة بثمنها وكان ثمنها ثلاثة آلاف درهم قيمتها مائتي دينار فاشتراها وحمل المال اليه فظهر لعلي بن بويه انها تشترى لابي عبد الله العميد فقادها اليه وحلف الاّ يأخذ ثمنها ثم تابع ذلك بملاطفات كثيرة الى ان غمرَه بالبرّ. ثم أوجب الرأي عند مرداويج ان يتعقب ما أمر به من تولية (٤٣٧) أولئك القوّاد وكتب الى أخيه وشمكير والى أبي عبد الله العميد بمنعهم من الخروج من الريّ وان كان بعضهم خرج مُنع من بقي. وكانت الكتب تصدر أولا الى العميد فيقف عليها ثم تعرض على وشمكير جملها فحين وقف على الكتاب تقدّم الى علي بن بويه سرّاً أن يبادر الى عمله فسار من وقته وساعته وطوى المنازل وأصبح العميد من الغد فأظهر الكتب فلما عرضها على وشمكير كان قد صار علي بن بويه على مسافة بعيدة فمُنع من لم يكن خرج من أولئك القوّاد. وفاز علي بن بويه بالولاية التي كانت سبب ملكه وتمكنه وليس يُعرف لجميع ذلك بعد قضاء الله عزّوجلّ سببٌ الاّ سخاءهُ وسعة صدره.

فلما وصل الى الكرج ابتدأ بالاحسان الى الرجال وملاطفة عامل البلد فكان العامل يكتب بشكره وضبطه الناحية وحمايته. واتفق ان افتتح قلاعاً كانت في أيدي الخُرّميّة في تلك الاطراف ووقع بين أربابها خلافٌ فانحاز بعضهم اليه واظهرَهُ على ذخائر جليلة صرفها كلها الى استمالة الرجال واستعطاف القلوب. فلما عاد مرداويج الى الريّ سبّبَ أموال جماعةٍ من

قوّاده (٤٣٨) على ناحيـة الـكرج وفيهم ابراهـيم بن سيارَهى [١] المعروف بكاسك وجماعة أ كبرمنهم فاستمالهم على بن بويه وأفضلَ عليهم حتى أوجبت الجماعـةُ طاعتهُ . فاتصل ذلك بمرداويج فأوحشـهُ ذلك وندم على إخراج أولئك القوّاد الا كاتب اليه وكاتبهُ بالمصير اليـه وكاتب القوّاد بمثل ذلك . فدافعهُ وتعالل عليـه ورفق به الى ان أخذ العهود والمواثيق عليهم وعـلم استيحاش الجماعة وخوّفهم من غـدر مرداويج وسطوته فحينئذ خرج بهم عن الـكرج وجمع أ كثر ما قدرعليه من المال . واستأمن اليه من جرباذقان شيرزاد أحـد قوّاد الديلم فى أربعين رجلا فقويت نفسـه وعرَضَ رجالهُ فـكانوا ثلاثمائة رجـل وكسرا لـكنهم أعيان ونخب مستظهرين بالآلات والعدَد وتوجّه الى أصبهان وبها أبو الفتح ابن ياقوت فى نحو عشرة آلاف وأبو علي ابن رُستم يلى الخراج فقـدّم اليهما كتباً جميلةً وعرّفهُما انه ينحاز اليهما داخلا فى طاعة السلطان فدافعاهُ عن ذلك . وكان أبو على بن رسـتم أشدّ الناس كرهاً له وانـكاراً لقدومهِ واتفق موت أبي علي ابن رستم وبرز أبو الفتح ابن ياقوت (٤٣٩) حتى صار من أصبهان علي ثلاثة فراسخ . وكان فى أصحاب ابن ياقوت ديلمٌ وجيـل كثير مقدارهم ستمائة رجـل وكانوا يسمعون فضلَ على بن بويه وعطاءهُ وسعة صـدره فاستأمنوا اليه وواقعهُ الوقعـة وانهزم ابن ياقوت لما ضعف باستئمان هؤلاء ولما ظهر له من ثبات الديلم واضطراب أصحابه ومضى نحو فارس . وملك على بن بويه أصبهان فقوى شأنه وكبر في عيون الناس لانه هزم بمائتين من أصحابه ألوفاً والوفاً من أصحاب السلطان وبلغ ذلك مرداويج فأقلقهُ ودبّر فى أمرهم تدبيراً لم يتم له

(١) وفي كتاب العيون : ابن بشار المعروف بكاسك

﴿ ذكر حيلة مرداويج التي لم تتم له ﴾

أشفق مرداويج أن يستأمن أصحابه الى على بن بويه لما يسمعون من اقباله ولما انتشر من صيته وفيض عطائه ولان سيرة مرداويج كانت سيرة صعبة لا يسكن اليها أحدٌ ولا يصبر عليها من له نفس أبية فرأى أن يراسل على بن بويه بعتاب وتأنيس ويرفق به ويستدعى جوابهُ وضمن ضمانات له يرغب في مثلها ووجه فى أثره أخاه وشمكير فى عسكر عظيم كثيف قوى فعلم على بن بويه ان الرسالة لا تشبه التأهب له (٤٤٠) فنذر به فرحل عن اصبهان بعد ان جباها شهرا وتوجه الى أرجان وبها أبو بكر ابن ياقوت فانهزم بين يديه الى رامهرمز من غير حرب ودخلها على بن بويه واستخرج منها أموالا قوى بها .

ووردت عليه كتب أبى طالب زيد بن على النوبندجانى يستدعيه ويشير عليه بالمسير الى شيراز ويهوّن عنده أمرَ ياقوت وأصحابه لتهوره فى جباية الاموال وكثرة مؤنته ومؤنة جنده وقلة وطأتهم على الناس مع فشلهم وخورهم . فاشفق على بن بويه ان يلقى ياقوتاً مع صيته وكثرة رجاله وأمواله وحصول ابنه أبى بكر بن ياقوت من ورائه فابى على أبى طالب وتمنع عليه ولم يقبل مشورته . فشجّعه أبو طالب وأعلمه انه ان توقف لم يأمن أن يتفق بين ياقوت ومرداويج أمرٌ يجتمعان له عليه وان أعداءه كثير ومتى اجتمعوا عليه لم يقم لهم وتمكنوا بطول الزمان من التدبير عليه وربما لحق مدد السلطان فتجتمع الجيوش من كل وجه والصواب لمن كان فى مثل صورته ان يبادر ويعاجل من بين يديه ولا ينتظر بهم الاحتشاد وانشاء التدابير عليه ولم يزل يراسل على بن بويه ويهوّن عليه الخطب ان بادر ويعظمه

ان توانى[٤٤١] وتأخر الى ان سار نحو النوبندجان. وسبقه مقـدّمة ياقوت وهي فى نحو الفي رجـل وفيهم وجوه أصحابه وشجعانهم مثـل المعروف بكورمرد الخراسانى وابن خركوش وكانا شـديدين مذكورين بالباس ومعهما أشباههما من أهل النجـدة فوافاهم على بن بويه الى النوبندجان فلم يثبتوا وانهزموا الى كركان وجاءهم ياقوت وأصحابه الى هـذا الموضع. فنصب أبو طالب النوبندجانى وكلاءه وثقاته لخدمـة على بن بويه وتنحى بنفسه الى ضيعة له مغالطةً لياقوت وراسـل ياقوتاً ان الخوف الذى شمله والناس ألجاه الى الهرب والتباعد واستشاره فيما يعمل وهو مع ذلك مجتهـد فى نصيحـة على بن بويه وارشاده الى صواب الرأى واهداء الاخبار اليـه ودلالته على المسالك والطرق. وأقام لمؤنته وازاله من نزيح علته فى الجميع حتى أضافه وجميع عسكره أربعين يوما ولزمته مؤونة عظيمة يذكر ان مبلغها مائتا الف دينار. وأنفـذ على بن بويه أخاه أبا على الى كازرون وغيرها من أعمال فارس فاستخرج منها أموالا عظيمة وأثارذخائر جليلة كانت للأكاسرة يتوارثها قوم هناك فزاد[٤٤٢] استخراجه على استخراج أخيه. وأنفذ ياقوت عسكرا ضخما الى الحسن بن بويه فواقعهم بالنفر اليسير الذين معه فهزمهـم وصار موفوراً الى أخيه على بن بويه. ثم اتفق أن تم عليـه مواطأة ياقوت ووشمكير ومرداويج وبلغه من ذلك ما أوجب ان يسير الى كرمان فتوجه من النوبندجان الى اصطخر ومنها الى البيضاء وياقوت يتبعه بجميع عسكره ويقفو أثره وانتهى بعلى بن بويه المسير الى قنطرة كان الطريق عليهـا الى كرمان فسبقه ياقوت الى القنطرة وحال بينـه وبين عبورها واضطرّه الى الحرب

﴿ دخلت سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ﴾

وابتدأت الحرب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة سنة ٢٢ وأصبحوا يوم الاربعاء على أشد ما تكون الحرب . فاستدعى على ابن بويه أصحابه ليلة الخميس وأعلمهم انه يترجل معهم ويقاتل كأحدهم ووعدهم ومناهم واستوثق منهم الايمان فى الثبات والجهاد والجد

﴿ ذكر اتفاق جيد اتفق لعلى بن بويه وردى جداً ﴾
﴿ على ياقوت مع تدبير سيئ وتسرع ﴾
(من ياقوت غير صواب)

أما التدبير السيئ الذى استعمله ياقوت وتسرع فيه فانه استأمن اليه من أصحاب على بن بويه (٤٤٣) رجلان من وجوه الديلم فخين وقفت عينه عليهما أمر بضرب أعناقهم وتيقن الديلم انه لا أمان لهم عنده فشحذ ذلك بصائرهم وجاهدوه جهاد المستقتلين . وأما الاتفاق الذى اتفق عليه فانه باكر الحرب يوم الخميس وقدم على مصافه رجالة كثيرة من أصحابه يحاربون بمزاريق النفط والنيران فانقلبت الريح واشتدت للوقت فاحترق شيء من مصافّ ياقوت وأكبّ الديلم على أولئك الرجالة فقتلوهم وانهزم الفرسان وزحف الديلم على تعبيتهم .

﴿ ذكر تدبير دبره ياقوت فى حال الهزيمة فلم ينفذ له ﴾
﴿ واحترز منها على بن بويه فظفر ﴾

لما أشرف الديلم على سواد ياقوت عند هزيمته وهزيمة أصحابه طلب نشزاً من الارض عالياً فى طريقه فصعد اليها وركز عليها رأيته فاجتمع اليه نحو من أربعة آلاف رجل . وظن أن الديلم يتسرعون الى خزائنه ويشتغلون

بالنهب فيضطرب نظامهم ويكرّ عليهم (وهذه لعمرى مكيدة طال ماصارت سببا لظفر قوم بعد هزيمتهم) فقال لاصحابه : لا تفرقوا وتأهبوا للكرّة فانها الظفر لا محالة . وأحسّ علي بن بويه بذلك فبرز أمام مصافه ونادى أصحابه وقال لهم : لا تبعدوا ولا تنقضوا تعبيتكم فان الخصم (٤٤٤) واقف ينتظر اشتغالكم بالنهب ثم يعطف عليكم ولم يبق له غيرهذه المكيدة. وأعلمهم أن الغنيمة لا تفوت فلما رأى ياقوت ثباتهم وامتناعهم من النهب واحترازهم من مكيدته مضى على وجهه منهزما وملك على بن بويه جميع ذلك السواد . ووجد لياقوت صناديق فيها برانس وقيود وما أشبه ذلك كان أعدها للاسارى فاشار جماعة من قوّاد على بن بويه بان يجعل ذلك لاسارى رجال ياقوت وأن يجعل البرانس على رؤسهم والقيود فى أرجلهم ويشهر بهم فى المعسكر ثم فى البلد فابى ذلك على بن بويه وقال : بل نعدل عن هذا الى العفو عمن أظفرنا الله بهم من أعدائنا ونشكر الله على هذه النعمة فانه ادعى للمزيد وأبعد من البغى والطغيان .

ثم امتد الى الزرقان يوم الجمعة والى الدينكان يوم السبت وتوالت المستأمنة والشحنة وأ كابر الناس اليه وتتابعوا فتقبل الجميع وأحسن اليهم قولا وفعلا وصفح عن كل من بلغه عنه خشن فى الخطاب أو اساءة فى عمل وأحسن فى سيرته حتى اطمأن اليه الناس وأمنهُ أعداؤه . وعسكر بظاهر شيراز ونادي فيها ببثّ العدل (٤٤٥) وأمان للناس من جميع ما يكرهون وأمر العامة بالانتشار فى معائشهم والخروج الى مصالحهم آمنين ففعل الناس ذلك

ثم اضطرّ بعد ذلك الى سيرة أخرى لكثرة مطالبات الجند واقتراحاتهم

وبلغ من أمره ما سنكتبه فى موضعه بمشيئة الله وعونه

وفيها ورد كتاب أبى جعفر محمد بن القاسم الكرخى وكان يتقلد أعمال الخراج والضياع بالبصرة والاهواز بتاريخ يوم الثلاثاء لاربع خلون من المحرم بان الكتب وردت عليه بدخول أصحاب مرداويج اصبهان وانه خرج من جملة مرداويج قائد جليل كان يتقلد ماه البصرة وفاز بمال جليل وهرب الى أرجان يقال له على بن بويه وانه كتب اليه انه فى طاعة السلطان وهو يستأذن الوزير فى ورود الحضرة أو النفوذ الى شيراز لينضم الى ياقوت مولى أمير المؤمنين

وفى هذه السنة صار أصحاب أبي طاهر القرمطى الى نواحى توّج وسينيز فى مراكب وخرجوا منها الى البلد فلما بعدوا من المراكب أحرقها صاحب لياقوت كان يتقلد البلد ثم اجتمع مع أهل البلد واوقع بالقرامطة وقتل منهم وأسر ثمانين رجلا فيهم رجل يعرف بابن الغمر . (٤٤٦) فقدم رسول محمد بن ياقوت بهؤلاء الاسارى فادخلهم مشهرين فوضع على رأس ابن الغمر منهم قرونا وكانوا على جمال بدراريع ديباج وبرانس حتى دخلوا دار السلطان فاعتقلوا بها

وفيها قتل القاهر اسحاق بن اسماعيل وأبا السرايا نصر ابن حمدان

(ذكر السبب فى ذلك)

كان السبب فى قتله اسحاق انه كان أراد شراء الجارية المعروفة برتبة قبل الخلافة وكانت موصوفة بالجمال والغناء فزايده اسحق بن اسماعيل فيها واشتراها . وسبب قتله أبا السرايا انه كان أراد شراء جارية أخرى قبل الخلافة فاشتراها أبو السرايا . فحكى ثابت عن خادم حضر قتلهما قال : جاء

القاهر فوقف على رأس بئر كانت فى موضع ذكره ثم استحضر اسحاق فأحضر وهو مقيّد فأمر بطرحه فى تلك البئر فرمينا به فيها بقيده وهو حي. ثم أمر باحضار أبى السرايا فأحضرناه وهو مقيّد فأمر بطرحه فى تلك البئر فمازال أبو السرايا يتضرع اليه ويسئله العفو وهو لا يلتفت اليه وتعلق بسعف نخلة كانت بقرب البئر فأمرنا بضرب يده فضربناها فخلى عن السعفة ودفعناه [٤٤٧] فى البئر ثم أمر بطم البئر فطرحنا عليهما التراب حتى امتلأت وهو واقف . فسبحان الله العظيم ما أعجب أمر المقادير ! أراد مونس لما قتل المقتدر أن ينصب فى الخلافة أبا العباس بن المقتدر فما زال اسحاق بن اسماعيل مجتهدا قائما قاعداً الى أن عدل بها الى القاهر بالله وهو لا يعلم انه انما يسعى فى حتف نفسه ليتم الامر المقدور

وفيها حضر دار سلامة الحاجب أبو بكر بن مقسم وقيل انه ابتدع قراءة لم تعرف للقرآن . وأحضر ابن مجاهد[١] والقضاة وناظروه فاعترف بالخطأ وتاب فأحرقت كتبه .

وفيها خرج رجل من الصغد يعرف بابى على محمد بن الياس واجتاز بكرمان حتى بلغ باب اصطخر وأظهر لياقوت انه يريد أن يستأمن اليه ثم عرف ياقوت ان ذلك حيلة منه فخرج اليه ياقوت فلم يثبت له ابن الياس وانكفأ راجعا الى كرمان وصار اليه من قبل صاحب خراسان ما كان بن كاكى الديلمى فواقعه وانهزم ابن الياس وصار الى أعمال فارس فواقعه

---

(١) هو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس البغدادى شيخ العراق فى عصره توفى سنة ٣٢٤ كذا في تاريخ الاسلام . وأما ابن مقسم فهو محمد بن الحسن بن يعقوب توفي سنة ٣٥٤ وترجمته موجودة في ارشاد الاريب ٦ :٤٩٨

ياقوت وانهزم ابن الياس .

وفيها استوحش الحجرية والساجية من القاهر فدبروا عليه وتم لهم القبض عليه (٤٤٨)

﴿ ذكر السبب فى القبض على القاهر ﴾

كان السبب فى ذلك ان أبا على ابن مقلة كان يراسل الساجية والحجرية فى استتاره ويضرّيهم على القاهر ويوحشهم منه والحسن بن هرون يفعل مثل ذلك ويلقاهم بالليل وهو يتزيا بزىّ السؤال وفى يده زبيل وفى وقت بزىّ النساء الى ان شحذ نياتهم وجمع كلمتهم على قصد القاهر والفتك به وحذّرهم منه وعرّفهم انه قد بنى لهم المطامير واحتال من جهة منجم كان لسيما (١) حتى لقّنه ان يقول لسيما من جهة النجوم انه يخاف عليه من القاهر ويحذّره منه . وأعطى الحسن بن هرون هذا المنجم مائتى دينار فملأ عينه حتى مكّن فى نفس سيما الخوف من القاهر وكان سيما يقبل منه ويستحسن إصاباته ثم دسّ اليه من جهة منامات يدعيها أشياء حتى اشتدّ خوف سيما من القاهر . فلما كان يوم الاثنين لاربع خلون من شهر ربيع الاخر وقع بين الغلمان الحجرية وبين الغلمان الساجية خلاف وذكر الساجية أن القاهر يريد أن يفتك بسيما وهو رئيس الساجية وخرج سيما من دار السلطان مبادراً الى داره واجتمع اليه الساجية بأسرهم والقوّاد فى السلاح (٤٤٩) وأقاموا عنده الى آخر النهار ثم انصرفوا وباكروه فاجتمع قوّاد الساجية مع قوّاد الحجرية وتحالفوا ان تكون كلمتهم واحدةً ثم استحلفوا باقي الحجرية والساجية . واتصل ذلك بالقاهر وبالوزير وبالحاجب فوجهوا من يسئلهم

(١) وفي الاوراق للصولى : هو سيما المناخلى ولم يعش بعد هذا الا أقل من مائة يوم

عما أوحشهم فقالوا : قد صحّ عندنا ان القاهر عزم على القبض على سيما وعلى حبسنا في مطامير قد بناها لنا . وكان الفضل بن جعفر يتولى بناء مطامير من ماله ويحتسبها من مال مصادرة عليه فعرّف القاهر ما يقولونه فتقدّم الى سلامة بالخروج اليهم . وحلف القاهر له على انه لم يفعل ذلك ولا همّ به وانما بنى حمامات رومية للحرم وخرج سلامة لذلك .

وخلا الخصيبي وعيسى المتطبب بالقاهر فذكرا له ان الآفة في هذا كله الفضل بن جعفر وانه هو الذى قال للساجية والحجرية ذلك لانه شيء لم يعرفه غيره . وكان سلامة أشار بالفضل حتى أعفى من المصادرة عناية به واقتصر منه على ما ينفقه على المطامير فتقدم القاهر بالقبض على الفضل بن جعفر وطالبه الوزير الخصيبي بحضرة عيسى بثلاثمائة ألف دينار فقال الفضل: لو كنتُ ذا مالٍ لكانت لى ضياع ودُور (٤٥٠) وخدم ومروءة بحسبها . فاغتاظ الخصيبي وظن انه قد عرّض به وخاطبه بمخاطبة فيها جفاء فاستوفى الفضل عليه الجواب . فهمّ الوزير الخصيبي ان يوقع به فقال سابور الخادم : أُمرتُ بصيانته والا يلحقهُ مكروهٌ . وردّهُ الى دار السلطان وحبس في الموضع الذى كان اسحق بن اسمعيل محبوساً فيه

وورد يوم الثلاثاء لخمس بقين من جمادى الاخرى كتاب أبي جعفر الكرخي وكتاب أبي يوسف عبد الرحمن بن محمد الذى كان يكتب للسيدة بأن أصحاب ابن رائق كبسوا سوق الاهواز وانهم استولوا على سائر عمل الاهواز وصار كلّ من يتقلد المعاون في أعمال الاهواز من قبله سوى محمد بن ياقوت فانه كان يتقلد المعاون بالسوس وجنديسابور فلم ينفذ لابن رائق لانه نظيرُهُ فكتب الخصيبى رُقعة بما ورد عليه من ذلك الى القاهر .

وكان القاهر قد ابتدأ بشرب فدعا بسلامة واقرأهُ الكتاب وقال له : امض الى الخصيبي واجتمع معه على التدبير فى ذلك . وعاود شربَهُ فمضى سلامة وعيسى معه الى الخصيبي وأطالا عنده الى نصف الليل ولم يتقرر لهم رأى على شيء فانصرف (٤٥١) سلامة الى منزله لعلمه بأن القاهر قد سكر ولا فضل فيه باقي ليلته . وصدر نهار الغد وبكّر سلامة الى الخصيبي فوجد عنده عيسى المتطبب وبلغهم خبر الساجية والحجرية واجتماعهم لقصد دار السلطان فتقدّم الخصيبي الى عيسى بأن يبادِر الى دارالسلطان ويعرّف القاهر الخبرَ ليتحرّز وان وجده نائما أنبهه فمضى عيسى واجتهد فى أنباه القاهر فلم تكن فيه حيلة وقيل له كان يشرب الى ان طلعت الشمس وانه لو أنبه لما فهم عنه ما يقوله لشدة سكره .

وكانت الحجرية والساجية قد اجتمعوا عند سيما وتحالفوا على اجتماع الكلمة فى كبس دار الخليفة والقبض على القاهر فقال لهم سيما : ان كان قد صح عزمكم على هذا فقوموا بنا الساعة حتى نمضيه . فقالوا : بل نؤخره الى غد فهو يوم الموكب ويظهر لنا فنقبض عليه . فقال لهم سيما : ان تفرقتم الساعة وأخرتموه الى ساعة أخرى اتصل الخبر به فتحرز ودبر علينا وأهلكنا كلنا . فقبلوا رأيه وركبوا معه الى دار السلطان بالسلاح فرتب سيما على كل باب من أبوابها غلاما من الساجية وغلاما من الحجرية ومعهما قطعة وافرة (٤٥٢) منهما فلما أحكم أمر الابواب كلها وقف على باب العامة وأمر بالهجوم فهجموا كلهم من جميع الابواب فى وقت واحد . وبلغ سلامة والخصيبي الخبر وهما مجتمعان فى دار الخصيبي فخرج الخصيبي في زى امرأة واستتر وانحدر سلامة الى مشرعة الساج واستتر

ولما دخل الساجية والحجرية الدار لم يدخلها سيما وأقام بمكانه من باب العامة الى أن قبض على القاهر فلما قبض عليه دخل .

ولما علم القاهر بحصول الغلمان في الدار انتبه من سكره وأفاق وهرب الى سطح حمام في دُور الحرم فاستتر فيه ولما دخل الغلمان الى المجلس الذى كان فيه لم يجدوه وأخذوا من كان بالقرب مثل زيرك الخادم وعيسى المتطبب واختيار القهرمانة فوكلوا بهم. ووقع فى أيديهم خادم صغير فضربوه بالطبرزينات حتى دلهم على موضعه فدخلوا فوجدوه على سطح الحمام على رأسه منديل ديبقى وفى يده سيف مجرد واجتهدوا به على سبيل الرفق أن ينزل اليهم وقالوا: نحن عبيدك وما نريد بك سوءا وانما نتوثق لانفسنا فأقام علي الامتناع من النزول الي ان فوّق اليه واحد منهم بسهم (٤٥٣) وقال: ان لم تنزل وضعته فى نحرك . فنزل حينئذ وقبضوا عليه وكان ذلك ضحوة نهار يوم الاربعاء لست خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٢٢ وصاروا به الى موضع الحبوس وقصدوا البيت الذى فيه طريف السبكرى ففتحوه ووجدوا فيه طريفاً فكسروا قيده وأطلقوه وأدخلوا القاهر الي موضعه وحبسوه فيه ووكلوا بالباب جماعة من الساجية والحجرية ووقع النهب ببغداد وانقضت خلافة القاهر بالله

خلافة الراضى بالله أبي العباس

﴿ محمد بن المقتدر فى سنة ٣٢٢ ﴾

واستدلّ الغلمان الساجيّة والحجريّة حين قبضوا على القاهر على الموضع الذى

فيه أبو العباس ابن المقتدر فدلهم عليه خليفة لزيرك الخادم ففتحوا عنه الباب ودخلوا عليه وسلّموا عليه بالخلافة وأخرجوه وأجلسوه على السرير وبايع له قوّاد الساجية والحجرية وطريف السبكري وبدر الخرشني ولقب الراضي بالله . وتقدّم باحضار على بن عيسى وأخيه عبد الرحمن وأحضرا فوصلا اليه وشاورهُما واعتمد عليهما فيما يعمل . فعرّفهُ على بن عيسى ان سبيلهُ ان يعقد لواء لنفسه على الرسم فى ذلك (٤٥٤) فاستحضر اللواء وعقده بيده ثم أمر بالاحتفاظ به . وأشار عليه بتسلُّم خاتم الخلافة فسلمها من كان فى يده وهو خاتم فضّة فصُّهُ من حديد صينى وعليه كتابة ثلاثة أسطر : محمد رسول الله . وأشار عليه بتسلُّم خاتم الخلافة من القاهر بالله فوجّه اليه الراضى ثم فتح عنه الباب وطالبه بخاتمه فسلّمَهُ وكان فصُّهُ ياقوتاً أحمر وعليه منقوشٌ : بالله محمد الامام القاهر بالله أمير المؤمنين يثقُ . وصار به الى الراضى فأمر ان يسلَّم الى حاذق من حُذّاق الخزانة ليمحو ذلك النقش منه ففعل ذلك ونقش له خاتم آخر عليه : الراضى بالله .

وتقدّم على بن عيسى بأن يُحضر القاضى أبو الحسين عمر بن محمد والقاضى أبو محمد ابن أبى الشوارب (١) والقاضى أبو طالب البهلول (٢) وجماعة من الشهود وممن يقرب من دار السلطان فحضروا . فحكى القاضى أبو الحسن محمد بن صالح الهاشمى ابن أمّ شيبان (٣) انه لما استُدعى القاضى أبو الحسين

(١) وفى ترجمة هذه السنة فى تاريخ الاسلام هو الحسن بن عبد الله وكذا فى التكملة

(٢) هو محمد بن احمد بن اسحاق بن البهلول أبو طالب الانبارى وفى تاريخ الاسلام انه كان ينوب عن أبيه فى قضاء مدينة المنصور توفى سنة ٣٤٨

(٣) وردت ترجمته فى ملحق لاستيفاء أخبار القضاة لابى عمر الكندى ص ٥٧٣

عند القبض على القاهر بالله وجم وجمع اطرافه وأخـذ معه خمسين ديناراً فى حجزة سراويله استظهاراً واستخلفه فى داره ومضى وانصرف بعد ان مضى أكثر الليـل الى [455] منزله قال : فقال لى : أنا أعرفُ ضيق صدرك وتطلُّعك الى معرفة حديثنا فاسمعه اعلمْ انى مضيتُ فادخلتُ الى حجرةٍ فيها القاهر بالله ومعى ثلاثة من الشهود وطريف السبكرى فقـال له طريف : تقول يا سيّدى . وكرّر ذلك دفعات فقال له : اصبر . ثم التفت الىّ فقال : ألستَ تعرفنى ؟ فقلتُ : بلى . فقال : أنا أبو منصور محمد بن المعتضد بالله رحمة الله عليه ثم القاهر بالله بيعتى فى عنقك وأعناق أهلى وسائر الاولياء ولستُ ابرّئكم منها ولا أحلّكم بوجه ولا سبب فانهضوا : فقمنا فلما بعدنا عذلتُ طريفاً ولمته ملاماً كثيراً وقلتُ : أىّ رأى كان احضارنا الى رجل لم يوطّأ ولم يؤخذ خطّهُ ويشهد عليه الكتّاب والجند ؟ كان ينبغى ان تقدّم ذلك ثم تحضرنا له . وعدل بنا الى على بن عيسى فسألنا عما جرى فحدثناه به فقطّب وجهَهُ ثم قال : يخلع ولا يفكّر فيه فان افعاله مشهورة وأعماله معروفة. وما يستحقه غير خاف . فقلتُ له : بنا لا تعقد الدوَل وانما يتمّ بأصحاب السيوف ونصلح نحن ونراد لشهادة واستيثاق وقد سمعتُ من الرجل ما حدّثتك به ولم يكن الرأى ان يجمع بيننا وبينه الاّ بعد احكام [456] أمره فتغاضب وحضر وقت الصلاة فقمنا . فقال القاضى أبو الحسن محمد بن صالح : فسمعتُ ذلك منه وبكرنا الى دار السلطان فقيل له ان القاهر سمل البارحة [1]

---

(١) قال أبو بكر الصولى فى الاوراق : ولما قبض على القاهر جلس فى بيت وطولب بأموال فلم يقر بشئ وكأنه عرف ما له عند الراضى لسوء ما كان يعامله به فعذب عذابا

فلما حضر أبو على ابن مقلة استُدعينا وكنتُ مع القاضى أبى الحسين وثلاثة من الشهود واجتمعنا بحضرة الراضى بالله فاومأ الى مفلح الاسود فاحضر ثلاثة من اخوته فأجلسهم عن يمينه وأخرج أبو على ابن مقلة قرطاساً من كُمِّه ونشره فاستحلفهم على البيعة . ثم أومأ الراضى الى مفلح إيماءً ثانياً فاحضر اثنان آخران من اخوته فاجلسهُما عن شماله واخذت البيعة عليهما . ثم أعطى أبو على القرطاسَ القاضى أبا الحسين فأخذ عليه البيعة وكتبنا خطوطنا في ذلك القرطاس على من بايع وانصرفنا .

وكان سيما أشار بسمل القاهر تلك الليلة فستر الراضى ذلك عن على بن عيسى واستحضر بختيشوع بن يحي المتطبب وسأله عمن يحسن ان يسمل فذكر له رجلاً فاحضره وسمل القاهر

وما زال على بن عيسى يوم الاربعاء الى الليل يأخذ البيعة للراضى بالله على القضاة والقوّاد وكتّاب الدواوين والغلمان وطالبه الراضى ان يتقلّد الوزارة (٤٥٧) فامتنع وذكر انه لايفى بالامر فأشار سيما بأبى على ابن مقلة قال : هو يضمن ان يقوم بسائر الامور . فقال على بن عيسى : قد اشرتُ به على أمير المؤمنين وما يصلح للوقت غيره (١) وكان على بن عيسى يسأل

شديداً فما أنعم بشئ فأمر بعض الناس فكحله فاعماه وتزيد المكروه عليه فما أقر بشئ ووجد له مال يسير وآلة فأخذت . وفي تاريخ الاسلام : قال القاضى أبو الحسين : فدخلت على الراضى وأعدت ماجرى سراً وأعلمته انى أرى أمانته فرضى فقال : انصرف ودعنى واياه .

(١) وفي الاوراق : فاستحضر (الراضى) أبا الحسن على بن عيسى ومعه أخوه أبو على عبد الرحمن بن عيسى بالنظر فى الامور وأراده للوزارة فاحتج بكبر وضعف فاومأ

فى الفضل بن جعفر فاطلق بمسئلته ووقّع الراضى الى أبى على ابن مقلة [1]
فبكر يوم الخميس لسبع خلون من جمادي الأولى سنة ٣٢٢ وحضر على بن
عيسى وأخوه عبد الرحمن ووقفا بين يديه يستحلفان من يحضر ويأخذان
البيعة عليه وتأخّر الفضل بن جعفر والحسن بن هرون . وخلع على أبى على
ابن مقلة خلع الوزارة وركب معه سيما وطريف السبكرى وسائر القوّاد
والغلمان والخدم الخاصّة . وظهر الحسن بن هرون وأبو بكر ابن قرابة
وصاروا الى أبى على ابن مقلة ثم انصرفوا الى منازلهم .

واستأنف أبو على ابن مقلة سيرة حسنة وقال : قد عاهدتُ الله فى

الى أخيه بذلك وان يكون الاسم والخدمة له ويتولى هو النظر في أمر الملك وتدبير الناس وجباية الاموال على كره منه لذلك . وتقلب لما رأى من تعذر مال البيعة الا انه كتب بالبيعة الى النواحي ونظر فى المهم الذى يوجبه الوقت ومعه أخوه مغرما له ما يعمل ومستأذنا له فيه الى ان وافت رقعة أبي على ابن مقلة الى سيما المناخلى يتضمن له ان يحتال في وقته خمسمائة الف دينار يصرفها فى الرجال للبيعة ويتضمن له ان أتم ذلك خمسمائة الف دينار لنفسه . وكان المتولى لايصال الرقعة الى المناخلى كاتب له حدث يعرف بعلى بن جعفر وضمن له الفى دينار معجلة واضعافها مؤجلة فصار المداخلى وادى ما بالرقعة بضمان الخمسمائة الالف الدينار الى الراضى بالله فلما وقف عليها أحضر على بن عيسي واقرأه اياها فقال له : أمير المؤمنين في هذا الوقت محتاج الى زكاة هذا المال وما عندى وجه لبعضه والصواب ان صح هذا المال ان يمضي أمر هذا الرجل ويستكتبه . وانصرف فجلس في منزله فكان الراضى بعد ذلك يقول : لم يتحصل لنا من الخمسمائة الالف الدينار درهم واحد من أموالنا وأموال الناس مثلها .

(١) وفي التكملة : وهو في دار ابن عبدوس الجهشيارى

استتاري الا اسيء الى أحد ونذرت نذوراً[1] فوفى وأطلق كلّ من كان في حبس القاهر من كاتب وجنديّ واطلق عيسى المتطبب واسحق بن على القنائي وكان الراضي أنفذهم اليه . ثم تعقب الرأى في عيسى المتطبب فصادره

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وقال ابن مقلة لما أتاه الناس : كنت مستتراً في دار أبي الفضل بن مارى النصراني فسمي بي القاهر قبل زوال أمره بشهرين وعرف موضعي وانى لجالس وقد مضى نصف الليل أتحدث مع ابن مارى فاخبرتنا زوجته ان الشارع قد امتلأ بالمشاعل والشمع والفرسان فطار عقلي وادخلني ابن مارى بيت تبن وكبست الدار وفتشوها ودخلوا بيت التبن وفتشوه بأيديهم فلم أشك انني مأخوذ وعاهدت الله تعالى على انه ان نجاني من يد القاهر بالله أن أنزع عن ذنوب كثيرة وانني ان تقلدت الوزارة أمنت المستترين واطلقت ضياع المنكوبين ووقفت وقوفا على الطالبين فما استتمت نذرى حتى خرج القوم وانتقلت الى مكان اخر . وما نزع من الخلع حتى وفي بالنذر

وكتب ابن ثوابة في خلع القاهر كتابا قرئ على المنابر . وكان زيرك القاهرى قد أجمل عشرة الراضي وقت اعتقاله فكافأه بأن قلده أمر حرمه وأكرمه .

وقلد ابن مقلة أبا الفتح الفضل بن جعفر خلافته على سائر الاعمال وقلد أبا عبد الله البريدى خوزستان وقلد اخوته البصرة والسوس وجنديسابور وكور دجلة وبادوريا والانبار ونهر سير وقطربل ومسكن وكتب الى علي بن خلف بن طناب باقراره على فارس وكرمان وقلد الحسن بن هرون ما قلده على بن عيسى من أعمال واسط بمائتى الف كرّ شعير وعشرة آلاف كرّ ارز وأربعمائة كر سمسم والف الف وأربعمائة الف درهم وقلد القراريطى كتابة ابن ياقوت والزمام وديوان الفرات فسفر حينئذ لصاحبه محمد بن ياقوت في الحجبة وحمل الى سيما خمسة عشر الف دينار حتى عرف الراضي بالله انهم لا يريدون غير محمد بن ياقوت وأنفق هذا الوجه بحجة على القواد مائة الف وعشرين الف دينار. فغاظ ابن مقلة لانه استدعى ابن رائق وهو بالباسيان لذلك ولم يمكنه تغيره فلما صار ابن رائق بالمدائن أمره الراضى بالانحدار الى واسط وأضافها الى اعماله من البصرة وغيرها . وكان ابن رائق برامهرمز عازماً على التوجه الى أصبهان فكوتب بالاصعاد فالتقى ابن ياقوت في طياره وابن رائق في حديدية فسلم كل واحد منهما على صاحبه ايماء من غير قيام . وتلقى ابن ياقوت الحجرية والساجية ودخل على الراضي فخلع عليه وقلده الحجبة وصار اليه الناس الي داره بالزاهر ولم يقم لاحد الاّ لابن مقلة ولعلي بن عيسى

(٤٥٨) وكان القاهر قد اعترف بوديعة أودعها اياهُ من العين والورق والطيب فاستخرج كلّه منه . وسأل فى أمر أبى العباس الخصيبى فكُتب له أمانٌ وقّع الراضي فيه بخطّه وتسلّمهُ الوزير أبو على وأنفذه فى درج رُقعة منه بخطه الى الخصيبي وخاطبه أجمل مخاطبة وظهر الخصيبي فقلّده دواوين الضياع الخاصّة والمستحدثة والعباسيّة والفراتيّة والمقبوضة عن أمّ موسى ونذير وشفيع اللؤلؤى وضياع المخالفين وضياع البرّ وضياع الجدّة والدة المقتدر وديوانى زمام المشرق والمغرب وأجرى عليه لنفسه سوى أرزاق كتّابه فى هذه الدواوين ألف دينار فى كلّ شهر وقلّد الراضى بدراً الخرشنى الشرطة بمدينة السلام .

ولما تقلّد الراضى الخلافة وردت كتب أبى جعفر الكرخى وأبى يوسف كاتب السيّدة بتخلصهما من الاهواز الى نواحى دُور الراسبي هاربَين من محمد بن رائق . وكان بنو البريدى يستترون فى أنهار الاهواز نهر بعد نهر ووصل الخبر الى ابن رائق وهو بالباسيان ان القاهر خلع من الخلافة وتقلّدها الراضى بالله وانه قد ندب للحجبة فرجع منكفئا الى واسط ولم يدخل (٤٥٩) البصرة ورجع الكرخى الى البصرة ثم عاد الى غيلة بالاهواز فنظرَ وعمل الى ان ضمن ابنُ مقلة بنى البريدى أعمال الاهواز

﴿ ذكر ابتداء أمر أبى الحسن على بن بويه الديلمى ﴾

كنا كتبنا فيما تقدّم ان أبا الحسن على بن بويه لحق بمرداويج وهو فى حدود طبرستان فقوّدهُ وضمّ رجالا اليه فلما أنفذه الى الريّ (وكان أخوه وشمكير بها) اتفق أن عامل الكرج طمع فى مالها فانفذ على بن بويه ليتلافى أمر الكرج ومعه دون مائة رجل من أصحابه فأقام بها .

وتلفق اليه من الاطراف ديلم فصار فى نحو ثلاثمائة رجل فانكر مرداويج أمرَهُ وكاتبهُ بالانصراف فتأخر ورُوسل فتعالل وكان قد استخرج من مال الكرج نحو خمسمائة ألف وفوقها فى مدّة يسيرة واستوحش مرداويج وهدّدهُ ففزع وأخذ مرداويج ووشمكير فى تدبير القبض عليه

وكان على بن بويه قد استخلف بحضرة وشمكير وهو بالرىّ عند خروجه أحمد حاجبه (وهو والد أبى اسحق الطبرى الشاهد [1]) فى هذا الوقت فكتب اليه أحمد بما فيه مرداويج ووشمكير من الخوض فى سيئه وكان مرداويج قد صار الى عند أخيه بالرى بهذا السبب ولتسريب الجيوش اليه فخرج من الكرج الى اصبهان خائفاً (٤٦٠) ليستأمن الى المظفر بن ياقوت وكان عند المظفر بن ياقوت فى الوقت سبعمائة رجل من الديلم ووجههم فناخسره والد الحسن الديلمى الذى كان ببغداد ونظر فى الشرطة بها. فلما قرُب من اصبهان خرج اليه المظفر لمنعه ومعه نحو أربعة آلاف رجل فتخاذل أصحابه ووقع بين أصحابه من الديلم خلاف لان فناخسره كان له عدُوّ من الديلم يضارّهُ فتقاعد المولدون أيضاً وافترقت كلمتهم وانهزم المظفر بن ياقوت الى فارس وبها أبوه ياقوت. واستأمن الى على بن بويه نحو من أربعمائة رجل من الديلم فصارت عدّتهُ سبعمائة رجل وملك اصبهان وهو فى ثلثمائة رجل. وبلغ الخبر مرداويج فسير أخاه وشمكير لطلبه فى الوقت لما قرُب من اصبهان رحل عنها على بن بويه وصار الى أرجان وكان قد تهيَّبها لحصوله بين ياقوت وهو بفارس وبين ابنه محمد وهو برامهرمز فصوَّر عنده بالمهانة واضطراب الرأى والرجال فدخل أرجان واستوطنها وكاتب

(١) هو ابراهيم بن احمد بن محمد كذا فى كتاب الوزراء ص ٦٣

ياقوت واستخرج من مال أرجان خراجاً نحو الفى ألف درهم ووصل مع ذلك الى ودائع ونظم أمرُه للمسير الى كرمان وبها ما كان بن كاكى الديلمى ليستأمن اليه. فلم يجبه ياقوت عن كتابه ولم يقبله (٤٦١) فكاتبه على بن بويه وخاطبَهُ بالامارة والتعبد وعرّفه أنه يسئله احد أمرين اما أن يقبله أو يأذن له فى المصير الى باب السلطان فلما لم يقبله ياقوت وسار اليه مع ابنه المظفر ليحاربه سار على بن بويه الى النوبندجان وقدّر أن تكون الحرب بها وقدّم كتبه اليه وطلب منه الامان واستعفاه من الحرب فحذره ياقوت وخشى أن يغتاله وكان قيل له ان على بن بويه يريد الحيلة عليه ليحصل بفارس ويخدعه عنها. وكان على بن بويه قد حصل أيام مقامه بكازرون وبلد سابور وذلك عند خروجه من أرجان نحو خمسمائة ألف دينار مع كنوز كثيرة وجدها فقويت شوكته وزاد رجاله فلما صار الى النوبندجان قام بأمره أبو طالب زيد بن على وتكفل بنفقاته فلزمه عليه فى كل يوم خمسمائة دينار وأقام عنده مدة فلما خرج اليه ياقوت تهيبه هيبة شديدة. وذلك أن جيش ياقوت كانوا سبعة عشر ألف رجل من جميع الأصناف ساجية وحجرية والرجالة المصافية وغيرهم من الديلم وأصناف العسكر وعلى بن بويه فى ثمانمائة رجل فسأله أن يفرج له عن الطريق لينصرف عنه ويجتاز الى حيث يجتاز فمنعه (٤٦٢) ياقوت وطمع فيه لقلة عدده ولوفور ما وصل اليه من المال. فلم يثبت له على بن بويه وسار الى البيضاء فتبعه ياقوت وواقعه على باب اصطخر يومين فكانت لياقوت. فاشتد طمع ياقوت فيه وزاد تهيب على بن بويه وحنق عليه المسئلة فى الافراج له لينصرف عنه فامتنع عليه فلما كان يوم الخميس لاثنى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ٣٢٢ واقعه مستقتلا

فحدثني من شهد الوقعة من الديلم أنه ترجل ستة نفر من الديلم وصفوا تراسهم وتقدموا زحفاً واستأخر من واجههم من أصحاب ياقوت فاشتلموا وتقدموا وحمل أبو الحسين أحمد بن بويه في نحو ثلاثين رجلا فانهزم ياقوت وجميع من معه وذلك وقت الظهر من ذلك اليوم وانصرف الى شيراز . فقدر علي بن بويه ان انصرافه مكيدة منه لا هزيمة فتوقف في موضعه ولم يتبعه الى وقت العصر فلما صح عنده انها هزيمة سار الى شيراز فنزل أول منزل قرية يقال لها الزرقان على ستة فراسخ من شيراز وبكر منها يوم السبت فنزل قرية يقال لها الدينكان وعنده أنه سيحارب عن البلد ويدفع عنه لان الجيش الذي انهزم عنه كانوا قد انصرفوا (٤٦٣) عنه موفورين لم يحاربوه ولا وقفوا بين يديه . فنزل على فرسخ من شيراز في مضاربه وبلغه ان ياقوتاً وعلي بن خلف بن طناب قد خرجا عن شيراز والبلد شاغر خال فوجه بجماعة من الديلم واخلاط من الجند الى شيراز للمقام بها وضبطها فبادر اليهم العامة بشيراز مع جماعة من الرجالة السودان ومماليك للتناء . وكان الديلم قد تفرقوا في الاسواق فقتلوا منهم نحو سبعين رجلا فبلغ علي بن بويه ذلك ووجه بأخيه أبي الحسين أحمد وكان سنه اذ ذاك تسع عشرة سنة وهو أمرد وهو حينئذ صحيح اليدين وأنفذ معه ثمانين رجلا من الديلم فقتل من السودان نحو ألف رجل ونادى في البلد الا يقيم فيه أحد من أصحاب ياقوت ولا من الجند وان من وجد بعد النداء فقد اباح دمه وماله فلم يبق في البلد أحد منهم.

ودخل علي بن بويه شيراز واتفقت له بها ضروبٌ من الاتفاقات عجيبة كانت سبباً لثبات ملكه . فمنها ان أصحابه اجتمعوا وطالبوه بالمال ونظر فاذا القدرُ الذي معه لا يرضيهم وأشرف أمرُهُ على الانحلال فاشتغل قلبه واغتمّ

غما شديداً . فبينما (٤٦٤) هو مفكرٌ قد استلقى على ظهره فى مجلس ياقوت من دارهِ وقد خلا فيه للفكرة والتدبير اذ رأى حيةً قد خرجت من موضع من سقف ذلك المجلس ودخلت موضعاً آخر منه وخاف ان تسقط عليه وهو نائم فدعا بالفراشين وأمرهم بإحضار سُلم وإخراج تلك الحية ففعلوا . ولما صعدوا وبحثوا عنها وجدوا ذلك السقف يفضى الى غرفة بين سقفين فعرّفوه ذلك فأمرهم بفتحها ففتحت ووجد فيها عدّة صناديق فيها من المال والصياغات خمسمائة ألف دينار فاستوى جالساً وحمل الى بين يديه ذلك المال فسرّ به وأنفقهُ فى رجالهِ وثبت أمرُهُ بعد ان أشفى على الانحلال

وحكى أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازى ان على بن بويه أراد قطع ثياب وسأل عن خياط حاذق فوُصف له خياط لياقوت فأمر باحضاره وكان أطروشاً ووقع له انه قد سعى به اليه فى وديعة كانت لياقوت وانه طلبه بهذا السبب فلما خاطبَهُ حلف انه ليس عنده الاّ اثنا عشر صندوقا لا يدرى مافيها . فعجب على بن بويه من جوابه ووجّه معه بمن حملها فوجد فيها أمراً عظيما من المال والثياب.

والذى كان يكتب لعلى بن بويه فى ذلك الوقت رجلٌ نصرانى (٤٦٥) من أهل الريّ يعرف بأبى سعد اسرائيل بن موسى ثم قتله بعد مدّة بسبب سنفرد له خبراً واستكتب مكانه أبا العباس أحمد بن محمد القُمّى المعروف بالحنّاط . وسفر الامير أبو الحسن على بن بويه بعد تمكّنه من البلد فى ان يقاطع السلطان عنه ويتقلّدهُ من قبل الراضى فأجيب الى ذلك وقُنع منه بما بذل وهو فى كلّ سنة بعد جميع المؤن والنفقات الراتبة والحادثة ثمانية آلاف الف درهم خالصة للحمل . وكتب الى الوزير أبى على ابن مقلة يحلف له

باغلاظ الايمان على موالاة الوزير أبي على ابن مقلة وابنه أبي الحسين ومعاضدتهما وما يقال فى هذا المعنى وأكّده . فأنفذ اليه الوزير أبو على بالخلع واللواء فى شوّال سنة ٣٢٢ ورسم للرسول وهو أبو عيسى يحيي بن ابراهيم المالكى الكاتب الاّ يسلّم اللواء والخلع الاّ بعد ان يتسلّم المال ووقف عليه . فلما قرب المالكي من البلد تلقّاهُ على بن بويه على بعد وسار معه الى ظاهر شيراز وطالبه بأن يسلم اليه اللواء والخلع فعرّفه ما رُسم له وانه لا يمكنه من ذلك الاّ بعد تسلّم المال الذى وُقف عليه نخاشنهُ على بن بويه وازهمهُ حتى سلّم اليه الخلع ولبسها ودخل بها الى شيراز وبين يديه اللواء وأقام المالكي مدّة يطالب [٤٦٦] بالمال فلم يدفع اليه شيئا بتّة وحصل على المواعيد والمطل والتوقّف ثم اعتلّ المالكى ومات بشيراز وحمل تابوته الى بغداد فى سنة ٢٣

وانفتح لعلى بن بويه وجوه الذخائر والودائع ووزير [ه] أبو سعد النصرانى فضمن له بقايا مال السنة أبو الفضل العباس بن فسانجس وابن مرداس وأبو طالب زيد بن على وغيرهم من وجوه البلد بأربعة آلاف الف درهم واستخرجت له الذخائر وانفتحت له كنوز وودائع عمرو بن الليث ويعقوب بن الليث [1] وياقوت وابنه وعلى بن خلف ورجال السلطان وكثرت أموال على بن بويه وعمرت خزائنهُ واستأمن اليه رجال ما كان بن كاكي من كرمان وكثر جمعهُ واستفحل أمرهُ . وانتهى خبره الى مرداويج فقامت قيامته ووافى أصبهان وبها وشمكير أخوهُ لانه لما خلع القاهر من الخلافة وتأخّر محمد بن ياقوت عنها وبقيت سبعة عشر يوما خالية أعاد مرداويج

(١) هما من آل الصفارمات يعقوب سنة ٢٦٥ وخلفه أخوه عمر وأسره اسمعيل بن أحمد السامانى سنة ٢٨٧ وحبس ببغداد ومات بالحبس سنة ٢٨٩ (طبرى ٣ : ١٩٣١ و٢٢٠٨)

أخاهُ اليها فلما استقرّ بها وورد مرداويج لتدبير على بن بويه عند استعصائه عليه ردّ أخاهُ وشمكير الى الريّ لخلافته عليها. وأنفذ شيرج [1] بن ليلى اسفهسلاّره مع حاجبه الشابشتى ومعهما الفان وأربعمائة رجل من الجيل والديلم ووجوه القوّاد مثل بكران واسمعيل الجيلى (٤٦٧) الى الاهواز وكان غرضه ان يملكها فيأخذ الطريق على عليّ بن بويه ويحجز بينه وبين السلطان حتى اذا قصده بعد ملكه الاهواز لم يكن له منفذ الا الى تخوم كرمان والتيز ومكران وأرض خراسان

ولما نزلت عساكر الجيل ايذج خاف ياقوت ان يحصل بينهم وبين على ابن بويه فوافى الاهواز ومعه ابنهُ وقلّده السلطان أعمال الحرب والمعاون بها. وارتسم أبو عبد الله أحمد بن محمد البريدى بكتابة ياقوت مضافة الى ما اليه من أعمال الخراج والضياع بالاهواز وصار أخوه أبو الحسين يخلف أخاه وياقوتا بالحضرة. وحصل رجال مرداويج برامهرمز فى غرّة شوال من سنة ٣٢٢ وصلّوا العيد بها وخطبوا لمرداويج وساروا الى الاهواز فعسكر ياقوت بقنطرة أربق وقطعها والماء الذى تحت هذه القنطرة حاد الجرية. فأقام رجال مرداويج بازاء ياقوت أربعين يوماً لا يمكنهم العبور اليه وسار ياقوت الى بغداد على طريق دُور الراسبى وسار على بن خلف بن طناب فى البحر من ساحل مهروبان الى البصرة. ورحل جيش مرداويج عن قنطرة أربق وضمن لهم طائفة من العيّارين ان يعبروا بهم نحو المسرُقان بعسكر مكرم حتى يصير الطريق بينهم وبين الاهواز جدداً فعدلوا اليها. واجتمع البريدى (٤٦٨) وياقوت فتشاوروا وقرّر الرأى على إنفاذ مونس غلام ياقوت

(١) وفي التكملة : شيرز

فى أربعة آلاف رجل الى عسكر مكرم لدفعهم عن عبور المسرقان وكانا حسبا ان القوم بعد منزلة أربعين يوماً قد ضجروا وانصرفوا وانهم لا يلبثون بعسكر مكرم الا يومين أو ثلاثة فلما حصلوا بها عملوا أطوافاً من خشب وشاشا من قصب وعبر منهم خمسون رجلا عليها فانهزم مونس لوجهه وعاد الى مولاه فاخبره الخبر. وكان قد ورد اليه مددٌ من بغداد وخيلٌ عظيمة فرحل لوقته من قنطرة أربق بعد اجتماع الجيل اليه بيومين وصاروا بأجمعهم الى قرية الريح وهم بالحقيقة قد حصلوا من أمرهم على الريح. وصار ياقوت ومن تبعه وهم عدة وافرة كثيرة الى باذاورد ومنها الى واسط فافرج له محمد بن رائق عن غربيها فنزله بعسكره. وعرف على بن بويه حصول عسكر مرداويج بالاهواز وشرح ما جرى وتلق الكاتب مرداويج واستصلحه وأقام الخطبة وواقفه على مال وأنفذ اليه رهينة فسكن مرداويج وقلّد علىّ بن بويه ارجان بعد انصراف ياقوت وعلى بن خاف عنها ابراهيم بن كاسك.

واستقرت كتابة ياقوت لابى عبد الله البريدى (٤٦٩) فورد عليه الخبر وهو بالبصرة فى بستان المؤمّا يريد المسير فى طياره الى واسط بقتل مرداويج فى الحمام باصبهان فانفذ للوقت أبا عبد الله بن جنى الجرجرائى الى الاهواز بخلافته عليها وقال له: اقصد ظاهر البلد بل اقم على فرسخ منه فاذا صح عندك خروج الجيل والديلم فادخله واثبت عند دخولك الفرسان والرجالة فانى أنفذ من واسط أبا الفتح ابن أبي طاهر وأبا أحمد الجستانى فى الف رجل لضبط البلد وكور الاهواز. ثم وافى أبو على غلام جوذاب كاتب البريدى فى طريق الماء وترتب ابن أبى طاهر بالاهواز وأبو أحمد الجستانى بعسكر مكرم. ووافى ابراهيم بن كاسك من أرجان الى رامهرمز طمعا فى الاهواز

لما خاف فكاتبه على بن بويه بالتوقف والا يبرحها حتى يمده بالجيش فمن قبل ورود الجيش عليه من فارس ما وافى ياقوت الى عسكر مكرم على طريق السوس فلما بلغ ابرهيم بن كاسك خبره رحل من رامهرمز الى أرجان . وكانت مع ياقوت قطعة من الديلم والاتراك والخراسانية فظن أنهم يثبتون وانه مستظهر بهم ووافاه أبو عبد الله البريدى والتقيا بعسكر مكرم وانفق فيه وفى رجاله ثلثمائة الف دينار على يد ابن بلوى وابن سريج المنفقين وسيرهم الى أرجان (٤٧٠) ووافاهُ على بن بويه وحاربه بها فانهزم ياقوت هزيمة ثانية لم يفلح بعدها ولا شد منها حزاما ولم ينفعه عدد العجم والديلم ولا عجب من أمر الله. وتبعه على بن بويه الى رامهرمز وخيف على الاهواز منه فراسله أبو عبد الله البريدى فى الصلح فاستجاب وكاتب الوزير أبا على ابن مقلة فيما قرره من الصلح فعرضه على الراضى بالله فامضاه . فانصرف على بن بويه الى شيراز وعقدت فارس على علىّ بن بويه بما ذكرناه ونفذ اليه أبو عيسى المالكى باللواء والعهد وكان من أمره ما قدّمتُ ذكره

﴿ وقتل أبو الحسن على بن بويه أبا سعد اسرائيل كاتبه ﴾

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان السبب فى ذلك ان أبا سعد كان مكينا عند على بن بويه يتبرك به ويكرمه جدا وكان يقود الجيش وله غلمان أتراك ولبس القباء والسيف والمنطقة وكان قد حارب في وقت ياقوتا فهزمه. فكان أبو العباس الخنّاط القمى يضرّب عليه دائما ويجتهد فى افساد رأى صاحبه فيه فلا يقبل منه وينهاه عن ذكره فلا ينتهى الى ان قال يوما وقد أكثر عليه فى الاغراء به : يا هذا ان هذا الرجل صحبنى وحالى صغيرة وقد بلغتُ ما ترى ولستُ

أدرى هل [٤٧١] ما وصلت اليه بدولته أم بدولتى وليس الى تغيير أمره طريق فاياك أن تعاودنى فيه . فما أغنى ذلك منه ولا انتهى عن الوقيعة فيه وثلبه .

وكان بين أبى سعد هذا وبين حاجب لعلى بن بويه يقال له خطلخ (واليه مع الحجبة رياسة الجيش) عداوة فاتفق ان دعى أبوسعد دعوة عظيمة دعا فيها على بن بويه والقواد وأنفق فيها فى الخلع والحملان ما له قدر كثير ودعا خطلخ فلم يستجب الى المصير اليه واجتهد به فلم يكن له فيه حيلة وأصبح أبو سعد من غد يوم الدعوة فأقام على أمره ودعا من يانس به . وانتبه خطلخ من نومه وهو مغتاظ يزعم أنه لا بد له من أن يركب الى أبى سعد فيقتله لانه رأى فى نومه أبا سعد يريد قتله فاجتهد به خواصُّه فى أن يؤخِّر ذلك فامتنع وحمل فى خفه دشنيا وركب . وقيل لابى سعد ان خطلخ قد ركب على ان يجيئه فانكر ذلك لانه كان دعاه فامتنع فلم يعرف لمجيئه اليه بغير استدعاء وجهاً فاستعد ليستظهر وقال لغلمانه : تأهبوا بالطبرزينات وكونوا مستترين فى المجالس حوله فان أنكر من خطلخ أمراً صاح بهم فخرجوا ووضعوا عليه . وحضر خطلخ فتلقاه أبو سعد وجاء حتى جلس [٤٧٢] وأخذ يتجنى ويُعربد الى ان ضرب يده الى خفه وأخرج الدشنيّ فصاح أبو سعد بالغلمان فخرجوا بالدبابيس والطبرزينات ووضعوا على خطلخ ووقع فى رأسه دبوس فدوّخه وسقط وقدّر انه مات وحمل الى منزله فعاش يومين ومات. فبادر أبو العباس الحنّاط الى الامير فى الوقت فوجده نائما فقال للغلمان : انبهوه . فلم يجسروا فصاح وجلب الى ان أُنبِهَ ودخل اليه وقال له : ان أبا سعد قتل حاجبك خطلخ . فلم يصدّقه وانتهره فقال : وجه وانظر . فورد عليه الخبر بصدقه فاستعظم ذلك ووجم ساعة . ودخل أبو سعد فلم يظهر له

انه أنكر شيأ ولا انه استوحش وسأله عن السبب فيما فعله فعرّفه الصورة واستشهد من حضر فاستصوب مافعله . وخاف أبو سعد ووجد أبو العباس الحناط فرصته وأقبل يقول : هو ذا ياخذ البيعة على القواد وهو خارج عليك لا محالة . فوجه الامير الى أبي سعد فأنسهُ غاية التأنيس وحلف له ايمانا مؤكّدة على ثقته به وانه لا يلحقه سوء من جهته. واتفق ان أخرج أبو سعد صناديقه من البيوت الى صحن داره ليسترها استظهارا وخلا بموسى فياذة يشاوره فمضى الحناط الى الامير على بن بويه [٤٧٣] فقال له : قد استحلف أبو سعد قوادك وآخر من استحلفهُ موسى فياذة وها هو قد أخرج صناديقه وهو خارج الساعة. فوجه الامير بمن عرف خبرهُ فرأى الرسولُ الصناديق وموسى فياذة خارجاً من عنده فعاد اليه بالخبر فلم يشكّ الامير حينئذ فى صحة قول الحنّاط. فقبض عليه وعلى جميع ماله من سائر الاصناف واعتقله. وكان في الاعتقال الى ان ورد بعض قُوّاد الاتراك من بعض أعمال فارس فواطأهُ الحناط على الدخول مع أصحابه وهم خمسون رجلا مخرقي الثياب مسودّى الوجوه يضجّون بما جرى على خطلخ من أبي سعد ويتهددون ان لم يقتل أبو سعد ففعل القائد ذلك ودخل والامير على شرب فامر بقتل أبي سعد ثم وقعت الندامة عند الصحو و بعد فوت الامر. واستكتب الامير بعده أبا العباس الحناط وبقى معه الى ان مات الامير على بن بويه .

ونعود الى ذكر الاحوال الجارية بمدينة السلام . لما حصل محمد بن ياقوت بالحضرة وحصلت له الحجبة ورياسة الجيش أدخل يده فى تدبير أعمال الخراج والضياع ونظر فيما ينظر فيه الوزراء وطالب أصحاب الدواوين بحضور مجلسه والاّ يقبلوا توقيعاً بولاية [٤٧٤] ولا صرف ولا غير ذلك من

سائر الاحوال الا بعد ان يوقّع فيه بخطه . وتجلّد أبو علي واحتمل ذلك والزم نفسه المصيرَ اليه فاذا صار اليه دفعتين صار هو اليه دفعةً واحدة . فكان أبو علي كالمتعطّل لا يعمل شيأ ملازما لمنزله ويجيئه أبو اسحق القراريطي كاتب محمد ابن ياقوت فيطالعه بما يجري وما يعمل (١)

﴿ وفي هذه السنة قتل هرون بن غريب الخال ﴾

(ذكر السبب في قتله)

كان سبب ذلك انه لما بلغ هرون بن غريب تقليد الراضي الخلافة وكان مقيما بالدينور وهي قصبة أعمال ماه الكوفة وهو متقلّد أعمال المعاون بها وبما سبذان ومهرجانقذق وحلوان وتدبُّر أعمال الخراج والضياع بها وهي النواحي التي كانت بقيت في يد السلطان من نواحي المشرق بعد الذي غلب عليه مرداويج) رأى انه أحقُّ بالدولة من كل أحد فكاتب جميع القوّاد بالحضرة وانه ان صار الى الحضرة وتقلد رياسة الجيش وتدبير الامور أطلق لهم أرزاقهم على التمام ولم يؤخر عنهم شيأ منها . وسار الى بغداد حتى وافى خانقين فغلظ ذلك على الوزير أبي علي ابن مقلة وعلى محمد ابن ياقوت وعلى الحجريّة والساجيّة والمونسية وخاطبوا (٤٧٥) بأجمعهم وقال الراضي : أنا كارهٌ له فامنعوه من دخول الحضرة وحاربوه ان أحوج

(١) وقال فيه ابو بكر الصولي في كتابه الاوراق : وتمزق الامر بين محمد بن ياقوت ومحمد بن علي بن مقلة واستبد ابن ياقوت بالامر دونه ولم يمض امرا الا بتوقيعه ونظر في الاموال ورمى با كثر أمره الى كاتبه محمد بن أحمد القراريطي الى أن أظهر الوزير اطباق دواته وترك النظر في شيءٍ البتة . واذا اضطر ان يوقع في أعمال أو ينظر في أمر مال عرضت توقيعاته على ابن ياقوت فما أراد امضاه ورضيه وقع فيه بامضائه ومالم يرده لم يوقع فيه فبطل ولم يلتفت الى توقيع غيره . فما زال الوزير يعمل في أمره حتى قبض عليه وأنا أذكر ذلك في حوادث السنين ان شاء الله

الى ذلك [1]

فلما كان يوم السبت لسبع خلون من جمادى الآخرة استحضر أبو بكر ابن ياقوت أباجعفر بن شيرزاد وأوصله الى الراضى بالله حتى حمّله رسالة الى هرون بن غريب بأن يرجع الى الدينور وكتب معه كتابا فنفذ من وقته ووجد هرون قد صار الى جسر النهروان وأدّى الرسالة وأوصل الكتاب فاجاب هرون بانه قد انضم اليه من الرجال من لا يكفيهم مالُ عمله وعاد أبو جعفر بالجواب وأدّاه الى الراضى بالله بحضرة الوزير أبي على والحاجب أبي بكر محمد بن ياقوت . فبذلوا له ان يقلدوه أعمال طريق خراسان كلها ويكون مالُها مصروفا اليه زائدا على مايأخذه وقال الراضى بالله : سبيلهُ ان

(١) وفي الاوراق لابي بكر الصولى : وما كان يصافي النية له لان الراضي بالله كان في حجر مونس المظفر وكان العباس بن المقتدر في حجر الخال ثم في حجر ابنه هرون بعده فكان يتهمه بايثاره عليه ولأنه أيضا كان منحرفا عن جدته شغب أيام حياة أبيه. ثم رأيت من ذكره لها في خلافته وتحننه عليها ما كنت أسمع ضده منه في أيام امارته وكذلك شاد منه كل تشعيث كان ربما نفث به في أبيه مدحا وتقريظا ووصف محاسن . واني لاذكر يوما في امارته وهو يقرأ علىّ شيأ من شعر بشار وبين يديه كتب لغة وكتب أخبار اذ جاء خدم من خدم جدته السيدة فاخذوا جميع مابين أيدينا من الكتب فجعلوه في منديل أبيض كان معهم وما كلمونا بشيء ومضوا . فرأيته قد وجم لذلك واغتاظ فسكنت منه وقلت له « ليس ينبغي ان ينظر في مثلها فاحبوا ان يمتحنوا ذلك » وقد سرني ذلك ليروا كل جميل منه . ومضت ساعتين أو نحو ذلك ثم ردوا الكتب بحالها فقال لهم الراضي : قولوا لمن أمركم بهذا « قد رأيت هذه الكتب وانما هى حديث وفقه وشعر ولغة وأخبار وكتب العلماء ومن كمله الله بالنظر في مثلها وينفعه بها وليست من كتبكم التى تبالغون فيها مثل عجائب البحر وحديث سندباد والسنور والفأر. وخشيت ان يؤدى الخادم قوله فيقال «من كان عنده »فيذكروني فيلحقني من ذلك ما أكره (الى مالى عندهم مما سأذكره والسبب فيه في موضعه من أخباره ان شاء الله) فقمت الى الخدم فسألتهم أن لا يعيدوا قوله فقالوا : والله ما نحفظه فكيف نعيده !

يقتصر على بعض من معه من الرجال . فنفذ أبو جعفر ومعه أبو اسحق القراريطي بهذا الجواب فلما ادّيا اليه الرسالة امتنع وقال : ان الرجال لا يقنعون بهذه الزيادة. ثم قال: ومن جعل ابن ياقوت أحق بالحجبة والرياسة مني؟ الناس يعلمون انه كان فى آخر أيام المقتدر بجلس بين يديّ ويمتثل أمري ومن جملة أخصّ بالخليفة مني وأنا نسيب أمير المؤمنين وقريبه وابن ياقوت ابن غلام من غلمانه؟[٤٧٦] فقال القراريطي : لو كنت تُراعى ما بينك وبينه من القرابة لما عصيته . فقال : لولا انك رسول لأوقعت بك قم فانصرف . ووضع هرون يده فى الاستخراج فاستخرج أموال طريق خراسان وقبض على عمال السلطان وجبي المالَ بعسفٍ وخبطٍ وظلم وتهور وكان الوقت قريبا من الافتتاح . فلما اشتدت شوكتُهُ شخص محمد بن ياقوت من بغداد في سائر الجيوش بالحضرة ونزل فى المضارب بنهربين واستظهر بانفاذ أبي جعفر محمد بن شيرزاد دفعةً ثانيةً برسالة جميلة ووعدهُ ان يوافقه على عدّة الرجال الذين يتقرر الامر معه على كونهم فى جملته وينظر فى جرائدهم وأرزاقهم لسنة خراجية فان وفى مالُ أعماله بماله ومالهم رجع الى الدينور والاّ سبّب له بالباقى على أعمال طساسيج النهروانات ونفذ اليه بهذه الرسالة يوم الاثنين . وقد وقعت طلائع عسكر هرون على طلائع عسكر محمد بن ياقوت وأصحاب هرون هم المستظهرون وكثر مضيُّ الجند من عسكر محمد ابن ياقوت الى هرون بن غريب مستأمنة اليه فتبين أبو جعفر من هرون انه اتّهمهُ بالميل الى محمد بن ياقوت وابن مقلة فلما رأى منه ذلك استأذنه فى الانصراف بالجواب فقال : انى أخاف عليك[٤٧٧] منه ان يعتقلك وانما بيننا وبين الوقعة وانكشاف الامر بيننا ليلةٌ واحدةٌ

فلما كان في يوم الثلثاء لستّ بقين من جمادى الآخرة تزاحف العسكران وكان المبدأ من أصحاب هرون واشتدّ القتال واستظهر أصحاب هرون لان عددهم أضعاف عدد ابن ياقوت وانهزم أكثر أصحاب ابن ياقوت وقطعة من الغلمان الحجرية ونهب أصحاب هرون أكثر سواد ابن ياقوت ونكسوهم عن دوابهم وأثخنوا فيهم الجراحات وقتلوا منهم عدّة فركب حينئذ محمد بن ياقوت وسار حتى عبر قنطرة نهر بين . ولم تزل الحرب غليظة الى ان قارب انتصاف النهار وركب هرون بن غريب مبادرا وسار منفردا عن أصحابه على شاطئ نهر بين يريد قنطرته لما بلغه ان ابن ياقوت قد عبر القنطرة وقدّر انه يقتله أو يأسره فتقطر به فرسه فسقط منه في ساقيه فلحقه عن غلامه فضربه حتى أثخنه بالطبرزينات ثم سلّ سيفه ليذبحه فقال له هرون: ياعبد السوء أنت تفعل هذا وتتولى بيدك قتلي ! أى شئ أذنبتُ به اليك ؟ فقال له : نعم أنا أفعلُ بك هذا . وحزّ رأسه ورفعه وكبر فتبدّد رجال هرون ودخل بعضهم من طرق أخر الى بغداد ونهب سواد هرون وأصحابه وأسر قوم (٤٧٨) وسار محمد بن ياقوت الى موضع جثة هرون فامر بحملها الى مضربه فحملت وأمر بتكفينه ودفنه وأنفذ من يحفظ دار هرون من النهب ودخل بغداد وبين يديه رأس هرون وعدّة من قوّاده فأمر الراضي بنصب الرؤس على باب العامة (١) وخلع على ابن ياقوت وطوّق وسوّر

﴿ ودخلت سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ﴾

وفيها قلد الراضي ابنيه الامير أبا جعفر وأبا الفضل المشرق والمغرب

(١) وفي الاوراق : فجيء برأسه الى الراضي فاظهر سرورا بذلك وسلمه الى أهله فدفن بقرب قبر أبيه في قصر عيسى بن علي في الكرخ في الجانب الغربي

واستكتب لهما أبا الحسين على بن أبي على بن مقلة وخلع على أبي الحسين لذلك يوم الاثنين لخمس خلون من المحرّم واستخلف أبو الحسين على كتابتهما أبا الحسن سعيد بن عمرو بن سنجلا وكتبت به الكتب (١)

وفيها ورد الخبرُ بغداد بان غلمان مرداويج بن زيار الجيلى قتلوه فى الحمام باصبهان . فتبجح محمد بن ياقوت وزعم أن التدبير فى ذلك كان له وانه كاتبَ غلاماً كان له واستأمن الى مرداويج بضعة عشر كتابا مع فيوج ذكرهم وسماهم من حيث لا يعلمُ أحد وأظهر كتبا من الغلام انيه فى هذا المعنى وأنشأ كتبا قرىء بعضها فى المسجد الجامع بهذا الخبر والشرح وكتب الى أصحاب الاطراف وأعلمهم (٤٧٩:) أن التدبير كان له وكل ذلك كذبٌ فانا سمعنا من شرح الصورة ما اقتضاه الامر من أوّله الى آخره ما نعلم انه لم يكن من تدبير بشرىّ

﴿ ذكر السبب فى قتل مرداويج ﴾

﴿ قال الاستاذ أبو على أحمد بن محمد مسكويه أدام الله نعمته ﴾

حدثني الاستاذ الرئيس حقا أبو الفضل ابن العميد رحمه الله انه لما حضرت ليلة الوقود التي تعرف بالسذق (٢) كان يقدم مرداويج قبل ذلك بمدة طويلة أن تجمع له الاحطاب من الجبال والنواحى البعيدة وان ينقل له فى الوادى المعروف بزرين رُوذ وما قرب من الغياض والمحتطب فكان يجمع ذلك من كل وجهٍ . وأمر بجمع النفط والنفاطين والزرّاقات ومن يحسن معالجتها واللعب بها وتقدم باعداد الشموع العظام المجلّسة ولم يبق جبل مشرف على جرّين

(١) وقال فيه أيضا أبو بكر الصولى: ما رأيت أحدا قط ملك من حسن رأى صاحبه ما ملك ابن سنجلا من الراضى (٢) معرب وهو بالفارسية (سده)

اصبهان ولا تلّ ظاهر الا عبّيت عليه الاحطاب والشوك وعمل على مسافة بعيدة من مجلسه بحيث لا يمكن أن يتأذى بالوقود كهيئة تصور عظيمة من الأجذاع وضُبّبت بالحديد الكثير حتى تماسكت . وحشيت بالشوك والقصب وصيدت له الغربان والحدأ وعلق (٤٨٠) بمناقيرها وأرجلها الجوز المحشو مشاقةً ونفطا . وعمل بمجلسه الخاصّ تماثيل من الشمع وأساطين عظام منه لم ير مثلها ليكون الوقود فى ساعة واحدة على الجبال ورؤس اليفاعات وفى الصحراء وفى المجلس على الطيور التى تطلق . ثم عمل له سماط عظيم فى الصحراء التى تبرز اليها من داره وجمع فيه من الحيوانات والبقر والغنم ألوف كثيرة وزين واحتُشد له بما لم تجر العادة بمثله . فلما فرغ من جميع ذلك وضربت مضاربه قريبا من السماط وحضر الوقت الذى ينبغى أن يجلس فيه مع القوم للطعام ثم للشرب خرج من منزله وطاف على سماطه وعلى الآلات التى ذكرتها للوقود فاستحقرها كلها واستصغر شأنها (قال) وذلك لاجل سعة الصحراء ولان البصر اذا امتد فى فضاء واسع ثم انقلب عنه الى هذه الاشياء المصنوعة استحقرها وان كانت عظيمة. فاغتاظ وتداخله من النخوة والجبرية ما سكت معه ولم يتكلم بحرف ودخل الى خركاه فى خيمة عظيمة واضطجع ثم حوّل وجهه الى خلاف الباب والتفّ بكسائه لئلا يكلمه أحد. واجتمع الامراء والكبار والقوّاد وسائر الجند والنظّارة ولم يجسر على خطابه أحد ولا على (٤٨١) تحريكه وأبطأ على الناس خروجه حتى فات الوقت . وأخذ الناس فى الارجاف به فتحدثوا سراً وهمساً وخيفت الفتنة فحينئذ مشى العميد حول الخركاه ودمدم بكلامه المقتضى للجواب فلم يتكلم بحرف ولم يزل يدارى فى الكلام ويدعوا له الى ان اضطره الى الجلوس ثم دخل اليه فقال:

أيها الامير ماهذا الكسل فى وقت النشاط وحضور الاولياء وفرح الصديق وانخزال العدوّ ؟ فقال : يا أبا عبد الله وأى نشاط يحضرنى مع الاستخفاف والاستهانة وقصور الامر ! والله لقد افتضحتُ فضيحة لا يغسلها عنى شىء أبدا . قال العميد : ودهشت ساعةً ثم قلت : أيها الامير وما ذلك؟ فقال : أما ترى نزارة ما أمرت به من الاستكثار منه وقلّتهُ وتاحتَهُ من الطعام والسماط ثم من جميع آلات الوقود والاشياء المتصلة بها . فقلت : والله أيها الامير لقد عمل من هذه الاشياء مالم يسمع بمثله فضلا عن أن يُرى فقم الى مجلس أنسك وعاود النظر . فأبى ولجّ الى أن قلتُ : فان الاعداء يرجفون بكيت وكيت فاتق الله اركب وطف طوفةً لتزول الاراجيف ثم اعمل ما بدا لك فانا سنعتذر عنك . فزادَهُ ما حكيتهُ له من (٤٨٢) أراجيف الناس به غيظا وحنقاً ثم قام فركب كارهاً متحاملاً وطاف مغضباً مغتاظاً قدرما رآه الناس وانصرف الى موضعه ولزم حالتـه الاولى . وجمع الناس الذين دُعوا على خبط فانى أكثرهم وانصرف من كان حاضراً وقالوا : لا نأمن الا يأنس الامير .

وبقى فى معسكره ثلاثاً لا يظهر ولا يرى الا انه يعلمُ انه حاصلٌ فى قصر أبى على ابن رستم . فلما كان اليوم الثالث تقدّم باسراج الدواب ليعود من جرين الى داره وهى التى كانت لابى على ابن رستم بالمدينة ولها باب الى الصحراء وباب الى المدينة فأسرج الغلمان واجتمعوا بالباب وذلك بعد الظهر فنعس نعسة ونام فأبطأ ودخل وقت العصر واتفق ان شغبت دَوابّ الغلمان وارتفعت أصواتهـا وأصوات من يزجرها ولم يمكن أن يفرق بينها لازدحامها بالباب ولأن أكثرها بأيدى غلمان الغلمان ينتظرون ركوب الامير

فركب الغلمان بركوبه . فانتبه مرداويج مذعورا لما كان في نفسه من اقدام الناس عليه بالاراجيف وسأل من يليه عن السبب فلم يعرفوا صورة الامر فقام بنفسه واطلع على الدواب والشاكرية واذا هم بأسرهم يصيحون لزجر الدوابّ والدواب قد سقط بعضها على بعض ولها[٤٨٣] أصوات هائلة منكرة فارتاع ساعة حتى عرف حقيقة الامر ثم سكن فسأل عن أصحاب الدواب فقيل « هم الغلمان الاتراك » فأمر أن تحط السروج عن ظهور الدواب وتُجعل على ظهور الغلمان مع جميع آلتها ويدفع الدواب بأرسانها اليهم ليقودوها بانفسهم الى الاصطبلات ففعلوا ذلك وكانت صورة قبيحة يتطيّر من مثلها ويتشأم بها . ثم ركب هو بنفسه مع خاصته وهو يتوعد الغلمان حتى صار الى منزله قرب العشاء وكانت طشة من مطرة بلته فلما دخل دارهُ كانت كالخالية ليس فيها الاصبيان الاصاغر وخادم اسود كان أستاذ أولئك الغلمان فدخل الحمام بغير ثيابه . وقد كان قبل ذلك بطش بغلمان أتراك كبار فحقدوه ولكن لم يكونوا يجدون أعوانا فلما فعل بالجماعة ما فعل اغتنموا الصورة وانتهزوا الفرصة وقال بعضهم لبعض : ما وجهُ صبرنا على هذا الشيطان . فاتفقوا على الفتك به [١] ولما دخل الحمام سألوا الغلام الذي يلي

(١) وفي الاوراق : وكان السبب في قتل مرداويج انه جعل عسكره صنفين صنف منهم جيل وديلم وهم خواصه وأهل بلده والذين فتح بهم الري ونواحيها ومنهم صنف الاتراك وأهل خراسان . ثم استخص نفراً من الاتراك فوجد الديلم من ذلك وعاتبوه عليه فقال : انما اتخذت الاتراك لاقيكم بهم وأقدمهم يحاربون بين أيديكم واني آخذكم خاصتي وانا بكم ولكم . فبلغ ذلك الاتراك فاجتمع رأيهم على قتله فنصبوا الغلمان الصغار الذين في خدمته ووكدوا عليهم بالتركية أن يفتكوا به فقتلوه في حمام .

خدمته فى الحمام الا يحمل معه سلاحه (وكان رسمه ان يدخل معه الى الحمام دشنيا ملفوفا فى منديل) فقال الغلام: لا أجسر ان أتقدم بين يديه وليس معى الدشنىّ. فاتفقوا على ان يكسروا حديدته (٤٨٤) ويتركوا النصاب فى الجفن ثم يلف فى المنديل حتى لا ينكر الصورة ويتركه فى زاوية الحمام على الرسم. ثم هجم عليه جماعة والخادم الاسود جالس على كرسىّ بباب الحمام فلما رآهم ثار فى وجوههم وصاح بهم فضربه بعضهم بسيفه فاتقاهُ بيده فطاحت من الذراع وسقط وهجم القوم وارتفعت الضجة. فاحس مرداويج بالشر فبادر فسند الباب من داخل بسرير وكان يجلس عليه بعد ان طلب الدشنىّ فلم يجده ودفع الغلمان الباب فتعذر عليهم فصعد نفر منهم الى قبة الحمام فكسر الجامات ورموه بالنشاب فدخل البيت الحارّ وأخذ فى مداراتهم وضمن لهم كل جميل فكانهم تهيبوه ساعة ثم علموا ان الغاية التى بلغوها منه ليس يجوز ان يكون بعدها صلح فحمل بعضهم على ناحية الباب الذى وراءه السرير حتى كسروه ودخلوا عليه فشق بعضهم جوفه بسكين معه وضرب هو وجه بعضهم بكرنيب فضة فى يده فأثر فيه أثرا قبيحا وخرجوا من عنده وعندهم انه قد فرغوا منه فقال لهم رُفقاؤهم الذين كانوا خارج الحمام: ما صنعتم؟ قالوا: شققنا جوفهُ. فقال أحدهم: عودوا اليه (٤٨٥) فحزوا رأسهُ. وانما فعلوا ذلك لانه كان اتفق فى تلك الايام ان بعض الفرّاشين فى الدار شق بطنه بجراحة فخيط الجرح وعولج فسلم فخافوا ان يجرى ذلك المجرى فحزوا رأسهُ.

وقيل انه لما عاودوه قد جمع حشوة بطنه وردها وقبض عليها بشماله وقاتل بكرنيبه ساعة حتى فُرغ منه. فلما طرحوا رأسه فى الدار بادروا الى الاصطبلات فاسرجوا الدواب وأوكفوا البغال واحتملوا من الخزائن

ماأمكنهم من المال والسلاح ورحلوا .

وفي خلال ذلك تهيأ لبعض من في الدار تسوُّر الحيطان فدخلوا المدينة وقد (جنّهم) الليل فخبّروا الجند والقوّاد بما جرى وهم سكارى متفرقون واجتمع بعضهم وأوقدوا النيران وضربوا بالبوقات وأسرجوا الدواب وأخذوا السلاح وساروا الى الصحراء لينقلبوا الى الباب الذى منه المدخل فالى ان يفعلوا ذلك فاتهم الغلمان ولم يجدوا غير غايمة أصاغر لاذنب لهم فقتلوا منهم عدة ثم كفّوا عنهم . وخشى أهل الرأى من حشمه ان تنهب الخزائن فاشار العميد باحراقها وهدم البنيان عليها فسلم [٤٨٦] المال وأكثر الذخائر لان المتّهمين حضروا والنار والدخان ثائرة فى الموضع فلم يصلوا الى شئ .

وكان ركن الدولة أبو على الحسن بن بويه رهينة عند مرداويج من جهة أخيه على بن بويه عماد الدولة فلما أحسّ بالصورة دارى الموكلين به وضمن لهم ضمانات كثيرة فساعدوه حتي هرب بعد ليلة من قتل مرداويج

اتفاق عجيب اتفق له فى هربه

لما خرج بقيوده الى الصحراء وجاس ليكسرها أقبلت بغال عليها (تبن) وعليها أصحابهُ فنكسهم وركب هو ومَن معهُ البغال وحثها حتي سلم وفات الطلب

فأما الاتراك فافترقوا فرقتين أما فرقة فسلكوا نحو فارس مستأمنين الى على بن بويه (وفيهم خجخج الذى سمله توزون لما ملك العراق) وأما فرقة فسلكت الجبل وهى الاكثر عددا وفيهم بجكم الذى ملك الامر بالعراق وتقلد أمارة الامراء بها فى أيام الراضي وسنذكر من أخباره ما يليق

بهذا الكتاب (١) فاما ما جري عليه أمر أصحاب مرداويج فان أبا مخلد كان يتحدث وكان من خدم مرداويج وصاحب دولته ان تابوت مرداويج حمل الى الرى قال: (٤٨٧) فما رأيت يوما أعظم من اليوم الذى دخل فيه تابوته الرىّ وذاك ان الجيل والديلم باجمعهم ساروا مشاةً حفاةً معه أربعة فراسخ. وذكر انه كان أخوه وشمكير ماشيا معهم ثم مضوا من اصبهان على مكبرة أبيهم معه الى الرىّ وكان الناس لا يشكون أنهم يستأمنون الى على بن بويه. فبطل هذا الظن وقال: لم أر قط عسكرا هلك صاحبهُ فوفى له رجالهُ وجندهُ بغير درهم ولا دينار ذلك الوفاء فانهم صاروا الى أخيه وشمكير على هذه الحال. وعرف شيرج ان اصبهان خالية وكان بالاهواز من قبله فسار للوقت الى عسكر مكرم وستر الخبر وكان بها هرجام الجيلى فأسرّ اليه بالخبر وأخذه معه ثم سار الى تستر وبها جيلىّ وكان وجها كبيرا فحدثهُ وأخذهُ معه وقصد جند يسابور وبها اسمعيل الجيلى وكل واحد من هؤلاء نظير لشيرج فاطلعه على الامر وسار بمسيره فصارت الجماعة الى السوس وبها عبد الله بن وهبان القصبانى البصرى عامل كور الاهواز من قبل مرداويج والشابشتى الحاجب وكان ثقة مرداويج وكان رتبهم مرداويج على ما ذكر أبو مخلد على ان يتوجه (٤٨٨) شيرج الى واسط ثم الى بغداد وكان مرداويج ينتظر خروج الشتاء فى سنة ٢٣ فيقصد أرجان أولا ثم يناجز على بن بويه فاذا فرغ منه عدل الى الاهواز ثم منها الى السوس وينفذ معظم خيله الى شيرج ليتقدمه الى واسط وكان فى نفسه ان يملك بغداد ويعقد التاج على رأسه ويعيد ملك الفرس فعوجل

(١) وفي الاوراق ان الأتراك الذين قتلوا مرداويج اضطربوا وقالوا نجعل علينا رئيساً فرضوا ببجكم. وانه صار والغلمان الذين معه الي ابن رائق فقبله أحسن قبول

بالقتل . فسار عسكره كله كما ذكرنا مع شيرج والشابشتي وابن وهبان من السوس الى الرى على طريق شابرخواست والكرج يريدون وشمكير أخاهُ ما عارضهم معارض ولا أقدم أحد على منابذتهم والافساد عليهم ولما حصلوا بها بايعوه . واستوزر وشمكير ابن وهبان وشكر له حسن تصرفه لاخيه بالاهواز

وكان مرداويج يوم قلّدَهُ الاهواز أرزقه الفى دينار فى الشهر وقال له : ان نصحتَ وأديت الامانةَ استوزرتكَ بالحضرة ونصبت الرايات بين يديك الى باب نصيبين وان خنتنى وشرهت نفسك فان كركرتك كبيرة ومعدتك عظيمة والحلاوات بالاهواز كثيرة فهذا دشنى ترى انبساطه وحدّهُ والله لاشقنّ به بطنك هذه(٤٨٩) الكبيرة . فقال له : ستعلم أيها الامير كيف انصح وأؤدى الامانة وانى مستحق لاصطناعك . وكان هذا الرجل من أهل البصرة وله أبٌ قصباني وانما تقلّد فى أيام ابن الخال همذان فلما انهزم ابن الخال من وقعة مرداويج وقصد الحضرة لانتزاع الرياسة من محمد بن ياقوت وجرى عليه ماجرى حصل مرداويج بهمذان ووقع فى يده ابن وهبان فعفا عنه واستعملهُ فنفق عليه . وكانت كتُب مرداويج تَرِدُ على ابن وهبان ان يَعِدّ له ايوان كسرى منزلا اذا تقدمه الى الحضرة ويعمرهُ ويعيده كهيئته قبل الاسلام وانه معتقد للمقام بواسط الى أن يُستتمّ ذلك وأنه يراه وشيرج مع من معهما اكفاء لمن بالحضرة من ابن ياقوت والحجرية والساجية وسائر الأصناف وأنه مستغن عن ان يلقاهم بنفسه . وكان قد صاغ تاجاً عظيما ورصّعهُ بالجوهر (١) وذكر أبو مخلد انه

(١) وزاد الصولى فى الاوراق أنه قال : أنا أردّ دولة العجم وأبطل دولة العرب

رآهُ قبل الحادثة بأيام جالساً على سرير ذهب قد جعل عليه منصَّةً عظيمة وتفرّد بالجلوس عليه وجعل دونه سريرٌ فضّة وعليه فرش مبسوط ودون ذلك كراسي كبارٌ مذهبة (٤٩٠) وغير ذلك ليرتّب أصحاب الاوزار مراتبَهم في الاجلاس قال : وكان الكافة من الناس بالبعد قياماً ينظرون اليه ما ينطقون الا همساً اعظاماً له واكباراً لقدره .

وفيها وقع بين أصحاب ياقوت ومحمد بن رائق شر فاقتتلوا وقتل بينهم خلق

﴿ وفيها قبض على المظفّر ومحمد ابني ياقوت بتدبير ابي علي بن مقلة ﴾

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان السبب في ذلك ان أبا علي كان قلقاً من غلبة محمد بن ياقوت على دير الأمور ونظره في جباية الأموال وحضور أصحاب الدواوين مجلسه وتفرده بما يعمله الوزراء وعطلته هو الى أن تمّ تدبيره عليه . فلما كان يوم الاثنين لستّ خلون من جمادى الاولى ركب القواد الى دار السلطان على رسمهم في أيام المواكب وحضر الوزير أبو علي ابن مقلة وأظهر الراضي أنه يريد أن يقلد جماعة من القواد عدّة نواح من المملكة. ويخلع عليهم وحضر محمد بن ياقوت للخدمة وأبو اسحق القراريطي كاتبه معه وجلسوا على رسمهم في الصحن التسعيني ثم خرج الخدم الى محمد بن ياقوت فعرفوه ان الخليفة يطلبه فقام مبادراً (٤٩١) فلما دخل عدل به الى حجرة قد أعدّت له وأخذ سيفه ومنطقته ووكل به ثم خرج الخدم الى أبي اسحق القراريطي فعرفوه ان صاحبه يطلبه فلما دخل عدل به الى حجرة أخرى وحبس ووجه بقوم الى دار المظفّر بن ياقوت فقبض عليه وحمل الى دار السلطان وحبس مع أخيه وكان وجد قريباً من السكر لانه كان يشرب. ونفذت حيلة الوزير

أبي علي عليهم وتقدم الى الغلمان الحجريّة والساجيّة أن يصيروا الى دار السلطان وأن يضربوا مضاربهم في بابي الخاصّة والعامّة ليحفظوا الدار . وأمر مُفلح الاسود [1] أن يصير الى دار محمد بن ياقوت ... [2] وخلع عليه . وسلم القراريطي الى الوزير أبي علي فأخذ خطه بخمسمائة الف دينار ثم تقرر أمره على ثلاثة آلاف الف درهم [3]

وانحدر ياقوت من واسط الى السوس بجميع أصحابه وكتب الى الراضي بالله كتاباً في أمر ابنيه يستعطفه فيه لهما ويرقق قلبه عليهما ويسئله الاحسان اليهما وتجديد الصنيعة عندهما وعنده فيهما وان يلحقهما ليعاونانه على أمره ويكونان معه في حروبه

ولما زال أمر محمد بن ياقوت وتفرد أبو علي بالتدبير استخلف ابنه أبا الحسين (٤٩٢) على جميع الدواوين والأعمال وصارت مكاتبة جميع أصحاب الدواوين له وانفاذهم الاعمال اليه فصار يعزل ويولي ويحل ويعقد . وصار اليه أبو عبد الله احمد بن علي الكوفي وطرح نفسه عليه وارتسم بكتابته وكان يكتب

---

(١) قال صاحب التكملة في ترجمة سنة ٣٥٦ : في ذى الحجة توفي مفلح الاسود خادم المقتدر بالله بمصر (٢) سقط بعض الألفاظ من الأصل (٣) قال أبو بكر الصولي في الأوراق : وقبض على نجاح كاتب ابن ياقوت على الجيش . فقبض من ابن ياقوت على رجل كامل في العقل وعلم وشجاعة وصيانة وعفاف واجتمع الحجرية والساجية وقالوا : لانرى أن يكون بدر الخرشني والياً شرطة بغداد . فسفر بينهم وبين بدر ورفق بهما حتى رضوا به . وبلغ السلطان ان أبا الفتح (المظفر) بن ياقوت يضرب الحجرية والساجية على الراضي ليفتكوا به وتوقع البيعة لبعض اخوته فقبض عليه وهو بين يديه يخاطبه ووكل بدوره فلم تنهب وحمل ما فيها ليلا الى دار السلطان . وخلع الراضي على غلامه ذكي للحجبة يوم الثلاثاء لسبع خلون من جمادي الاولى . وغضب صغار الحجرية لابن ياقوت وقالوا : يناظر بحضرتنا فان وجد عليه شيء والا أطلق . فداروهم حتى سكنوا

لأبي اسحق القراريطي وكان مستولياً عليه فقبله أبو علي واختص به وبابنه.
وشغب الجند وطالبوا بأرزاقهم وصاروا الى دار الوزير أبي علي ونهبوا اصطبلاته وأخذوا من بابه من كان في مجلسه ونكسوا جماعة ممن لقيهم من الكتاب عن دوابهم وأخذوها منهم فاطلق لهم أرزاقهم وسكنوا
وفيها قوى أمر أبي عبد الله البريدى واستفحل أمره

﴿ ذكر أسباب ذلك ﴾

كان أبو عبد الله البريدى ضامناً أعمال الخراج والضياع بالاهواز فلما وافاها شيرج بن ليلى الديلمى من قبل مرداويج خرج الى البصرة بعد هزيمة ياقوت وغلامه مونس كما كتبناه فيما قبل واقام يدبر أسافل الاهواز الى ان قرر له محمد كتابة ابنه نخرج معه الى واسط. فبينما هو معه يدبرأمره اذ ورد بالقبض [٤٩٣] علي محمد والمظفر ابني ياقوت فارتاع ياقوت من ذلك ارتياعاً شديداً. وكتب أبو علي ابن مقلة الى أبي عبد الله البريدى أن يسكنه ويعرفه ان الجند اضطربوا وتطيروا لهما وشغبوا مراراً «كما بلغك» ثم أرسلوا للخليفة بأنه ان لم يقبض عليهما أحدثوا في الملك حادثة عظيمة واضطر الى أن يرضيهم بما أمضاه فيهما وأنه يتلافى أمرهما عن قرب وينفذهما اليه وان الرأى أن يبادر هو لفتح فارس. نخرج ياقوت من واسط على طريق السوس الى عسكر مكرم وأخرج أبو عبد الله البريدى معه أبا الحسن ابن حميد البصرى ليخلفه على كتابته وكان صنيعته وأخرج أبا زكريا يحيى بن سعيد السوسى لخدمته في بلده فدخل ياقوت عسكر مكرم وهما معه ثم وافى أبو عبد الله البريدى من طريق الماء الى الاهواز وورد بعده أبو يوسف أخوه وكان اليه السوس وجنديسابور شركة بينه وبين

أخيه أبى الحسين . وادّعيا ان مال سنة ٣٢٢ احتمله شيرج بن ليلى وان النواحى معطّلة الارتفاع فى السنة التى بعدها فانفذ أبو على ابن مقلة ابن عينويه لكشف ذلك (٤٩٤) وطابقهما وكتب يصدقهما

فكانت هذه الفتنة نعمة على أبى عبد الله وأبى يوسف البريديين فانه تحصّل لهما بها ومما بعدها الى وقت انهزامهما من الاهواز على ماحدّث به أبو الفرج ابن أبى هشام أربعة آلاف الف دينار خرجا بها على السلطان . ثم قصدا عسكر مكرم للاجتماع مع ياقوت فوافياها وتلقاها فى الموضع المعروف بفوهة النهرين وسيّراهُ الى ارجان لِفتح فارس

وفيها خرج توقيع الراضى بالله بان تكون المخاطبة والمكاتبة من جميع الناس لابى الحسين على بن محمد بن مقلة بالوزارة وكان سنُّه اذ ذاك ثمانى عشرة سنة وان يكون الناظر فى الامور صغيرها وكبيرها وتقدم الى جميع أصحاب الدواوين بذلك وخلع على أبى الحسين خِلع الوزارة وخوطب بها وحمل على شهرى وانصرف من دار السلطان على الظهر ومعه القوّاد والجيش والخدم وأصحاب الدواوين . وانصرف أبو على فى طيارهِ الى منزله وصار اليه ابنه بالخلع وطُرح له مصلّى فى مجلس أبيه ودخل الناس معه وهنئوا أبا على وأنشده الشعراء وأمر ابو الحسين ونهى ووقع (٤٩٥) وصار طرحُ المصلى فى مجلس أبيه رسما له . وخرج رسم أبيه الى جميع أصحاب الدواوين الاَّ ينفذوا توقيعا له الاِ بعد عرضهم اياه على ابنه أبى الحسين واستثماره فيه وأخذ توقيعهُ بخطّهِ فيه بامتثاله .

وشغب الفرسان شغبا بعد شغب وكانوا يأخذون دواب الناس من باب الوزير

وفيها ركب بدر الخرشنى فنادى فى جانبى بغداد فى أصحاب أبى محمد البربهارى الحنبلية الايجتمع منهم نفسان فى موضع واحد وحبس جماعة منهم واستتر البربهارى وكان سبب ذلك كثرة تشرطهم على الناس وإيقاعهم الفتن المتصلة . وخرج توقيع الراضى بالله الى الحنبليين بما نسخته :

(بسم الله الرحمن الرحيم) من نافق باظهار الدين وتوثب على المسلمين وأكل به أموال المعاهدين كان قريبا من سخط رب العالمين وغضب الله وهو من الضالين : وقد تأمل أمير المؤمنين أمر جماعتكم وكشفت له الخبرة عن مذهب صاحبكم[1] زين لحزبه المحظور ويدلي لهم حبل الغرور. فمن ذلك تشاغلكم بالكلام فى رب العزة تباركت أسماؤه وفى نبيه والعرش (٤٩٦) والكرسى وطعنكم على خيار الامة ونسبكم شيعة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكفر والضلال وارصادهم بالمكاره فى الطرقات والمحال. ثم استدعاؤكم المسلمين الى الدين بالبدع الظاهرة والمذاهب الفاجرة التى لا يشهد بها القرآن ولا يقتضيها فرائض الرحمن وانكاركم زيارة قبور الأئمة صلوات الله عليهم وتشنيعكم على زوارها بالابتداع . وانكم مع انكاركم ذلك تتلفقون وتجتمعون لقصد رجل من العوام ليس بذى شرف ولانسب ولاسبب برسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرون بزيارة قبره والخشوع لدى تربته والتضرع عند حفرته فلعن الله ربا حملكم على هذه المنكرات ما أرداه وشيطانا زينها لكم ما أغراه . وأمير المؤمنين يقسم الله قسما جهد الية يلزمه الوفاء به لئن لم تنصرفوا عن مذموم مذهبكم ومعوج طريقتكم ليوسعنكم ضربا وتشريدا وقتلا وتبديدا ويستعملن السيف فى

(١) بياض فى الاصل

(٤٩٧) رقابكم والنار فى محالّكم ومنازلكم فليبلغ الشاهد منكم الغائب فقد أعذر من أنذر وما توفيق أمير المؤمنين الا بالله عليه يتوكل واليه ينيب .

وفيها شغب الجند وصاروا الى دار الوزير فوقع النهب فى خزانة له فيها زجاج مخروط وبلور وصيني وغير ذلك فدخلوا الدار وشغبوا فيها وخرج الوزيران عن دُورهما وصارا الى الجانب الغربى . وكان الوزير أبو على نفى الخصيبي وسليمان بن الحسن الى عُمان وكاتب صاحب عمان بحبسهما والتضييق عليهما فاطلقهما ووردا بغداد مستترين فورد على الوزير من ذلك ما أقلقهُ وكبس عليهما عدّة مواضع فلم يظفر بهما (١)

﴿ وفيها قتل الحسن بن عبد الله بن حمدان عمّهُ أبا العلاء سعيد ﴾
﴿ ابن حمدان وخرج لذلك أبو على ابن مقلة الى الموصل ﴾
﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان أبو العلاء شرع فى تضمن الموصل وديار ربيعة فضمن ذلك سرّاً

(١) قال فيه صاحب التكملة : وكان ابن مقلة قد أحدر الخصيبي وسليمان بن الحسن الى البصرة وأمر البريدى بنفيهما في البحر فجن بهما الليل فكادا يغرقان وأيسا من الحياة فقال الخصيبي : اللهم انى أستغفرك من كل ذنب وخطيئة وأتوب اليك من معاودة معاصيك الا من مكروه أبي على ابي مقلة ان قدرت عليه جازيته عن ليلتى هذه وما حل بى منه فيها وتناهيت في الاساءة اليه . فقال سليمان : ففى هذا الموضع وأنت معاين للهلاك تقول هذا ! فقال : ما كنت لاخدع ربي . ولما صارا الى عمان عدل بالخصيبي الى سرنديب فعرف سليمان بن الحسن ابن وجيه خبره فامر برده الى عمان

ولما عزل الراضي ابن مقلة وولى عبد الرحمن بن عيسي ضمن الخصيبي ابن مقلة فلما رآه تلفت نفسه فاسمعه الخصيبي نهاية ما كره وسلمه الى الدستوائى (وكان لابن مقلة اليه اساءة لانه سلمه الى بنى البريدى حتى أزالوا نعمته) فعمل الدستوائي بابن مقلة صنوف المكاره وجاء أبو بكر ابن قرابة فضمن عنه مائة الف دينار والفى دينار ودفعت الضرورة الى ان وزن ابن قرابة المال من عنده

وخلع عليه وأظهر انه ينفذ الى الموصل لموافقة ابن أخيه أبي محمد [١] على ماعليه من مال الضمان ومطالبته بحمله وشخص فى نحو خمسين غلاما من غلمانه فدخل الموصل . وعرف ابن أخيه خبر موافاته (٤٩٨) فخرج نحوه مظهرا لتلقيه واعتمد ان يخالفه الطريق فلا يراه ومضى أبوا العلاء الى دار أبي محمد فنزلها وسأل عن خبره فعرّف انه خرج ليتلقاهُ فجلس ينتظره . فلما علم أبو محمد ان عمهُ قد حصل فى داره وجه بغلمانه فدخلوا الى ابي العلاء الى البيت الذى كان فيه فقبضوا عليه وقيدوهُ ثم وجّه بقوم علوهُ باسيافهم وقتلوهُ ولم يقع بينه وبين ابن أخيه لقاءٌ وورد الخبر بذلك الى الراضي فانكره وتقدم الى الوزير أبي علي بالتأهب للخروج الى الموصل والايقاع بالحسن بن عبدالله بن حمدان والنائب عنه بالحضرة .

فذكر ان علي بن عيسى كتب الى الحسين بن عبد الله بن حمدان بخطه عن أمير المؤمنين الراضى بالله بالانفراج عن ضمانه وألا يحمل شيئا الى الحضرة من ماله وان يمنع من حمل الميرة الى بغداد فأخذ أبو علي ابن مقلة خطهُ بذلك وأحضر جماعة من الشهود حتى شهدوا عليه . وسلم الوزير الكتاب الى ابن سنجلا ليعرضه على الراضى بالله فلما كان من غد وهو يوم الاربعاء انحدر الوزير أبو علي الى دار السلطان وانصرف الى منزله . فوجه الراضى راغب وبشرى خادميه الى علي بن عيسى فحملاه الى الوزير (٤٩٩) أبي علي فلم يُوصله اليه واعتقله فى حجرة من داره وراسله علي بن أحمد بن علي النوبختي وعرّفه ما أشهد به سهل بن هاشم على نفسه وان الخليفة أنكر فعله وما زالت المراسلات تتردد بينهما الى ان ألزمه أبو علي مصادرة خمسين الف دينار على أن يحمل فى

(١) يعني ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان

باب أبي جعفر بن شيرزاد صاحب ديوان النفقات للاتراك عشرة آلاف دينار وتؤخذ منه عقار وضياع بعشرة آلاف دينار فالتزم أبو الحسن ذلك

فيقال ان طليباً الهاشمي كان قال لعلي (١) بن عيسى عن الراضي بالله أن يكاتب الحسن بن عبد الله عنه ويتوسط بينهما على أن يحمل اليه سرا سبعين الف دينار في نجوم وشرط عليه الحسين أن يحميهُ ويمنع منه ومن تشعيث أمره ويقرّره على ضمانه ولا يقبل زيادة عليه فحمل بعض تلك النجوم وأخر باقيها . وأنكر الخليفة كل ما جرى في هذا الباب وذكر انه لم يصل اليه شيء (٢)

وأخرج مضرب الوزير أبي علي وخرج على مقدمته نقيط الصغير وابن بدر الشرابي وجماعة من الحجرية وغيرهم وخلّف ابنه الوزير أبا الحسين بالحضرة في خدمة السلطان وتدبير الامور . وقبل شخوصه أطلق (٥٠٠) أبا الحسن علي بن عيسى وأخرجه الى ضيعته بالصافية وأحلفه على أنه لا يسعى في مكروهه ولا يتكلم فيه بما يقدح في حاله ولا فيما يفسد أمره ولا يسعى في الوزارة لنفسه ولا لغيره من سائر الناس فحلف وخرج من وقته الى الصافية (٣)

(١) وفي الاصل : لعيسى . (٢) وقال أبو بكر الصولي في الاوراق : وكان الاصل في هذا ان الراضي زعم ان ابن حمدان الحسن وجه اليه بخمسة آلاف دينار على يد ابن طايب الهاشمي ليوصلها الى الراضي فلم يفعل ذلك . وكان الراضي بعد نكبة علي ابن عيسي يحلف ان علياً احتال لخمسة آلاف فكنت أقول له : لو تأمل سيدنا هذا من أين وقع وان علياً لا يعدّ عينه الى خمسة آلاف دينار وهو أبعد الناس من هذا . وكنت أحدثه عنه بما أقدر ازالة ما وقع بقلبه فلا يقبل الى ان ضرني ذلك عنده . وسعي بي قوم من الجلساء الى الوزير فانحرف عني بعد ميل وحرمني بعد عطاء

(٣) زاد فيه الصولي في الاوراق : فانتقل والله إلى الصافية جمال بغداد ومن لا يرى الناس مثله .

ولما قرب الوزير أبو علي من الموصل رحل عنها أبو محمد وتبعه الوزير الى ان صعد جبل التنين ودخل بلد الزوزان فعاد حينئذ أبو علي الى الموصل وأقام بها يستخرج مال البلد ويستسلف من التجار المجهزين للدقيق مالا على أن يطلق لهم به غلات البلد فاجتمع له من ذلك أربعمائة الف دينار. ولما طال مقام الوزير بالموصل احتال سهل بن هاشم كاتب أبي محمد بن حمدان فبذل للوزير أبي الحسين ابن الوزير أبي علي عشرة آلاف دينار حتى كتب الى أبيه بأن الامور بالحضرة قد اضطربت عليه وأنه متى تأخر وروده الحضرة لم يأمن حدوث حادثة يبطل بها أمرهم فانزعج الوزير من ذلك وقلد علي بن خلف بن طناب أعمال الخراج والضياع بالموصل وديار ربيعة وقلد أعمال المعاون بها ماكرد الديلمي من الساجية. وتقدم بتوفية التجار ما استسلفه منهم من المال وانحدر(٥٠١) الى الحضرة (١) وخرج لتلقيه الأمير أبو الفضل وأصحاب الدواوين والقواد ولقي الخليفة وانصرف الى منزله وخُلع عليه من الغد وعلى ابنه خلع مُنادمة وحُمل اليهما ألطافٌ وشراب وطيب وبلور.

وكان الوزير أبو علي كتب الى الوزير ابنه قبل أن ينحدر من الموصل بازالة التوكيل عن أبي الحسن علي بن عيسى وان يكتب اليه أجمل خطاب ويُخيّرهُ بين الانصراف الى مدينة السلام وبين المقام بالصافية فكتب اليه الوزير أبو الحسين بذلك. وكان السبب فيما كتب به الوزير أبو علي من ذلك أنه كان كتب الى أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان كتاباً يدعوه فيه

(١) وفيه أيضاً أنه أقام بالبردان لثلاث بقين من شوال لينقضي كسوف الشمس وكان لليلتين بقيتا من شوال ثم دخل في أول ذي الحجة

الى الطاعة و يبذل له الامان فقبل الكتاب وقال للرسول : ليس بيني وبين هذا الرجل عمل (يعني ابن مقلة) ولا أقبل ضمانه لانه لاعهد له ولا وفاء ولا ذِمة ولا أسمع منه شيئاً اللهم الا أن يتوسط أبو الحسن علي بن عيسى بيني و بينه ويضمن لى عنه فاسكن الى ذلك وأقبلُهُ .

وكان أبو عبد الله احمد بن على الكوفي مقيما بالحضرة فى وقت خروج أبي على ابن مقلة الى الموصل ويلزم مجلس الوزير أبي الحسين يظهر له النصيحة والموالاة ويجتهد [٥٠٢] فى التخلُّص منه والبعد عنه الى أن ورد كتاب أبي عبد الله البريدى يوئس فيه من حمل مال الى الحضرة فى ذلك الوقت فغلظ على الوزير أبي الحسين ذلك لانه كان أعدّ ما يحمله لوجوه فاقرأ أبا عبدالله الكوفى كتاب البريدى فاستعظم ما فيه وأشار بأن يخرج هو الى الاهواز ليواقف البريدى على أمر الرجال الذين أحال بصرف المال اليهم ويعرضهم ويطلق مايجب لهم ثم يحمل الى الحضرة مالا عظيما ويحمل ساعة وصوله مائة الف دينار . فكتب الوزير أبو الحسين الى أبي عبد الله البريدى بأنه لا يقبل فى تأخُّر المال عنه عُذرَهُ وقد أحوجهُ الى انفاذ أبي عبد الله أحمد بن على الكوفى لمواقفته على أمر المال ومطالبته بحمله ونُفذ الكتاب و تبعه أحمد بن على الى الاهواز . فلما حصل عند أبي عبد الله البريدى لم يمكنه مخالفته على مايُريد وكتب أنه لم يتمكن من عرض الرجال ولا المواقفة على أمر المال وأقام عنده الى أن نظر أبو بكر ابن رائق فى الامور بالحضرة.

واستوحش أبو عبد الله الكوفى من البريدى وخافهُ وأراد البعد منه وخاف بَوَادِرهُ فأطمعهُ فى إفساد أمر الحسين بن على النوبختي [٥٠٣] مع ابن رايق . وكان الحسين بن على من أعدى الناس للبريديين فقبل منه

وأطلقهُ ووافقهُ على مايعمل به ويبذله من المـال لازالة أمر الحسين بن على النوبختى. وكان أبو عبـد الله الـكوفي عند مقامه عند أبى عبد الله البريدى يُصغِّر فى نفسه أمر الحضرة ويَصف له ادبارها بسوء تدبير ابن مقلة وابطاله مال واسط والبصرة بابن رائق وبايقاعه ببنى ياقوت وما دبر فى أمر الحسن ابن عبد الله بن حمدان وباجتثاثه أصل الخلافة دفعة واحدة وقال فى ذلك وأ كثر وقال في عرض ذلك: هو الذى جرّأ الغلمان الحجرية على ابن ياقوت فهم بعـد أشدّ جرأة عليه وان هلاكهُ ليس يبعد . فوقع ذلك من البريدى أحسن موقع واختصّ الـكوفى ولم يستكتبه بل كان يشاوره ويكرمه ويعاشره.

فذكر أبو الفرج ابن أبى هشام ان أبا عبد الله الـكوفى قال له بواسط فى أيام سيف الدولة: مامرّ لى عيش أطيب من عيشى مع البريدى فانى أقمتُ عنده نحو سنة غير متصرّف ولا داخل تحت تبعهٍ ولا تعب بنظر فى عمل ولقد عاشرنى أجمل عشرة ووصل الىّ منه عيناً وورقاً ومن (٥٠٤) قيمة العروض التى أنفذها الىّ خمسة وثلاثون الف دينار ولم أخرج من الاهواز الا وأنا متقلد كتابة ابن رائق . وقـد كفيت أمر ابن مقلة بالقبض عليـه وكان غير مأمون والحمد لله الذى لم يخرجه من الدنيا حتى دمر عليه كتدميره على الدنيا أ لحق الله ابنه به فانه شرّ منـه لان ما كان فى أبيه فهو فيـه من وقاحة وقساوة وخسة وكان الاب على عيوبه ربما رحم وأ كرمَ على حاشيته وأهل داره دون الغرباء ولـكن هذا ناصر الدولة مجتهد في أن يغرّه ويحصّله وان حصل رجوتُ أن يسلمه فان فى نفسه عليه وعلى ابنه العظائم . وأطلق الـكوفى لسانهُ بهذا كلّه في مجلسهِ وليس بين يديه غيرى وغير أبى على ابن صفية كاتبه النصرانى .

وأظهر أبو عبد الله البريدى بالاهواز كتاباً من أبي على ابن مقلة بخطه اليه يقول فيه : الويل للكوفى الناضّ مني أنفذتهُ ليصلحك لى فافسدك عليّ وأطمعك وأصغيتَ بالشرَه اليه والله لاقطعنّ يديه ورجليه فأما أنت فأرجو ألا تُصرّ على كفر نعمتي واحسانى اليك وان تُنيب (٥٠٥) بك الروية الى رعاية حقوق اصطناعى لك فترضيني من نفسك وتعينني فى مثل هذه الحالة الصعبة التي لم يدفع من جلس مجلسى فى دولة من الدُول الى مثلها وان تجيرنى مما قد أظلّني بمال تحمله فتحفظ به نعمتيك التي أحداهما فى يدى والأخرى فى يدك ان شاء الله

ولما انحدر أبو على ابن مقلة من الموصل عاد أبو محمد عن الزوزان اليها وحارب ماكرد الديلمى (١) وانهزم الحسن بن عبدالله ثم عاود محاربته وكانت الوقعة بينهما على باب الروم من أبواب نصيبين فانهزم ماكرد الى الرقة وانحدر منها فى الفرات الى بغداد . وانحدر على بن خلف بن طناب وتمكن الحسن بن عبد الله من الموصل وديار ربيعة وكتب الى السلطان يسئل الصفح عنه وان يضمن نواحيه فأجيب الى ذلك وضمنها .

ووافى التجار الذين استسلف أبو على مالهم ولم يُوفوا الغلات التى ابتاعوها فطالبوا أبا على برد أموالهم عليهم فدفعتهُ الضرورة الى ان يسبب لهم على عمّال السواد بعضَ مالهم ودافعهم ثم باع عليهم بالباقي ضياعا سلطانيّة . فلم يُحصل لخرَجته كبير فائدة بعد الذى رد على التجار (٥٠٦) وبعد الذى أنفق على سفره والجيش الخارج معه .

(١) وفي التكملة . الكردى

وفي هذه السنة حجّ الناس فلما بلغوا القادسيّة اعترضهم أبو طاهر القرمطى وكان مع الحاج من قبل السلطان لؤلؤ غلام المهتّم فظنّ لؤلؤ انهم أعراب لحاربهم أهل القوافل . . . . شيأ كثيرا (١) وسأل عمر بن يحيى العلوى فيمن دخل القادسية فآمنهم ثم تسلّلوا من القادسية وبطل الحجّ في هذه السنة وصار أبو طاهر الى الكوفة وأقام بها

وفى تلك الليلة بعينها انقضت الكواكب من أول الليل الى آخره ببغداد والكوفة وما والاهما انقضاضاً مسرفا جداً لم يعهد مثله ولا مايقاربهما

وشغب الجند وصاروا الى دار الوزير فنقبوا عدّة مواضع ولم يصلوا لان غلمان الوزير دفعوهم ورموهم بالنشاب من فوق السور

وفيها مات أبو بكر محمد بن ياقوت فى الحبس فى دار السلطان بنفث الدم فاحضر القاضى أبو الحسين عمر بن محمد ومعه جماعة وأخرج اليهم محمد بن

---

(١) الاصل ناقص وفى الاوراق : فلقيهم القرامطة يوم الاربعاء لاحدي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة بطبزناباد فقاتلهم أشد قتال الى ان خذله (يعني لؤلؤ) أصحابه وأصابته ضربات فطرح نفسه مع القتلى ثم دب ليلة الخميس الى ان صار الى الكوفة . وكان من انقضاض الكواكب فى ليلة الاربعاء التي قطع على الحاج في صبيحتها (فلم يفلت منهم أحد) مالم يعهد مثله بالكوفة وطبزناباذ موضع الوقعة وكان عندنا ببغداد من ذلك مالم ير مثله ولاسمعنا به قط . . . . . وكثر الضجيج ببغداد لما نال الحجاج ووثب العامة باصحاب المعاون في الطرق والمساجد ونال الراضي من ذلك أمر عظيم فصام أياما وكان يقول : لو كان لى مال كمال المكتفى حين فعل زكرويه بالحاج مافعل فطلبه بالجيش والاموال حتى قتله (طبرى ٣ : ٢٢٦٩ — ٢٢٧٥) لما رضيت والله الى ان أخرج بنفسي الى البحرين ولكن ماحيلتي فى جند مستخبثين قد ملكوا الامر دوني وعوز مال وانخراق هيبة ؟ الى الله أشتكي وبه أستنصر . والحجرية والساجية يمينونه كل يوم حتى يجلس لهم مرات بالليل والنهار لايريدء أحد منهم فيحتجب عنه

ياقوت حتى فتشوه ومدوا لحيته وعلموا انه مات حتف أنفه ثم تسلم الى أهله (١) وباع الوزير ضياعهُ وأملا كهُ وقبض على أسباب محمد بن ياقوت كلهم (٥٠٧)

وفى هذه السنة قلد الوزير أعمال الجبل أبا على الحسن بن هرون وخرج اليها فلما حصل بها استأمن اليه غلمان مرداويج الاتراك الذين قتلوه فى الحمام فقبلهم وكانوا ثلاثمائة غلام فلما كان بعد مدّة شغبوا عليه وطالبوه بالارزاق وقبضوا عليه وقيدوه ثم أطلقوه. ولما ورد الخبر بالقبض عليه قلد الوزير مكانه أبا عبد الله محمد بن خلف النيرمانى وبلغ ذلك الحسن بن هرون فخافه للعداوة بينهما واستتر وصار الى بغداد مستتراً وأقام على استتاره مدة ثم راسل الوزير أبا على وقرّر أمره على مصادرة أوقعها بخمسة عشر الف دينار فلما تقرر أمره ظهر وأقام محمد بن خلف فى الجبل مُديدة (٢)

وأقبل غلمان مرداويج وفيهم بجكم الى جسر النهروان وراسلوا السلطان فامرهم بدخول الحضرة فدخلوا وعسكروا بالمصلّى . واضطربت الحجريّة وظنوا انها حيلة عليهم فاجتمعوا وطالبوا الوزير أبا على بان يرضيهم ويردّهم فاستدعى جماعة من وجوههم ووافقهم على ان ينضموا الى محمد بن على غلام الراشدى (وتقلده الجبل) ويُطلق لهم أربعة عشر الف دينار نفقات لهم ثم يسبب مالهم (٥٠٨) على أعمال الجبل فقالوا : ننصرف ونعلم باقي أصحابنا ذلك. فلما انصرفوا لم يقنعوا وكان خبرهم قد اتصل بأبى بكر ابن رائق بواسط وهو

(١) وفي الاوراق انه دفن فى مقبرة لهم في الشارع الاعظم فوق سوق السلاح
(٢) وفي التكملة انه مات في هذه السنة بالاعمال التى استولى عليها مرداويج وكان قد أنفذ اليها

متقلد أعمال المعاون بها وبالبصرة فكاتبهم فراسلهم واستدعاهم ووعدهم الاحسان فمالوا اليه واختاروه وساروا اليه فقبلهم وأثبتهم وأسنى لهم بالرزق ورأس عليهم بجكم وسماهُ بجكم الرائقى ورفع منه وموّلهُ وأحسن اليه وأفرط في ذلك وضمّ جميع الغلمان اليه وتقدّم اليه بان يكاتب كل من بالجبل من الاتراك والديلم بالمصير اليه ليثبتهم فصار اليه عدة وافرة منهم فأثبتهم وضمهم الى بجكم

﴿ ودخلت سنة أربع وعشرين وثلثمائة ﴾

وفيها أطلق المظفر بن ياقوت من حبسه فى دار السلطان الى منزله بمسئلة الوزير أبى على عنه وحلف الوزير بالايمان الغليظة على انه يواليه ولا ينحرف عنه ولا يسعى له فى مكروه .

وفيها قلد الوزير محمد بن طُغْج أعمال المعاون بمصر مضافةً الى ما يتقلد من أعمال معاون الشام وأدخل الراضى القضاة والعدول حتى عرّفهم تقليده محمد بن طغج وأمرهم بمكاتبة أصحابهم وخاطبهم بذلك (٥٠٩) لئلا ينازعه احمد ابن كيغلغ فانه كان يتولى مصر (١)

وفيها قطع محمد بن رائق حمل مال ضمانه عن واسط والبصرة الى الحضرة واحتج باجتماع الجيش عنده وحاجته الى صرف المال اليهم

وفيها تمت حيلة المظفر بن ياقوت حتى قبض على الوزير أبى على ابن مقلة لانه صح عنده انه هو قتل أخاه وكان السبب فى حبسهما وازالة أمرهما

﴿ ذكر هذه الحيلة على أبى على ابن مقلة ﴾

لم يزل يحب التشفى والاخذ بالثار منذ أطلقه الوزير ولكنه يكتم ذلك

(١) ليراجع فيه كتاب الولاة لابي عمر الكندى ص ٢٨٥

الى أن وافق الحجرية وضربهم عليه وبلغ الوزير ذلك فأخذ يعتضد ببدر الخرشني صاحب الشرطة فقوى أمر بدر ووافقه على أن يستولى على دار السلطان فيحصل فيها ويمنع الغلمان الحجرية منها لانه بلغه أنهم قد عملوا على المصير الى الدار والمقام ففعل بدر ذلك وحصل هو وأصحابه بالسلاح فى الدار ومنع الغلمان الحجرية من دخولها ولم يظهر الوزير أن الذى فعله بدر كان عن رأيه ثم جمع بين الساجية وبين بدر حتي تحالفوا على معاونة بعضهم بعضاً. فلما وقف المظفر بن ياقوت على ذلك ضعفت نفسه وأشار (٥١٠) الحجرية بالخضوع للوزير والتذلل له ولم يزالوا يلطفون للوزير ويتحققون بخدمته الى أن أنس بهم. وسألوه صرف بدر وبذلوا له كل ما أراد من الطاعة والموالاة له الى أن انخدع وصرف بدراً وأصحابه فلما خلت دار السلطان منهم ومن الساجية تحالف الحجرية على أن تكون كلمتهم واحدة فصاروا بأجمعهم الى دار السلطان وضربوا خيمهم فيها وحولها وملكوها وصار الراضى فى ايديهم وحزبهم. فندم الوزير وعلم أن الحيلة تمت عليه فتقدم الى بدر بان يخرج الى المصلى فى أصحابه من غير أن يعلم أحدٌ انه فعل ذلك برأى الوزير وأمره فخرج بدر وأثبت زيادة من الرجّالة. وبلغ ذلك الحجرية فطالبوا الراضى بالله أن يخرج معهم الى المسجد الجامع فى داره فيصلى بالناس ليراه الناس معهم فيعلمون انه فى حيّزهم فخرج الراضى يوم الجمعة الى المسجد الجامع الذى فى داره ومشى الغلمان باسرهم بين يديه وحولهُ بالسلاح رجالة وصلى بالناس وصعد المنبر وخطب وقال فى خطبته : اللهمّ ان هؤلاء الغلمان بطانتي وظهارتى

فمن أرادهم بسوء فارده به ومن كادهم فكذه [١]

وقلد بدر الخرشني دمشق وأمره بالخروج اليها من المصلى والا [٥١١] يدخل البلد . وكان المظفر بن ياقوت فى هذا كله يظهر للوزير انه مجتهد فى الصلاح ويظهر له الخضوع وهو فى الباطن يسعى فى حتفه وقد قوى

---

(١) روى أبو بكر الصولى فى الاوراق : وقال الساجية والحجرية للراضي: قد أشاع الناس انا محاصروك فاخرج فصل الجمعة بالناس ليروك ذلك . فخرج فصلى بالناس في مسجد الدار وما علم به الناس وقال للحجرية والساجية : أنتم خاصتي وثقاتي . وسفر جعفر بن ورقاء بين الناس وأصلح الامر ووعد الناس بان الخليفة يصلي بهم في الجمعة الثانية فما تخلف أحد . وما كنت أنا علمت بصلاته أول جمعة فحضرت في الثانية ووجدت سحق بن المعتمد حاضراً فدخلنا المقصورة وخرج الراضي فعلا المنبر ووقف علينا نخطب فأوجز ونزل وصلى بالناس فقرأ سورة الجمعة فى أول ركعة وفي الثانية « سبح اسم ربك الاعلى » ثم قرأه فأحسنها ودخل وانصرفنا . فابتدأت أعمل شعراً أصف فيه خطبته فوافتني رقعته بخطه وفيها : أبقاك الله يا محمد قد لحظك طرفي وأنا أخاطب وأنت الى جانب اسحق قريب منى غير بعيد فعرفني على تحرني الصدق واتباع الحق كيف ما سمعت وهل أهجن الكلام بزيادة فيه أو اختل بتقصير منه أو وقع ذلك في لفظة أو احالة في معناه جاريا فيه على عادتك في حال الامرة غير مقصر عنها للخلافة ان شاء الله .

فكتبت اليه جواب الرقعة بعد أن أتممت القصيدة : أمير المؤمنين أدام الله دولته وأطال في الملك مدته أجل خطراً وقدراً وأسنى مجداً وفخراً وأوسع خاطراً وفكراً من أن يبلغ خاطب خطابته أو بليغ بلاغته أو يدرك فيها واصف صفته الا بما تناله طاقته وتبلغه غايته الخ

وليراجع أيضاً رواية ارسال الراضي بالله الى اسماعيل بن على الخطبي ليشاوره فيما يقول في الدعاء الى نفسه في الصلاة بالناس فى المصلى وردت في كتاب ارشاد الاريب ٢ : ٣٤٩

أمره بما فعله الراضى . ثم أن الصلح تمَّ بين بدرٍ الخرشنى وبين الحجرية فدخل من المصلى الى منزله وأقرّ بدرٌ على الشرطة .

فلما انقضت هذه القصة أشار الوزير على الراضى بالله سرّاً أن يخرج بنفسه ومعه الجيش والحجرية والساجية ليدفع محمد بن رائق عن واسط والبصرة وقال له : قد انغلقت عليك هذه البلدان وهي بلدان المال بما فعله محمد بن رائق من الامتناع من حمل مال ضمانه ومتى رأى غيره أن ذلك قد تمّ له واحتمل عليه تأسى به فذهب مال الاهواز فبطلت المملكة . فعمل الراضى على ذلك وتقدم اليه بالعمل عليه فافتتح الوزير الامرَ مع ابن رائق بان ينفذ اليه ينال الكبير من الحجرية وماكرد الديلمى من الساجية برسالة من الراضى بالله يأمره فيها أن يبعث بالحسين بن على النوبختى ليواقف على ماجرى على يده من ارتفاع واسط والبصرة . فلم يستجب ابن رائق الى انفاذ الحسين ووهب للرسولين مالاً وأحسن اليهما وسألهما أن يتحملا له الى الخليفة رسالةً [٥١٣] فى السرّ وهى انه : ان استدعى الى الحضرة وفوّض اليه التدبير قام بكل مايحتاج اليه من نفقات السلطان وأرزاق الجند ومشى الامورَ أحسن تمشيةٍ وكفى أمير المؤمنين الفكر فى شىء من أمره . فلما قدم الرسولان خلوا بالراضى بالله بعد تأديةِ الرسالة الظاهرة فأدّيا الرسالة السرّية فلم ينشط الراضى لتسليم وزيره وأمسك

ولما رأى الوزير امتناع ابن رائق من تسليم الحسين بن على عمل على ان يكون ظاهر خروجه الى الاهواز لا اليه ولا لقصده ودبر أن ينفذ اليه القاضى أبا الحسين برسالة من الراضى ليعرفه ذلك وأنه لم يأمن أن يقع له ان

الخروج انما هواليه فيستوحش وأنه أنفذ القاضي ليكشف ما في نفسه وعزمه ونوثق له بما يسكن اليه . فلما كان يوم الاثنين لاربع عشر ليلة بقيت من جمادى الاولى وانحدر الوزير الى دار الراضي بالله ومعه القاضي أبو الحسين ليوصله فيسمع من الراضي بالله الرسالة فلما حصل في دهليز التسعيني قبل ان يصل الى الخليفة وثب الغلمان الحجرية ومعهم المظفر بن ياقوت به فقبضوا عليه ووجهوا الى الراضي بالله يعرفونه قبضهم (٥١٣) عليه اذ كان هو المفسد المضرب ويسئلونه أن يستوزر غيره فوجّه اليهم يستصوب فعلهم ويعرفهم انهم لو لم يفعلوا ذلك لفعَلَهُ هو وردّ الخيار اليهم فيمن يستوزره فذكروا علي بن عيسى ووصفوه بالامانة والكفائة وأنه ليس في الزمان مثله فاستحضره الراضي بالله وخاطبه في تقلد الوزارة فامتنع وتكرّر ذلك فراجعَهُ الراضي بالله وخاطبه الغلمان فيه وطال الخطبُ معه فأقام على الامتناع فقالوا: فتُشير بمن تراه. فأومأ الى أخيه عبد الرحمن

فأنفذ الراضي بالله المظفر بن ياقوت الى عبد الرحمن فأحضره وأوصله لى الراضي وعرّفه أنه قلّده وزارته ودواوينه وخلع عليه وركب في الخلع ومعه الجيش الى داره. واحرقت دار ابي على

﴿ وزاره عبد الرحمن بن عيسى ﴾

لما تقلد عبد الرحمن غلب علي بن عيسى على التدبير فعلَمِ أبو العباس الخصيبي وأبو القاسم سليمان بن الحسن وقد كنا ذكرنا أمرهما وما كان من نفي علي بن مقلة اياهما الى عمان وتقدمه الى يوسف بن وجيه صاحب عمان

بحبسهما وأن يوسف بن وجيه أطلقهما فصارا الى بغداد واستترا بها الى أن (٥١٤) قُبِضَ على ابن مقلة [١]

فلما كان فى هـذا الوقت أكرمهما عبد الرحمن الوزير وكانا يصلان معه الى الراضى بالله مع أبي جعفر محمد بن القاسم الكرخى وأبي علي الحسن بن هرون وعلي بن عيسى لا يتأخر أيضاً عن الحضور معهم وسلم أبو علي ابن مقلة الى الوزير عبد الرحمن فضربه بالمقارع وأخذ خطهُ بالف الف دينار ثم سلمه الى ابى العباس الخصيبي فجرت عليه من المكاره والضرب والرهق أمر عظيم [٢] وحضر أبو بكر ابن قرابة بعد مدة فتوسط أمرهُ وضمن ما عليه وتسلمه وكان أدى الى الخصيبي نيفا وخمسين الف دينار

(١) قال أبو بكر الصولي فى الاوراق : تنكر الساجية والحجرية للوزير فطالبوا فى دار السلطان بارزاقهم فعرّفهم انه لا مال عنده فوثبوا به وقبضوا عليه والسلطان يراهم فوثب ودخل وأمر راغبا أن يتسلم الوزير ويكون فى يده والا تجرى جناية عليه . ونهب الناس داره ودار ابنه الملاصقة لداره وطرحوا فيها النار ونهب جماعة من كتابه . وكان من العجائب المشهورة ان دار ابن مقلة أحرقت في مثل اليوم الذى أمر فيه باحراق دار سليمان بن الحسن بباب محوّل وفي مثل ذلك الشهر بينهما حول كامل . وحول بن مقلة الى دار الوزير عبد الرحمن فأحسن اليه وسلمه الى هنكر وماكور ليكون فى أيديهما ويناظره سليمان في الاموال بحضرتهما . فجعل في دار النوبشرى بقرب الجسر .

(٢) وفي التكملة : قال ثابت بن سنان : دخلت اليه لاجل مرضة أصابته فرأيته مطروحا على حصير خلق على بارية وهو عريان بسراويل ومن رأسه الى أطراف أصابعه كلون الباذنجان فقلت : انه محتاج الى الفصد فقال الخصيبي . يحتاج أن يلحقه كرة المطالبة . فقلت : ان لم يفصد تلف وان فصد ولحقه مكروه تلف . وكاتبه الخصيبي : ان كنت تظن ان الفصد يرفهك فبئس ماتظن . ثم قال : افصدوه ورفهوه اليوم . ففصد وهو يتوقع للمكروه واتفق للخصيبي ما أحوجه للاستتار وكفى ابن مقلة أمره وحضر ابن قرابة الخ

وصرف بدر الخرشني عن الشرطة لانحراف الحجرية عنه [١] وولى أعمال المعاون باصبهان وفارس لان الحجرية كرهوا مقامه بالحضرة فخلع عليه وأخرج مضاربه الى ميدان الاشنان وأنفذ اليه اللواء وضم اليه الحسن بن هرون لتدبير أمر الخراج بهذه النواحى ثم توقف عن امضاء هـذا الرأي فبطل خروجه [٢]

وعجز عبـد الرحمن عن تمشية الامور وضاق المال حتى استعفى عبـد الرحمن عن تمشية الامور للراضى بالله ومن الوزارة وسأله أن يقرضـه عشرة آلاف دينار اذ كانت وجوه المال قد تعذرت عليه فقبض عليه الراضى فى هذه السنة وقلّد وزارته الـكرخى

﴿ [٥١٥] ذكر وزارة أبى جعفر محمد بن القاسم الـكرخى ﴾

لما قلد أبو جعفر الـكرخى الوزارة وخلع عليه وانصرف الى منزله ومعه الجيش كلف مناظرة على بن عيسى وأخيه عبد الرحمن وحملا الى داره [٣] فصادر على بن عيسى على مائة الف دينار وصادر اخاه على سبعين الف دينار وأقاما على حال صيانة وتـكرمة الى ان أدّى على بن عيسى سبعين الف دينار وأدى أخوه ثلاثين الف دينار ثم صرفا الى منازلهما

وكان الوزير أبو جعفر الـكرخى قصيرا فاحتيج بسبب قصره الى أن ينقص من ارتفاع سرير الملك فنقص منه أربع أصابع مفتوحة

---

(١) وفي تاريخ الاسلام : وولى الشرطة كاجو (٢) وفي الاوراق : واستوحش الخرشني لما فعله الساجيـة والحجرية وتحول فنزل دار الحسن بن هرون وشغل عن العامة فغاثوا ثم صار اليه جماعة من الحجرية فحلفوا له انه واحد منهم فرضي ورجع الى داره

(٣) وهذا بشفاعة أبى محمد الصاحبي الى الراضى بالله كذا فى كتاب الوزراء لهلال الصابي ص ٣٣٣

وفيها قتل ياقوت بعسكر مكرم

﴿ ذكر مقتل ياقوت ﴾

قد ذكرنا أمر ياقوت فى خروجه الى أرّجان لحرب على بن بويه فى قضه وقضيضه وديلمه وأتراكه وسائر خيله . وكان معه من الرجالة السودان ثلاثة آلاف رجلٍ وانهزم من بين يدى على بن بويه بباب أرَّجان بعسكره كله وكان على الساقة فى الهزيمة لانه ثبت وسار على بن بويه خلفه الى رامهرمز وحصل ياقوت بعسكر مكرم فى غربيّها وقطع الجسر المعقود على المسرقان وأقام على بن بويه برامهرمز الى ان وقع الصلح بينه (٥١٦) وبين السلطان

وكتب أبو عبد الله البريدى الى ياقوت ان يقيم بعسكر مكرم الى أن يستريح ويقع التدبير لامره من بعد وكان غرضه الا يجمعه واياه بلد فقبل ياقوت . واتاه ابو يوسف البريدى متوجعا بما جرى عليه من الهزيمة ومهنئا له بالسلامة وتوسط بينه وبين اخيه ابى عبد الله على ان يطلق له خمسين الف دينار يعلل بها عسكره الى أن يكتب الى السلطان ويستأمره فيما يطلقهُ له ولرجاله . وعرفهُ ان الرجال المقيمين بالاهواز فيهم كثرة ويطالبون بمالهم وهم البربر والشفيعية والنازوكية واليلبقية والهارونية وكان أبو على ابن مقلة ميز هؤلاء وأنفذهم الى الاهواز لتخفّ مؤنتهم عن الحضرة وتتوفر أموال الساجية والحجرية فذكر أبو يوسف ان هؤلاء لايطلقون مالا يخرج من الاهواز الى سواهم وانهم ان أحسّوا شغبوا فاحتاج أبو عبد الله الى مفارقة الاهواز اشفاقا على نفسه منهم . ثم تؤول الحال الى حرب تقع بعد الهزيمة الارّجانية ولايدرى كيف تكون الحال فيها وان السلطان مع ذلك مطالب بحمل مال اليه (٥١٧) وقال له : ان رجالك مع سوء أثرهم وقبح بلائهم وهزيمتهم

دفعة بعد دفعة اذا أعطوا اليسير قنعوا به وصبروا عليه . فقبل ياقوت ذلك وسبّب له بهذا المال على عسكرمكرم وتستر فارضى بعضه الحجرية وبعضه وجوه القواد وأنفق فى سودانه فى المسجد الجامع بعسكرمكرم ثلاثة دراهم لكل رجل ومضى الامر على ذلك شهورا . وافتتح مال سنة ٣٢٤ فضجّ رجاله وطالبوهُ وقالوا : انه لا صبر لهم على الضرّ وان المنافسة على خيرات الدنيا فى الطبع والجبلة لو كانوا أغنياء فكيف بهم مع اختلالهم وانهم لا يرضون أن يقبض نظراؤهم بالاهواز على الادرار ويحرموا هم وان يتجرعوا الاسف والحسرات وانهم قد سئموا الفقر ومعاناة المجاعة .

وقد كان استأمن من أصحاب على بن بويه الى ياقوت طاهر الجيلى وكان ممن يرشح نفسه للامور الكبار ويرى انه نظير لشيرج وطبقته واجتمع اليه نحو ثمانمائة رجل من العجم فشغب على ياقوت ثم رحل مع أصحابه وانصرف عنه وقدّر انه يملك ماه البصرة وماه الكوفة . فكبسه على بن بويه ثم سجنه فنجا بنفسه مع بعض غلمانه[٥١٨] وأبو جعفر الصيمرى كاتبهُ فى الاسر وخلّصه الحناط فخرج الى كرمان فكان سببا لاقباله واتصاله بالامير أبى الحسين أحمد بن بويه . فضعفت نفس ياقوت بخروج طاهر الجيلى وأصحابه واستطال باقى رجاله عليه وخاف أن يعقدوا لبعض قواده الرياسة وينصرفوا عنه فكاتب أبا عبد الله البريدى بالصورة وأعلمه أنه كاتبه ومدبر أمره وانه قد فوّض اليه الرأى والتدبير فى رجاله ليمضى عليه وعليهم ما يستصوبهُ

﴿ ذكر الخديعة التى نفذت على ياقوت ﴾

كان ياقوت واثقا برجل ساقط يعرف بأبى بكر النيلى يجريه مجرى الأب

وينحطُّ الى رأيه وقوله مع ضعة فى النيلي وخساسة فى همته وقدره فاستصلحه أبو عبد الله البريدي ووسع عليه فكان النيلي رسول ياقوت الى أبي عبدالله بما قد ذكرته . فكتب أبو عبد الله البريدى ان عسكره قد فسدوا وفيهم من ينبغى أن يُميَّز ويخرج لان علي بن خلف بن طناب خانه واقتطع أموالا باسم هؤلاء القوم وزاد قوم زيادات كثيرة وان الصواب أن ينفذوا اليه ليعرفهم انهذه الزيادات تفوّتهم الاصول السلطانية ويشافههم بان الصواب ان يسقطوها ليتوفَّر عليهم الاصول (٥١٩) وقال : انما يتمّ هذا بالاهواز لانهم يردونها أفواجاً وزمراً فان أساءوا آدابهم وامتنعوا قوّموا بالجيش المقيمين بالاهواز وانهم انخوطبوا بهذا الكلام وهم بعسكر مكرم تظاهروا وتضافروا وتعاقدوا فلم يتمّ عليهم ردّهم من الكثير الى القليل. وأكثر فى هذا المعنى حتى قال : يا أبا بكر سبيلُ العرض ان يقع بحيث الهيبة والخوفُ لابحيث الحكُم والاستطالة . فما قال له النيلى : الهيبة حيث يكون الامير لا انتَ . ولا كانت له منَّة لان يردّ عليه شيئا .

وسأل أبو عبد الله البريدى ان ينفذ اليه أبا الفتح ابن أبي طاهر وأبا أحمد الجستانى ليشاورهما فى التقرير ويتعرَّف منهما منازل الرجال واستدعى أبا بكر النقيب الذى كان مع أبي طاهر محمد بن عبد الصمد ليعرف منه أحوالهم وأنفذ اليه ياقوت مَن التمس وتقدّم الى رجاله بالخروج للعرض. فلما حصلوا عند البريدى استصلح الرجال لنفسه وانتخب منهم من أراد ووعدهم ان يجريهم مجري من معه بالاهواز فأجابوه وصاروا الى عسكره وردّوا الارذال الى ياقوت بعد ان أسقط زياداتهم . فلما استتمّ العرض وجد نصف الياقوتيّة قد انحازوا (٥٢٠) عنه فقيل لياقوت ذلك ووبّخ وعذل فقال : قد

اجتمع لى بمقام من أقام بالاهواز خفّة المطالبة عنى وحصولهم مع كاتبى وليس يصلح ابنُ البريدى لما أصلحُ له فاخافهُ وان احتجتُ او احتيج الى حرب فالجماعة بالضرورة يعودون الىّ وهم عدّة لى عنده . وعاد رجال ياقوت اليه فقالوا له : ما حصلنا من الغرض الا على ان خرج شطرُنا وهيضَ جناحنا وضعفت شوكتنا فاكتب الى البريدى ان يحمل ما قررهُ انا . فكتب ياقوت بذلك فاجابهُ أبو عبد الله بانه يحتال ويحمل

ثم زاد الالحاح على ياقوت فخرج بنفسه الى الاهواز فى ثلاثمائة رجل وقلل العدّة لئلا يستوحش البريدى وقدّر انه الى كاتبه يمضى فتلقاهُ أبو عبد الله البريدى بالسواد الاعظم واخرج معه كلّ من بالاهواز من الجيش فلما رأى ياقوتاً ترجل له وانكبّ ياقوت عليه حتى كاد ينزل عن دابته ثم سار وانزله داره وخدمهُ بنفسه وقام بين يديه الى ان طعم وغسل يده فناولهُ الماء ورد والمنديل وبخّرهُ بيده فهو فى ذلك قبل ان يفاوضه اذ ارتفعت صيحةٌ عظيمة وشغب الجند وقالوا : انما وافى ياقوت اليه ! فقال البريدى : (٥٢١) أيها الامير الله الله اخرج وبادر والاّ قتلنا جميعاً . فخرج ياقوت من وقته خائفاً يترقب من طريق يخالف طريق المشغبين وعاد الى عسكر مكرم كما بدا منها . ثم ورد عليه كتاب البريدى بان الرجال بالاهواز قد استوحشوا منه وان الوجه ان يخرج الى تستر فان بينها وبين الاهواز ستّة عشر فرسخاً وعسكر مكرم فهى على ثمانية فراسخ واذا نأت الدار زال الاستيحاش وسبّب له على عامل تستر بخمسين الف دينار فخرج اليها .

فقال له مونس (وكان مونس هذا تربية ياقوت وثقته) : أيها الامير ان البريدى يحزّ مفاصلنا مفصلا مفصلا ويسخر منا وأنتَ مغترّ به وقد حاز

شطر رجالنا ووجوه قوادنا الى نفسه وضمن لنا اليسير من المقرّر وليس يطاق ذلك أيضاً ليستأمن اليه الباقون ثم يأتى على أنفسنا وقد اتصلت كتب الحجريّة اليك بأنه لم يبق لهم شيخ غيرك فاما دخلت بغداد وجميع من بها يسلّم لك الرياسة وأوّلهم محمد بن رائق بالضرورة لسنّك وانك نظير أبيه وإما خرجتَ الى الاهواز حتى تطرد البريدى عنها وتقيم أنتَ بها فانا وان كانت عدّتنا يسيرة دون عدّته فهو كاتبٌ ونحن فى خمسمائة (٥٢٢) رجل وهو فى عشرة آلاف رجل وقد أحصيت من عندنا فوجدتهم نحو خمسة آلاف رجل وفيهم كفاية والعسكر بصاحبه وأنت أنتَ . وقد قال عدوُّك على ابن بويه « لو كان فى عسكر ياقوت مائة رجل مثلهُ ما قاومتهُ » فالله الله يامولاى لم تضيّع نفسك وتضيّعنا . فقال : سأنظر وأفكر . فخرج مونس مغضباً من عنده وركب فى ثلاثة آلاف رجل شاذاً عن مولاه ياقوت ووافى عسكر مكرم يريد الاهواز وقال لنا : لا أعصي مولاى فانه اشترانى وربّانى واصطنعنى ولكنى أفتح الاهواز واسلّمها اليه . فما استقرّ بعسكر مكرم ثلاث ساعات من النهار حتى ورد كتاب ياقوت على دَرك (وكان والى الشرطة بعسكر مكرم) يعرّفه ان مونساً غلامهُ خرج بغير اذنه وشرح له صورتهُ وسأله ان يجتمع معه ويخوفه الله عز وجل ويحذّره كفر نعمته ويستوقفه الى ان يلحق به . فعبر دَرك من شرق عسكر مكرم الى غربها ووعظ مونساً وعظاً كثيراً وخاطبه خطابا بليغاً وكان دَرك شيخاً مقدّماً الا أن السنّ قد أخذت منه وحضر بحضوره أصحابهُ فقال لمونس خادمٌ كان معه مكيناً منه وكان معقّلاً [1] : يا مونس ان مولاك (٥٢٣) قبض على ابنيه

(١) زاد صاحب التكملة : يقال له أبو النمر . وقال أيضاً ان ياقوت كان استفتى

وهما تاجان ودُرّتان فلم يستحلّ ان يعصى مولاهُ ولا يكفر نعمته وسلّمهما ولم يحارب فيهما ولا طلب بهما أفانتَ تعصى مولاك فترسل يدك عن طاعته اما تخاف العقوبة ؟ وان تخذل في هـذه الحرب ويظفر بك فتخسر الدنيا والآخرة ولا سيما وقد بذل ان يوافيك ويساعدك على ما تريده انتظر رَيث نفوذ كتابنا وورود جوابه . فأقام مونس لما أخذهُ المذل والتأنيب من درك وأصحابه ووافى ياقوت فى اليوم الثانى واجتمع مع غلمانه .

ووافى عسكر البريدى باسره فنزلوا فى صحراء خان طوق ومعهم غلام البريدى يرؤسهم ومعـه القُوّاد الـكبار وأكبرهم أبو الفتح ابن أبى طاهر . ووقعت المنازلة بين ياقوت وأبى جعفر الجمّال وثبت ياقوت بعسكر مكرم عن المسير الى الاهواز وتهيب الصورة وقال لمونس : السلطان لنا على النيّة التى عرفناها وكان منـه الى ابنى مالا يجوز ان يصلح لى أبداً وفارس فقـد عرفتَ صورتنا بها ولا مذهب لنا فى الدنيا ولا لنا موضع نأويه الا هـذا البـلد والحرب سجالٌ وقـد كثر عسكر الرجل فان نحن حاربناهُ وانهزمنا كُنّا بين الاسر والحمل الى الحضرة وشهرتُ بها واركبتُ الفيل . ثم يظنّ بى انى كفرت (٥٢٤) نعمـة مولاى فيلعننى الناس وبين ان أقتـل والوجـه المداراة والمقاربة لهذا الرجل وان نعود الى تستر ونصير منها الى الجبل فان استقام لنا بها أمرٌ والاّ لحقنا بخراسان . وشاع هذا الـكلام فضعفت نفوس أصحابه وطالت الايام فى منازلة عسكر البريدى فـكان كلّ يوم يستأمن عدة من أصحابه الى البريدى . فـكان مونس يبكّر اليـه في كلّ يوم ويقول له : يا مولاى مضى البارحـه من أصحابنا ثلاثمائة أو أكثر أو أقلّ . فلا يزيده

الفقهاء فافتوه انه لايحل له ان يحارب الامام

على ان يقول: الى كاتبنا يمضون واذا كانت هذه نيّاتهم لنا فما الانتفاع بهم؟ ولأن يبقى معنا الف رجل يحصلون فنمضى بهم الى حيث نقصد اصلحُ من جميع هـذا اللفيف الذى هم كلٌّ فى الرخاء واعداء يوم اللقاء وقـد جرّ بناهم بباب فارس وباب ارّجان. فلم يزل كذلك حتى بقى فى ثمانمائة رجل فلما علم البريدى انه قـد استظهر الاستظهار التامّ راسـلهُ فى الموادعـة بأبى القاسم التنوخى القاضى وقال: انى لك على العهد والميثاق. وانه كاتبـهُ وان الامارة لا تصلح له وان البلوى والشقاء قد حلاّ به وصارت مطالبة الرجال عليه وانه يلاقى الموت صباح مساء ويخاف على نفسه منهم وانه لا رغبة له فى ارتباطهم وانما جرّ سببٌ سبباً حتى اجتمعوا عنده وانه يصاهره حتى يزداد ثقة به[٥٢٥] ووكل القاضى فى تزويج ابنته من أبى العباس أحمد بن ياقوت. فوافاه القاضى أبو القاسم التنوخي وادّى اليه الرسالة وقبلها وانعقد الصهر ورحل للوقت الى تستر

ووافاه بعقب ذلك غلام للسلطان من الحجريّة ومعه المظفّر ابنه بكتاب اليـه يذكر فيه انه قد وهب ابنهُ هذا له ومنّ به عليه فالتقيا بتستر فاشار عليه ابنـه المظفر بالخروج الى حضرة السـلطان ليشكرهُ على انفاذه ويقيم بدَيْر العاقول ويستأذنه في الدخول فان أذن له فقد تمّ له ما يحب ووجد الحجريّة مسرعين اليه وان لم يأذن له تقلد الموصل وديار ربيعة وخرج اليها وان منع من ذلك جعل مقصدَهُ الشام. فخالف ابنه ولم يرتض رأيه وقال: أنا أتأمل ما ذكرتَه فاقم عندى لنتشاور. فاستعفاه من ذلك وسأله ان يأذن له فى المقام بعسكر مكرم فأذن له. فاطمع البريدى المظفر في ان يجعله اسفهسلاّر عسكره وان يتدبر بتدبيره حتى فارق أباه واستأمن اليه فحصل في بستانه المشهور[٥٢٦]

بالاهواز وأحاط بالبستان من يراعيه ويحفظه من حيث لا يعلم

ولما استوثق البريدى لنفسه واستظهر تخوف من الياقوتية الذين عنده وان يراسلوه بلون من الالوان المنكرة من التدبير عليه أو ان يتداخلهم التعصب له فيشغبوا عليه ويدعوا بشعار ياقوت . وكتب الى ياقوت بان السلطان قد أمره بالخروج عن تستر الى الحضرة فى خمسة عشر غلاما أو النفوذ الى الجبل متقلداً لها وبان يقصده الى تستر ويخرجه منها قهراً فتحيّر ودعا مونساً غلامه فقال له : أى شئ ترى ؟ فقال له : الآن وقد مضى ما مضى والله لا صحبك الى الحضرة ولا الى الجبل أحد ممن معك ولا لهم نفقات تنهضهم فان أردت ان تمضى فى عشرين غلاما الى السلطان فذاك اليك . فاجاب البريدى عن كتابه بانه يروّى ويذكر له ماعنده بعد ان استمهله شهرا ليتأهب للسفر الذى يقصده فعاد اليه من جواسيسه واحدٌ كذبهُ فاخبرهُ بان الجيش وافى عسكر مكرمْ ونزلوا الدور وانبسطوا فى المدينة فاحضر غلامهُ مونساً وقال له : ظفرنا والحمدلله بعدوّنا وكافر نعمتنا فنسير من تستر وقت عتمة ونصبّح عسكر (٥٢٧) مكرم والقوم غارّون فى الدور فنكبسهم ونشردهم ونعتد الى الاهواز فلا يثبت لنا البريدى بل يكون همّه الهرب لوجهه . فقال مونس : ارجو ان يكون هذا صوابا .

وسار ياقوت ووصل الى عسكر مُكرم وقد بدأت الشمس من مطلعها وامتدّ مشتقاً المبار الى ناعورة السبيل ونهر جارود فلم ير لرجال البريدى أثرا فخيّم ونزل عند النهر ومضى يومه الى آخره وهو متعجب من الغرور الذى غرّهُ جاسوسه فلما كان وقت العصر ظهرت الطلائع ثم أقبل العسكر وأميرهم أبو جعفر الجمال فنزل على فرسخ من ياقوت وحجز الليل بين

العسكرين . وأصبح فكانت بينهم مناوشة ومبارزة واستعدوا للحرب فى اليوم الذى يليه لان عسكر البريدي كان منتظرا عسكرا قد سيره البريدى على طريق دجيل ليدخل من ضفته كمينا على ياقوت حتى يصير وراءه . ثم أصبحوا فى اليوم الثالث من ورود ياقوت عسكر مكرم فابتدأت الحرب منذ وقت طلوع الشمس الى وقت الظهر وثبت ياقوت ومعه ممن نصره مثل مونس وآذريون ومشرق وغيرهم فى دون ألف رجل فأعيا من بازائه من أبى جعفر الجمال وغيره على كثرة عددهم حتى (٥٢٨) كادت البريدية تنهزم . وجاءت الظهر وقد بلغت القلوب الحناجر فطلع الكمين وهم ثلاثة آلاف رجل جامين فأبلس ياقوت وقال : لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . وأومأ الى مونس ان يقصدهم ويكفيه اياهم فعدل مونس مع ثلاثمائة رجل اليهم وبقي ياقوت فى خمسمائة رجل فما مضت ساعة حتى وافى منهزما فرمى ياقوت نفسه من دابته ونزع سلاحه وما عليه من ثيابه حتى بقى بسراويل وقميص سينيزى ثم أوى الى رباط يعرف برباط الحسين بن دبار [1] فاستند اليه ولو دخل الرباط واستتر فيه لانستر أمرهُ وجنَّهُ الليل ولجاز ان يسلم . فجلس بحيث ذكرت وهو بقرب ناعورة السبيل وغطّى وجهه ومدّ يدّه يسئل ليقدّر فيه انه من أرباب النعم افتقر وهو يطلب هدية فركب اليه قوم من البربر ورأوه بهذه الصورة فطلبوه بكشف وجهه فامتنع وأومأ اليه أحدهم عزراق فقال : أنا ياقوت احملونى الى البريدى . فاجتمعوا عليه وحزوا رأسه وانهزم مونس ومشرق وآذريون الى تستر واتبعهم الاعراب والبربر فاسروهم وردوهم . وأطلق أبو جعفر الجمال طائرا بالخبر الى البريدى

(١) وفي التكلمة : زياد

يستأذن (٥٢٩) في رأس ياقوت فردّ اليه في الجواب مع غلام يركض بان يجمع الرأس والجثة ويدفن الجميع في الموضع الذى قتل فيه (١) وقبض البريدى على المظفر ابنه مدة ثم أنفذه الى الحضرة

وطغى البريدى بعد ذلك وشهر نفسه بالعصيان وقد كانت نفسه ضعيفة فيما ارتكبه من أمر ياقوت فقواها أخوه أبو يوسف حتى جهز اليه العساكر وقتله (٢) حكى أبو زكريا يحيى بن سعيد السوسى انه سمع أبا يوسف البريدى يخاطب أبا عبد الله أخاه فقال أبو عبد الله : يا أخى أخاف أن تتعصب الحجرية علينا فيقتلونا ان دخلنا الحضرة يوماً وفى العاجل استتر

(١) قال أبو بكر الصولي في الاوراق : ولما ورد قتل ياقوت على الحجرية اضطربوا اضطرابا شديداً واجتمعوا الى الراضي بالله وقالوا : قبضت على ابنه أبي بكر بغير ذنب خبسته ثم قبضت على أخيه أبي الفتح ثم كتبت الى ابن البريدى في قتله . فجلس لهم واحضر القاضي وأحضر معه من العدول أبا الحسن الهاشمي ابن أم شيبان وابن عمه عبد الوهاب وجلس الراضي لهم ليلا فدخلوا اليه وهو على كرسي فلغطوا وكان الصغار أشد كلاما وابسط ألسنة من كبارهم وقوادهم فتركهم حتى تكلموا بكل ما أرادوه واخرجوا ما في أنفسهم ثم أقبل عليهم رابط الجاش ذرب اللسان فكلمهم أحسن كلام وقال : ان كان هذا الامر قد صح عندكم فعرفوني من أي وجه صح لاعرفه كمعرفتكم وان كان ظنا فالظن يخطئ ويصيب وانما ظننتم هذا بمجئ أخي البريدي أبي الحسين الي الدار هذه الايام وانما كان يجيئ بكتب أخيه فيشكو معاملة ياقوت . ثم أخرج فصولا من كتب فدفعها الي القاضي فقرأها عليهم وفيها جوابات من ياقوت الي ابن البريدى وقد أنفذها ابن البريدى اليه ثم قال لهم : ماقبلت في ابن البريدى الا رأى محمد بن ياقوت والآن فقد وقفتم على الخبر وانا أعزلهم وأنفذ الجيوش اليهم وأخرج معكم اذا أردتم . ثم كلمهم القاضي وفرقهم

(٢) زاد فيه صاحب التكملة. وكانت نفقة مائدته في كل يوم ألف درهم وكان غلمانه خمسة وكسوته متوسطة ولم يتسرر الا بثلاث جوارى ولم تكن له زوجة غير والدة ابنه أبي القاسم وكانت صلاته للجند خاصة ولم يعط شاعراً ولا طارقاً شيئاً .

آمن على أخي أبي الحسين وهو بالحضرة أن يقتل بثاره . فقال أبو يوسف: أما أبو الحسين فنحن نكتب اليه بالخبر حتى يأخذ لنفسه ويستظهر وأما الحجرية ودخولنا الحضرة بعد أن وسمنا بمصادرة اثنى عشر ألف ألف درهم فهيهات من ذلك أبعد تخلصنا من القاهر ومن الخصيبي المأمون وسلامة أرواحنا نحدث أنفسنا بدخول الحضرة بلى سنهدم منازلنا والى لعنة الله ما نعود الى الحضرة فنحتاج اليها وقد دبرت ودع يا أباعبدالله ما اعتدت فانك لا ترى مثله مع خلوقة الزمان (٥٣٠) وإدبار الملك وفقر الخلافة وقد كنا نتكسب من السلطان وهو اليوم مثلنا نحن بل نحن مكسب له يريد أن يجتاحنا ويأخذ مالنا ومتى لم نعتصم بهذه العساكر المجتمعة ونخرج ياقوتا منها سقطنا ثم يطول علينا أن نجد من أيامنا يوماً ووالله ما أشرت عليك بما تسمع الا بعد ان استعددت له ما يعينني عليه وقد واقفتك على هذا سراً وجهراً وأبو زكريا ممن لا نحتشمه. (قال أبو زكريا) وانما أومأ أبو يوسف بهذا القول الى مال السوس وجنديسابور فان أبا عبد الله كان أجمّه عنده استظهاراً وأناخ في النفقات وأرزاق الاولياء وما كان يعتّل به السلطان على أموال كور الاهواز الباقية وكان يجتذب القطعة فالقطعة منها ويجمل ذلك وراءه ولم يكن له نفقة ولا بذخ حينئذ . وماوهب قط لطارق ولا شاعر ولا ولد نعمة شيئاً وكان عارفاً بورود الاموال وخرجها وجميعها تجرى على يده فان شذّ منها شيء عنه الى اسرائيل بن صلح وسهل بن نظير الجهبذين لم يخف عليه مبلغه (قال) واستخرج أبو عبد الله وأخوه أبو يوسف من كور الاهواز بعد تقليد الراضي اياهما لسنى اثنتين وثلاث (٥٣١) وأربع وعشرين وثلثمائة والى شعبان من سنة خمس (فان بحكم هزمهم وأخرجهم عنها في هذا الشهر)

ثمانيــة الاف ألف دينار وجميع ما خرج عنها فى جميع وجوه النفقات دون أربعة الاف ألف دينار حاصلة وسمعت يعقوب الصيرفى اليهودى يقول: سمعت أبا عبدالله يقول: نمضى الى البصرة فان تم لنا بها أمر فقد كفينا وان حزبنا أمر لا نطيقــه قصدنا عمان واستجرنا بصاحبها (يعنى يوسف بن وجيه) فانه حرّ ودبرنا أمرنا فأما ان عــبرنا الى فارس واستجرنا بعلى بن بويه فان دولة الديلم قوية والحضرة مدبرة واما ان عــبرنا الى التيز ومكران وقصدنا صاحب خراسان فالطريق اليها جدد .

وعــدنا الى ذكر أخبار الحضرة وتدبير الوزراء لها . كان الوزير غير ناهض بالوزارة وما زالت الاضاقة تزيد ومن فى يده مال من العاملين يطمع وقطع ابن رائق الحمل من واســط والبصرة والبريديون من الاهواز وعلى ابن بويه قد تغلب على فارس وابن الياس على كرمان . فتحــيّر أبو جعفر الــكرخى واعتدت المطالبات عليــه وانقطعت الموادّ عنه ونقصت هيبتــه فاستتر بعد ثلاثة أشهر [٥٣٢] ونصف من وقت تقلده . ووجد فى خزانته سفاتج لم تفض وما يجرى هــذا المجرى من العجز وقلة النفاذ فى العــمل

(وزارة سليمان بن يحيى) [١]

ولما استتر الــكرخى استحضر الراضى سليمن بن الحسن أبا القاسم فقلده الوزارة والدواوين فــكان فى التحيّر وانقطاع المواد عنه على مثل حال الكرخى فدفعت الضرورة الراضى بالله الى أن راسل أبا بكر محمد بن رائق وهو بواسط وأذكره بما ضمن من القيام بالنفقات وازاحة علة الجيش والحشم ومسئلته عما عنده من المقام على ذلك أو الانصراف عنه . فتلقى أبو بكر محمــد بن رائق

(١) هذه الترجمة زدناها

الرسول بالجميل ووصله بألف دينار وأجاب عن الكتاب بانه مقيم على ما ضمنه

(ذكر استيلاء ابن رائق على الخلافة وسائر الممالك)

فانفذ اليه الراضى ماكرد الديلمى من الساجية وعرفه انه قلده الامارة ورياسة الجيش وجعله أمير الامراء وردّ اليه تدبير أعمال الخراج والضياع وأعمال المعاون فى جميع النواحي وفوض اليه تدبير المملكة وأمر بأن يخطب له على جميع المنابر فى الممالك وبأن يكنّي وأنفذ اليه الخلع واللواء مع ماكرد الديلمى وخادم من خدم السلطان وانحدر (٥٣٣) اليه أصحاب الدواوين كلهم وجميع قواد الساجية (١) والحسن بن هرون. فلما حصلوا بواسط قبض على الساجية وعلى الحسن بن هرون قبل أن يصلوا اليه وحبس الساجية ونهبت رحالاتهم وقيل للحجرية : انما فعلنا ذلك بالساجية لتتوفر أموالكم. وورد الخبر بذلك الى بغداد وكان قد بقي من الساجية ببغداد خلق فخرجوا الى الموصل والى الشام. واستوحش الحجرية ببغداد لما جرى على الساجية بواسط فقصدوا دار السلطان وأحدقوا بها وضربوا خيمهم حولها ووجّه ابن رائق بيونس الافلحى وبارس الحاجب الى بغداد فضربوا خيمهم فى باب الشماسيّة وقلّد لؤلؤ الشرطة ببغداد. ثم أصعد محمد بن رائق من واسط يوم الجمعة لعشر بقين من ذى الحجّة ومعه بجكم فرُتب محمد بن رائق فوق الوزير وخلع عليه وركب الى مضربه فى الحلبة وحمل اليه من دار السلطان الطعام والشراب والفواكه عدّة أيام وخدمه فى ذلك خدم السلطان. واجتمع

---

(١) وفى الاوراق . وكان كاجو وينال انحدرا الي ابن رائق فوصلهما ورجعا ثم انحدر كاجو وماكرد وتكيجور وصافى من قواد الساجية وانحدر معهم أبو جعفر بن شيرازاد والحسن بن هرون وأبو بكر بن الصيرفي

اليه الغلمان الحجرية وسلّموا عليه وأمرهم بقلع خيمهم من دار السلطان والانصراف الى منازلهم ففعلوا (١)

وبطل منذ (٥٣٤) يومئذ أمر الوزارة فلم يكن الوزير ينظر فى شئ من أمر النواحى ولا الدواوين ولا الأعمال ولا كان له غير اسم الوزارة فقط وان يحضر فى أيام المواكب دار السلطان بسواد وسيف ومنطقة ويقف ساكتاً وصار ابن رائق وكاتبهُ ينظران فى الامر كلّه (٢) وكذلك كل من تقلد الامارة بعد ابن رائق الى هذه الغاية وصارت أموال النواحى تحمل الى خزائن الامراء فيأمرون وينهون فيها وينفقونها كما يرون ويطلقون لنفقات السلطان ما يريدون وبطلت بيوت الاموال .

وفى هذه السنة ملك ابن الياس كرمان وصفت له بعد حروب جرت له مع جيش خراسان .

وفى هذه السنة جرت الحادثة على أبى الحسين أحمد بن بويه وأصيب بيده ووقع بين القتلى ثم تخلص وأفضى أمره الى ملك العراق

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

لما تمكن على بن بويه بفارس وتمكن أخوه الحسن بن بويه بأصبهان نظر فى أمر أخيه الاصغر أبى الحسين أحمد بن بويه فتقرّر الامر بينهما مكاتبةً ومراسلةً على ان يتوجه الى كرمان فضمّ اليه على بن بويه عسكراً

(١) وفي الاوراق : ورد خبر الطير من فاتك بان صغار الساجية قصدوا داره لكبسها واستخراج قوادهم منها وانه رمى اليهم برؤسهم واستبقى الحسن بن هرون وصافياً .

(٢) وفي التكملة : وكان مدبر أمر (ابن) رائق أبا عبد الله النوبختى فاعتل بعد مصاحبته بثلاثة أشهر فاستكتب مكانه أبا عبد الله الكوفى .

(٥٣٥) فيه من كبار الديلم ومـذ كورها ألف وخمسمائة رجل ونحو خمسمائة
رجل من الاتراك ومن يجرى مجراهم . وكان يكتب لابى الحسين فى ذلك
الوقت رجل يعرف بأبى الحسين أحمد بن محمد الرازى وكان ممتعاً باحدى
عينيه ويعرف بكوردفير ولم تكن له صناعة ولكنه كان واسع الصدر شجاعا
فورد السيرجان واستخرج منها مالا وأنفقه في عسكره . وكان ابراهيم بن
سمجور [1] الدواتى من قبل صاحب خراسان محاصراً لمحمد بن الياس بن
اليسع الصغدى فلما بلغ ابن سمجور خبر الديلم رجع الى خراسان ونفّس
عن خناق محمد بن الياس فتخلص وانتهز الفرصة وخرج عن القلعة التي كان
فيها الى مدينة بمّ وهى على مفازة تتصل بسجستان . فسار أحمد بن بويه اليه
فرحل الى سجستان من غير حرب فانصرف من هناك وتوجّه الى جيرفت
وهى قصبة كرمان واستخلف على بمّ بعض قوّاده . فلما أشرف على جيرفت
تلقاهُ رسول على بن الزنجى وكان رئيس القفص والبلوص وهو المعروف
بعلى بن كاويه وكان هو واسلافه متغلبين على تلك الاعمال الاّ انهم يجاملون
كلّ سلطان يرد عليهم ويذعنون له ويحملون اليه مالاً (٥٣٦) معلوما ولا
يطؤون بساطهُ . فبذل لاحمد بن بويه ذلك المال على الرسم فأجابه بأن الامر
فى هذا الى أخيه على بن بويه وانه لابدّ له من دخول جيرفت فاذا دخلها
كاتبهُ وراسلهُ فى ذلك وأمره ان يبعد عن البلد فاستجاب ورحل الى نحو

(١) هو الامير ابراهيم بن أبي عمران وأبو عمران هو سيمجور توفى في شوال سنة ٣٣٦. كذا في كتاب الانساب لابى سعد السمعاني : ٣٢٣ : وليراجع ما قال في حقه من وصف آل سيمجور

عشرة فراسخ من البلد فى موضع وعر صعب المسلك . وتردّدت المراسلات بينهما الى ان تقرّر الامر بينهما على ان ينفذ اليه رهينته فقمل وقاطمهُ عن البلد على الف الف درهم يحملها فى كل سنة وحمل فى الوقت مائة الف درهم منسوبة الى الهدية وغير محسوبة من مال المقاطمة وأقام له الخطبة ثم حمل شيئا من مال التعجيل وسلك سبيل الوفاء معه . فاشار كوردفير الكاتب على أحمد ابن بويه بان يسرى اليه نافضاً ما بينهما من العهود فانه سيجدهُ غير متحرّز وأصحابه غارّين لسكونهم الى وقوع الاتفاق وزوال الخلاف فيفوز بأموالهم وذخائرهم ويستولى على ديارهم ويتمّ له ما لا يتمّ لاحد قبله

﴿ ذكر ما كان من عاقبة هذا الغدر والنكث ﴾

أصغى أبو الحسين أحمد بن بويه الى كاتبه ووقع بوفاقه لحداثة سنّه واغتراره (٥٣٧) فحمل نفسهُ على مفارقة ما يجب عليه فى الدين والمرُوءة . وجمع صناديد عسكره وخلّف سوادهُ وما يجرى مجراهُ واسرى للوقت الى القوم وذلك عند صلاة العصر ليصبّحهم بياتا . وكان على بن كلويه متيقظاً قد وضع عيونه عليه فسبق اليه الخبر فجمع أصحابه ورتبهم على مضيق بين جبلين كان الطريق فيه فلما توسط أبو الحسين فى الليل مع أصحابه ثاروا به من جميع الجوانب فقتلوا وأسروا رجال العسكر فلم يفلت منهم الاّ اليسيرُ . ووقعت بأبى الحسين أحمد بن بويه ضربات كثيرة كانت ظاهرة فيه وطاحت يده اليسرى وبعض أصابع يده اليمنى واثخن بالضرب فى رأسه وسائر جسده وسقط بين القتلى وورد الخبر بذلك الى جيرفت فهرب كاتبه كوردفير ومن تأخّر من أصحابه : ولما أصبح على بن كلويه أمر بتتبع القتلى والتماس أحمد بن بويه فوجدوه حيًّا الاّ انه قد أشفى على التالف فحمل الى جيرفت واقبل على

ابن كلويه على علاجه وخدمته وبلغ فى ذلك كلّ مَبلغ واعتذر اليه وأظهر الغمّ مما أصابهُ . واتصل الخبر بعلى بن بويه فاشتدّ غمّهُ وقبض على كوردفير وأنفذ مكانه (٥٣٨) أبا العباس (١) وخطلخ حاجبه فى الفى رجل ليجمعا ما بقى من سواد معزّ الدولة (أعنى أحمد بن بويه) بالسيرجان ويضمّا من بقي من فلّ العسكر . وانفذ على بن كاويه رُسله وكتبه الى علي بن بويه بالاعتذار مما جرى ويوضح له الصورة ويبذل من نفسه الطاعة ويذكر انه ما فارقها ولا خرج عنها فأنفذ اليه على بن بويه قاضى شيراز وأبا العباس الحنّاط وأبا الفضل العباس بن فسانجس وجماعة من الوجوه وأجابهُ بالجميل وبسط عذره وأمضى ما كان قرّره وردّ رهينتهُ وجدّد له عهداً وعقداً . فحينئذ أطلق علي ابن كلويه أبا الحسين أحمد بن بويه وأطلق معه اسفهدوست وسائر من كان أسيراً فى يده بعد ان أجمل معاملتهم وخلع عليهم وحمل اليهم آلات والطافاً . فلما وصل أحمد بن بويه الى السيرجان وجد كاتبهُ مقبوضاً عليه وقد جرى عليه مكاره عظيمة أشرف منها على التلف فاستنقذهُ ونصرهُ وبرّأهُ من الذنب وشفع الى أخيه فيه فشفّعهُ وأطلقه .

وتأدّى الى أبى على ابن الياس ماجرى على أبي الحسين وطمع فيه وسار من سجستان حتى نزل البلد المعروف بخُناب فتوجه اليه أبو الحسين (٥٣٩) واشتدّت الحرب بينهما أياما الاّ ان عاقبة الامر كانت لابى الحسين فانهزم ابن الياس وعاد أبو الحسين ظافراً . وتتبعت نفسه التشفى من على بن كلويه وطلب الثار عنده فتوجه اليه واستعدّ على بن كلويه واحتشد ثم سار اليه فلما صار بين العسكرين نحو من فرسخين نزل وعملوا على مباكرة الحرب فاسرى

---

(١) هو الحناط القمي

على بن كلويه فى جماعة من أصحابه وهم قوم رجّالة قادرون على العدو والمعابرة فيه فوقع على عسكر أبى الحسين ليلا . واتفق ان تغيّمت السماء بمطر جود واختلط الناس فلم يتعارفوا الا باللغات فأثروا فى عسكر أبى الحسين وقتلوا ونهبوا وانصرفوا وبات عسكر أبى الحسين بقية ليلتهم يتحارسون فلما أصبحوا ساروا الى القوم فأوقعوا بهم وقتلوا منهم عدّة وانهزم على بن كلويه ورجع أبو الحسين وقد تقع بعض غلّته الا ان فى صدره بعدُ حزازات . وكتب الى أخيه على بن بويه بالبشارة والظفر بأبن الياس وانهزامه وبعلى ابن كلويه وهربه فورد عليه الجواب بأن يقف حيث انتهى ولا يتجاوزه وانفذ اليه المرزبان بن خسرة الجيلى أحد قوّاده الكبار ليبادر به الى حضرته ويمنعه [٥٤٠] التلوّم والمراجعة وكاتب سائر القوّاد بمثل ذلك فرجع الى حضرته كارهاً لانه ما كان بلغ ما فى نفسه من على بن كلويه وأصحابه فلما وصل الى اصطخر أقام .

﴿ ذكر ما اتفق له من الخروج الى بلدان العراق حتى ملكها ﴾

واتفق ان أبا عبد الله البريدى وافى فارس فى البحر لاجئاً الى على بن بويه وذلك ان محمد بن رائق وبجكم استظهرا عليه فى عدّة حروب وانتزعا الاهواز من يده واشرفا على انتزاع البصرة منه . فخلّف أخاه أبا يوسف وأبا الحسين على بن محمد [١] بها . فلما ورد حضرة على بن بويه مستصرخا به أكرمه وأحسن ضيافته وبذل له أبو عبد الله اذا ضم اليه الرجالَ ان يمكّنه من أعمال العراق ويصحّح له أموالا عظيمة من الاهواز ويسلّم اليه ولدَين له رهينة . واستقدم على بن بويه أخاه أبا الحسين من اصطخر فلما قرُب منه

---

(١) وفي الاصل : وعلي بن محمد

تلقّاه في جميع عسكره وقربهُ ورتبهُ فوق ما كان في نفسه تسليةً له عن مصيبته ثم أنهضهُ مع أبي عبد الله البريدي في عسكر قوي وعدة تامة وسار. واتصل خبره بمحمد بن رائق وبجكم فاما بجكم فانه عاد الى الاهواز وكان مع ابن رائق بعسكر أبي جعفر [٥٤١] محاصرين البصرة وأراد ان يمنع الديلم من تورُّد الاهواز وأما ابن رائق فعاد الى واسط والتقى عسكر بجكم وعسكر أبي الحسين بالقرب من رامهرمز وانحاز بجكم الى عسكر مكرم بعد حروب سنذكرها ان شاء الله في سنة ست وعشرين

﴿ ودخلت سنة خمس وعشرين وثلثمائة ﴾

وفيها أشار أبو بكر محمد بن رائق على الراضي بالله ان ينحدر معه الى واسط ليقرب من الاهواز ويراسل البريدي فان انقاد الى ما يراد منه وان مرق [١] عليه قصده. فاستجاب الراضي الى ذلك وانحدر يوم السبت غرة المحرم واضطربت الحجرية وقالوا: هذه تعمل علينا ليعمل بنا ما عمل بالساجية ونحن نقيم ببغداد. فلم يلتفت ابن رائق اليهم وانحدر بعضهم وتأخر أكثرهم ثم انحدر الجميع فلما صاروا بواسط عرضهم ابن رائق وبدأ بخلفاء الحجاب وكانو نحو خمسمائة حاجب فاقتصر منهم على ستين واسقط الباقين ونقص ابن رائق من أقرّ منهم. وأخذ يعرض الحجرية ويسقط منهم الدخلاء والبدلاء والنساء والتجار ومن لجأ اليهم فاضطربوا من ذلك ولم يستجيبوا اليه ثم استجابوا وعرضهم وأسقط منهم عدداً كثيراً ثم اضطربوا [٥٤٢] وحملوا السلاح فحاربهم ابن رائق يوم الثلاثاء لخمس بقين من المحرم حرباً عظيمةً فكانت على الحجرية فقتل بعضهم وأسر بعضهم وانهزم الباقون الى بغداد

---

(١) مشطوب في الاصل وقبله و«الا»

فركب لؤلؤ صاحب الشرطة ببغداد (١) وأوقع بالمنهزمين واستتروا فنهبت دورهم وأحرق بعضها وقُبضت أملاكهم . فلما فرغ ابن رائق من حرب الحجرية وقهرهم تقدم بقتل من كان اعتقلهم من الساجية فقتلوا سوى صافى الخازن والحسن بن هرون (٢)

فلما فرغ من الساجيّة والحجريّة عمل الراضى بالله وأبو بكر بن رائق على الشخوص الى الاهواز ودفع البريدى عنها واخرجت المضارب الى ياذبين وبلغ البريدى ذلك فقلق قلقاً شديداً وأُنفذ اليه أبو جعفر ابن شيرزاد وأبو محمد الحسن بن اسمعيل الاسكافي برسالة من الراضى بالله ومن ابن رائق يعرّفان انه قد أخّر الاموال واستبدّ بها وأفسد الجيوش وحسّن لها المروق وانه ليس بطالبيّ يسارع على الملك ولا بجنديّ فيتمنى الامارة ولا من حملة السلاح فيؤهل لفتح البلاد المنغلقة وانه كان كاتباً صغيراً فرفع بعد خمول وعاملا من أوسط العمال فاصطنع وأهّل لجليل (٥٤٣) الاعمال فطغى وكفر النعمة وجازى عن الإحسان بالسوء وخلع الطاعة وانه ان سلّم الجند وحمل المال أقرّ على العمالة والاّ قُصد وعومل بما يستحقّ .

فوافياهُ واخبراهُ بما تحملاّه ونصحا له فعقد على نفسه كور الاهواز

---

(١) وفى الاوراق . كثر الضجيج من تعنّت أصحاب لؤلؤ للناس ووضع الجبايات عليهم واغرامهم فعزل عن شرطة بغداد ووليها محمد بن بدر الشرابى يوم الاثنين لاثنى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة ٣٢٦

(٢) وفي تاريخ الاسلام : وكان الحسن بن عبد الله بن حمدان قد غلب على الموصل فسار اليه خلق من الساجية والحجرية وهم خاصّكية الخليفة هربوا من محمد بن رائق فاحسن الحسن اليهم —

بثلثمائة وستين الف دينار يحمل منها فى كلّ شهر من شهور الاهلة ثلاثين الف دينار وان يسلّم الجيش من يومر بتسليمه اليه ممن يومْر عليهم ليخرج بهم الى فارس للحرب اذ كانوا كارهين للعود الى الحضرة لضيق الاموال بها ولاختلاف كلمة الاولياء فيها ولانهم لا يأمنون الاتراك والقرامطة . وكاتبا ابن رائق بذلك فعرضهُ على الراضى بالله وشاور فيه الحسين بن على النوبختى فأشار بالاّ يقبل منه ذلك وان يتمم ما شرع فيه من قصده مادام قلبه قد نخب وان يخرج الاهواز من يده ولا يقارّ بها. وأشار أبو بكر ابن مقاتل بقبول ما بذلهُ وإقراره فى ولايتـه فمال ابن رائق الى الهوينا وقبل رأى ابن مقاتل وكان الرأى الصحيح مع النوبختى وكتب الى ابن شيرزاد وابن اسمعيل وأذن لهما فى العقد والاشهار ففعلا وانصرفا . فاما المال فما حمل منه دينار (٥٤٤) واحدٌ وأما الجيش فانه انفذ جعفر بن ورقاء لتسلّمه والنهوض الى فارس به فوافى جعفر بن ورقاء الاهواز وتلقّاهُ أبو عبد الله البريدى فى الجيش كلّه كوكبةً بعد كوكبة حتى ملأ الارض بهم واسودّت منهم حافين بأبى عبد الله حوله فورد على جعفر بن ورقاء ما حيرهُ . ثم انفذت الخلع السلطانيّة الى أبى عبد الله البريدى بالولاية وعُمالة الاهواز فلبسها فى جامع الاهواز وانصرف الى داره فمشى العسكر قوّادهم وفُرسانهم وصميمهم وعبيدهم ورجالتهم بخفاقهم وراياتهم وأسلحتهم بين يديه فيئس جعفر بن ورقاء وكان راكباً معه وانخزل وسقطت نفسه فلما بلغ داره احتبسهُ واحتبس القوّاد معه والناس وكان يوماً عظيما . ثم أقام جعفر بن ورقاء أياما فدسّ عليه البريدى الرجالّ فشغبوا وطالبوه بمال يفرق فيهم رزقة تامّة للنهوض فاستتر

واستجار بالبريدى فأخرجه وعاد الى الحضرة . وعُنى ابن رائق بأبى الحسين البريدى [١] قبل هذه الحال حتى انحدر من بغداد ولحق بأخويه ولما تقرّر أمر البريدى أصعد الراضى بالله وابن رائق الى بغداد .

ودخل أبو عبد الله الحسين بن على كاتب الامير ابن رائق بغداد (٥٤٥)

﴿ ذكر حيلة أبى بكر ابن مقاتل على الحسين بن على النوبختى ﴾
﴿ حتى عزله عن كتابة ابن رائق ﴾

وكان أبو بكر محمد بن مقاتل متمكناً من ابن رائق التمكّن المشهور منحرفاً عن الحسين بن على النوبختى بعد المودّة الوكيدة وكان هو أوصله الى ابن رائق وأدخله فى كتابته فلهذا ولان الحسين بن على فوقه ومتفرّد بابن رائق (وهو المدبّر للملك والذى بنى لابن رائق تلك الرتبة العظيمة والذى ساق اليه تلك النعمة وجمع له تلك الاموال التى كان مستظهراً بها من ضمان واسط والبصرة) أشار على ابن رائق ان يعتضد بأبى عبد الله البريدى وان يستكتبه ليتفق الكلمة ويجتمع جيش الاهواز الى جيشه وقال له : أيها الامير لك فى ذلك جمالٌ عظيم لانه اليوم كالنظير لك فاذا تواضع وصار تابعاً جازحكمك عليه. وسيقال لك ان البريدى غدر بالسلطان وبياقوت فكيف تثق به ؟ فالجواب عن هذا انه ليس يجمعكما أرضٌ فتتمّ حيلته عليك كما تمت على ياقوت وأنت غير قادرٍ عليه الاّ بحرب وقد يجوز ان تظفر به لو يظهر

(١) وفي الاوراق : كان أبو الحسين على بن محمد البريدى قد وافى واسط فأوصله ابن رائق الى الراضي حتى خاطبه . . . . وخلع عليه ابن رائق الخلع التى كان الراضى خلعها عليه عندظفره بالحجرية وركب معه

هو فاذا كنا قد انتهينا الى هذه الحال معه فخطّةُ من الامارة الى الكتابة وتصييره تابعاً ثم جذبُ رجالهِ (٥٤٦) وجيشه بالخدعة أو انفاذهُ مع بجكم ليفتح لنا فارس وأصبهان اولى من دفعه عمّا سأل وإيحاشه فيحتاط لنفسه ويخبب الرجال وقد حمل الى الامير مع هذا ثلاثين الف دينار هدية هي فى منزلى . وقال له ابن رائق : ما كنتُ لأصرف الحسين بن على مع نصحه لى وتبركي به ولو فتح لى فارس وأصبهان وساقهما الىّ خصوصاً واهداهُما لى دون غيرى. قال : أيها الامير فان كرهتَ هذا فضمّنهُ واسطاً والبصرة. فقال : هذا لفعلتهُ ان أشار به أبو عبد الله الحسين بن على . قال : فتكتمهُ أيّها الامير خوضنا فى الكتابة ولا تذكرها .

وحضر أبو عبد الله الحسين بن على بعد ذلك وعرض عليه هذا الرأى فضجّ منه وعدد مساوى البريدىّ وغدرَهُ وكفرَهُ الصنائع منذ ابتداء أمرهم والى ان كاشفوا بالعصيان وأعاد حديث ياقوت ثم التفت الى ابن مقاتل فقال : ما قضيتَ حقّ هذا الامير ولا نصحته. ثم قال : أنا عليلٌ أيها الامير فان عشتُ وأنا معك فهيهات ان يتمّ عليك وان مضى فى حكمُ الله فنشدتك الله ان تأنس بالبريدي أو تسكن اليه بشئٍ من أصناف حِيله. فدمعت عين ابن رائق وقال : بل يحييك الله (٥٤٧) ويهلكهُ (وكان الحسين ابن على عليلا من حُمى وسعال) ثم انصرف الحسين بن على وابن مقاتل مغضبٌ فقال لابن رائق : قد حمل الرجل اليك ثلاثين الف دينار ولا بدّ من ان تعمل به جميلا فاقبل أحمد بن على الكوفى خليفة لنا بحضرتك ونائباً عنه الى ان ترى رأيك . فقال : أما هذا فنعم

وكتب ابن مقاتل الى البريدى بما جرى وانفذ أحمد بن على الكوفى ووافى حضرة أبي بكر محمد بن رائق بمدينة السلام واختلط به نيابة عن أبي عبد الله البريدى وثقل الحسين بن على النوبختى فتأخّر عن الخدمة أياماً. وكان له ابنُ اخ قد صاهرهُ فهو يخلفه في مجلس ابن رائق ويوقع عنه فقال أبو بكر ابن مقاتل للامير ابن رائق: حُسن العهد من الاعمان وهو من الامير احسنُ لانه عائدٌ بالسلامة عليّ ولكن اضاعة الامور ليس من الحزْم والحسين بن على ميّتٌ فانظرْ لنفسك فان الامور قد اختلّت. فقال: ياهذا الساعة والله سألتُ سنان بن ثابت عنه فقال « قد صلح وخفّ النفث وانه أكل الدُرّاج » فقال: سنان رجل عاقل ولا يحبّ ان يلقاك فيمن تعزّ بما تكرهُ ولا سيّما هو وزير الزمان اليوم ولكن صهرهُ (٥٤٨) وابن أخيه خليفته احضرْهُ وحلِّفهُ ان يصدقك. قال: افعلْ. وانصرف ابن مقاتل ودعا علي بن أحمد ابن أخى الحسين بن على وقال له: قد مهّدتُ لك كتبة الامير وواقفتهُ على تقلُّدك اياها وهى وزارة الحضرة وعمك ذاهبٌ فان سألك فعرّفه انه ميتٌ لا محالة فانى أعود اليه وأُناجزهُ فيخلع عليك قبل ان يطمع فيها غيرك. فاغترّ على بن أحمد وسأله محمد بن رائق من غد بعد ان أخلى نفسه عن خبر عمّه فكان جوابه ان بكى وقال: أعظم الله أجرك أيها الامير فى أبي عبد الله عُدّهُ من الاموات. ثم لطم وجهه فقال ابن رائق: لاحول ولا قوة الاّ بالله أعززعليّ به لو فدى حيٌّ ميتاً لفديتهُ بملكي كلّه. واستدعى ابن مقاتل فقال له: كان الحقّ معك قد يئسنا من الحسين بن على فانّا لله وانّا اليه راجعون فأى شيء نعملْ؟ فقال: هذا أبو عبد الله أحمدْ بن على الكوفي نظير الحسين بن على وكانا صنيعتى اسحق بن اسميل

النوبختي هو في نهاية الثقة والعفاف وهو خصيص بأبي عبد الله البريدي وان أنت استكتبتَهُ اجتمعت لك كفاية الى عفافه واستقصائه وانضاف الى ذلك كلّه حصول أولئك في جلتهم وانقطاعهم (٥٤٩) اليك ونعتدّ على أبي عبدالله انّا قد أجبناهُ الى ما سأل من كتابتك واستخلفنا صاحبه أبا عبد الله الكوفي فقال : استخر الله وافعلْ ولكن عهدة أبي عبد الله الكوفي عليك الاّ يغشّني ويؤثر البريدي في حالٍ من الاحوال . فقال : أنا الضامنُ عن أبي عبد الله الكوفي كلّ ما شرطهُ الامير . فاستكتبهُ فدبّر الامور كلها كما كان يُدبّرها الحسين بن علي واسقط من الكتب التي تكتب عن ابن رائق وكتب « فلان بن فلان » وكان الحسين بن علي يكتب ذلك على رسم الوزارة فكانت مدّة تدبير الحسين بن علي النوبختي لامور المملكة ثلاثة أشهر وثمانية أيام . وكتب أبو بكر ابن رائق الى أبي عبد الله البريدي يعتدّ عليه بما احتال له حتى زحزح الحسين بن علي وساق الامر اليه واستخلف له أبا عبد الله الكوفي فحمل اليه أبو عبد الله البريدي عشرة آلاف دينار التي قدمنا ذكرها واستقلّ الحسينُ بن علي النوبختي وصحّ جسمهُ وعوفي فكتم ذلك عن ابن رائق وتمكن البريديون حتى غلبوا على البصرة .

﴿ ذكر الخبر عما احتالوا به واتفق أيضاً لهم ﴾

لم يمض شهرٌ من استكتاب ابن رائق أبا عبد الله الكوفي [حتى] شرع لابي يوسف البريدي في ضمان (٥٥٠) البصرة وواسط فأشار على بن رائق بذلك فقال : لا أفعلُ ولا أثقُ بهما . قال له : ولِمَ أيها الامير ؟ أما واسط فأنا مُدبرُها وليس يرد لهم اليها ولا راجل وعليّ توفية مالها وأما البصرة فقد قرّرتُ أمرَها على أربعة آلاف ألف درهم على أن يقيم لي بها

ضمناء ثقات . وأشار أبو بكر بن مقاتل بمثل ذلك فأذن ابن رائق فى العقد عليه فقلد أبو يوسف أبا الحسن ابن أسد أعمال الخراج بالبصرة (وكان والى الحرب بها محمد بن يزداد) فخرج أهل البصرة بأجمعهم الى سوق الاهواز لتهنئة البريدى بالولاية وكان جمعهم عظيماً جداً . وكان أبو الحسين ابن عبد السلام الهاشمى وجيه البصرة قد شذ عن ابن رائق لانه قصر به وحط منه بالبصرة فقصد أبا عبد الله البريدي وأبا يوسف أخاهُ فطرح نفسه كلّ مطرح عندهما وأشار اليهما بالغلبة على البصرة وانفاذ العساكر اليها وذكر طاعة الحَوَل وأهل الانهار له فأخذ أبو عبد الله فى بناء الشذاآت والزبازب والطيّارات والاستكثار منها حتى اجتمعت له مائة قطعة فى نهاية الوثاقة والجودة . فحين وافاهُ أهل البصرة (٥٥١) للتهنئة قربهم وأكرمهم ورفع منهم وقال : قد اطّلع أبو الحسين بن عبد السلام على نيّتي الجميلة فيكم ومحبتى لاصلاحكم واعداد آلة الماء للجيوش الذين أحصّن بهم بلدكم من القرامطة وكنت مستغنياً عن ضمان البصرة اذ لا فائدة لى فيها وانما امتعضتُ لكم من ظلم ابن رائق ومحمد بن يزداد خليفته لكم وتحملت فى مالى أربعة آلاف دينار فى كلّ شهر بازاء ما كان يؤخذ من الشرطة والمآصير والشوك تخفيفاً عنكم [1] وقد ازلت جميعها وهذا خطى برفعها عنكم. ووقع بذلك توقيعاً وسلمه اليهم وكثر الدعاء والضجيج بشكره ثم قال لهم : انه سيبلغ هذا ابن رائق فينكره ويوحشه مني ويصير سببا للعداوة بينى وبينه ووالله ما أبالى ان يعادينى اخواى أبو يوسف وأبو الحسين وابنى أبو القاسم فى صلاحكم لانى أعلم أن فيكم بنى هاشم وطالبيين وأولاد المهاجرين والانصار ومن حرمة

(١) وفي التكملة : الرسوم الجائزة عنكم

الاسلام صيانتكم وانى لاقدر ان الله عز وجل يغفر لى كل ذنب بازالة الاذيّة عنكم وسيروم ابن رائق ردّ ما قد ازلته عنكم من هذا الحُطام الذى كان يأخذه فأين السواعد القويّة والنفوس (٥٥٢) الابيّة التى حاربت على ابن أبى طالب صلوات الله عليه ! فمتى رام ابن رائق نقض ما عملت فاضربوا وجهه ووجوه أصحابه بتلك السواعد والسيوف وأنا من ورائكم . ثم ذكر أهل البصرة بايامهم مع عبد الرحمن بن الاشعث ومحمد وابراهيم ابني عبد الله بن حسن بن حسن (١) وقال: لتكن قلوبكم قوية وآمالكم فسحة ونفوسكم شديدة فى مجاهدة عدوكم . ثم وقع للنفقة على المسجد الجامع بالبصرة بألفى دينار وقال : بلغني أنه خراب . وعرضت عليه الرقاع بالحاجات فوقع بحطائط ونظر وصلات وتخفيف فى المعاملات بألفى ألف درهم وانصرفوا عنه وقد صاروا سيوفه . وسير اقبالا غلامه وحاجبه وكانت له نوبة مع أبي جعفر الجمّال وضم اليه ألفى رجل وقال : اقيموا بحصن مهدى الى أن نكاتب اقبالا الحاجب بالمسير بهم الى البصرة . واتصل ذلك بابن يزداد فقامت قيامته .

وفي هذه السنة قلد محمد بن رائق أبا الحسين بحكم الشرطة بمدينة السلام (٢) وقلد الحسين عمر بن محمد قضاء القضاة مع الاعمال التى اليه .

وأمر الغلمان الحجرية المستترين ببغداد فظهروا وصاروا اليه بالسلاح فعرضهم وامضى من جملتهم نحو ألفى رجل واثبتهم برزق مستأنف (٥٥٣) على ما رآه واسقط الباقين وأخرج من امضاه وقرر رزقَهُ الى الجبل فلما صاروا بطريق

(١) زاد فيه صاحب التكملة: متى أخذكم ضيم فصبر. وبايع أهل البصرة ابن الاشعث فى سنة ٨١ طبرى ٢ : ٢٠٦٢ وأما ابرهيم فقدم البصرة سنة ١٤٥ : طبرى ٣ : ٢٩٨ وليراجع قول أبي حنيفة فى خروجه علي المنصور في ارشاد الاريب ١ : ٢٨٦ س ١٠

(٢) وزاد فيه : صاحب التكملة وأنزله في دار محمد بن خلف النيرماني على دجلة

خراسان أجمع رأيهم على المضى الى الاهواز فمضوا الى أبى عبد الله البريدي فقبلهم وأضعف أرزاقهم وخاطبهم بالترثي لهم مما جرى عليهم من ابن رائق والتعجب منه ووعدهم الاحسان التامّ . وأظهر للسلطان وابن رائق انه لم يكن به طاقة لما صاروا اليه أن يدفعهم وانه اضطرّ الى قبولهم وجعلهم حجة فى قطع ما كان ووُقف على حمله واحتج بأنهم اجتمعوا مع الجيش ومنعوه من حمل مال البلد وغلب على الاهواز والبصرة . فصارت الدنيا فى أيدى المتغلبين وصاروا ملوك الطوائف وكلّ من حصل فى يده بلد ملكه ومنع ماله

فصارت واسط والبصرة والاهواز فى أيدى البريديين وفارس فى يد على بن بويه وكرمان فى يد أبى على ابن الياس واصبهان والرى والجبل فى يد أبى على الحسن بن بويه ويد وشمكير يتنازعونها بينهما والموصل وديار ربيعة وديار بكر فى أيدى بنى حمدان ومصر والشام فى يد محمد بن طغج (١) والمغرب وافريقية فى يد أبى تميم والاندلس فى يد الاموى (٢) وخراسان فى يد نصر بن

(١) قال أبو بكر الصولى في الاوراق: ما رأيت الراضي يقرظ أحداً تقريظه للامير أبي بكر محمد بن طغج فانه كان يصفه ويرضى جميع ما هو عليه واذا جاء هدية من قبله استحسن جميعها وفرق علينا منها وكان يقول اذا ذكره : رجل كبير العقل حسن الطاعة يشبه اجلاء الموالي الماضيين ما أدري بما أكافئه . ثم أمر فكتبت عنه كتب بأنه قد سماه الاخشاذ (كذا) وأمر أن يسميه به جميع الناس . ولما جاءته هديته فى اخر أيامه التى كان فيها الخدم الذين يغنون ويرقصون قال . لقد خصني بما لم يملك مثله خليفة قط. وكان ربما قال بغير حضرة من لا يثق به : لو كان مثله عندي وكان جيشه لكان هذا الجيش فانه أشبه بجيش ابائى وأشد تمسكا بطاعتي (٢) هو الناصر لدين الله أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد . وقال صاحب تاريخ الاسلام : ولا يتسم أحد بأمير المؤمنين من أجداده انما يخطب لهم بالامارة فقط فلما كان سنة ٣١٧ وبلغه ضعف الخلافة بالعراق وظهور الشيعة بالقيروان تسمي بأمير المؤمنين

أحمد واليمامة والبحرين وهجر فى يد أبى طاهر ابن أبى سعيد [٥٥٤] الجنّابى وطبرستان وجرجان فى يد الديلم. ولم يبق فى يد السلطان وابن رائق غير السواد والعراق . ولما حصلت ديار مضر خالية قد خربت وضاق مالها عن كفاية السلطان خرج عنها بدر الخرشنى وكان يتولى الحرب بها وعاد الى الحضرة فلما خلت من صاحب معونة قصدها على بن حمدان فغلب عليها . وزاد فى مرض أبى عبد الله الحسين بن على النوبختى ما رآه من انتقاض كلّ ما كان نظمهُ وما تمّ عليه من الحيلة فآل أمرهُ الى السلّ . [١]

وفى هذه السنة انكشفت الوحشة بين محمد بن رائق وبين البريديين .

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

اتفق ان وافى أبو طاهر القرمطى الكوفة فدخلها فى شهر ربيع الآخر من سنة ٢٥ فخرج ابن رائق من بغداد ونزل فى بستان ابن أبى الشوارب بقنطرة الياسريّة وانفذ أبا بكر ابن مقاتل برسالة الى أبى طاهر الهجرى وكان أبو طاهر يطالب بان يحمل اليه السلطان فى كل سنة مالا وطعاما بنحو مائة وعشرين الف دينار ليقيم فى بلده وبذل له ابن رائق بان يجمل ما التمسهُ رزقا لاصحابه على ان يكسر لهم السلطان جريدة [٣] وينفق فيهم ويدخلوا فى الطاعة ويستخدموا . وجرت خطوبٌ [٥٥٥] بينهما ومخاطباتٌ انصرف معها أبو طاهر الى بلده من حيث لم يتقرّر له أمرٌ مع ابن رائق . وبلغ ابن رائق الى قصر ابن هبيرة ثم عاد منها الى واسط وكاشف البريدى واستوزر أبا الفتح

(١) زاد هاهنا صاحب التكملة : وقبض أبو عبد الله أحمد بن علي الكوفى على محمد بن يحيي بن شيرزاد وصادره على مائة وعشرين الف دينار (٣) وفى كتاب العيون : ويجعل لهم بذلك جريدة فى الديوان ويدخلوا الخ

الفضل بن جعفر بن الفرات .

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان ظنّ ابن رائق انه اذا استوزر أبا الفتح جذب له الاموال من مصر والشام فقدم أبو الفتح من الشام [1] ولزم سليمن بن الحسن منزله . وكان حمل اليه الخلع قبل وصوله الى بغداد فوصلت اليه وهو بهيت فلبسها ثم دخل بغداد واقرّ أبا القاسم الكلواذى [2] على ديوان السواد واستخلف بالحضرة أبا بكر عبد الله بن على النفّري وهو زوج أختهِ وكتب السلطان فى استيزارهِ أبا الفتح كتابا نفذ الى أصحاب الاطراف .

ولما بلغ ابن رائق ما خاطب البريدى به أهلَ البصرة قلق وتغير للكوفى واتّهمهُ وهمّ بالقبض عليه فحامى عنه أبو بكر ابن مقاتل ثم رأى انه يغالط ابن البريدى بكتاب اليه فقال للكوفى . انه بلغني ان صاحبك خاطب أهل البصرة بما أنا معرض عنه فانه ربما وقع التزيد في مثله ولكن أكتب اليه . ان الذى أنكرته قبولك الحجرية فأما اذا تردهم واما ان تطردهم [556] وان استأذنوكَ فى ناحية يقصدونها فاضممْ اليهم من رأيتَ من قوّادك وانفذهم الى الجبل وهذا العسكر الذى أنفذتَهُ الى حصن مهدى فانا أعلمُ انه لما اتصل ورود الهجرى الى الكوفة استظهرت بانفاذهِ ليمين من فيها عليه ان احتيج الى ذلك وقد استغنى الآن عنهم وفى مقامهم بالحصن مع الاستغناء عنهم تسليط الظنون السيئة عليك وايجاد اعدائك سبيلا الى التضريب بيني وبينك وبلغنى انك قد كنتَ أنفذتَ أبا جعفر محمداً غلامك الى السوس

(١) كان قدم مصر في هذه السنة : كذا في كتاب الولاة للكندى ص ٢٨٧

(٢) قال صاحب التكملة : وفي سنة ٣٤٠ مات أبو القاسم الكلوذاني بعد الفقر

(وكان قد أنفذه على الحقيقة) وأمرتهُ ان يقصد الطيب ويقيم بها اشفاقا من أن يلحقني وهنٌ من القرامطة فان احتيج اليه لحماية واسط كان قريباً وانى لما وافيتُ كاتبتهُ بالانصراف فعاد الى الاهواز وهـذا مشكورٌ فاعملْ فى أمر اقبال ومن أنفذتهُ الى حصن مهدى كهذا العمل ثم أنا لك على الوفاء.

فكتب الكوفى بهذا كله فكان الجواب: ان جيشه القديم متشبثون بالحجرية لانهم أقاربهم وبين القوم وصلٌ ورحمٌ وبلديةٌ ولا يمكن إخراجهم جملةً واحدةً ولكنه على الايام يفرّق شملهم وان الاخبار تواترت بان القرمطى لما انصرف عن الكوفة قصد البصرة واستجار به أهلها فانفذ(٥٥٧) هذا العسكر اشفاقا عليها وانهم قد حصلوا بها.

وكان البريدى ساعة ورود الخبر عليه بنزول ابن رائق واسط انفذ الى من بحصن مهدى بدخول البصرة فدخلوها بعد ان انفذ من الحجرية قطعةً وافرة لمعاضدتهم على دخولها. واخرج محمد بن يزداد مكان الصغدى وتكين وكانا تُركيين من شحنة البصرة لحربهم فوقعت بينهم وقعة فى نهر الامير انهزم بها الرائقية ثم زاد محمد بن يزداد فى عدّتهم بالاثبات وبغلمان نفسه فكانت الوقعة الثانية بكسرابان وبينها وبين الابلّة فرسخٌ فانهزم الرائقيّة هزيمة ثانية ودخل اقبال وجيش البريدى البصرة. وأما محمد بن يزداد صاحب ابن رائق فانه فتح باب البصرة وهرب على طريق البرّ الى الكوفة وأما مكان وتكين ورجال الماء الرائقية فانهم اهتدوا فى زبازبهم الى واسط.

وورد الخبر على ابن رائق بحصول اقبال غلام البريدى وأصحابه بالبصرة وجواب كتاب الكوفي فى أيام متقاربة فانفذ رسولا الى البريدى برسالة

قسمها بين ارغاب وارهاب ووعد ووعيد فكان من جوابه : انه لا يمكنه ردّ رجاله من البصرة لان أهلها قد أنسوا بهم واستوحشوا من قبيح (٥٥٨) ما عاملهم به ابن يزداد فى أيامه لان القرمطى طامعٌ فى البلد وليس يأمن متى كاتبهم بالانصراف ان يدخل القرامطة الى البصرة ضرورة لئلا تعود المعاملة بين أهلها وبين ابن يزداد بعد ان كاشفوه .

وقد كان اهمرى أهلُ البصرة فى نهاية الاستيحاش من ابن رائق ومحمد بن يزداد فان محمد بن يزداد سار بهم سيرة سدُوم وظلمهم في معاملاتهم ظلماً مفرطاً وسامهم الخسف وكانوا قد اعتادوا العزّ وقدّروا بالبريدى خيراً ثم رأوا منه ومن أخويه ما ودّوا انهم أكلوا الخرشف والخرنوب وصبروا على محمد بن رائق ومحمد بن يزداد ومعاملته . ولما عاد الرسول بالجواب كان ابن رائق قد استدعى بدرا الخرشني وأكرمهُ وخلع عليه خلعاً سلطانيّة وحملهُ . وترجح الرأى في تسيير الجيوش الى الاهواز والبصرة ثم استقرّ الرأى على ان يقلّد بجكم الاهواز بعد حديث لبجكم في ذلك مع ابن مقاتل سنذكرهُ فيما بعد ان شاء الله . وخلع عليه ابن رائق لذلك وسيرهُ وبدراً الخرشني الى الاهواز وضمّ اليه ابن أبي عدنان الراسبي [1] دليلا ومعيناً وانفذ حاجبه فاتكا وعبد العزيز الرائقى وأحمد بن نصر القشورى وبرغوثا وأمرهم ان يقيموا (٥٥٩) بالجامدة وبحصل جيش البريدى بين حلقتي البطائح فبادر بجكم ولم يتوقف على بدر الخرشني وتقدّ امامهُ فوصل الى السوس واخرج البريدي محمداً غلامهُ المعروف بأبي جعفر الجمّال فى عشرة آلاف

---

(١) وليراجع ماقال فى حق أبي عدنان ياقوت الحموى في معجم البلدان ٢ : ٦١٧ فى مادة « دور الراسبى »

رجل بأتمّ آلة وأكمل سلاح للحرب فوقعت الحرب بظاهر السوس ومع بجكم مائتان وتسعون غلاماً من الاتراك فانهزم البريدية يوم نزول بدر بالطيب وقال بجكم : انما بادرتُ وحملتُ علي نفسي ما حملتُ ولاقيتُ هذه العدة العظيمة بهذه العِدّة اليسيرة لئلا يشركني بدلٌ في الفتح .

وعاد ابو جعفر الجمّال الى أبى عبد الله البريدي فصفعه بخفّه وقال : انهزمتَ مع عشرة آلاف من بين يدى ثمانمائة غلام . فقال له : أنتَ ظننتَ انك تحارب ياقوتا المدبر وجيشهُ المدابير قد والله جاءك من لتّ بجكم والاتراك خلاف ما عهدت من سودان باب عمان والمولّدين . فقام اليه فلكمهُ بيده ثم قال له : قد انفذتُ أبا الخليل الديلمى ومن معى من العجم ومن كان تخلّف بالاهواز فى ثلاثة آلاف رجل الى تستر فانفذ الساعة مع من صحبك اليها حتى تجتمع معهم وتعاود الحرب . فقال : افعلُ وسنعود اليك هذه الكرّة بأخزى من الكرّة الاولى لان (٥٦٠) هيبة بجكم قد تمكنت فى نفوس أهل العسكر . ونفذ للوقت فى ثلاثة آلاف رجل ووافى بجكم الى نهر تستر فطرح نفسهُ وغلمانهُ أنفسهم فى الماء للعبور سباحة وكان الماء قليلا فانهزم القوم بغير حرب وعادوا الى ابى عبد الله . فخرج فى الوقت مع أخويه وجلسوا فى طيّار ومعهم حديديّ فيه ثلاثمائة الف دينار كانت فى خزائنهم فغرقت بالنهروان وغرقَ الطيّار وأخرجهم الغوّاصون واخرج لبجكم بعضُ المال . فقال أبو عبد الله : ما نجونا والله من الغرق بصالح أعمالنا ولكن لصاعقة يريدها الله بهذه الدنيا . فقال له أبو يوسف : ويحك ماتدعُ التنادُر فى هذه الحال ؟ ثم وافوا البصرة ودخل بجكم الاهواز وكتب الى ابن رائق بالفتح .

ولما وصل أبو عبدالله الى الابلّة ومعه أخواهُ أنفذ اقبالا غلامَهُ الى مطارا وأقام هو وأخواهُ فى طيّاراتهم وأعدّوا ثلاثة مراكب للهرب منها الى عمان ان اتفق على اقبال بمطارا من الهزيمة مثل ما تمّ على أبى جعفر بالسوس. واخرج أبوعبد الله البريدى أبا الحسين ابن عبد السلام لمعاضدة اقبال فانهزم الرائقية وأسر برغوث وحمل به الى البريدى فأطلقه وكتب الى ابن رائق كتاباً يستعطفه [٥٦١] فيه وأنفذه اليه مع برغوث ودخل البريديون الثلاثة الى الدور فنزلوها وسكنوا واطمأنوا ولم يمكن بجكم أن يسير من الاهواز لخلو الاهواز من آلة الماء وشغب رجال بدر عليه فانصرف الى واسط وملك بجكم الاهواز. ولما عرف ابن رائق ما جري على رجاله فى الماء أنفذ أبا العباس أحمد بن خاقان وجوامرد الرائقى الى المذار على الظهر لمحاربة البريدى واخراج أصحابه وسير بدرا الخرشني الى البصرة فى الماء فى شذاآت مقيرة بناها بواسط فانهزم الرائقية من المذار وأسر أبو العباس ابن خاقان ورجع جوامرد الى واسط وأحسن البريدى الى ابن خاقان واستحلفه الا يعود لمحاربته ولا يشايع عليه وأطلقه . واتصل خبر هذه الهزيمة بابن رائق فسار بنفسه من واسط الى البصرة على الظهر وكتب الى بجكم أن يلحق به الى عسكر أبى جعفر فاتفق ان سار بدر الخرشني فى الماء الى نهر عمر ووافى الى البصرة وملك شاطىء الكلاّ وحصل اقبال غلام البريدي فى حدود واسط لما عرف خروج ابن رائق عنها وبلغ ابن رائق ذلك فرد فاتكا حاجبه الى واسط ليحفظها

ولما ملك بدر الخرشني الكلا هرب أبو عبد الله البريدى للوقت الى جزيرة أوال وخرج من كان بالبصرة من الجند لدفع [٥٦٢] بدر وانضاف

اليهم عالم عظيم من العامة فاضطر بدر الى الافراج عن شاطيء الكلاّ وحصل بالجزيرة التى بازائه واستتر أبو يوسف البريدى وركب أخوه أبو الحسين بحضّ الجند والعامة ووافى بجكم الى ابن رائق وهو فى عسكر أبى جعفر يوم ورود بدر الكلا ولما كان وقت العصر عبر ابن رائق وبجكم دجلة البصرة ودخلا نهر ديبس وتبعهما احمد بن نصر القشوري فرمي بالحجارة وغرق زبزبه واجتمع بدر وابن رائق وبجكم فى الجزيرة [1] فشاهدوا أمراً عظيما وخطبا جليلا من العامة وتكاثرهم عليهم فقال بجكم لابن رائق: ما الذى عملت بهؤلاء القوم حتى قد احوجتهم الى ما خرجوا اليه؟ فقال: لا والله ما أدرى وانصرف بجكم وابن رائق الى عسكر أبى جعفر ولما جنّ الليل وجاء المد انصرف بدر اليهما. وبلغ اقبالا خبر بدر فى نفوذه فى الماء الى البصرة من الجامدة ومخالفته اياه الطريق فكرّ راجعا ووافى فى اليوم الثانى وقت العصر الى شاطيء الكلاّ ونفذ الى شاطيء الابلة وحال بين ابن رائق وبجكم وبدر وبين الابلّة وصارت الحرب فى دجلة وطالت المنازلة

ونفذ أبو عبد الله البريدى من جزيرة أوال الى فارس واستجار بعلى ابن بويه فأنفذ معه (٦٦٣) أخاه أبا الحسين أحمد بن بويه لفتح الاهواز وورد الخبر بذلك على ابن رائق وأصحابه فتقدم ابن رائق الى بجكم بالمبادرة

(١) قال أبو بكر الصولى فى الاوراق: ورد الخبر بوقعة كانت لابن رائق على دجلة البصرة ودخل نهر معقل ووافي البصرة فعجل بعض أصحابه فطرح حريقاً في جزيرة جبال البصرة وكان يبلغ أهل البصرة انه يريد قتلهم واحراق بلدهم وخاطب بذلك بعض رؤساء البصرة ممن قصده. فلما رأى ذلك أهل البصرة أعانوا البريديين فهزم ابن رائق وافلت هو وبجكم من أن يؤخذا ورجع الى دجلة البصرة فعسكر بموضع يعرف بعسكر أبي جعفر فهو معقل. فلما طال الامر عليه صاعد الى واسط

الى الاهواز لحمايتها فقال بجكم : لست أحارب الديلم وأدفعهم عن الاهوار الا بعد ان تحصل لى أمارتها حربا وخراجا وأنت تعلم انى ما صبرت لابى العباس الخصيبي لما قلدته الاهواز حتى صرفته اصبر لعلى بن خلف بن طناب أن يتحكم في بلد أحارب عنه ؟ (وكان على بن خلف بالاهواز من قبل الوزير أبى الفتح) فضمن ابن رائق بجكم الاهواز وكورها بمائة وثلاثين ألف دينار محمولة في السنة على أن يوفي رجاله مالهم ويستوفى مايخصه وغلمانه وأقطعه اقطاعا بخمسين ألف دينار. ولما كان بعد شهر أو دونه من نفوذ بجكم الى الاهواز انصرف ابن رائق أيضا من عسكر أبي جعفر ومضى الى الاهواز وأحرق مابقى من سواده لاتفاق سيىء اتفق عليه

﴿ ذكر اتفاق سيىء اتفق على ابن رائق حتى انهزم ﴾
﴿ الى الاهواز وأحرق سواده ﴾

كان طاهر الجيلي وافى الى واسط مستأمناً الى ابن رائق فلم يجده بها وقصدهُ الى عسكر أبي جعفر فتلقاهُ في طريقه كتاب ابنه وجاريته بحصولهما في يد ابن البريدى لان أبا عبد الله كان(٥٦٤) بفارس فقبل ابنه وجمع بينه وبين الجارية فعبر بالليل فى مائتى رجل. وزعق بابن رائق وبدر الخرشني ووازرهُ جميع أصحاب البريدي من عسكر الملة فاما بدر فانه انهزم الى واسط وأما ابن رائق فانه مضى الى الاهواز وأكرمه بجكم وخدمه وأشير على بجكم بالقبض عليه فلم يفعل وأقام أياما حتى وافاه من واسط فاتك غلامه ثم سار اليها وخلف بجكم بالاهواز

وأما حديث بجكم مع ابن رائق الذي وعدنا به فهو ما حكاه ثابت ابن سنان عن والده سنان

﴿ ذكر حكاية عن بجكم تدل على حصافة وبعد غور وكبر همة ﴾

قال ثابت : حدثني والدي ان بجكم قال له بعد ان ملك الحضرة وازال أمر ابن رائق في عرض حديث جرى بينهما : سبيل الملك اذا حزبهُ أمرٌ من الامور ان يكون جميع ما يملك من مال وغيره أقل في عينه من التراب وان يحذف جميعه كما حذفتُ هذه الحصاة فيما يقدر به زوالُ ماقد أظلهُ فان دولته اذا ثبتت أمكنهُ ان يستخلف اضعاف ماخرج عن يده وان هو بخلَ وشحّت نفسُهُ وتهيّب إخراج مافي يده ذهبَ مابخل به وذهبت معه نفسه. اذكُر وقد قلّدني ابن رائق الاهواز ولم يكن ما فعلهُ من ذلك برأي أبي بكر ابن (٥٦٥) مقاتل ولا شاوره فيه فلما بلغ ابن مقاتل الخبر شق عليه ذلك جداً وبادر الى ابن رائق وقال له : أيّ شيءٌ عملتَ قد عزمت على ان تقلِّد بجكم الاهواز ؟ قال ابن رائق : نعم . قال : قد أخطأتَ على نفسك نهاية الخطأ أنتَ لاتقوى ببني البريدي وهم كتّابٌ أصحاب دراريع ولا يمكنك صرفهم ولاانتزاع المال[1] من أيديهم تقلد رجلا تركيا صاحب سيف ! انما صحبك قريباً مثل الاهواز ماهو الاّ ان تحصل الاهواز في يده ويرى جلالتها وحسنها وكثرة أموالها وما يحصل عنده من الجيش بها حتى تحدّثه نفسه بالتغلُّب عليها ثم لا يقتصر عليها حتى يطمع في غيرها وتنازعُهُ نفسه الى ان ينازعك أمرك ويزيلك عن موضعك ويصير هو مكانك ليأمن على ما حصل له ولا يكون له منازعٌ عليه وأنتَ الساعة على طمع في ان تنتزع البلد من يد البريدي فان قلّدتهُ بجكم فاحسمْ طمعكَ عنها وأخرجها من قلبكَ واصرف همتك الى حفظ غيرها وليته ينحفظ ! واحفظ مهجتك فقد عرّضتها للتلف. فقثأ رأي

(١) لعله « الملك »

ابن رائق وصرفهُ عما عزم عليه فى أمرى ولعمرى لقد صدقهُ ونصحهُ وأشار بالرأى الصحيح (٥٦٦)

وبلغنى ماجرى بينهما فقامت قيامتى منه ورأيتُ انه يفوتنى ماحدّثتُ نفسى به من الملك فقلقتُ وشاورتُ محمد بن ينال الترجمان فلم يكن عنده رأى فأخذ يسلّيني ويقول لى : أنت فى نعمة وراحة ومحلك من هذا الملك محلّ الاخ. فقلتُ له : أنتَ أحمقُ امض حتى تعدّ سميريّةً فى هذه الليلة المقبلة . وعملت على قصد ابن مقاتل وعلمتُ انه تاجر عامّى صغير النفس وان الدرهم ليعظم في نفوس أمثاله فلما كان الليل ونام الناس حملتُ معي عشرة آلاف دينار ونزلت الى السميريّة وأخذت معى محمد بن ينال وحدهُ ولم آخذ(١) غلاماً وصرتُ الى بابه فوجدتُهُ مغلقاً ودققتُ فخاطبني بوّابهُ من وراء الباب واعلمنى ان الرجل نائمٌ وان الابواب بينى وبينه مغلقة فقلت له : دُق الباب وانبههُ فانى حضرت فى مهمّ . ففعل ودخلتُ اليه وقد انزعج عن فراشه لحضورى فى مثل ذلك الوقت فقال : ما الخبر ؟ فقلتُ : خيرٌ وأمرٌ أردتُ ان القيه اليك على خلوة فانتظرتُ نوم الناس وخلوّ الطريق ولم آخذ معى غير الترجمان ولولا أنى أردتُهُ ليترجم بينى وبينك لما أحضرته ولا أطلعتُه على ما أخاطبك به . (قال) فقال : قل ما تحبّ . قلتُ : قد علمت ما كان عزم عليه الامير (٥٦٧) فى بابى من تقليدى الاهواز وبلغنى انه توقف عن ذلك ولستُ أعرفُ سبب توقّفه وفى إبطاله ماعزم عليه بطلان جاهى بعد اشتهاره وغضّ منى ولايشك أحدٌ انه لسوء رأى. وأنا صنيعتك وصنيعته وغرسكما وان لم أحظ فى أيّامكما فتى أحظى وأىّ مقدار يكون لى

---

(١) فى الاصل «أجد»

عند الناس ؟ وهذه عشرة آلاف دينار قد حملتها الى خزائنك وأنا أعلم انه يقبل منك وأريد ان تشير عليه بامضاء ما كان عزم عليه . فلما رأى الدنانير تخربق وقال : دعني وانصرف فى حفظ الله . فتركت الدنانير بحضرته وانصرفت وأنا واثق بحصول الاهواز لى فلما كان بعد ثلاثة أيام صار ابن مقاتل الى ابن رائق فقال له : اشرتُ بذلك الرأى على الهاجس وظاهر النظر فلما تأملت الحال وجدتُ الصواب معك لانك ان تركتَ الاهواز فى يد ابن البريدى واخوته بعد ما حصل لهم من الاموال ازداد كلّ يوم قوّة وطمعاً ومدّوا أيديهم الى غيرها من أعمالك وبلدانك ودبّ فسادهم الى عسكرك بكثرة ما يبذل ويعطى ولا يبعد بعد ذلك منازعتهم لك على أمرك هذا وان خرجت اليهم بنفسك فهى حرب ولا تدرى كيف تكون فان كانت عليك لم تشدّ منها حزاماً أبداً. وان وجهت (٥٦٨) بغير بجكم استضعف وغلب وكسر ذلك قلوب أصحابك ولأن تصدمهم بمثل بجكم وهم لا يطمعون فى مقاومته أصلحُ فان حصل له البلد استأصل شأفتهم ثم أنت مالك أمرك ان شئتَ أقررته وان شئتَ صرفته قبل ان يتمكن وقبل ان يجتمع أمره ويحدث نفسه بشئ تكرهه فاستخر الله وامض أمرَهُ . فقبل رأيه وامضى أمرى وقلدنى ولم استقل ولاية الاهواز بذلك المال . وباع ابن مقاتل روحه وروح صاحبه ونعمته بعشرة آلاف دينار واستخلفت انا مكانَ الدنانير اضعافها وحصل لى ملك ابن رائق .

﴿ شرح حال أبى الحسين أحمد بن بويه وأبى عبد الله البريدى ﴾
﴿ فى قصدهم الاهواز لمحاربة بجكم وذلك فى سنة ٣٢٦ ﴾

(ودخلت سنة ستّ وعشرين وثلثمائة)

قد ذكرنا حال أبي عبد الله البريدى وقصده على بن بويه وانه تقدّم الى أخيه أحمد بن بويه بالمسير الى الاهواز معه. وخلف أبو عبدالله البريدى عند على بن بويه ابنيه أبا الحسن محمد وأبا جعفر الفيّاض رهينة وسار مع الامير أبي الحسين أحمد بن بويه الى الاهواز. وورد الخبر على بجكم بنزول أحمد بن بويه ارّجان فخرج بجكم لحربه فانهزم من بين يديه وكان أوكد (٥٦٩) الاسباب فى هزيمته ان المطر اتصل أياما كثيرة فعطلت القسىّ ومنع ذلك الاتراك ان يرموهم بالنشاب فعاد بجكم وأقام بالاهواز. وقطع قنطرة اربق وانفذ محمد بن ينال الترجمان الى عسكر مكرم ووقعت المنازلة بينه (١) وبين محمد بن ينال الترجمان ثلاثة عشر يوماً. ثم عبر أحمد بن بويه بخمسة من الخاصة فى سميريّة الى مشرعة يعرف بمشرعة الحاس (كذا) فهزموا من كان رتّب فيها ومازال يعبر قوم بعد قوم حتى حصل ثلثمائة رجل فى الجانب الغربى ثم ضربوا بالبوق واشتلموا فانهزم الترجمان وأخذ الى تستر. وبلغ الخبر بجكم فعبر دجلة الاهواز وقبض على الوجوه بها وفيهم ابن أبي علان وأبو زكريا السوسى وحمل الجميع معه والتقى مع الترجمان بالسوس وسار بجميع عسكره الى واسط

ولما حصل بالطيب كتب الى ابن رائق بالخبر وانه قد حرب هو ورجاله فلم يبق لهم حالٌ وان الرجال سيطاولونه وان كان عنده مائتا الف دينار ينفقها فيهم فانهم فقراء فالوجه ان يقيم وان كانت متعذّرة فالصواب ان يصعد الى بغداد فانه لا يأمن ان يقع شغب ولا يدرى عن أى شىء ينكشف.

(١) فالواضح انه « بين معز الدولة أحمد بن بويه » كما فى التكملة

فرهب ابن رائق هذه الحال وبلغو وخرج الى [٥٧٠] بغداد بعسكره ودخل بجكم وأصحابه واسطا وأقاموا بها . واعتقل الاهوازيين وطالبهم بخمسين الف دينار فقال أبو زكريا يحيى بن سعيد : أردت ان أسبر ما فى نفسه من طلب العراق فراسلته وقلت له : أيها الامير أنتَ مطالب بملك ومرشح نفسك لخدمة الخلافة تعتقل قوما منكوبين قد سلبوا نعمهم وتطالبهم بمال فى بلد غربة وتأمر بتعذيبهم حتى جعل فى امسنا طشت فيه جمر على بطن سهل بن نظير الجهبذ أولا تعلم ان هذا اذا سمع به أوحش منك وحاربك وعاداك من لا يعرفك ولا سمع بخبرك فضلا عمن تحقق فعلك هذا أوَ ما تذكر انكارك على الامير ابن رائق بالامس إيحاشه أهل البصرة وعوامُّ بغداد اضعافهم؟ وقد حملت نفسك فى أمرنا على مثل ما كان يعمله مرداويج بأهل الجبل وهذه بغداد ودار الخلافة لا الريّ واصبهان ولا تحتمل هذه الاخلاق . فلما سمع ذلك انحلّ وأمر بحلّ [1] القيود وازال المطالبة ثم شفع ابن رائق وابن مقاتل والكوفى فى يحيى بن سعيد السوسى فاطلقه واختصّهُ لعقله ولما تبينه من نفاقه على كل أحدٍ وشفّع يحيى بن سعيد فى الباقين وكفّل بهم فاطلقهم .

ولما عرف على بن بويه حصول [٥٧١] طاهر الجيلى بالبصرة وفى نفسه عليه ما كان عامله به بارّجان كتب الى أخيه أبى الحسين ان يطالب أبا عبد الله البريدى به ويقبض عليه ففعل ذلك وانفذ الى فارس . ولما انهزم الترجمان عبر أحمد بن بويه الى غربى عسكر مكرم وجلس على شاطئ المسرقان ومعه أبو عبد الله البريدى حتى عقد الجسر الاعلى بها وعبر بباقى رجاله من غد . وعاد اليه جواسيسه من سوق الاهواز وعرّفوه انه لم يبق بها أحدٌ ونزل

---

(١) الكلمتان « وأمر بحل » زدناهما من التكملة

البريدى داراً على شاطىء نهر المسرقان ووافاه أهل الاهواز باجمعهم مهنئين وداعين . وكان يحمّ الربع وفيمن حضره يوحنا الطبيب وكان متقدّماً فى صناعته فقال له أبو عبد الله البريدى : اما ترى يا أبا زكريا حالى ؟ فقال له : خلّط (يعنى فى المأكول) لترمى بالأخلاط . فقال له : أكثر مما خلطتُ يا أبا زكريا قد أرمجتُ مابين فارس والخضره فان اقنعك ذلك والا ملت الى الجانب الآخر وارمجتُ الى خراسان .

ولما كان فى اليوم الخامس رحل أحمد بن بويه الى الاهواز وخلف بعسكر مكرم ثلاثة من القواد فأقام أبو عبد الله معه خمسة وثلاثين يوماً ثم هرب منه فى الماء الى الباسيان وأقام بها وكاتبه بعتب كثير وتصرف[٥٧٢] فى ضروب من القول اقامة لحجة نفسه فيما استعمله ولم يكره المقام عنده لضيق المال فانه كان سلم الى أبى على العارض ضمانات وخطوطاً فصح فى شهرين بخمسة آلاف ألف درهم وصح منها الى يوم هربه صدر كثير

ذكر السبب فى هرب البريدى

كان طولب باحضار عسكره من البصرة على أن ينفذهم الى اصبهان لمضامة الامير أبى على الحسن بن بويه على حرب وشمكير فوافى بأربعة آلاف رجل وقال للامير أبى الحسن أحمد بن بويه : ان أقاموا بالاهواز وقعت فتنة عظيمة بينهم وبين الديلم والرأى أن يخرجوا الى السوس مع محمد المعروف بالجمال حاجبي وأسبب بمالهم عليها وعلى جنديسابور حتى يقبضوا وينفذوا على طريق البنيان الى اصبهان . فأجابه الى ذلك ثم طالبه أن يحضر رجال الماء الى حصن مهدى حتي يشاهدهم فاذا عاينهم سيرهم فى الماء الى واسط وسار أحمد بن بويه بالديلم على طريق السوس اليها . فاستوحش

البريدى من ذلك استيحاشاً شديداً وظن أنه انما يريد أن يفرق بينه وبين عسكره وقال : هكذا عملت بياقوت فانى أخذت رجاله ثم أهلكته فلولم أتملم الا من نفسى لكفانى استبصاري والله المستعان (٥٧٣). وكان الديلم أيضاً يستخفون به ويشتمونه اذا ركب ويزعجونه من فراشه وهو محموم وتلقي منهم ما لم تجر عادته بمثله . وكانت الكرامة متوفرة عليه من الامير أبى الحسين ومن أبي على العارض (١) فاما الباقون فكانوا يهينونه اهانة عظيمة.

ولما أراد الهرب قدم كتابه فى صبيحة الليلة التى خرج فيها وعرف أبا جعفر الجمال غلامه ما عزم عليه وأمره أن يسير الى الباسيان ومنها الى نهر تيرى ثم الى الباذاورد والبصرة وتم ذلك على ما نظمه وحصل جيشه بالبصرة موفورين . واتصلت المراسلات بينه وبين أحمد بن بويه فى الافراج عن قصبة الاهواز حتى يردها ويقوم بما عقده للامير على بن بويه على نفسه من ضمان الاهواز والبصرة وهى ثمانية عشر ألف ألف درهم لسنة خراجية ولا شفاق الامير أحمد بن بويه من أنكار أخيه على بن بويه هرب البريدي استجاب الي حكمه . وانتقل الى عسكر مكرم وأقام بها فى ظاهر داراباز وكتب الى البريدي كتاباً انه قد أخلى الاهواز فانتقل البريدي من الباسيان الي بنانادر وأنفذ الى سوق الاهواز من يخلفه بها . وكتب الى الامير ان نفسه لا تسكن الى ان تقيم فى بلد على ثمانية فراسخ منه لانه لا يأمن (٥٧٤) كبسه ليلا وسامه أن ينتقل الى السوس فتبعد الدار بينهما فترسل فى ذلك القاضى أبو القاسم التنوخى وأبو على العارض واستقرت الحال على أن يحمل البريدى ثلاثين ألف دينار اليه لينهضه فرد غلامى هذين الرسولين مع

(١) زاد صاحب التكملة : وكان يجلس بين يديه ويخاطبه بسيدنا .

غلام له بأربعة عشر ألف دينار وكتب بأنه يوفيه تتمة الثلاثين الالف الدينار بالسوس. فاجتمع دلان وكان كاتب جيش الامير أحمد بن بويه وأبو جعفر الصيمري وكان تابعاً لدلان وأبو الحسن المافروخي وكان يتولى عسكر مكرم للامير ويجزف ويأخذ المال من حيث لاح له فقالوا للامير أبي الحسين: قد سلك معك البريدى طرقه مع ياقوت وأخذ يبعدك الى السوس ويضايقك حتى يفل الرجال عنك ثم يأخذ المعابر الى نفسه وبين الاهواز وبين عسكر مكرم وتستر وبين السوس دجلة ويحتال فى تحصيلك ان استوى له. فاقشعر الامير أبو الحسين من ذلك وامتنع أن يخرج من عسكر مكرم وقال: هى على سمت الطريق الى فارس ولستُ أبعدُ عن الامير الكبيرَ هذا البعد حتى يقطع بينى وبينه دجلة أولا ثم المسرقان. وعرف البريدى ذلك فمنع العارض والتنوخي من الرجوع (٥٧٥) واستحكمت الوحشة.

واتصل ذلك ببجكم فأنفذ قائدا من قوّاده يقال له بالبا فى ألفى رجل من الاكراد والاعراب والحشر والاتباك والمولّدين الى السوس وجنديسابور للغلبة عليها وكاتبا يعرف بالفياضى. وأقام البريدى بيناتاذر غالباً على أسافل الاهواز وتغلب المخالدية على تستر وبقى الامير أحمد بن بويه لا يملك من كور الاهواز الا عسكر مكرم قصبها دون ما سواها فان أبا محمد المهلبي [1] (وكان فى هذا الوقت وكيل أبي زكريا السوسي) قطع المعابر وغلب على الحيدية والسكول وقتل عاملا كان هناك بيد الاعراب والرّجالة الذين أثبتهم. فكانت الصورة فيما دهم أحمد بن بويه غليظة جدا واضطرب رجاله وفارقوه بأجمعهم وعملوا على الرجوع الى فارس فعاضده أسفهدوست وموسى

(١) هو الوزير وردت ترجمته فى ارشاد الاريب ٣ : ١٨٠

فياذة حتى تلافوهم وردوهم وضمنوا لهم أن يرضوهم بعد شهر. وكتب أحمد ابن بويه الى أخيه بالصورة فأنفذ قائداً من قواده كان ساربان جماله عظيم المحل من أهل البأس والنجدة ثقة عنده يعرف ببُلّ في ثلاثمائة رجل من الديلم ومعه خمسمائة الف [درهم] ووافى معه كوردفير لان الامير أبا الحسين استدعاه لانه كان وزيره بكرمان (٥٧٦) فلما حصل عنده كوردفير استكتبه للوقت وخلع عليه . وأبو على العارض معتقل بيناتاذر في يد البريدي وأتهمه بمطابقة البريدي على جميع ماعمله أولا وآخرا وكان الامير مبغضا له وانما ضمه اليه أخوه الامير على بن بويه لانه كان شاهده وزيرا لما كان الديلمى وكان كبيراً في نفسه وكان بحكم مملوكا له فطلبه منه ما كان فأهداه اليه

وتقرر الرأى أن ينفذ بُلُّ الى السوس في خمسمائة رجل ومعه أبو جعفر الصيمرى عاملا عليها وينفذ موسى فياذة الى بناتاذر في ثلثمائة رجل فهرب بالبا لما سمع خبر بُل وهرب البريدى الى البصرة . وسار موسى فياذة الى حصن مهدى فملكها وكانت من أعمال البصرة وصارت الاسافل وراءه ودخل الامير سوق الاهواز فنزل دار أبي عبد الله البريدى وانتظمت له الامور . وحصل البريدى بالبصرة واستقامت لهم واستقر بحكم بواسط ينازع الملك ببغداد وجمع ابن رائق أطرافه وأقام بها (١)

ولما رأى الوزير أبو الفتح اضطراب الامور بالحضرة وما تؤذن به أحوالها أطمعَ ابنَ رائق في ان يحمل اليه الاموال من مصر والشام وعدّهُ بها (٥٧٧) وعرّفهُ ان ذلك لايتمّ له مع بعده عنها ووافقهُ على الشخوص

(١) زاد فيه صاحب التكلة : وهو الذى وضع الماصير (المآصر) ببغداد وما كانت سمعت بالضرائب من قبله. وأما المآصر فليراجع كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته ص١٨٥

وعقد بينه وبينه صهراً بان زوّج ابنهُ أبا القاسم بابنة ابن رائق وعقد بين ابن رائق وابن طغج صهراً [1] وخرج مبادراً الى الشام على طريق الفرات .

وقلّد أبو بكر ابن رائق عليّ بن خلف بن طناب أعمال الخراج والضياع بكور الاهواز وواقفهُ على النفوذ الى عمله وان يبتدىء بابي الحسين بجكم ويلطف له حتى ينفذ معه لمحاربة الامير أبي الحسين أحمد بن بويه ودفعه عن الاهواز وان يوافقه على ان يكون عدّتهُ خمسة آلاف رجل على ان يكون ماله ومال رجاله ان أقام بواسط ولم ينفذ الى الاهواز ثمانمائة الف دينار في السنة يأخذها من مال واسط وان نفذ الى الاهواز وفتحها الف الف وثلثمائة الف دينار في السنة يأخذها من مال الاهواز .

ولما وصل على بن خلف الى واسط ولقى بجكم رأى بجكم ان يستكتبه ورأى على بن خلف ان يكتب له لخلع عليه وأقام عنده بواسط وأخذ جميع مالها

وسفر أبو جعفر محمد بن يحيي بن شيرزاد في الصلح بين ابن رائق وبني البريدي فتمّ ذلك وأخذ ابن رائق خطّ الراضي بالله للبريديين بالرضا عنهم (٥٧٨) وقطعت لهم الخلعة على ان يقيموا الدعوة لابن رائق بالبصرة ويجتهدوا في فتح الاهواز وضمنوا حمل ثلاثين الف دينار وأطلقت ضياعهم وكتب عن الراضي في هذا المعنى كتابٌ . وورد الخبر بمسير جيش البريدي الى واسط فخرج اليه بجكم وأوقع بناحية الدرمكان به وهزمه فجلس ابن رائق ببغداد في داره للتهنئة بذلك وأقام بجكم بموضعه مدّةً ثم بالمدار مدّة ثم عاد

(١) وفي تاريخ الاسلام ان زوج مزاحم بن محمد بن رائق بنت محمد بن طغج وأما خروج أبي الفضل الى مصر فليراجع كتاب الولاة لابي عمر الكندى ص ٢٨٧

الى واسط . وكانت نيّة بجكم إذلال البريديين وقطعهم عن ابن رائق ونفسه متعلقة بالحضرة [١] فانفذ ثاني يوم الهزيمة علي بن يعقوب كاتب الترجمان المتولي كان للعرض عليه الى البريدي يعتذر اليه مما جرى ويقول : أنتَ بدأتَ بمراسلة ابن رائق وتعرّضتَ لي وهذه كرّتك الثانية فانك حملتَ الديلم الى الاهواز واعقبتَ ذلك بمراسلة ابن رائق وبذلتَ له مضافرته عليّ وقد عفوتُ وأنا أعاقدك وأعاهدك على ان أقلدك واسطاً اذا ملكتُ الحضرة . وجرى في أثناء ذلك قول في المصاهرة قال علي بن يعقوب : فرأيتُ أباعبد الله البريدي وقد سجد شكراً لله تعالى لبجكم على ما ابتدأه به ثم استجاب لكل ما أرادَهُ منه ولما سمتهُ اياه (٥٧٩) واحضر القاضيين أبا القاسم التنوخي وأبا القاسم ابن عبد الواحد وحلف بحضرتهما واشهدعلى نفسه في خطّ كتبه بالوفاء بجميع ماعقدته معه وبرّني بثلاثة آلاف دينار وقال لي «سأحمل اليه والاطفهُ حتى يعلم اني أصلح لخدمته» وعدتُ الى بجكم وخبرته بماجرى فقال لي : يا أبا القاسم كلُوتهُ [٢] على رأسه ؟ فقلتُ : أيها الامير ما معنى هذا وكيف سألتني عنها ؟ فقال لي . إني كنت رأيتها فعرّفني . قلتُ : نعم قد رأيتها . فقال : ياأبا القاسم هي على رأس شيطان لا على رأس بشر . فقلت : أيها الامير أنتَ ما رأيتهُ فكيف قلتَ هذا ؟ قال : بلى رأيتهُ يوم وقعتنا بارّجان وقد تعمّم على كلُوتهِ وعزمت على ان افوّت اليه سهماً فقطن

(١) قال صاحب التكملة : فجزع بجكم لهذا الصلح (يعني بين ابن رائق وبين البريدي) وأشار عليه يحيي بن سعيد السوسي بحرب البريدي . فانفذ اليه البريدي أبا جعفر الجمال فالتقيا بشابرزان فانهزم الجمال . وأنفذ بكاتب البريدي ويقول له الخ

(٢) وهو نوع من الآزرة

لما أردته وانما لمح طرفى من بعيد فنزع تلك العمامة والكلوتة وجعلها على رأس غيره وتنحى هو وأقامه مقامه فقلت « ذلك المسكين بلا ذنب » وافلت هو لعنه الله فانه كاذب فى جميع ما قاله وحلف عليه ولكن نقبل ذلك منه لحاجتنا الى قبوله . وانصرف بجكم الى واسط وأخذ فى التدبير على ابن رائق

﴿ وفى هذه السنة قطعت يد أبى على ابن مقلة ثم لسانه ﴾

﴿ ذكر السبب فى ذلك (٥٨٠) ﴾

كان ابن رائق لما صار اليه تدبير المملكة قبض ضياع أبى على ابن مقلة وابنه . فلما صار الى الحضرة لقيه أبو على ابن مقلة ولقى أبا عبد الله الحسين ابن على النوبختى (١) ثم بعده أبا عبد الله الكوفى وأبا بكر ابن مقاتل فاستجيوا منه وتذلل للجماعة وسأل ردّ الضيعة المقبوضة عليه فوُعد بذلك ومطل مطلا متصلا . فلما رأى أبو على المطل متصلا والوفاء لا يصحّ أخذ فى السعى على ابن رائق من كل جهة فكتب الى بجكم يطمعه فى الحضرة وفى موضع ابن رائق وكتب بمثل ذلك الى وشمكير بالرىّ . وكتب الى الراضى بالله يشير عليه بالقبض على ابن رائق وأسبابه ويضمن انه متى فعل ذلك استخرج له ثلاثة آلاف الف دينار ويصححها وأشار باستدعاء بجكم ونصبه مكان ابن رائق فانه أكثر طاعة وكانت مكاتبته للراضى على يد على بن هرون ابن المنجم النديم (٢) . فاطمعه الراضى فى ذلك فكتب ابن مقلة الى بجكم يعرفه ان الراضى قد استجاب الى أمره وان الامر تامّ ويستحثّه على التعجل . فلما توثّق ابن مقلة عند نفسه من الراضى وافقه على ان ينحدر اليه سرًّا ويقيم

(١) قال صاحب التكملة انه توفى في سنة ٣٢٦ بعلة السل

(٢) وردت ترجمته في ارشاد الاريب ٥ : ٤٤٠

عنده الى ان يتمّ التدبير على ابن رائق . فركب من داره فى سوق العطش فى [٥٨١] سميرية وعليه طيلسان وخف وصار الى الازج بباب البستان وركب السميرية ليلة الاثنين لليلة تبقى من شهر رمضان وانما تعمّد تلك الليلة لان القمر تحت الشعاع وهو يختار للامور المستورة . فلما وصل الى دار السلطان لم يوصله الراضى اليه واعتقله فى حجرة ووجّه من غد بابن سنجلا الى ابن رائق واخبرهُ بما جرى وانه احتال على ابن مقلة حتى حصله عنده وما زال المراسلات تتردّد بين الراضى وبين أبى بكر ابن رائق . فلما كان يوم الخميس لاربع عشرة خلت من شوال أظهر الراضى بالله أمر ابن مقلة وأخرجه وحضر فاتك حاجب ابن رائق وجماعة من القوّاد فقطعت يده اليمنى وردُّ الى محبسه وانصرف فاتك الى ابن رائق فاخبره بما شاهد من قطع يد ابن مقلة

قال ثابت : فلما كان فى آخر هذا اليوم استدعانى الراضى وأمرنى بالدخول اليه وعلاجه فصرتُ اليه فوجدتهُ فى حجرة مقفّلة عليه ففتح الخادم الباب فدخلتُ فرأيته بحال صعبة فدمعت عينه حين رآنى ووجدت ساعده قد ورمَ ورماً عظيما وعلى موضع القطع خرقة غليظة كردوانى كحلية مشدودة بخيط قنب فحلات [٥٨٢] الشدّ ونحيتُ الخرقة فوجدت تحتها على موضع القطع سرجين الدوابّ فنفضته عنه واذا رأس الساعد أسفل القطع مشدود بخيط قنب قد غاص فى ذراعه لشدّة الورم وابتدأ ساعده يسود . فعرّفته ان سبيل الخيط ان يحلّ ويجعل موضع السرجين كافور ويطلى ذراعه بالصندل وماء الورد والكافور قال : فافعل . فقال الخادم الذى دخل معى : حتى استأذن مولانا . ومضى يستأذن ثم خرج ومعه مخزنة كافور وقال لى : قد أذن مولانا ان

تعمل ما ترى وان ترفق به وتقدم العناية به وتلزمه الى ان يهب الله عافيته. فحلت الخيط وفرغت المخزنة فى موضع القطع وطليت ساعده فعاش واستراح وسكن الضربان ولم أفارقه حتى اغتدى بشىء يسير من فروج ثم حلف انه ليس يسوغ له شىء آخر وشرب ماء بارداً فرجعت اليه نفسه وانصرفت . ثم ترددت اليه أياما كثيرة الى ان عوفى وكنت اذا دخلت اليه يسئلني عن خبر ابنه أبى الحسين فاعرفه استتاره وسلامته فتطيب نفسه ثم ينوح ويبكي على يده ويقول : قد خدمت بها الخلافة ثلاث دفعات لثلاثة من الخلفاء وكتبت بها القرآن (٥٨٣) دفعتين تقطع كما تقطع أيدى اللصوص ! أتذكر وأنت تقول لى « أنت فى اخر نكبة وان الفرج قريب » فقلت : بلى والآن ينبغى ان تتوقع الفرج فانه قد عمل بك ما لم يعمل بنظير لك وهذا انتهاء المكروه وما بعد الانتهاء الا الانحطاط . فقال: لا تفعل فان المحنة قد تشبثت بى كما تشبثت حمى الدق بالاعضاء فلا تفارقنى حتى تؤديني الى الموت : ثم تمثل بهذا البيت :

اذا ما مات بعضك فابك بعضاً * فبعض الشىء من بعض قريب

فكان الامر على ماقال . (١)

(١) وروي غير هذا الحافظ الذهبي فى ترجمة ابن مقلة في تاريخ الاسلام قال : وعن الحسن بن على بن مقلة قال : كان أمر أخيه قد استقام مع الراضى وابن رائق وأمرا برد ضياعه وكان الكوفى يكتب لابن رائق وكان خادم لابى على قديما وكان ابن مقاتل مستوليا على أمر ابن رائق وأبو على يراه بصورته الاولى . وكانا يكرهان ان يرد ضياع أبي على ويدافعانه وكان الكوفي يريد من أبي على ان يخضع له وأبو على يحامق فكنا نشير عليه بالمداراة وهو يقول : والله لافعلت ومن هذا الكلب أوضعنى الزمان هكذا بعزه . فاتفق انهما اتياه يوما فما قام لهما ولا احترمهما وشرع يخاطبهما بادلال زائد ثم أخذ يتهود ويتوعد كانه فى وزارته . فكان ذلك سبباً في قطع يده وسجنه

ومن عجائبه انه كان يُراسل الراضي من الحبس بعد قطع يده ويطمعه في المال ويشير بأن يستوزره ويقول ان قطع يده ليس مما يمنع من استيزاره

وقال محمد بن جنى صاحب أبي على قال : كنت معه في الليلة التى عزم فيها على الاجتماع بالراضي بالله وعنده انه يريد ان يستوزره (قال) فلبس ثيابه وجاؤه بعمامة وقد كان اختاروا له طالعاً ليمضي فيه الى الدار فلما تعمم استطولها خوفا من فوات وقت اختيار المنجمين له فقطعها بيده وغرزها فتطيرت من ذلك عليه . ثم انحدرنا الى ذكي الحاجب ليلا فصعدت اليه واستأذنت له فقال : قل له « أنت تعلم اني صنيعتك وانك استحجبتني لمولاى ومن حقوقك ان أنصحك قل له انصرف ولا تدخل » فعدت فاخبرته فاضطرب وقال لابن غيث النصراني وكان معه في السميرية : ماترى ؟ فقال له : ياسيدي ذكي عاقل وهو لك صنيعة وما قال هذا الاَّ وقد أحس بشئ فارجع . فسكت ثم قال : هذا محال وهذه عصبية منه لابن رائق وهذه رقاع الخليفة عندى بخطه يحلف لى فيها بالايمان الغليظة كيف يخفرني؟ ارجع فقل له « يستأذن » فرجعت فاعلمته فحرك رأسه وقال : ويحك يتهمني قل له « والله لااستأذنت لك أبدا ولا كان هذا الامر بمعاونتي عليك » فجئت فحدثته فقام في نفسه ان هذا عصبية من ذكي لابن رائق فقال : لو عدلنا الى باب المطبخ . فعدلنا اليه فقال : اصعد فاستدع لى فلانا الخادم . فاتيته فعدا مسرعا يستأذن له فجئته فاخبرته فقال: ارجع وقف في موضعك لئلا يخرج فلا يجدك . فرجعت فخرج الى وجاء معي الى السميرية وسلم عليه ولم يقبل يده فقال : قم يا سيدى . فانكر ذلك ابن مقلة وقال لى سرًّا : ويحك ما هذا ؟ قلت: ماقال لك ذكي . قال : فما نعمل ؟ قلت : فات الرأى . فاخذ يقرّر الدعاء والاستخارة وقال : ان طلعت الشمس ولم تروا لي خبرا فانجوا بأنفسكم . (قال) فمضي وغلق الخادم الباب علينا استربت به ووقفنا الى ان كادت الشمس ان تطلع فقلنا : فى أى شئ وقوفنا ؟ والله لاخرج الرجل أبداً . فانصرفنا وكان آخر العهد به . فلما بلغنا منازلنا قيل « قد قبض على ابن مقلة فقطعت يده من يومه بحضرة الملا من الناس .

وقال ابراهيم بن الحسن الديناري : سمعت الحسين بن الوزير ابن مقلة يحدّث ان الراضي بالله قطع لسان أبيه قبل موته فقتله بالجوع قال : وكان سبب ذلك ان الراضي تقدَّم على قطع يده واستدعاه من حبسه واعتذر اليه وكان بعد ذلك يشاوره في الامر

لانه يمكنه ان يحتال ويكتب . وكانت تخرج له رقاع بعد قطع يده وقبل التضييق عليه فيقال انه كان يشدّ القلم على ساعده الايمن ويكتب به .

بعد الامر ويعمل برأيه ويخلو به ورفهه في محبسه ونادمه سرًّا علي النبيذ وأنس به ونبل في نفسه وزاد ندمه على قطع يده . فبلغ ابن رائق فقامت قيامته فدسّ الى الخليفة من أشار عليه بان لا يدنيه وقال له : ان الخلفاء كانت اذا غضبت لم ترض وهذا قد أوحشته فلا تأمنه على نفسك . فقال : هذا محال هو قد بطل عن أن يصلح لشيء وانما تريدون أن تحرموني الانس به. فقيل له : ليس الامر كما يقع لك وهو لوطمع في انك تستوزره لكلمك فان شئت فاطمعه في الامر حتى ترى. وقد كان أبي يتعاطى أن يكتب باليسرى فجاء خطه أحسن من كل خط لا يكاد أن يفرق بينه وبين خطه باليمين وجاءتني رقاعه مرات من الحبس باليسرى فما أنكرته . (قال) وتوصل ابن رائق الى قوم من الخدم بأن يقولوا لابن مقلة : أن الخليفة قد صح رأيه على استيزارك بهذا لتستحق البشارة عليك . فلم يشك في الامر وقالوا هم للراضي :جربه وخاطبه بالوزارة لترى ما يجيبك به . فخاطبه بذلك فاراه أبي نفوراً شديداً من هذا وقصوراً عنه فأخذ الراضي يحلف له على صحة ما في نفسه من تقليده لو علم أن فيه بقية لذلك وقياما به فقال : يا أمير المؤمنين لا يراد منه الا لسانه ورأيه وهما باقيان وأما الكتابة فلو كنت باطلا منها لما ضرني ذلك وكان كاتبٌ ينوب عني ولست أخلو من القدرة على تعلم العلامات باليسرى ولو انها ذهبت اليسرى أيضاً حتى احتاج أن أشدّ قلماً على اليمنى لكنت أحسن خطاً . فلما سمع ذلك تعجب واستدعي دواة فكتب باليسري خطه لا يشك انه خطه القديم ثم شدّ على يمينه فكتب به في غاية الحسن . فقامت قيامة الراضي واشتدّ خوفه منه فلما قام الى محبسه أمر ان تنزع ثيابه عنه وان يقطع لسانه ويلبس جبة صوف ولا يترك معه في الحبس الا دورق يشرب منه ووكل به خادماً صبياً عجمياً فكان لايفهم عنه ولا يخدمه ثم فرق بينه وبين الخادم وبقي وحده . فكان الخدم يقولون لي بعد ذلك انهم كانوا يرونه من شقوق الباب يستسقي بفيه وبيده الصحيح من البئر للوضوء والشرب ثم أمر الراضي ان يقطع عنه الخبز فقطع عنه أياما ومات وكان مولده في ٢٧٢ .

وقال أبو بكر الصولي في الاوراق في حبس الراضي ابن مقلة ان في نفسه عليه أمر ابن للمتهمر وانه الذي يرضيه للخلافة . وقد تقدّم قصته في كتاب الاوراق وهي ان في شهر ربيع الاول من السنة ركب الراضي الى أجمة بالثرياء يطلب فيها خنازير وركبنا معه

ولما قرُب بجكم من بغداد نقل من ذلك الموضع الى موضع أغمض منه فلم يُوقف له على خبر ومنعت من الدخول اليه

ثم قطع لسانه وبقى مدة طويلة فى الحبس ثم لحقه (٥٨٤) ذِرب ولم يكن

فرأينا فى الموكب فرساناً لا يعرفهم فطاف ساعة ثم عدنا معه فتغدّى وكان النهار قصيراً فصلينا الظهر وركب . فرأينا الفرسان قد زادوا وانكرهم الحاجب ووافي محمد بن بدر الشرابي في مائة فارس فلما رآه الفرسان تفرقوا فلم يرمنهم أحداً فصاد خنزيرين وانصرفنا.

فقال لنا بعد : من أي شيْ أفلتنا يوم الخنازير . وأنا بين يديه في الحجرة التى كان يجلس فيها ونحوه أربعة وكذا كانت فوقنا اذا دخل رجل مشدود العينين بدراعة وخفّ فلما أقيم بين يديه قال : ما لنا نحن قرامطة . فقال له الراضى : يا ابن الفاعلة لو كنت محتاجا لعذرتك ولكن من رشحك لهذا قد أغناك وجعل اليك نقابة وموّلك فك ّالكلب النابح . اضربوا فكه وهو يقول : بتربة المقتدر ارحمنى . واذا هو أبو عبد الله بن المنتصر والمنتصر جدُّه . ثم قال له الراضي : والله ما طلبت هذا الامر فاما اذا دفعت اليه فوالله لا طلبه أحدٌ في أيامي ساعياً عليَّ فعاش . ثم أمر به فنحي وأدخل بيتاً حيال بركة السباع فعرفنا من الغد انه قتل فى ليلته واخذ جماعة بسببه فحبسوا منهم المعروف بالزهرى وابن أبى الحناء وغيرهم

ثم حدثنا الراضى بعد ذلك قال : كان الفرسان التى رأيتموهم بالثريا قد عزموا على الفتك بنا فلما جاء ابن بدر يئسوا فمضوا . . . ثم قرأ علينا رقعة جاءته من أبى على ابن مقلة : العجب من اتهام الناس اياى بسبب هذا الامر . واقرأنا جوابه اليه بصدقه في قوله وبانه ما سمع ما ذكره ولا وقف عليه الا من رقعته ويسكن منه

وأمر بطلب أولئك الفرسان فظفر ببعضهم فأمنهم ووصلهم وفرّق بينهم وسمع كلام كل واحد منهم مفرداً فحدثنا انهم عرفوه كيف جرى الامر من أوله الى آخره حتى وقف على صحته . وجعل الراضى يوري عن ذكر الفاعل لهذا اذا حضرت جماعتنا ويصرّح به اذا حضر من يثق به منا .

واتصل هذا الخبر بابن رائق فقدم بآخر شهر ربيع الاول وتلقاه ابنا الراضى وأظهر انه قلق لما جرى وخاف أن يسعي في مثله لبعده عن مولاه . وانما جاء لضيق المال واستحقاق الجند وان بجكم أقبل الى واسط فلم يحب الاجتماع معه ولم يزل يطالب الوزير

له من يعالجه ولا من يخدمهُ حتى بلغني أنه كان يستسقى الماء لنفسه من البئر بيده اليسرى وفمه ولحقه شقاء شديد الى أن مات ودُفن فى دار السلطان ثم

بالمال وهو يجمعه له. وأخذت فى هذا الوقت من الراضى آنية ذهب وفضة فضربت وانفذ ابن رائق الى بجكم من المال ما قدر عليه.

وقال الصولى أيضاً : وكان انحراف الراضى عن ابن رائق في هذا الوقت يتبين في طرفه وقوالب لفظه . ثم صرح بذلك لى وللعروضى من بين الناس

وأما قصة ابن مقلة فقال صاحب كتاب العيون : كان في بجكم فضل ودهاء ورجلة وكان قد نصب لنفسه امرأة تدخل الى الخليفة فتستأذنه فى الاشياء التى يعملها وكانت امرأة محمد بن ينال الترجمان فكان كلما ورد على بجكم كتب ابن مقلة عن الخليفة يأمره بالمسير الى الحضرة كتب الى الامراة يقول لها : استأذنى مولاى فى هذا الامر فان كان عن رأيه سرت الى بغداد ولم أتوقف . فكانت الامراة اذا سألت الخليفة قال لها : ليس لها أصلٌ ولا كاتبته فى هذا المعنى شيءٌ ولا أرضاه والذى أحبه ان يتألف قلبه وقلب ابن رائق .

فلما نظر ابن مقلة انه ما يمشى له مع بجكم ما يريده ولا ينجح الى قوله جنح الى ذكا مولى الراضي وسأله أن يكون السفير فيما بينه وبين الراضي فيما يعرض من حوائجه وإيصال رقاعه فأجابه الى ما سأل . فابتدأ يكاتب الراضي برقاع ولا يطلع ذكا على ما فيها فاذا أوصلها قرأها الراضى ولا يجيب عنها بكتابة ولا برسالة فيعرف ذكا أبا على ابن مقلة ان كتبه تصل ولا يخرج عنها جواب فيسر ابن مقلة بهذه الحال ويقول : أنا أعرف الناس بطبع مولاى اذا وافقه شيء كتمه ولا يظهره .

فلما كان شهر رمضان كتب ابن مقلة الي الراضي رقعة يقول فيها (ان بجكم قد طمع في ابن رائق وانه ان لم يؤذن له في الدخول دخل بلا اذن ولو أنعم مولانا له بالدخول كان أحرى وأولي) فحرد الراضي لما قرأ رقعته وقال : يا قوم ابن مقلة يحملني على السعي في سفك الدماء في شهر رمضان . فوجه ذكا كاتبه الى ابن مقلة يعرفه ما جرى فمضي وعاد اليه برسالة يسأله الاستيذان له فى الوصول الى الراضي ليشافهه في أمر بجكم وقال له الكاتب : يقول ابن مقلة (ان أوصلتني الى الخليفة فقد قضيت كل حق بيني وبينك) فقام ذكا ودخل الى الراضي واستأذنه في وصول ابن مقلة اليه فأذن له يجيء أي وقت أحب فوجه اليه ذكا يعرفه ذلك ويقول له : أنت قد خدمت مولاى وعرفت

سأل بعد مدة أهله فنبش وسلم اليهم .

وفي هــذه السنة دخل بجكم العراق أعني بغداد ولقي الخليفة وقلده أمرة الامراء مكان محمد ابن رائق

أخلاقه فان كنت الرجل الذى تأمنه على نفسك وتعلم ان خـدمتك يرضيها ولا تخوف في نفسك ما قد تحفظه عليك فأعزم على الوقت الذى يحتاج فيه الوصول اليه والذى أراه لك ان تصـل الى باب النوبي من جهـة بشرى الاسود الخادم اذ كنت أعلم ثقتك به وسكونك الى ناحيتـه لانه كان غلامك وذلك من باب النوبي إخفاء لان باب الخاصة وهو الباب الذي أنا فيـه ما تفارقه الحجاب وسائر النـاس ولست آمن ان يقف أحـد منهم على خـبرك فيقف عليـه محمد بن رائق وأنت تعلما في هـذا . فمضى الـكاتب اليه بالرسالة فقال له ابن مقلة : عد اليه وقل له : لا تـكلني الى أحـد غـيرك فما أحبّ ان يقف على أمري سواك واذا سهل الله وأوصلتني الى مولاي فقد بلغتني كلما أحبه . وكان تقول بالنجوم فقـال له ذكا : تختار الوقت الذي تحب فيـه الوصول . فقـال : الله الله اجتهدلي في الوصول الى مولانا في هذه الليلة فليس لاحد الى ثلاثين سنة وقتاً اسعد من هذه الليلة . فاستأذن له ثانية فأذن له في تلك الليلة قال ذكا : كل ذلك ولا أعـلم ما في نفس مولاى له لانه كان رجلا لايفشي سرّه الى أحـد بعيد الغور ولو كنت أعـلم ما في نفسه ما أحببت ان يجري عليه مكروه لي فيه سبب فوجهت اليه : ان أحببت الانحـدار فافعل واجتهد ان لايقف أحد على خبرك . فانحدر من داره بعد عتمة حتى وصل الينا فوجهت وعرّفت مولاى بوصوله فأمر بفتح الباب المعروف بباب الشاذروان فتقـدّمت بفتحه ففتحه الخدم الذين على الحرم من داخل . وخرج فائق خليفة راغب على الحرم فتسلمه من صاحبي ولم أزل جالساً في دار الحجبة والباب مفتوح انتظر خروج ابن مقلة الى ان مضى من الليل نصفه وكاتبي جالس عندى وابن غيث كاتبه عندى فاستربوا بجلوسه وأنـكروه وأنـكرته انا فلما طال الامر وجهت الى مولاى أقول له : البـاب مفتوح الى هـذه الغاية فان كان ينصرف والاّ مرني باغلاقه . فوجـه اليّ ان أغلق الباب فاغلقته وورَد عليّ من هذا ما أشغل قلبي وانصرف كاتبي وكاتبه على أقبح صورة غير أني طيبت نفس كاتبه وقلت : لعل الخطاب طال ولم يتقرّر بينهما حال وفي غد يتقرّر الامر ويأذن له بالانصراف . وبتنا تلك الليلة وأصبحت من غدها وقد وجه فاحضر ابن سنكلا كاتبه ووصل اليه ابن النوى وكان خصيصاً له شديد الانس به يصل اليه في كل وقت بلا حاجب

﴿ ذكر الخبر عن ذلك ﴾

ابتدأ بجكم بالمسير من واسط الى الحضرة مُراغماً لابن رائق فازال اسمه ومحى أعلامه وتراسه وترك الانتساب اليه وذلك انه كان يكتب عليها « بجكم الرائقي » وأخذ ابن رائق يستعدّ للقائه وقتاله وعمل على أن يتحصن في دار السلطان ثم رأى ان يبرز الى ديالى وفتح من النهروان اليه بثقًا ليكثر

فعرَّفه حال ابن مقلة وحصوله في الدار قبله وقال له : اخرج الى الحاجب فقل له : يمضي الى محمد بن رائق ويعرفه خبره عني ويقول له « قد كنت أحذرك من عدوّك مرة بعد اخرى واقرئك رقاعه اليَّ في أمرك وأقول لك لاتغفل عنه واطلبه أشدَّ طلب وأشفقت ان يتمَّ عليك تدبيره وحيلته فالزمت الحاجب الاحتيال عليه حتى حصل وهو الآن قبلي وقد سكنت نفسي عليك بسلامتك مما كنت أتخوفه عليك من جهته » قال ذكا الخادم : كان ابن مقلة كثير التخليط شديد الاقدام على الامور الكبار فخرج ابن سنكلا وادَّى الرسالة .

فمضيت الى ابن رائق وابن سنكلا معي فوصلت اليه وهو جالس وابن مقاتل فلما استقرَّ في المجلس قلت : أريد ان تخلي مجلسك فان بيني وبينك خطابا لا يجوز أن يقف عليه أحد . فقام الناس كلهم وأراد ان يقوم ابن مقاتل فقلت له : أنت الثقة والصاحب اجلس . فجلس فاعدت عليه ماقال مولاي فشكر وسرَّ بذلك وفرح ودعي لمولاي وقال: من أولى بالفضل على عبده منه . ثم قال لي : قد عرفت خبر انحداره في الوقت الاَّ أني لم أعلم أين مقصده وقدرت أنه يعبر الى ابن مقاتل ليتوسط حاله معي . فقلت : من أين لك خبره ؟ فقال : أني كنت قد جعلت عليه رصداً يتحصى عليه اخباره فكتب اليَّ يذكر انه خرج من داره بعد عتمة وركب بغلة أبي القاسم الشهيا ونزل الى المشرعة ولا أ رى أين قصد . ثم قال لي : قل لمولاك : مولانا اعدل شاهد على هذا الرجل وعلى أفعاله القبيحة وما أراد من الحيلة عليَّ وهو أولى وما يفعله في أمره . فانصرفت . ووقع في قلب ابن رائق مثل النار وخاف ان يكون مقامه في الدار يتم الحيلة عليه

قال ذكا : وقلق ابن رائق والتمس قتل ابن مقلة اذ كان لايثق ولا يأمن شرَّه فقال له مولاي : ما كنت بالذى أستحل سفك دم . قال : ان غاب أمره على مولانا فليستفتي فيه الفقهاء والقضاة في ذلك فان كان مستحقاً لما قلته أو بعضه امضي فيه حكم الله . واحضر أبو الحسين القاضي واستفتي في أمره وذكر له ما صنع ابن مقلة وقتاً بعد

ماؤه فلا يخيض وقطع الجسر عليه ليصير خندقاً . وطالب ابن رائق الراضي أن يكتب الى بجكم كتاباً يأمره فيه بالرجوع الى واسط فكتب وسلم الى ابن رائق فأنفذه مع ابن سرخاب اليه أحد خلفاء الحجاب فقرأه ولم يلتفت اليه وسار الى بغداد . ووافى بجكم وجيشه الى نهر ديالى وعبر بعض أصحابه سباحة فانهزم ابن رائق وصار الى عكبرا وتقطع أصحابه واستتر أبو عبد الله احمد بن على الكوفى وأبو بكر بن مقاتل (٥٨٥) ودخل بجكم يوم الاثنين لاثنى

وقت (ولم يذكر اسمه القاضي) وقيل له : ما تقول فيمن فعل الافاعيل ؟ فافتاهم بقول الله عز وجل : (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فساداً ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض)
فتقرر الامر على قطع يد ابن مقلة بعد مجالس كثيرة جرت بينهم

قال ذكاء : وواطئ محمد بن رائق الجيش لما امتنع مولاى من قتل ابن مقلة على الشغب وكان الجيش يمضون الى سائر أبواب ويتكلمون بكل كلام ويقولون « يسلم الينا ابن مقلة المدبر على أمرنا » وكل ذلك يبلغ مولاى . فلما طالت القصة وأجابه مولاى الى قطع يد ابن مقلة تقدم مولاى الى ابن رائق ان يحضر جميع قواده الى الدار فى غد ذلك اليوم ليحضروا قطع يده وتقدم الى ان أحضر ابن بدر الشرابى صاحب الشرطة ومعه من يقطع ففعلت ذلك وحضر الناس في غد ذلك اليوم وأوصلتهم الى دار السلام وهى المعروفة بدار الاشفاق على الشط واخرج ابن مقلة من محبسه وعليه ثيابه التي كان دخل بها الى الدار وهى دراعة وعمامة وخف فلما بصر بي قال : يا أبا الفهم أى شيء يراد بى . فاستحييت منه وقلت له : خيراً ان شاء الله تعالى . فقال لى : هذا القول منك وأنت الحاجب وأمان من الخليفة ! ثم قال : ان رأيت ان تستأمر وتراجع في حقي فافعل . ففعلت فخرج الامر الى ان أمتثل فى أمر الرجل ما أمرت به . وكان فاتك غلام ابن رائق حاضراً فالتفت اليه ابن مقلة فقال له : توجه الي أبي بكر وتعرفه ان بيني وبينه ايمانا ومواثيق ان يذكرها لم ينقضها . ولم يك لفاتك من الامر شيء . فأدخل الى بيت البوابين وحضر ابن بدر الشرابي ودخل مع القاطع ومعه جماعة من أعمال الشرطة فقطعت يده ورد الى داخل الى محبسه وأدخل من يعالجه .

عشرة ليلة خلت من ذى القعدة ووصل الى الراضى بالله فاكرمه ورفع منه وخلع عليه وسار بالخلع الى مضربه بديالى فاقام فيه يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء. وأنفذ سرية فى طلب ابن رائق وكاتب الجيش الذى معه عن الراضى بالتخلية عنه والوصول الى حضرة السلطان فانفضّ الجيش عنه ورجع ابن رائق الى بغداد سراً واستتر بها. فلما كان يوم الخميس للنصف من ذى القعدة خلع الراضى على بجكم خلعة ثانية وانصرف الى دار مونس بسوق الثلاثاء وهى التى كان ينزلها ابن رائق. فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من ذى القعدة خلع الراضى على بجكم خلعة ثالثة وعقد له لواء وجعله أمير الامراء فكان مدة امارة ابن رائق سنة واحدة وعشرة أشهر وكسر.

ولما كان يوم الجمعة لسبع بقين من ذى القعدة أنفذ الراضى الى بجكم خلع منادمة وكناه وأنفذ اليه مع الخلع شراباً وطيباً وتحيات وتمت له الرئاسة

تمت المجلدة الخامسة من كتاب تجارب الامم ويتلوها
فى المجلدة السادسة حكاية عن بجكم تدل على
دهاء ونكر والحمد لله وصلى الله
على محمد النبى وآله الطيبين
الطاهرين أجمعين

فرغ من انتساخه محمد بن على أبو طاهر البلخى فى المحرم سنة ٦٠٥

الجزء السادس

﴿ من كتاب تجارب الامم (٢) ﴾



﴿ الحمد لله العدل ﴾

﴿ حكاية عن بجكم تدل على دهاء ونكر ﴾

حكى أبو زكريا يحيى بن سعيد السوسى قال : لما ترسلت بين بجكم وبين ابن رائق أشرت على بجكم بان لا يكاشف ابن رائق . فسألنى عن السبب الذى من أجله أشرت عليه بذلك فقلت : لان بغداد فى يده والخليفة معه والرياسة ولان الجيش معه كثير والاعمال والاموال فى يده والمال فى يدك قليل وعدّة من معك يسير . فقال لى : اما كثرة رجاله فهم جوز فارغ قد خرقتهم وسرقتهم وما أبالى كثروا أم قلوا وكون الخليفة معه لا يضرّنى عند أصحابى فاما ما توهمتهُ من قلة المال معى فليس الامر فيه كما ظننته وقد وفيت أصحابى استحقاقاتهم وما لاحد علىّ منهم مطالبة وفى صناديقى معى مال يستظهر به فكم تظنّ مبلغه ؟ قلت : لا أدرى . فقال :

على كلّ حال . فقلت : مائة الف درهم . [١] فقال . غفر اللّه لك معي خمسون الف دينار لااحتاج اليها . (قال) فقلت له : أنتَ أعلم وما تختار . (قال) فلما هرب ابن رائق وملك بجكم قال لي يوما : أتذكر وقد قلت لك ان المال معي كثير وظننتَ أنه [٢] مائة الف درهم فعرّفتك انه خمسون الف دينار ؟ فقلت : نعم . قال : افتدرى كم كان بالحقيقة معي ؟ قلت : لا . قال : خمسين الف درهم . قلت : هذا يدلّ عليّ انك لم تثق بي ولم تصدقني . قال : لا ولكنك صاحبي ورسولي فكرهت ان تعلم صحته في القلة فيضعف قلبك واذا ضعف قلبك ضعف كلامك فيطمع ذلك في خصمي وأردت ان تمضي اليه بقلب قويّ فتخاطبه بما ينخب قلبه ويضعف نفسه .

وفي هذه السنة تغلّب اللشكرى بن مردى على آذربيجان . وهذا غير اللشكري الذى تقدّم خبره وكان أوجه من ذاك وأكبر مرتبة وكان من أصحاب وشمكير وخليفته على أعمال الجبل . فجمع مالا كثيراً ورجالا وخلف صاحبه وسار الى آذربيجان ليستولى عليها . وكان بها يومئذ ديسم بن ابراهيم فجمع ديسم عسكراً كثيراً من الاكراد وأصناف أخر واحرز سواده في بعض الجهات واقبل الى اللشكرى فواقعه دفعتين في مدّة شهرين وانهزم ديسم فيهما جميعاً . واستولى اللشكرى على بلاده الا اردبيل فان أهلها أجلاد ولهم بأس شديد وهم حملة سلاح ومدينتهم محصنة بسور وهي قصبة آذربيجان ودار المملكة . فراسلهم [٤] اللشكرى ورفق بهم ووعدهم الاحسان فابوا عليه لما كان عندهم من أخبار الجيل ومعاملتهم أهل همذان وغيرها بانواع الالم فحاصرهم اللشكرى وطالت الحرب بينه وبينهم الى ان

(١) الاصل ناقص وكذا في الكامل لابن الاثير

تمكن طائفة من أصحابه يوما من السور فصعدوه ونقبوا أيضاً عدة نقوب فيه وفتحوا الباب وتمكنوا من الدخول وأدركهم الليل

﴿ ذكر اضاعة حزم من اللشكرى بعد هذه الحال حتى ﴾
﴿ هرب وقتل أكثر أصحابه ﴾

ان اللشكرى لما تمكن من أردبيل سكنت نفسه الى الظفر وأشفق ان ينتهب البلد وتذهب الاموال عن يده وعن أيدى أصحابها . فرأى ان ينصرف الى معسكره وكان علي ميل من البلدفيبيت ثم يصبح فيدخل المدينة نهارا فلما فعل ذلك بادر أهل المدينة الى سد تلك الثلم واحكامها وأغلقوا الابواب وعاودوا الحرب . فتحير اللشكرى وعلم انه فرط حين لم يدخل المدينة ليلا أو يوكل بالثلم من يحفظها واقبل قوّاده عليه يلومونه ويستعجزونه فلم يكن عنده الاّ الاعتراف بالخطأ . وبادر أهل المدينة برسلهم الى ديسم يعرفونه الصورة ويشيرون عليه بالمبادرة فى يوم يعينه حتي يخرجوا لمحاربته ويكبـ(٥) ديسم من ورائه فتمّت لهم الحيلة واقبل ديسم فى ذلك اليوم بجموع كثيرة من الصعاليك والاكراد وخرج أهل المدينة بزى الديلم معهم التراس والزوبينات وهم نحو عشرة آلاف رجل فصافهم الحرب وخرج ديسم من ورائه فحمل عليهم فانهزم أقبح هزيمة وقتل اصحابه مقتلة عظيمة وذهب نحو موقان محروبا مسلوبا ليس معه كراع ولا سلاح. فخرج اليه اصفهبذ موقان ويعرف بابن دلوله متلقياً فأضافه مع قوّاده فشكره اللشكرى وسأله ان يقيم بضيافة أصحابه الى ان يمضى هو الى بلده وكانت بينه وبينها مسيرة أربعة أيام فيستخرج ذخائره ويخرج معاينه وأخاه ويجمع الرجال فأجابه ابن دلوله . ومضى اللشكرى مخفاً وعاد سريعاً ومعه ابنه

وابن أخيه وألف رجل من احداث الجيل مستظهرين بالسلاح والآلات وعطف على آذربيجان طالباً ديسم وساعده ابن دلوله الاصفهبذ فى أصحابه فهرب ديسم وعبر نهراً يقال له الرسُ وماؤه شديد الجرية وأخذ المعابر الى الجانب الذى حصل فيه ونازله الاشكرى مقيما بازائه مدّة لايصل اليه . فاجتمع اليه ابنه وابن أخيه واحداث (٦) الجيل وجميعهم سباح لان بلادهم على شاطىء البحر وأعلوه أنهم تتبعوا هذا النهر من أعلاهُ الى أسفلهِ فوجدوه على ثلاثة فراسخ من معسكرهم موضعاً منه ساكن الجرية واستأذنوه فى المخاطرة والعبور فأذن لهم . فصاروا الى الموضع ليلا ومعهم جماعة من البوقيين فسبحوا ومدوا حبالا متينا بين أوتاد محكمة فى الجانبين وامسكوها وعبر الباقون بتراسهم وأسلحتهم وزحفوا الى عسكر ديسم وضربوا بالبوقات وقتلوا نفراً فانهزم ديسم واستولى الجيل على أموالهم وسوادهم واستغنوا بما حصل لهم وتم الظفر للشكرى .

وقصد ديسم وشمكير وهو بالرىّ فأعلمهُ ما جرى عليه من الشكرى وانه قد تمكن من آذربيجان وطابقه ابن دلوله اصفهبذ موقان وان بلاد الجيل قريبة منه والاستمداد سهل عليه وانه لا يلبث أن يقصد الرىّ وينازعه اياها ويلتمس منه عسكراً من الجيل والديلم ليكون بازاء الشكري وأصحابه وواقفه أن يجمع اليه من الاكراد وغيرهم عشرة آلاف رجل فرساناً وان يقوم بنفقة العسكر يوم دخوله الخونج وهوأول حدود آذربيجان من ناحية الري وان يقيم الخطبة على منابر آذربيجان (٧) كلها ويحمل اليه فى كل سنة مائة ألف دينار خالصة ويرد اليه العسكر الذى يجرد معه بعد فراغه من أمر الاشكرى . فلما سمع وشمكير ذلك أهمه هذا الخطب واستجاب ديسم الى

كل ما يلتمسه وأخذ كل واحد منهما على صاحبه العهد والميثاق بالوفاء وابتدأ بتجريد العسكر . فالى أن يتكامل ذلك ورد الخبر بوفاة ابن دلوله الاصفهبذ وخلق كثير من أصحابه بعلة الجدرى وأقام بقية أصحابه مع اللشكرى فأنفذ اللشكرى بقائد كبير من أصحابه يقال له بلسوار بن ملك بن مسافر وهو ابن أخي محمد بن مسافر اللشكري الى نواحي الميانج[1] وهي تجري مجري الثغر بينه وبين وشمكير وأمره أن يحفظ الطرق ويتتبع المجتازين ويفتشهم ويقرأ كتبهم تحرزا واستظهاراً فلم يلبث بلسوار ان ظفر بفيج معه كتب من قواد عسكر اللشكري الي وشمكير بالاعتذار اليه من دخولهم في طاعة اللشكري وانهم انما دخلوا معه وعندهم انه على طاعتهم وانهم ان رأوا راية من راياته قد أقبلت اليهم انحازوا اليها وصاروا بأجمهم عليه فلما وقف اللشكري على هذه الكتب طواها وستر خبرها . وورد عليه انفصال[8] ديسم عن الري فى عسكر وشمكير مع حاجبه الشابشتي فركب الى الصحراء وجمع قواده وعرفهم أقبال العسكر اليه وانه يتخوف أن يشتغل بحرب الجيل والديلم فيأتيه ديسم من ورائه ويجري الامر كما جري فى وقعة أرديل وانه قد عزم أن يرحل بهم الى بلاد الارمن فيغزوهم ويستبيح أموالهم ويبعد عنهم الي الموصل وديار ربيعة فانها بلاد كثيرة الغلات والاموال واسعة والرجال بها قليل . فساعدوه على ذلك ورحل بهم الي أرمينية وأهلها غارون فنهبهم واستباح أموالهم ومواشيهم وسبى خلقا كثيراً وانتهي الى زوزان وفى يده وأيدى قواده من المواشى التى غنموها شيء كثير لا ينضبط ولا يعرفون مبلغها وقد وكلوا بها الرعاة فكانوا يخرجونها الي مسارحها بكرة ويردونها

(١) وفي الاصل : الماهج

عشية الى معسكرهم . وكان بالقرب من زوزان قلعة للارمن فيها عظيم من عظمائهم يقال له أطوم بن جرجين وهو قريب لابن الديرانى ملك الارمن فسأل اللشكري بمراسلة لطيفة ان يكف عن الارمن فانهم معاهدون يؤدون الاتاوة وأطمعه فى مال يحمل اليه صلحا فأجابه الى ما طلبه .

﴿ ذكر حيلة تمت لهذا الارمنى على اللشكري حتى قتله ومعظم أصحابه (٩) ﴾

كان هذا الارمنى عرف سرعة ركاب اللشكرى وخفته وانه يقدم بلا روية ويتسرع بلا تدبير فكمن كمينا على جبلين بالقرب من موضعه الذى كان معسكراً فيه بينهما مسلك مضيق ثم دس الى المواشى التى معه جماعة من الارمن حتى قتلوا رعاءها واستاقوها فى ذلك المضيق . وهرب بعض الرعاء الى اللشكرى مجروحا فصادفه خارجا من الحمام فى سوق زوزان فأخبره الخبر فسار لوقته وأخذ ذلك الراعى بين يديه ليدله على الطريق وليس معه الا ستة نفر من غلمانه أخذهم فتح اللشكرى (وهو أحد قواد السلطان بمدينة السلم وقد شاهدته) وكان موصوفا بالبسالة والشجاعة وراسل باقى أصحابه فى العسكر أن يلحقوه .

﴿ ذكر اتفاق حسن اتفق لفتح هذا الغلام ﴾
(حتى سلم وحده من القتل)

اتفق ان غمزت دابة كاتبه لما قضاه الله من سلامته فنزل لينظر ويصلح حافرها فسبقه اللشكري ولم يعرج عليه ومضى مع الخمسة النفر الذين بقوا معه فوصل الى المضيق قبل أن يلحقه أصحابه الذين استدعاهم من المعسكر وولج الموضع . فلما توسطه ثار اليه الكمناء فقتلوه والغلمان الذين معه وأخذوا رؤسهم وأشلاءهم وتركوا جثثهم ومضوا . ثم وصل العسكر (١٠)

الى الفتح بهذا الغلام وتبعوا اللشكري فلما رأوا جماعتهم عرفوهم فانصرفوا منهزلين . واجتمع أهل عسكره فعقدوا الرياسة لابنه لشكرستان وتقرر الرأي بينهم على أن يسيروا بأجمعهم في طريق عقبة صعبة شاقة تعرف بعقبة التنين ليحرزوا سوادهم واثقالهم وغنائمهم من ورائها ويرجعوا الى بلد أطوم ابن جرجين فيدركوا ثارهم منه ويأتوا عليه قتلا ونهباً

﴿ ذكر حيلة تمت عليهم ثانية حتى قتلوا بأجمعهم الا نفر يسير جداً ﴾

﴿ وذلك لقلة احتراسهم من المضائق وجهلهم المسالك واغترارهم بالشدة ﴾

كان أطوم بن جرجين بث جواسيسه ليعرف أخبارهم واطلع على هذه العزيمة منهم فسبقهم بان رتب على رؤس الجبال فى طريقهم جموعاً من الارمن يرمونهم بالحجارة وكان طريقهم من هذه الجبال على موضع عرضهُ نحو خمسة أذرع وعلى يسرته الجبل وعن يمينه نهرٌ عظيم جار والمهوى اليه أكثر من مائة ذراع ووقف الارمن متمكنين على هذا الموضع وسار أطوم بنفسه من قلعته فى نفر فكمن على طريق المضيق حتى ان أفلت انسان منهم أوقع به . فلما انتهى الجيل والديلم الى ذلك المضيق أرسلوا عليهم الحجارة فكانت الصخرة تأتى فتصدم الراكب والمركوب والرجالة والبهائم والجمال فلا يمتنع منها شيء ويسقطون الى النهر ويتلفون . فترجل قوم (١١) من الفرسان ودخلوا من قوائم الدواب فربما سلم الواحد بعد الواحد فهلك فى ذلك الموضع أكثر من خمسة آلاف رجل . وعلم جماعة وسلم لشكرستان فيمن سلم ومضى بمن معه الى ناصر الدولة وهو بالموصل لائذين به فنزلهم بشيء من الارزاق يسير . فاختار بعضهم أن يقبض نفقة وينصرف عنه واختار بعضهم أن يقيم مع لشكرستان فأما الذين قبضوا النفقات فأخذوا جوازات

وانحدروا الى واسط لاحقين ببجكم وأما الباقون فانهم كانوا خمسمائة رجل فجردهم ناصرا لدولة مع ابن عمه أبي عبدالله الحسين بن حمدان من آذربيجان لما أقبل اليها ديسم الكردى وكان ديسم هذا من قواد ابن أبي الساج وكان أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان مقلداً من قبل بن عمه ابى محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان ناصر الدولة أعمال المعاون بآذر بيجان

وفيها اختص قاضى القضاة أبو الحسين عمر بن محمد بالراضى بالله حتى حل محل الوزراء وصار الراضى يشاوره فى الامور ويدخله فى التدبير ويصل اليه مع عبد الله بن على النفرى خليفة الوزير الفضل بن جعفر ولا ينفذ أمراً الا بعد مشورته (١)

﴿ وفيها قصد الراضى بالله وبجكم معه ديار ربيعة والموصل ﴾
ذكر السبب فى ذلك (١٢)

كان السبب فى ذلك ان ناصر الدولة أخَّر ما اجتمع عليه من مال

(١) وفيه أيضاً فى ترجمة هذه السنة : وفيها ورد كتاب من ملك الروم والكتابة بالذهب وترجمتها بالعربية بالفضة وهو من رومانس وقسطنطين واسطانوس عظماء ملوك الروم الى الشريف البهي ضابط سلطان المسلمين : بسم الآب والابن وروح القدس الاله الواحد الحمد له ذى الفضل العظيم الرؤف بعباده الذى جعل الصلح أفضل الفضائل اذ هو محمود العاقبة في السماء والارض . ولما بلغنا ما رزقته أيها الاخ الشريف الجليل من وفور العقل وتمام الادب واجتماع الفضائل أكثر ممن تقدمك من الخلفاء حمدنا الله . وذكر كلاماً يتضمن طلب الهدنة والفداء وقدموا تقدمة سنية فكتب اليهم الراضى بانشاء أحمد بن محمد بن ثوابة (وهو صاحب ديوان الرسائل : ارشاد الاريب ٢ : ٨٠) بعد البسملة : من عبدالله أبي العباس الامام الراضي بالله أمير المؤمنين الى رومانوس وقسطنطين واسطانوس رؤساء الروم سلام على من اتبع الهدي وتمسك بالعروة الوثقى وسلك سبيل النجاة والزلفي . وأجابهم الى ما طلبوا .

الحمل الذى كان فى ضمانه للموصل وأخّر مال الضياع التى فى عمله بخدمة الراضى بالله فكان الراضى مغيظا عليه فاجتمع رأيه مع بجكم على قصده.

ودخلت سنة سبع وعشرين وثلمائة

فلما كان يوم الثلاثاء لثلاث خلون من المحرّم خرجا وأقام الراضى بتكريت ونفذ بجكم الى الموصل فى الجانب الشرقى من دجلة. فتلقته زواريق أنفذها ناصر الدولة فيها دقيق وشعير وحيوان هدية الى الراضى فأخذها بجكم وفرق مافيها على حاشيته وأصحابه وفرغها وعبر فيها الى الجانب الغربى وسار حتى اتى ناصر الدولة بالكحيل. وجرت بينهما وقعة وانهزم فيها أصحاب بجكم[١] ثم حمل بجكم بنفسه على ناصر الدولة حملة حقق فيها فانهزم وتبعه بجكم ولم ينزل الموصل الى أن بلغ نصيبين. ومضى ابن حمدان على وجهه الى آمد وأقام بجكم بنصيبين وكتب الى الراضى بالله بالفتح فلما ورد كتابه بالفتح على الراضى بالله سار من تكريت يريد الموصل وكان مسيره فى الماء

وكان قبل ورود كتاب بجكم بالفتح قد لحق القرامطة الذين مع الراضى بتكريت مضائقة فى أرزاقهم فانصرفوا مغضبين الى بغداد فلما وصلوا اليها ظهر ابن رائق من استتاره ببغداد وانضموا اليه ويقال ان انصرافهم من تكريت كان بمراسلة[١٣] منه اليهم ومكاتبة فى اجتذابهم وورد الخبر بذلك مع طائر الى تكريت نخاف الراضى أن يسرى اليه ابن رائق والقرامطة فيأخذونه نخرج من الماء مبادراً وركب الظهر وسار الى الموصل ودخلها[٢]

---

(١) زاد صاحب التكملة : وأستؤسر أبو حامد الطالقاني (٢) وزاد أيضاً : وكتب الراضي الى بجكم فاستخلف على أصحابه وجاء اليه الى الموصل. فجرى بين أصحابه وبين أهلها فتنة فركب ووضع فيها السيف وأحرق مواضعاً في البلد

ومعه على بن خلف بن طناب كاتبه وهو قلق من ابن رائق. ولما بلغ الحسن ابن عبدالله بن حمدان انصراف بجكم من نصيبين سار من آمد اليها فانصرف عنها وعن أعمال ديار ربيعة من كان خلفه بجكم فيها من قواده وصاروا الى الموصل وحصلت ديار ربيعة في يد ابن حمدان. فزاد ذلك فى قلق بجكم وأخذ أصحاب بجكم يتسللون ويخرجون من الموصل الى بغداد حتي احتاج بجكم الى أن يسد أبواب دروب الموصل ويحفظ أصحابه وزاد ذلك فى اضطراب بجكم الى أن قال: حصلنا على أن يكون فى يد الخليفة وأمير الامراء قصبة الموصل فقط.

وأنفذ بن حمدان قبل أن يتصل به خبر ابن رائق وظهوره ببغداد أبا أحمد الطالقانى الذي كان أسره الى بجكم يلتمس الصلح ويبذل أن يقدم خمسمائة ألف درهم معجلة. فلما ورد الرسول وأدى الرسالة فُرِّج عن بجكم وفرج بأن ابتدأه بنو حمدان بمسئلة الصلح وكان فكر فى تسليم الموصل [١٤] اليه والانحدار لدفع ابن رائق. فبادر وركب من وقته الى الراضى وعرفه ما ورد به الطالقانى واستأذنه فى امضاء الصلح. فامتنع الراضى لشدة غيظه على ابن حمدان فعرفه ان الصواب فى اجابته اليه والمبادرة الى بغداد التي خرجت عن يده وهي دار الملك فأذن له فى المصالحة فرد من يومه الطالقانى بالصلح وأنفذ معه الخلع واللواء والقاضى أبا الحسين ابن أبى الشوارب ليستحلف ابن حمدان ورجع مع مال التعجيل[١]

---

(١) وفى قصد الراضى بالله وبجكم الموصل قال أبو بكر الصولى فى الاوراق: كان الراضي قبل خروجه يذكر أمره ونهوضه ويقول: لابدّ لى منه. فنشيرعليه أن لايفعل ذلك. وكان ممن يوافقني على الرأي فى تركه الخروج عمر بن محمد القاضى فلم يلتفت الى قول أحد ولا أظهر ما أراده وما عزم عليه . . . . . وكرهت العامة خروج السلطان الى

وبعد نفوذ الطالقاني جاء جعفر بن ورقاء وتـكينك من عند بجكم الى الموصل ثم تبعهما محمد بن ينال الترجمان فى مُرقعة منهزمين من يد ابن رائق

الموصل لحربهم للحسن بن عبد الله (بن حمدان) وعنايته بانفاذ الدقيق اليها وابده بالاشراف وما تصدّق على الضعفاء بسرّ من رأى وبغداد ولـكفاية أخيه (يعني سيف الدولة) على الناس أمر الثغور والغزو وعنايته بغزو الصائفة وغيرها . . . . فوصل الراضى الى سرَّ من رأي وانفق في أصحاب بجكم ذخائر منيفة كان أعدها لنفسه . وظن الناس انه سيقيم بسر من رأي وينفذ بجكم الى الموصل فان احتاج اليه لحق به والاَّ أقام بمكانه وجعل كلُّ من يصل اليه يشير عليه بذلك . وورد عليه الخبر بتحرُّك أمر ابن رائق وانه يكاتب الناس للوثوب ببغداد فظننا مع ذلك انه لايبرح فانطلقت الالسن لاجل ذلك بالمشورة عليه ان لايبرح من سرَّ من رأي . وكان أشد الناس كراهة لخروجه ووصله القاضي عمر ابن محمد وذكي الحاجب فـكنا نجتمع على ما نقوله

وورد كتب الحسن بن عبد الله الى الراضي والى بجكم يتضمن لهما أكثر مما ظن انه يبذله له وكتبه بذلك متصلة الى القاضي وهو يتولى إيصالها عنه وينفذ الجواب وكان يقرأني كل شيءٌ يرد . فأقام الراضي أياما بسر من رأي وطمعنا فى رجوعه واتفقت مع القاضي على ان يكلم الراضي كل واحد منا اذا خلا به ورأي وجهاً للـكلام فوصلت اليه بسر من رأي يوما وحدي فقلت : يا أمير المومنين ان العبد المتفق لايملك كتمان ما يقلبه لمولاه ولا يذخره النصح وما عليَّ شيءٌ من ان يسمع قول عبده فان كان صوابا أمضاه وان كان خطأ جعله بمنزلة مالم يسمعوا . فضحك وقال : هات ما عندك . فقلت: ان الناس يتحدثون بان العسكر الذى قد رحلتَ لتزيله أشبه بعساكر الاسلام من العسكر الذي تقصده به من قوم لايرون طاعتك وأشبه بعساكر آبائك وقد تحدثوا بان الحسن قد بذل أكثر مما أريد منه . فان رأي سيدنا ان لا يقبل هذا ويرجع الى رأى ملكه ويزول ما يخافه من وثوب ابن رائق فانه غير مأمون (وكان الراضي قد أمر بان ينادى على ابن رائق ويطاب فـكبست مواضع كثيرة) ومع هذا فان الحسن بن عبد الله قد نظر الى أقرب الناس من قلبك وهو قاضيك فجعله السفير له والضامن عنه وانه يلقاه فيتصرف بجميع مايريده وهاهنا أيضاً أمر آخر . قال : وما هو ؟ قلت : اذا يئس الحسن من قبول سيدنا ما بذل لم نأمن ان يصرف أمره الى غيره ويلقى نفسه عليه ويتقرب اليه ويخطبه ببعض ما بذله فيجعله صنيعة له ومادة لدهره وعدة لجدته ويكلم من يلقي نفسه

ووصفوا انه لما ظهر من استتاره ببغداد انضمّ اليه ثلثمائة رجل من القرامطة فلقيه بديع غلام جعفر بن ورقاء وانهزم بديع وخرج الى ابن رائق وهو بالمصلّى جماعة من الجند والحجرية وخلق من العامه وقالوا : نحن نقاتل بين يديك . فاعطاهم خمسة دراهم وثلاثة دراهم . وكان جعفر بن ورقاء واحمد بن خاقان وابن بدر الشرابي فى دار السلطان وما يليها فراسلهم ابن رائق وسألهم الافراج له ليمضي الى داره التى هي دارمونس فانزلها بجكم فمنعوه من ذلك فقاتلهم وانهزموا وقتل ابن بدر واستأمن الى ابن رائق جماعة من الرجال فوعدهم [١٥] بالعطاء وأعطاهم خواتيم طين تذكرة بالمواعيد وصار الى دار السلطان وكتب الامانة لمن فيها وراسل والدة الراضى بالله وحُرمه برسالة جميلة وصار الى دار مونس التى كان ينزلها بجكم فقاتله تكينك عنها وانهزم تكينك وملك ابن رائق الدار . ثم أقبل محمد بن ينال الترجمان من واسط فى أربعة آلاف من الاتراك والديلم وغيرهم ليدفع ابن رائق عن بغداد فتلقاه ابن رائق بالنهروان وجرت بينهم حرب شديد وانهزم الترجمان وصار في مُرقّعة الى الموصل .

وأقبل ابن رائق يثير ودائع بجكم وأمواله وأنفذ أبا جعفر ابن شيرزاد الى بجكم بجواب الصلح منه فتقدم اليه بجكم المقام وأنفذ بجواب الرسالة قاضي القضاة أبا الحسين عمر على أن يُقلد طريق الفرات وديار مضر وجند قنسرين والعواصم وينفذ اليها . ورجع الطالقاني وابن أبى الشوارب القاضى من عند

عليه « سيدنا » في أمره ويسأله له ما يريده فيقبل منزلهُ ويهب له أمرهُ فنحظى بما أردنا أن يحظي به . (اعرض بيجكم) فما رأيته أطال الفكر عند شيءٍ سمعه أكثر مما أطاله بعقب قولى . . . . . وكان يقول : اني سأسكن بسر من رأى واترك بغداد .

ابن حمدان بتمام الصلح وبعض المال فانحدر الراضى وبجكم من الموصل . ولما صار قاضى القضاة الى ابن رائق لقيه وقرر أمره على تقلد الاعمال التى تقدم ذكرها فخرج ابن رائق من بغداد متوجهاً الى أعماله ووصل الراضى وبجكم الى بغداد يوم السبت لتسع خلون من شهر ربيع الاول

وفيها مات الوزير [١٦] أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات بالرملة وكان الراضي أنفذ خادماً يستدعيه فوصل الخادم وقد مات فكانت مدة وقوع اسم الوزارة عليه سنة واحدة وثمانية أشهر وخمسة وعشرين يوماً [١] وقلد مكانه أبا جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد وسلم اليه على بن خلف فصادره على خمسين ألف دينار وسفر أبو جعفر بن شيرزاد فى الصلح بين بجكم وبين البريدى فتم ما شرع فيه وضمن أبو عبد الله البريدى أعمال واسط بستمائة ألف دينار فى السنة .

ولما اتفق موت الوزير أبى الفتح وصولح البريدى شرع أبو جعفر ابن شيرزاد فى تقليد أبى عبد الله البريدى الوزارة وأشار بذلك [٢] فأنفذ الراضى بالله أبا الحسين [٣] الى أبى عبد الله البريدى فى تقلد الوزارة فامتنع منها ثم استجاب اليها وتقلد الوزارة وخلفه عبد الله بن على النفرى بالحضرة كما كان يخلف الفضل بن جعفر .

وكان بجكم قلد بالبا التركى أعمال المعاون بالانبار فكاتبه يلتمس منه أن يقلده أعمال طريق الفرات باسرها ليكون فى وجه ابن رائق وهو بالشام فقلده ذلك فنفذ الى الرحبة وغلب عليها وكاتب ابن رائق وأقام له الدعوة

(١) يراجع فيه ما قال أبو عمر الكندى في كتاب الولاة ص ٢٨٧ (٢) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام أنه قال : نكتفى شره (٣) يعنى القاضي عمر بن أبي عمر محمد

فى أعمال طريق الفرات وعظم أمره بها واتصل خبره ببجكم

(ذكر سرعة تلافي بجكم أمر باليا قبل أن يستفحل (١٧))

أنفذ بجكم غلامه بوستكين وعدلا حاجبه وقطعة من جيشه نحو أربعماية رجل فوصلوا الى الانبار وقت العصر من يومهم وساروا من سحر ليلتهم الى هيت وأخذوا منها الادلاء فسلكوا طريق البرية ووصلوا الى الرحبة في خمسة أيام فدخلوها من بابين من أبواب الرحبة وجميع ذلك بوصية بجكم ورسمه فعملا بما رسم. فعرف باليا الخبر وهو على طعامه فوثب الى سطح واستتر عند بعض الحاكة وأخذ من عنده وانحدروا به الى الانبار. ثم ادخلاه بغداد مشهراً علي جمل عليه نقنق وهو مصلوب ثم خفى امره فيقال ان بجكم سمه. (١)

ودخلت سنة ثمان وعشرين وثلثمائة

وفيها تزوج بجكم سارة (٢) بنت الوزير أبي عبدالله أحمد بن محمد البريدى بحضرة الراضى على صداق مائتى ألف درهم

واشتد أبو جعفر ابن شيرزاد في معاملة التناء وزاد في المساحة واحتج عليهم بعلو الاسعار ووفورها وطالبهم بالتربيع والتسعير والسلف وأظهر ظلمه

وفيها سار الامير أبو على الحسن بن بويه الى واسط وكان البريديون بها فأقام الامير أبو على فى الجانب الشرقي منها والبريديون في الجانب الغربى

(ذكر السبب فى ذلك)

كان أبو عبد الله أنفذ جيشاً الى السوس وقتل قائداً (١٨) من الديلم

(١) قال صاحب التكملة : وكان أحد قواد بجكم ابراهيم بن أحمد أخو نصر بن أحمد صاحب خراسان فقلده بجكم الشرطة ببغداد (٢) وفي تاريخ الاسلام : شارة

واضطرّ أبا جعفر الصيمرى الى التحصن بقلعة السوس وكان متقلداً أعمال الخراج بها . وخاف أبو الحسين أحمد بن بويه ان يصير البريدى الى الاهواز من البصرة وكان أبو على الحسن بن بويه أخوه مقيما بباب اصطخر فكتب اليه أبو الحسين أخوه يستنجده فوافاهُ يطوى المنازل طياً فى عشرة أيام . وكانت الضرورة دعت أبا الحسين أحمد بن بويه الى ان خرج من السوس فلما وصل أخوه أبو على الي السوس دخل أبو الحسين أحمد بن بويه الاهواز. وكان أصحاب وشمكير قد تغلبوا على أصبهان فسار الامير أبو على الحسن بن بويه الى واسط طمعاً فى ان يحصل له فاضطرب رجالهُ لانه ما كان أنفق فيهم منذ سنة واستأمن من أصحابه مائة رجل الي البريديين . وسار بجكم والراضى من بغداد لحربه فاشفق ان يقع التضافر عليه ويستأ من رجاله فانصرف الى الاهواز ومنها الى رامهرمز ثم سار الى اصبهان ففتحها واستأسر بضعة عشر قائداً من قوّاد وشمكير ورجع الراضى بالله وبجكم الى بغداد .

وفيها خرج بجكم الى الجبل فلما بلغ قرميسين عاد الى بغداد ومعه مستأمنة الديلم .

﴿ ذكر السبب فى خروج بجكم الى الجبال ورجوعه عنها وسبب فساد الحال بينه وبين البريدى بعد الوصلة والصلاح [١٩] ﴾

لما صاهر بجكم البريدي وخلُص ما بينهما كاتبه ان ينفذ الى الجبل لفتحها وان يخرج هو الى الاهواز لفتحها ودفع أبى الحسين أحمد بن بويه عنها وأنفذ اليه حاجبه عدلا فى خمسمائة رجل نجدة ليضمهم الى رجاله . قال أبو زكريا السوسي : وأخرجنى معه لان أزعجهُ وأحثه على المسير مع الجيش كله اذ كان ابتداؤهم بالسوس . (قال) فحصلتُ بواسط وأظهر البريدى بما وددت

وعدل الحاجب له حتى اذا حصل بجكم بحلوان طمع البريدى فى السير الى بغداد وأخذ الدفائن التى لبجكم فى داره والعود بها الى واسط وكانت عظيمة فما زال يتربص ويدافع ويقدم رجلا ويؤخر أخرى تارة تشره نفسه الى المال وتارة يرهب من مكاشفة بجكم ويتوقع مع ذلك دائرة على بجكم من قتل أو هزيمة فيتمكن مما يريد . وامتدت أيامنا حتى اقمنا زيادة على شهر وكتب بجكم ترد علينا بان نعرفه ما عاملناه فاذا أقرأناها البريدىّ قال : أنا سائر غير متلوّم . ثم يتراخى فقطنّا لما فى نفسه وقلتُ لعدل سرّا : انفذ الى بجكم من يعرّفه الخبر . فبادر اليه بركابىّ يثق به فلما وصل الى بجكم لم يلبث ان ركب الجمازات ووافى مدينة السلام وخلف عسكره وراءه .

وسقطت الاطيار على البريدى بدخول بجكم بغداد [٢٠] وانه لا يدرى أهو منهزم أم مجتاز فابلس ودهش وتحير وهمّ بالقبض علىّ وجذبى الى البصرة وعلمتُ انا على الاستتار نخفتُ ان يثيرنى ويخرجنى لان واسط بلدٌ صغيرٌ فسكنتُ على ذلك أتردّدُ اليه متجلداً . ثم دعانى وقت عصر بعدّة غلمان فلم أشك فى انه للقبض علىّ فوصلتُ اليه وقت المغرب وقد قام فدخل الى كلة له هربا من البق فقال لى : عرفتَ الخبر ؟ قلتُ : ماذا . فقال: سقط طائر قبل العصر بان بجكم قد سار الى واسط . فقلتُ : هذا باطل متى ورد بغداد ومتى خرج ؟ فقال : دَع هذا عنك فانى لا أشك فيه فاخرج الساعة اليه وازل ما أوحشه منى وهات يدك . فناولتهُ اياها وجعلها على أذنه وقال : خذنى الى النخاسين وبعني فانى لا أخالفك واكفنى هذا الباب ولا تسألنى عما تعمل . فقبلتُ يده ورجله والارض بين يديه وقلتُ له : امضى أتأهبُ . فقال : قد تأهبتُ لك وقدِّم لك طيارٌ وجرّدتُ

خمسين غلاماً لِيـذرقتك وانزل الى الطيار ففيـه زاد يكفيك الى الحضرة وغلمانك يتلاحقون بك . فلم أتمالكُ سروراً ثم خشيتُ ان يكون قد اغتالني واني اخرج فيؤخذني الى البصرة ونهضتُ من عنده فما ثاب اليّ عقلي الاّ بفم الصلح [٢١] فلما وصلتُ الى نهرسابس لقيني خادم من داري ببغداد برسالة بجكم اليّ اني استتر وأسر بذلك اليّ . وسألني من معي من غلمان البريدى عما ورد به الخادم فعرفتهم انه أخبرني بحال عليلة لى وانها مشفية وسرتُ مبادرا . وأصبح البريدى نادماً على إنفاذه اياى ووجه خلفي من يطلبني لان طائرا سقط عليه بما آيسه من صلاح بجكم له وأغرى بى فى الكتاب فكفاني الله . ووصلتُ الى دير العاقول وبها أحمد بن نصر القشورى فخرجت اليه وأراد ان يأخذ الطيّار ويوقع بالغلمان فلم أتركهُ ندوتُ للغلمان ورددتهم فى الطيار وجلستُ انا فى طيار أحمد بن نصر ووافيت الزعفرانيـة ولقيت بها بجكم وصعدتُ اليه فحدثته بالحديث. واجتهدت فى إصلاحه للبريدى ورده الى بغداد فابى فقال : لو لقيني وأنا على درجة من دارى لما تهيأ لى أن أعود فانها تكون هزيمة فكيف وقد سرتُ ووصلتُ الى ههنا . وانحدرت معه

فقبض على أبى جعفر بن شيرزاد بواسط لانه كان سبب البريدى عنده وهو الذى أشار بوُصلته . وأظهر بجكم صرف أبى عبد الله البريدى عن الوزارة وأزال اسمها عنـه وأوقعهُ على أبى القاسم سليمان بن الحسن فكان اسم الوزارة عليـه وخلع عليه خلع الوزارة والامور [٢٢] يدبرها كاتب بجكم وهو ابن شيرزاد الى أن قبض عليه . فكانت مدّة وقوع اسم الوزارة على أبى عبد الله البريدى سنة واحدة وأربعة أشهر وأربعة عشر يوما .

وكان بجكم عند اخراج مضربه الى الزعفرانيّة متوجّهاً الى البريدى

أحبّ أن يكتم خبر انحداره وكان انحداره في حديديّ فضبط الطرق ومنع من نفوذ كتاب لاحد لئلا يكتب بخبر انحداره .

﴿ ذكر اتفاق ظريف غريب ﴾

كان معه في الحديديّ كاتب له على أمر داره وجرايات حاشيته وكان له أخ في خدمة البريدى . فلما جلس بجكم في الحديدي سقط على صدر الحديدي طائر فصاده غلمان بجكم وجاءوا به الى مولاهم فوجد على ذنبه كتاباً فقرئ فاذا هو كتاب من كاتبه هذا الى أخيه بخطه يعرفه فيه انحدار بجكم ومن أنفذ على الظهر من الجيش وسائر أسراره وعزائمه . فلما وقف عليه بجكم عجب واغتاظ وأحضر هذا الكاتب ورمي اليه بالكتاب فسقط في يده ولم يمكنه جحده لانه بخطه المعروف فاعترف به فامر به فرُمي بالزوبينات بحضرته الى أن قتله ورمى به في الماء وسار الى واسط فوجد البريدي قد انحدر منها ولم يقف .

وفي ذي الحجة من هذه السنة ورد الخبر بان ابن رائق اوقع بابي نصر ابن طغج أخي الاخشيد فانهزم أصحاب أبي نصر ابن طغج واستؤسر وجوه قوّاده وقتل أبو نصر ابن طغج (٢٣) فاخذه ابن رائق وكفنه وحنطه وحمله في تابوت الى أخيه الاخشيد وأنفذ معه ابنه مزاحم بن محمد بن رائق وكتب الى الاخشيد معه كتابا يعزّيه فيه بأخيه ويعتذر مما جري وانه ما أراد قتله وانه قد أنفذ اليه ابنه ليقيده به ان أحبّ ذلك . فتلقى الاخشيد فعله ذلك بالجميل وخلع على أبي الفتح مزاحم ورده الى أبيه واصطلحا على أن يفرج ابن رائق للاخشيد عن الرملة ويكون باقي الشام في يد ابن رائق ويحمل اليه الاخشيد عن الرملة مائة وأربعين ألف دينار .

وفيها دخل أبو نصر محمد بن ينال الترجمان من الجبل منهزماً من الديلم واتصل خبر هزيمته ببجكم وهو بواسط فوجه بمن ضربه فى منزله بالمقارع وقيده وحبسه مدة ثم رضى عنه [١]

﴿ ودخلت سنة تسع وعشرين وثلثمائة ﴾

وفيها كان القبض من بجكم على كاتبه ابن شيرزاد واستكتب أبا عبد الله الكوفى فكانت مدة كتابة ابن شيرزاد لبجكم وتدبيره الملك وقيامه مقام الوزراء تسعة عشر شهراً وثلاثة عشر يوما . وحين أراد القبض عليه كاتب تكينك خليفته على يد مسرع بأن يحض أبا القاسم الكلواذي وأصحاب الدواوين والعمال والمهندسين ويتقدم اليهم بان يتوافقوا على أمر المصالح بالسواد وأن يعملوا عملا [٢٤] بما يحتاج اليه ناحية ناحية فاذا فرغ منه تسلمه منهم وقبض على فلان وفلان (قوم أسماهم له من الكتاب) فاذا حصلوا كتب على عدة أطيار بخبر حصولهم . فاحضرهم تكينك وناظرهم فى دار بجكم على أمر المصالح فلما فرغوا من ذلك وأرادوا الانصراف أعتقل من اسمى له منهم وفيهم أبو الحسن طازاذ بن عيسى ومحمد بن الحسن بن شيرزاد والمعروف برهرمه وجماعة من الكتاب والعمال وكتب بخبر القبض عليهم . فلما عرف خبرهم و حصولهم فى القبض قبض حينئذ على أبى جعفر ابن شيرزاد وزيره [٢]

(١) وزاد صاحب التكملة فى ترجمة هذه السنة : وفي شعبان توفى قاضي القضاة أبو الحسين فتوسط أبو عبد الله بن أبي موسي الهاشمي أمر ابنه أبي نصر على عشرين الف دينار حتى ولي مكانه وترجمة القاضى أبي الحسين عمر موجودة فيارشاد الاريب ٦ : ٥٦ * وفيها توفي أبو عبد الله القمي وزير لركن الدولة وقلد مكانه أبو الفضل ابن العميد

(٢) وأما قصة ابن شيرزاد في استتاره ليراجع كتاب الفرج بعد الشدة ٢ : ١٣٧ — ١٣٩

ومما يستدلّ به على دهاء بجكم ما حكاهُ ثابت عن أبي عبد الله الكوفي قال : قال بجكم بعد قبضه على أبي جعفر ابن شيرزاد : كان يقال لي ان أبا جعفر موسر كثير المال وكنتُ أظن أن اعداءه يكثرون عليه فأردتُ ان أمتحن صحة ما يقال فيه فقلت له يوماً : قد أودعت الارض مالا كثيرا وعملت على ان أودع الناس شيئا آخر ولست أثق باحد ثقتي بك وأريد ان أودع عندك شيئا فهل تنشط لذلك ؟ فقال لي : وكم مبلغه ؟ فقلت : مائة الف دينار . فقال لي مسرعاً « نعم » ولم يستكثرها ولا رأيت في وجهه اعظاما لها . فلما رأيت قوة قلبه ونشاطه للامر وان المقدار لم يهلهُ ولا عظم في نفسه علمت ان الذي قيل في يساره [٢٥] وكثرة ماله حقٌ . فسلمت اليه مائة الف دينار وتركته مدة طويلة ثم قلت له : قد احتجت الى تلك الدنانير فينبغي ان تردّها . فقال « نعم » وحمل بعد أيام جزءا منها ثم اقتضيته فحمل شيئا آخر ثم اقتضيته فحمل جزءا آخر فأظهرتُ غضباً وقلت له : دفعتها اليك جملة وتردها تفاريق ! فارتاع لغضبي وصياحي عليه ودهش فخجل وقال : انا أصدق الامير ليس لي من أثق به في هذه الاحوال الاّ أختي وليس تطيق حمل الجميع ولا لها حيلة الاّ أن تحمله شيئا بعد شيء . فسكت وقلت « يجوز » وحصلت من كلامه ان الذي يجرى على يده أمر ودائعه هو أخته فلما قبضت عليه وطالبته أخذ يتمانن فوجهت اليه : لا تمانن فان أختك قد وقعت في يدي . ولم تكن قد وقعت وانما أردتُ أن أرعبهُ (قال) فانحل وبلغ ما أردته

وفيها في ليلة الجمعة للنصف من شهر ربيع الاول مات الراضي بالله [١]

(١) قال صاحب كتاب العيون : وفي هذه السنة مات زيرك الخادم القاهري فاشتد حزن الراضي عليه وخرج من داره مستوحشاً منها لفقد زيرك الي الشماسية فأقام بدار

وكان قد انكسف القمر كله وكان موته بالاستسقاء الزقيّ واستتر كاتبه أبو الحسن سعيد بن عمرو بن سنجلا وانقضت أيامه . وكان رجلا أديبا شاعرا حسن البيان يحب محادثة الادباء ومعاشرتهم ولا يفارق الجلساء وكان سمحاً سخياً واسع النفس . [٢٦] وطمع بجكم في جماعة من ندمائه وظنّ انه ينتفع مع عجمته بآدابهم فلما نظر لم يجد من يُفهّمه ما ينتفع به الا سنان بن ثابت فانّ سنانا كان ينادمه الراضي بالله قال سنان : دعاني بجكم ووصلني وأكرمني ثم قال لي: أريد أن أعتمد عليك في تدبيري وأمور جسمي ومصالحي وفي أمر آخر هو أهم الي من أمر بدني وهو أمر اخلاقي فقد وثقتُ بعقلك وفضلك وقد غمّني غلبة الغضب والغيظ عليّ وافراطها في حتى أخرج الى ما أندم عليه من ضرب وقتل فانا أسألك ان تتفقد ما أعمله ثم تعالجني مما تكرهه واذا عرفتَ لي عيباً لم تحتشم ان تذكره لي ثم ترشدني الى علاجه ليزول عني . (قال) فقلت له : السمع والطاعة ولكن في العاجل اسمع مني جملةً علاج ما أنكرته من نفسك الى ان يجيء التفصيل . اعلم أيها الامير بأنك قد أصبحتَ وليس فوق يدك يد لمخلوق وأنه لا يتهيأ لاحد منعك مما تريد ولا ان يحول بينك وبين ما تهواه أيّ وقت اردته وانك متى أردتَ شيئا بلغته في أي وقت شئتَ لا يفوتك منه شيء ثم اعلم ان الغيظ والغضب يحدث في الانسان سكرا أشد من سكر الشراب المسكر بكثير فكما ان الانسان يعمل في وقت السكر من النبيذ

ريق مولي ابراهيم بن المهدي (وكان قد ملك هذه الدار بعد ريق اصطفن النصراني) وسب الراضي من دنان المطبوخ من عهد المعتمد في دجلة أربعمائة دن حزنا على زيرك وكان يقول : مات مائة قاضي وصاحب رأي وخادم كافي . وكان قد أقطعه البستان المعروف بالشفيعي وأعطاه من المال والجوهر ما يتجاوز قدره فأمر ببيع جميع ذلك وان يتصدق بثمنه عن زيرك .

ماينده عليه وما لا يعقل به ولا يذكره اذا صحا كذلك [٢٧] يحدث في حال السكر من الغضب بل أشد فيجب كما يبتدىء بك الغضب وتحس بانه قد ابتدأ يغلبك ويسكرك وقبل ان يشتد ويقوى ويتفاقم ويخرج من يدك . فضع فى نفسك ان تؤخر العقوبة على الذنوب وتتركها تغب ليلة واثقاً بان ماتريد ان تفعله فى الوقت لا يفوتك عمله فى غد . وقد قيل « من لم يخف فوتاً حلم » فانك اذا فعلت ذلك وبت ليلتك وسكنت فلابد لفورة الغضب من ان تبوخ وتسكن وتصحو من السكر الذى أحدثه لك الغضب وقد قيل ان أصح ما يكون الرأى اذا استدبر الانسان ليلته واستقبل نهاره . فاذا صحوت من سكرك فتأمل الامر الذى أغضبك فان كان مما يجوز فيه العفو ويكفى فيه العتاب والتهديد أو التوبيخ أو العزل فلا تتجاوز ذلك فان العفو أحسن بك وأقرب لك الى الله عز وجل وليس يظن بك المذنب ولا غيره العجز ولا تعذر القدرة . وان كان مما لا يحتمل العفو عاقبت حينئذ علي قدر الذنب ولم تتجاوزه الى مايقبح ذكرك ويزيغ دينك ويمقت عليه نفسك . وانما يشتد هذا عليك عند تكلفه أول دفعة وثانية وثالثة ثم يصير عادة فيسهل لك ثم تستلذه اذا عملت فضيلة . فاستحسن ذلك بجكم [٢٨] ووعد انه يفعله وما زال ينبهه على شيء شيء حتى صلحت أخلاقه وكف عن القتل والعقوبات الغليظة واستحلى ما كان يشير به من استعمال العدل والانصاف ورفع الجور والظلم وعمل به حتى قال : قد تبينت ان العدل أربح للسلطان بكثير وانه يحصل له دنيا وآخرة وان مواد الظلم وان كثرت وتعجلت سريعة النفاذ والفناء والانقطاع وهو مع ذلك كانه لا يبارك فيها وتحدث حوادث يتحرمها ثم يعود بخراب الدنيا وفساد

الآخرة[1] فقلت له : وبالضد فان مواد العدل تنمي وتزيد وتدوم وتبارك فيها عند ابتداء العمل به . وعمل بواسط وقت المجاعة دار ضيافة وببغداد

(١) وأما حال بجكم مع الراضي فقد قال أبو بكر الصولي في كتاب الاوراق في ترجمة سنة ٣٢٢ : وقال لنا الراضي بالله . كأني بالناس يقولون «أرضي هذا الخليفة بان يدبر أمره عبد تركي حتى يتحكم في المال وينفرد بالتدبير » ولا يدرون ان هذا الامر أفسد مثلي وأدخلني فيه قوم بغير شهوتي فسلمت الي ساجية وحجرية يتسحبون علي ويجلسون في اليوم مرات ويقصدونني ليلا ويريد كل واحد منهم ان أخصه دون صاحبه وان يكون له بيت مال وكنت أتوقى الدماء في تركي الحبل عليهم الي ان كفاني الله أمرهم . ثم دبر الامر ابن رائق فدبره أشد تسحبا في باب المال منهم وانفرد بشربه ولهوه ولو بلغه وبلغ الذين قبله ان على فرسخ منهم فرسانا قد أخذوه وطالبوا بالاستحقاق وربما أخذوه ولم يبرحوا ويتعدي الواحد منهم أو من أصحابهم على بعض الرعية بل على أسبابي وآمر فيه بامر فلا يمتثل ولا ينفذ ولا يستعمل . وأكثر ما فيه ان يسلبني فيه كاب من كلابهم فلا أملك رده وان رددته غضبوا وتجمعوا وتكلموا . فلما جاء هذا الغلام جاء من لا يقول لي « منعتك » أو « أجاستك » كما كانوا يقولون بل اعتد انا عليه بالاصطناع ووجدته ان تعدى أحد من أصحابه لم يرض الا بقتله والمبالغة في عقوبته وان بلغه ان عدوا قد تحول في ناحية نهض اليه فسبق خبره من غير اعتساف لي بطلب مال ولا تلبث لوفاء استحقاق . فرضيت ضرورة به وكان أوفق لي وأحب الي ممن قبله وكان الاجود ان يكون الامر كله لي كما كان لمن مضي قبلي ولكن لم يجر القضاء بهذا لي .

وكان دعي بجكم مرات منهنا مرة الا وهو ينفق عليه في خلمه وما يحمله معه عشرين الف دينار وزيادة عليها من صواني ذهب وفضة وعنبر وند ومسك وكافور وبلور . وعلم ان عادته في داره وحشمه الا يشرب الماء اذا جاؤه به يصب منه في اناء معه فيشربه ثم يناوله اياه . فكان يستعمل الراضي معه هذا اذا حمل اليه كوز وضع بين يدى الراضي أولا فأكل منه ثم وضع بين يدى بجكم وكذلك النبيذ وجميع ما يوضع بين يديه وكان يستعفيه من هذا فلا يعفيه . ولقد قبل في آخر دعوة دعاه فخذه ويده فضمه الراضي اليه واخرج من أصبعه خاتمين فوضعهما في أصبعه أحدهما يشبه الجبل في حمرته وكبره . فنظر ابن حمدون الي ونظرت اليه واغتممنا ان يكون الجبل في يد غيره نفطن لنا فلما انصرف بجكم قال لنا : قد رأيت نظركما وقت الخاتم واحسبكما ظننتماه الجبل ليس به ولكنه أقرب فص في الدنيا شبها به .

بيمارستان وعدل فى أهـل واسط وأحسن الى أهلها الا أن مدّته لم تطل فقتل عن قرب . ولله تدبير فى أرضه وله أمر هو بالغه

ولقد قال لى بجكم بعد موت الراضي وأنا معه بواسط وعلى رأسه من خدم الراضي جماعة : ان هؤلاء حـدثونى ان الراضي أراد ان يقبض علىّ في بعض دعواته أفـكان كذا ؟ فقلت له : الامير يعلم ان الراضي لا يرجى في هذا الوقت ولا يخاف وبالله ما استبنا منه هذا فى حال صحوه ولا سكره ولا جـدّه ولا هزله وما كان الاّ محباً للامير مغتبطاً به . ولقد كان يتصنع في مدح ابن رائق حين كرهه ويقرّظه ويصفه فما كان يخفى علينا ضميره فيه هذا من قبل ان يظهر لنا ما في نفسه عليه . فقال لي : صـدقت والله وكذب هؤلاء وما يدريهم كان الامر عندي كما قلت . ثم حدّثته بما قد ذكرته من قول الراضى « انا أعلم ان الناس يقولون » فضحك وقال : ما كان الاّ نهاية في عقله ودهائه وملقه (يريد بجكم هذا وان لم يلفظ بهذا اللفظ) ولـكني أعتب عليه بانه كان شديد الحين يؤثر لذّته وشهوته على رأيه . فعجبت والله من عقل بجكم هذا والله بعينه اللذين ما كان فيه غيرهما

ثم حدثته انا كنا نقف على مكاتبته الامير سراً ليأذن له المصير الى بغداد ويشكو اليه ما كان يجرى عليه من ابن رائق فيكتب اليه « عليك بالوفاء لمن اصطنعك وأحسن اليك » الى أن كتب اليه الامير « أعوذ بالله أن يكون مولاى يريد قتلي كما يريده ابن رائق لانه أعطاني جيشاً بمال معدوم ثم لم يوفني استحقاقهم وهذا سعى على دمي » وانه لمـا ورد عليه كتاب الامير بهذا كتب اليه « والله ما أحب أن يتأذى بشئ أقل جندك واتباعك لموضعك عندي ومايستحقه شـجاعتك ومناصحتك فكيف أحب ماذكرته فيك فاذا صار الامر الى هـذا وجملت وصيتى لك بالتمسك بالوفاء وحسن العهد سبباً لزوال أمرك فما أحب هـذا افعل ما يصلحك . فلما قرأ الامير هذا الـكتاب قلت : ثم وقفنا في وقت من الاوقات ان الامير اتهمه بأنه كاتب في أمره بعض من (لا) يصلح للمكاتبة فى مثله وان ذلك اتصل به فوجه الى الامير : قد علمت الحال التي كنت عليها لابن رائق فى كراهتى له في آخر أيامه وما أجرى عليه مما يستوجب به ازالة أمره ومكاتبتك لى فيه بما كاتبت فان كنت مع تلك الحال أذنت لك في مكروهه أو تغير عليه مع تسخطي وغضبي فاني سأ كاتب فيك علي بعد ما بينكما وأنا فى هذا الوقت مغتبط بك راض بجميع فعلك وأمرك . فضحك بجكم وقال : كذا كان وأزال هذا جميع ما بقلبي مما تهمته وعلمت انه صادق فيه

TAJÄRUB AL - UMAM

BY

AHMAD IBN MUHAMMAD, KNOWN AS

MISKAWAYH

(DIED 421 A. H.)

EDITED,

BY

H. F. AMEDROZ,

BARRISTER ATLAW,

Volume I

DEALING WITH THE EVENTS OF 35 YEARS:

295 - 329 A. H.

DISTRIBUTOR :

AL - MUTHANNA LIBRARY

BAGHDAD, IRAQ.

TAJÄRUB AL-UMAM

BY

AHMAD IBN MUHAMMAD,
KNOWN AS MISKAWAYH

(DIED 421 A. H.)

EDITED,

BY

H. F. AMEDROZ,
BARRISTER ATLAW,

DISTRIBUTOR :



AL-MUTHANNA LIBRARY
BAGHDAD, IRAQ.